

# الفصل

مجلة ثقافية شهرية - العدد (٢٢٧) - جمادى الأولى ١٤١٦ هـ - سبتمبر / أكتوبر ١٩٩٥ م  
ALFAISAL MAGAZINE ISSUE (227) SEP. / OCT. 1995

Mngool.com

الكتابة العلمية بالعربية :  
واقع تجاوز حاجز الوهم

سيئات أعمال عن منازلهم

لماذا تتعارض المصالح مع الأخلاق؟

## الأميرك

..كيف يتلألأ المجهول؟





# حديقة الأزهار في شرح ماهية العرش والعقار

تأليف:

القاسم بن محمد بن إبراهيم الوزير الغساني  
(المتوفى سنة ١٠١٩ هـ - ١٦١١ م)

اعتم المسلمون بالعلوم العملية والتطبيقية اعتمادهم بالعلوم النظرية، ومن ذلك علم الصيدلة والأشوية، فألفوا فيه المؤلفات الكثيرة، ومنها هذا الكتاب للوزير الغساني، حيث جمع في كتابه هذا عشرات الأنواع من الأشوية والعقارات والأعشاب الطبية، ورتبها ترتيباً هجائياً تسهيلاً للوصول إليها عند البحث، ذاكراً في كل نوع اسمه وعلميته ومكوناته وصفاته، وتحدث عن طبيعته وخواصه ومنافعه الطبية، ثم يذكر الخليل عن هذا العقار في حال فقره وعدم وجوده. وقد أهدى المؤلف هذا الكتاب للمصور السعدي أحمد بن محمد بن الشيخ المهدي رابع سلاطين الدولة السعدية، وكان محبا للعلم، كما يقول الزركلي في «الأعلام» - وقد ألف عدة كتب، وتوفي سنة ١٠١٢ هـ.

واخطوطة من مقتنيات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض،  
برقم ٢٠٠٣.

إعداد: إبراهيم باجس عبد المجيد

## حديقة الأزهار في شرح ماهية العرش والعقار للأبنة الوزير

صنفه ووضع له يدبر الموصيه أبو العباس  
المصور بن عبد الله المهدي  
تأليف محمد بن إبراهيم الغساني الشهير بالوزير  
الأشوية المفردة على ترتيب الحروف الهجائية



في ● مدخل لعالم خالد الفيصل الشعري

العدد ● العرب في مواجهة التحديات الإعلامية المعاصرة

القادم: ● قلعة الحصن تقف في مواجهة الغزو الصليبي



## الكتاب الجيد :

### الحبيب المفقود

في زاوية «على موعد»، بعنوان «الكتاب الجيد هذا الحبيب المفقود المفقود» التي كتبها الأستاذ الأديب فهد العريفي في العدد (٢٢١) من الفيصل، فتح الكاتب نافذة على ثلاث قضايا على درجة كبيرة من الأهمية، الأولى: تكذيب الفرية التي أطلقها وزير الدفاع الإسرائيلي السابق موشى ديان بقوله: «العرب أمة لاتقرأ»، والثانية: ندرة الكتاب العربي الجيد الذي يستحق القراءة، أما الثالثة: حتى إذا وجد الكتاب الجيد، فدونه الأبواب الموصدة والرقباء المدعورون الذين لاتعجزهم الأسباب التي يسوغون بها فرض الوصايا على الفكر.

هذا الموضوع أوجز قضية حساسة جداً في عالم الفكر والثقافة، وأعتقد أن مقالة واحدة لاتفي الموضوع حقها، ولاتكفي لمعالجة مثل هذه القضية؛ فالمحاور التي عرضها العريفي يابجاز تحتاج إلى تناول أوسع وأعمق وأكثر جرأة في الوقت نفسه، ونحن نتطلع إلى «الفيصل» للقيام بذلك.

عبد الغفار محجوب سعيد

عطبرة - السودان

د. حميد مجيد علي

حده - ص.ب ١٦٨٧١ - صنعاء - اليمن.

### ظاظا والخطر اليهودي

لم يستطع اليهود أن يغوصوا في أعماقنا ويمزقوا وحدتنا ويشيروا الخلافات بيننا، إلا من طريق منظماتهم السرية الهدامة؛ كالماسونية وما تفرع منها كالروتاري والليونز وجايسيس وشهود يهوه والنهيليست وبناي برث، وغيرها..

لذا نرجو من الدكتور حسن ظاظا التكرم بعمل دراسة مفصلة عن تاريخ الحركات اليهودية السرية، وأعمالها التخريبية تجاه الإسلام، وكل ماهو صالح في العالم. حتى نكون جميعا على بينة من الخطر اليهودي، وحركات اليهود السرية الهدامة، وما تبيته لنا من وراء الستار.

أحمد علي الوريث

صنعاء - اليمن - ص.ب ٢١٢٦٤

### التخصيص والمنهجية

بعد اطلاعي على أفياء العدد (٢٢٤)، وماتضمنه من ظلال وارقة، وبعد العودة إلى الإطلالة الرائعة للدكتور زيد الحسين «التخصيص بين طرفي نقيض» التي لمست فيها دراسة منهجية عقلانية بالأدلة والبراهين، بعيداً من العاطفة والخيال، أتمنى لكم دائماً التألق والنجاح.

جاك صبري شماس

عضو اتحاد الكتاب العرب

الحسكة - سورية

### إفساد البيئة

وجدت كتيب «إفساد البيئة.. اغتيال للحياة» معروضاً في إحدى ساحات بيع المطبوعات في صنعاء، ولما تناولته واطلعت عليه عرفت أن الكتيب ملحق بالعدد (٢٢٠)، ولكن تم بيعه منفصلاً. وقد تهافت عليه المهتمون بمجال البيئة، فالقائمة البيولوجرافية التي اشتمل عليها الكتيب تقدم خدمة جليلة للدارسين، وتختصر الوقت والجهد المطلوبين للبحث عن موضوعات عالجت القضية نفسها. فتحية إعجاب وتقدير لكل من ساهم في إعداد هذا الكتيب وإخراجه.

«البريد» زاوية تستقبل فيها المجلة رسائل القراء، ويمكن أن ترد على بعضها، وتترك الرد على البعض الآخر للقراء يمكن أن تقوم المجلة بتحرير بعض الرسائل من أجل مساحة الصفحة، أو لزيادة الإيضاح فقط الرسائل التي ترد بعنوانين وأسماء ترسل باسم الخمر (زاوية بريد المجلة) ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١





فيه خير الإنسان وسعادته. والأعجب من ذلك أن يُسَوَّه هذا الدور، وأن يُنظر إلى الأمومة على أنها الأساس الرئيس لقهر المرأة. وضمت الوثيقة مجموعة من الأفكار والاتجاهات الشاذة، التي ركزت كثيراً على دعاوى الحقوق الجنسية للمرأة، ومن هذه الحقوق التي ادعواها للمرأة وجوب توفير الرعاية الصحية لضحايا الأمراض الجنسية منهن، دون أي إشارة إلى ضرورة تغيير أساليب الحياة التي تؤدي إلى هذه الأمراض، التي أوجدتها الإباحية والشذوذ اللذان لا يحتاجان إلى مؤتمر يطالب بهما. ومن ثم انصب مصطلح «تمكين المرأة» الذي استخدمته الوثيقة بشكل أساسي على الحرية الجنسية، مما يعد تغييراً للحقوق الرئيسة للمرأة، واستمراراً لما لاقتة من امتهان عند أمم كثيرة على مر العصور؛ إذ توضح كتب التاريخ - مثلاً - أن المرأة في الصين كان محرمًا عليها الخروج من منزلها، ونص قانون مانو في الهند على أن المرأة رجس وعار، وحكم عليها أن تحرق حية عند وفاة زوجها. وفي ظل الحضارة اليونانية، كانت تباع وتشتري في الأسواق، وحُرمت من حق المواطنة، بل إن لفلاسفة اليونان ومفكرها آراء تحط من شأنها؛ فأفلاطون في «جمهورية» يرى ضرورة شيوع النساء والمال بين الحكام ورجال الجيش للقضاء على التنافس فيما بينهم، وهذا نفسه ما نادى به الفرس في جاهليتهم. وأقر الرومان حق الرجل في الحكم على زوجته بالإعدام إن بدا منها أي إهمال، كما كان يحرم عليها دخول المعابد لأنها - في رأيهم - حيوان نجس. وفي أوروبا، شاعت أفكار عنادية ضد المرأة في القرون الوسطى، وكان ينظر إليها على أنها روح شريرة لا تستحق دخول الجنة، بل إن هناك مؤتمراً انعقد خصيصاً لبحث ما إذا كانت المرأة إنساناً له روح أم لا. وفي عهد الملك هنري الثامن صدر في إنجلترا قانون يحظر عليها قراءة كتاب العهد الجديد. ويبدو هنا تأثير الأفكار اليهودية المنحرفة واضحة، واعتمد الزواج في الطبقة العليا على حسابات المصالح. وفي هذا العصر تُستغل المرأة معنوياً وجسدياً في إعلانات التجارة ودعاياتها، وفي الترفيه المتاجر بشبابها ونضارتها.

ونستنتج من هذا الاستعراض الموجز لمكانة المرأة

والصحة وشؤون الأسرة والمرأة والطفولة وحقوق الإنسان والسلام وغيرها، والتي يتطلب إيجاد حلول ناجعة لها إلى تبادل الآراء وعمق المناقشة والتداول للبحث عن الأسباب الحقيقية للاختلال في هذه الجوانب الحياتية التي تمس مستقبل الإنسان ومسؤوليته على هذه الأرض وفق القواعد الأخلاقية السامية والقيم الإنسانية النبيلة. ولكن من الواضح انحراف كثير من هذه المؤتمرات عن الأهداف المعلنة لها، ومحاولتها فرض تصورات ورؤى ثقافة معينة على المجتمع الدولي دون مراعاة لما بين المجتمعات من اختلاف في القيم والمنطلقات، ولما لها من هويات ترفض مبدأ الإملاء القسري، وتمسك بخصائصها وتميزها. بل إن بعض هذه المؤتمرات يأتي بنتائج عكسية، ويؤدي إلى اتساع الهوة بين المجتمعات، وفقدان الثقة فيما بينها. ولعل فشل خطط التنمية في العالم الثالث، وانتشار الفقر والامية والمرض والحروب في العالم للدليل على قصور الرؤية الذي تتسم به هذه المؤتمرات.

وتمثل المؤتمرات التي تخص الأمومة والمرأة أخطرها وأبعدها أثراً، لأنها تمس كيان المجتمع وأساسه؛ إذ تعد الأسرة اللبنة الأولى للمجتمع الذي تركز قوة بنيانه على مدى صلابة هذه اللبنة وثبوتها.

وكان من المؤمل أن يعهد مؤتمر المرأة الذي انعقد في بكين إلى مناقشة القضايا والمشكلات الحقيقية التي تجابه المرأة في العالم، ومن ثم محاولة إيجاد الحلول المناسبة لها، وبخاصة أن كثيراً من الانحرافات التي يشهدها العالم، تأتي من جراء تقلص دور المرأة وتردي أحوالها؛ بوصفها الركن الرئيس لكيان الأسرة، والمدرسة التي يتلقى فيها الأبناء أسس التعامل مع الحياة. ولكن - للأسف - جاءت مناقشة هذه القضية الحيوية التي تتصل بمستقبل البشرية بعيداً من السياق الحقيقي والطبيعي لها، حتى بدت المرأة كما لو كانت جزءاً منفصلاً عن المجتمع، وكياناً قائماً بذاته، حيث صُوِّرت علاقتها بالرجل على أنها تقوم على الصراع لا التكامل، لأن الرجل - حسب زعمهم - ميال بطبعه إلى ممارسة العنف، كما همش دور المرأة بوصفها ربة الأسرة والأم التي تقوم بأعظم المسؤوليات في تنشئة الأجيال وتهيتها للعمل لما

تعلقاً على التوصيات النهائية لمؤتمر المرأة في بكين (٤ - ١٥ سبتمبر ١٩٩٥م)، أبدت مندوبة إحدى الدول الأوروبية تخوفها من أن يتحول حق الدول في الاحتفاظ بخصائصها الثقافية عند تطبيق توصيات المؤتمر إلى انتهاك القيم العالمية، وفي الوقت نفسه أشارت رئيسة «اللجنة الرئيسة للمؤتمر» إلى أن الوقت لا يزال مبكراً جداً للخوض في بعض الموضوعات التي تظل من المحرمات في عدد كبير من الدول. ويأتي هذان الرأيان تعبيراً عن الامتناع والضيق بسبب الخلافات التي أثارتها بعض توصيات وثيقة المؤتمر، والتي كان يأمل واضعوها - رغم ما يسبقها من جدل ومناقشة - أن تكون دستوراً تطبقه جميع دول العالم مهما كان تعارضها مع قيمها ومبادئها، مُدْعِين أن هذه التوصيات تحل المشكلات والقضايا الأساسية للمرأة في العالم، وتمنحها حقوقها المسلوقة، وتجعلها تقف على قدم المساواة مع الرجل. ويظن هؤلاء أن هناك معايير وقيماً عالمية يجب أن تلتزمها جميع الدول فيما يخص قضايا المرأة، دون توضيح الأسباب والمسوغات التي تمنح هذه المعايير والقيم صفتي العالمية والإلزام. واستناداً إلى هذا الظن يأتي استنكار وجود آراء مخالفة لما يطرحونه.

إن المتابع للمؤتمرات التي تعقدها الأمم المتحدة يلاحظ بوضوح سيطرة هذا المنظور الأحادي لقضايا العالم ومشكلاته على هذه المؤتمرات التي تطرح قضايا حيوية وذات أهمية كبيرة بالنسبة للعالم أجمع؛ كقضايا التنمية والامية والتعليم



# موقف كبير

عند أقوام وحضارات مختلفة، أنها لاقت الهوان في مختلف الأماكن والأزمان، نتيجة لقصور إدراك تلك المجتمعات لدورها في الحياة الإنسانية، في ظروف تغيب القيم الدينية، والتحريف الذي لحق بالرسالات السماوية، ومن ثم كانت القوانين والفلسفات الجائرة التي حكمت المرأة وحددت دورها ومكانتها.

ويوضح هذا السياق التاريخي - كذلك - أن مسألة طرح مشكلة المرأة في الغرب عقدة لازمت المجتمع عبر أجياله المختلفة، واستمرت ماثلة أمامها، وحاملة الشعور والنمط ذاتيهما، ولا شك أن هذا الموقف المختلف قد حدا بالجميع إلى محاولة تبرئة أنفسهم من تهمة الجور عليها والانتقاص من حقوقها، واستمرت محاولات التخلص والتصحيح هذه بقوة ماتليه الصورة التاريخية المترسخة في الأذهان، رغم تلاشي بعضها، وتغير أشكال البعض الآخر وصوره. فإذا كان الغرب قد تأثر بهذه الخلفية التاريخية، ولازمته عقدة ظلم المرأة والجور عليها، فهل نجاريه؟ وبخاصة ونحن نجد المنصفين من أبنائه يشيدون بوضع المرأة في ظل الشريعة الإسلامية، ومن هؤلاء الأمير تشارلز ولي عهد بريطانيا الذي ألقى محاضرة بعنوان «الإسلام والغرب» بجامعة أكسفورد، ومما قاله: «إن المرأة في ضوء الشريعة الإسلامية لها حقوق واسعة، كحق التملك والإرث وممارسة الأعمال التجارية الخاصة، وقرر لها الإسلام مكانة متميزة قبل أربعة عشر قرناً، في الوقت الذي كانت تعد فيه تلك الحقوق في بريطانيا قفزة واسعة لا سابقة لها إلى عهد جدتي». فهل لنا بعد ذلك أن نستبدل الذي هو خير بما هو أقل وأدنى؟

إن المنظور الإسلامي للمرأة يبدو واضحاً وجلياً، فهي وفقاً له تعد إنساناً كاملاً أهلية، لها كيانه وذاتيتها؛ إذ تتساوى مع الرجل في الأصل، وفي التكليف والمسؤوليات والحقوق لأنها تملك - مثل الرجل تماماً - عقلاً يميز ويدرك، والمفاضلة بينهما تكون بالتقوى والعمل الصالح، كما أن العلاقة بينهما تقوم على أساس المودة والرحمة، لا على الصراع والعنف كما يصورها من يدعون مناصرة المرأة، وتكامل وظائفهما في الحياة تبعاً للفوارق الطبيعية بينهما، وهما معاً يحققان مقصد

الشرع في حفظ النسل، فمن دونها ما استمرت الحياة، ولا تنابت الأجيال، فالنساء شقائق الرجال، لهن الحق في المهر، وفي الميراث، وفي التمتع بالشخصية القانونية المستقلة، وفي التعليم، بل في تعليم غيرهن أيضاً، فقد كانت أمهات المؤمنين يتفقهن في الدين ويعلمن ويشاركن بجهد في شؤون الحياة، فالمرأة المتعلمة العارفة لأمر دينها ودينها تستطيع تربية نسل صالح، متفتح المدارك، قادر على فهم الحياة والدخول في معتركها بأقدام ثابتة لا تتزعزع مهما كانت المغريات.

وقد أدركت كثير من نساء الغرب هذه الحقائق عن الإسلام، وكان ذلك سبباً في إسلامهن، حتى إن عددهن في الولايات المتحدة يزيد بمقدار أربعة أمثال على عدد الرجال الذين اعتنقوا الإسلام. وتوضح امرأة بريطانية مسلمة باعتزاز ما للمرأة من حقوق لا تتيحها لها قوانين بلادها، فتقول: إن التلغز البريطاني بدأ مؤخراً في مناقشة حق المرأة في الاحتفاظ باسمها بعد الزواج في حين أن المرأة المسلمة حصلت على هذا الحق قبل ١٤٠٠ سنة.

فإذا كان واضعو وثيقة مؤتمر المرأة في بكين يرون أن للدين دوراً في قهر المرأة، ويطرحون في مواجهة ذلك ما يسمونه «معايير عالمية» يسعون لترسيخها، واصفين التدابير التي تتخذها بعض المجتمعات التي تعزز بقيمتها الروحية والدينية لاصون خصوصيتها، بأنها تهديد لتلك المعايير المزعومة؛ فإن مقتضيات المنهجية العلمية في الحوار والمناقشة - في مثل ذلك الاجتماع الحاشد الذي عقد في بكين - تفرض ضرورة إجراء موازنة غير متحيزة بين النموذج الذي يطرحونه لمعالجة قضايا المرأة ومشكلاتها - والذي يستند أساساً إلى قيم الغرب وتقاليده وأعرافه الاجتماعية؛ بل ومشكلاته وعقده التاريخية والنماذج الأخرى التي يقدمها الآخرون الذين ينتمون إلى مجتمعات تتباين قيمها ومبادئها مع هذا النموذج الغربي من دون أن يكون لتوازنات القوى دور في هذه المعادلة. وفي هذا المقام، يبدو المنظور الإسلامي بتجربته العملية الثرة التي شملت مجتمعات وشعوباً متباينة كالعرب والفرس والروم جديراً بالطرح في إطار هذه الموازنة؛ لأن ما قدمه الإسلام من علاج ناجع لأدواء تلك المجتمعات التي أوردنا بعضاً منها آنفاً،

والتي تفتشت فيها كل الأمراض الاجتماعية التي تعانيها البشرية الآن، يكسبه المصادقية التي تفتقدتها الطروحات النظرية والفلسفات الفكرية التي تدعي عمق الرؤية وشمولية الحلول دون أن يكون لها رصيد من التجربة العملية في الواقع المعيش. بل إن هذا الواقع الذي يقن تحت وطأة الأمراض الاجتماعية والجرائم يفصح دعاواها ويهدمها من أساسها، مستنداً في ذلك إلى الأرقام والإحصاءات التي تعد لغة صادقة لا تعرف المحاباة والتحيز؛ إذ توضح تلك الإحصاءات في الولايات المتحدة الأمريكية - مثلاً - أن مجموع الأطفال غير الشرعيين بلغ في العام ١٩٩٣ م ٩٦٦ مليون طفل، وهم يمثلون أكثر من ٥٤٪ من المواليد. كما أن جرائم الشباب في أمريكا بما فيها الانتحار يكون خلفها دائماً أسرة مهدمة أو وضع أسري شاذ. وحسب ما توضح الإحصاءات الرسمية، فإن هناك امرأة تتعرض للاغتصاب كل ست دقائق، ولا تختلف النسب والأرقام في مجتمعات الغرب الأخرى كثيراً عن هذه الإحصاءات، مما دعا الحادين على الإنسانية - بين الغربيين أنفسهم وهم كثر - إلى الجأر بالشكوى من هذا التردي الأخلاقي الذي يهدد الحضارة الغربية، وبخاصة أن المعالجات التي تتم لها تُعد اعترافاً بالواقع القائم، أكثر من كونها تغييراً لأساليب الحياة التي أفضت إلى هذه المشكلات الاجتماعية ذات الخطر على مستقبل البشرية كلها.

وفي ضوء هذه الموازنة المطلوبة، تفتقد محاولات إسباغ صفة العالمية على معايير أثبتت فشلها في مجتمعاتها كل مسوغاتها. ومن ثم يصح من حق أي مجتمع أن يرفض أي قيم أو مبادئ تحاول تذويب هويته وإلغاء قيمه، ولا سيما إذا كان هذا المجتمع يملك منظوراً متكاملًا للكون والحياة كذلك الذي يتيح الإسلام، مما يجعل لزماً عليه التفاعل مع الآخرين وفقاً لمعايير هذا المنظور المتكامل دون إيلاء أدنى اهتمام للانضواء تحت وهم العالمية.

عن عبد المحسن العبد



### أدب وفكر

- ١٩ عند اليهود: المسيح المنتظر حسب الطلب! د. حسن ظاظا
- ٢٤ المصالح والأخلاق: توافق أم تعارض؟ محمد العربي الخطابي
- ٢٨ نادي الاستعماريين: تحالف الأقوياء الكاتب العلمية باللغة العربية وتجاوز
- ٣١ حاجز الوهم عبد الله سليمان القفاري
- ٤٠ حوار الحضارات ورأب الصدع التاريخي بين الشرق والغرب (٢) د. أحمد العسال
- ٤٥ سيدات أعمال من منازلهن حسن بن حسين المهنا
- ٤٨ امتناع ظاهر وتعين محتمل (صداع العقول) الشيخ أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري
- ٥٤ نزعة الحواس في الفن العربي أحمد سويلم
- ٥٨ ملكة العنب: المجتمع بعيون واعية (رؤية تحليلية) محمد حسن بريش
- ٦٢ الحفظي يقتفي أسلافه ويكشف عن مقامه في الأسر د. عبد الله أبو داهش
- ١٠٠ الحوار: احتياج ونتاج لولوه حمد العليان

### بيئة

- ٨ الأرض تسخن وتتلوث وهي يونس
- ٨٩ النحر.. البحر يأكل اليابسة! رجب سعد السيد

### طب وعلوم

- علم التخدير عند العرب والمسلمين وأثره في الحضارة الغربية د. محمد مصطفى السمري
- ١٠٨ لماذا تؤثر الوطأة في أعصابنا؟ د. بشار عبدالرزاق جعفر

### إعلام

- تقنيات الاتصال والإعلام: ماذا تعرف عن جديدها؟ أحمد بيروز

### لغة

- آفاق لغوية: عدّ واعتبر صالح بن سليمان الوهبي

### تراث وتاريخ

- من أدب الرحلات: مع الموسوي المكي في رحلته: نزعة المجلس ومنية الأديب الأيس (٥) الشيخ حمد الجاسر

### الألماس: سر البريق والصلابة

الألماس أجمل الأحجار الكريمة وأغلاها وأندرها، عرفه الرومان والإغريق والمصريون. وقامت من أجله الحروب، وسماه الإغريق «الشيء الذي لا يقهر». والغريب أن الألماس في حقيقته كربون مصدره الصخور البركانية. ولكن ما سر هذا البريق الذي يميزه؟ وما الذي يجعله



أصلب من الحديد؟ وأين توجد أكبر ألماسة في العالم؟ هذه الأسئلة وغيرها، تجيب عنها نخلاء حسن حامد.

(طالع ص ١٢)

### متحف الجزائر الوطني للآثار: نافذة على التاريخ



المتحف الوطني للآثار في الجزائر يشكل معلماً بارزاً من معالم العاصمة الجزائرية، وواحداً من أهم مراكز الدراسات التاريخية والأثرية فيها، لما يضم من نماذج حية من الأعمال الأثرية والفنية التي تعكس ملامح الحقب التاريخية التي تعاقبت على هذه البلاد، إضافة إلى أنه يضم آثاراً من دول عديدة أخرى.

الاستطلاع الذي أعده معزوز عبدالحق يكشف خطوات تطور هذا المعلم الثقافي والحضاري، ويقدم صورة واضحة له من الداخل، متجولاً بالقارئ في أقسامه المختلفة التي تضم آثاراً نادرة يرجع بعضها إلى القرن الثالث قبل الميلاد.

(طالع ص ٨٤)

### الشرق: ألوان وظلال

تنحصر مهمة المؤرخ في استقراء التاريخ واستخلاص النتائج، أما تسجيل حركة التاريخ بما فيها من عبق وحيوية وألوان وظلال، فهو عمل يستهوي الرحالين، الذين يفضلون معايشة الأحداث، وتصوير الواقع بكل تناقضاته، سواء كان ذلك بالقلم أو الريشة أو آلة التصوير،



لتصبح الذاتية صفة مميزة لكتبهم ورسومهم وصورهم، ولعل ذلك ما يجعل «أدب الرحلات» من أكثر صنوف الأدب تفاعلاً مع المتلقي. محمود قاسم عرض كتاب: «الرسامون الرحالون إلى الشرق» الذي قامت بتأليفه لين تورنتون.

(طالع ص ٩٣)





### عبدالله سليمان القفاري

- من مواليد عرر، السعودية ١٩٦١م.  
- حاصل على ماجستير علوم فيزيائية، جامعة الملك سعود بالرياض.  
- عمل معيداً ثم محاضراً بكلية العلوم، جامعة الملك سعود، ويعمل حالياً إحصائياً علمياً بمدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية.

- شارك بتقديم أبحاث في عدد من المؤتمرات العربية والدولية، مثل المؤتمر الأول للكتابة العلمية باللغة العربية، بنغازي، ليبيا ١٩٩٠م، ومؤتمر التخطيط العلمي في مجال المصطلحات، كوالالمبور ١٤١١هـ، ومؤتمر تعريب الطب والعلوم الطبية، البحرين ١٩٩٣م، واللقاء الأول حول تعريب الطب والعلوم الطبية، مراكش ١٤١٤هـ، وندوة التقنيات الحاسوبية في خدمة المصطلح العلمي والمعجم الخاص، طنجة ١٩٩٥م.  
- له عدد من الدراسات المتفرقة المنشورة في الدوريات المحلية.



### د. بشار عبدالرزاق جعفر

- من مواليد دير الزور، سورية ١٩٦٠م.  
- حاصل على دكتوراه في العلوم الزراعية، جامعة دمشق.  
- عمل مهندساً زراعياً، ويعمل حالياً مدرساً في كلية الزراعة بدير الزور، جامعة حلب.  
- له كتب علمية منشورة: «الزيتون» ١٩٩٣م، «الزراعة الحمضية» (ترجمة) ١٩٩٣م، «ماذا تعرف عن المراهقة» ١٩٩٤م، «أمراض حشرات الخضار» ١٩٩٥م، إلى جانب مقالات علمية منشورة في الصحف والمجلات المحلية والعربية.



### حسن بن حسين المهنا

- من مواليد الهفوف، السعودية ١٩٥٥م.  
- حاصل على بكالوريوس علوم في الكيمياء، جامعة الملك فهد للبترول والمعادن بالظهران.  
- عمل معيداً في قسم الكيمياء، جامعة الملك فهد للبترول والمعادن، ثم كيميائياً متخصصاً في التلوث بالمعادن في معهد البحوث التابع للجامعة.  
- شارك في المؤتمر الثالث للكيميائيين السعوديين، جامعة الملك فهد للبترول والمعادن ١٩٨٩م، وقدم أبحاثاً عن التلوث لبعض المؤسسات الوطنية ذات الاهتمام بالموضوع، وله مقالات منشورة باللغتين العربية والإنجليزية في مجلات علمية.



### معزوز عبدالحق

- من مواليد قسنطينة، الجزائر ١٩٥٢م.  
- حاصل على ليسانس في علم الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر، ونال شهادة الدراسات المعمقة في الآثار الإسلامية.  
- عمل باحثاً ومتقياً عن الآثار في وزارة الثقافة الجزائرية (١٩٨١-١٩٨٧م).  
- يعمل حالياً باحثاً ورئيساً لدائرة التشييط والتوثيق في المتحف الوطني للآثار في الجزائر.  
- له دراسات منشورة حول الدراسات الأثرية والتاريخية.

- قصة قصيدة: التوبة النصوح  
من نواذر التصنيف: المعمرون  
كيف نعتني بالتراث؟  
استقبال المولود في وادي الفرات

### شخصيات

- الروائي المغربي أحمد عبد السلام البقالي:  
فليكن هدفنا النفاذ إلى المستقبل  
عبد العزيز التويجري: سوق خواطري هي  
سوق البسطاء أمثالي (من تجاربهم)

### شعر وقصة

- موسى بن أبي الغسان (قصيدة)  
سهام العيون (قصيدة)  
هي أمنية لها نشد الرجال! (قصيدة)  
من أوراق الذات (قصيدة)  
رجل عازلة البرق (قصة مترجمة)

### البواب

### والزوايا الثابتة

- الطريق إلى الله: حسين رؤوف: حيرته  
بين اليهودية والنصرانية قاده إلى الإسلام  
طريق الهدى  
من المكتبة السعودية  
آفاق اجتماعية  
دائرة المعارف: من عيوب النطق عند العرب إعداد: محمد فتحي الحريري  
الحركة الثقافية في شهر  
كتب وردت  
المسابقة  
استراحة العدد  
تبشير: مرحبا أمير البيان  
تبشير: أختي في البوسنة  
ردود خاصة  
مناقشات وتعليقات  
على موعد: اللص غير المتفرغ!





وهبي يونس

ظاهرة ارتفاع حرارة الأرض أصبحت تماثل مستتباً  
زجاجياً، فالغازات الطبيعية في الغلاف الجوي  
تُكوّن غطاءً يسمح للأشعة الشمسية  
بالوصول إلى سطح الأرض  
ويحول دون تسربها  
إلى خارجه.

إلا أنه، ولأول مرة في التاريخ،  
أفسدت تقنية (تكنولوجيا)  
الإنسان جو الأرض بأكمله، فمنذ  
سنة ١٨٩٠م ارتفع معدل متوسط  
حرارة الأرض بمقدار درجة  
واحدة، والنتيجة كما نلاحظ:  
الجفاف في الولايات المتحدة،  
الهند، الصين، البرازيل، أفريقيا  
الشمالية... كما أن ارتفاع  
الحرارة يمس أكثر المناطق الحارة،  
ففي الهند مثلاً فإن تأخر الرياح  
الموسمية لمدة شهرين أفقد البلاد  
ما يزيد على ٢٠ مليون طن من  
الأرز، أما في بنجلاديش فإن  
الفيضانات تسببت في إتلاف  
٣٠ مليون طن من الأرز، ذلك أنه  
كلما سخنت المحيطات ازدادت  
الأعاصير عنفاً وتساقطت الأمطار  
بشدة. إضافة إلى ذلك فقد عانت  
كثير من البلدان الأوربية من رداءة





الطقس من فيضانات وصقيع ورياح قوية مصاحبة للعواصف، حيث ساءت الأوضاع الجوية في كل من أوروبا الوسطى والشرقية وألحقت أضراراً جسيمة بالمدن، وما سببته من انقطاع التيار الكهربائي وتوقف حركة الملاحة البحرية إضافة إلى الخسائر المادية.

الولايات المتحدة لم تسلم هي الأخرى من الاضطرابات الجوية؛ مثل موجة البرد القارس والتساقطات الجليدية التي عمت الشمال الشرقي للبلاد؛ مما أدى إلى شل الحركة الاقتصادية في كثير من المناطق. شيء آخر ينتج من ارتفاع حرارة كوكبنا هو ذوبان الأراضي الجليدية ولو جزئياً، وهذا كاف كي يرفع مستوى مياه المحيطات بضعة أمتار مما يحدث فيضانات في بنجلاديش وهولندا، إضافة إلى المدن الساحلية وبعض السهول الفلاحية، كما أنه - للمرة الأولى - لوحظ أن مترو نيويورك قد أغرق جزء منه عندما تزامنت العواصف مع ظاهرة المد.

### أسباب ظاهرة ارتفاع حرارة الأرض

ترجع أسباب ارتفاع حرارة الأرض إلى عوامل طبيعية وحضارية.

فالتطبيعية هي:

- نشاط الشمس بعد كل إحدى عشرة سنة.
- مدار الأرض غير الدائري.
- البراكين التي تقذف بالغازات والرماد.

إلا أن هذه الظواهر كانت نتائجها سلبية منذ الأزل، وقد تندثر لأن الطبيعة تصلح نفسها

بنفسها، كما أن الغازات التي تقذفها البراكين كأكسيد الكربون وثاني أكسيد الكربون، تمتصها الغابات وتعوضها بالأكسجين، أو أن يذوب الكربون في المحيطات.

والأسباب الحضارية تنتج من سوء استعمال وسائل التقنية، وتمثل في انتشار غازات من شأنها رفع حرارة الأرض، منها:

- ثاني أكسيد الكربون CO2، وهو المسبب الرئيس ويمثل وحده ٥٠٪ من مجموع الغازات، ففي كل سنة تلقى في الأجواء ما مقداره ٦٠٠٠ مليون طن متري من هذا الغاز أي ٢٠٠ ضعف كل ما تقذفه براكين الأرض، كما أن هذا الغاز قد زادت نسبته في الجو بـ ٢٥٪ منذ عصر الصناعة، وينتج عادة من احتراق الوقود الحفري من فحم وبتروك وغاز طبيعي.

- كبرونات الكلوروفلور

Chlorofluocar- CFC

bones: يمثل من ١٥ إلى

٢٠٪ من هذه الظاهرة، وهي

مادة استعملت على نطاق واسع

في صناعة التبريد وأنظمة

التكييف في الإدارات

والشاحنات كما أدخلت في

صناعة نوع من الفلين الذي

يحول بين البرودة والحرارة في

الثلاجات، واستعملت كذلك

في الأثاث والفرش ومقاعد

السيارات، ثم كغاز دافع في

البخاخات أو الضيبيات Aer-

osols كمييدات للحشرات.

ثم بعدها - وعلى نطاق واسع

جداً - في مستحضرات التجميل

حيث يكون سائلاً بداخلها،

وعند اندفاعه تحت الضغط يخرج على شكل غازي فيصعد إلى الأجواء العليا حيث يدمر طبقة الأوزون O3.

- الميثان Methane يمثل ١٨٪، وينتج من إفرازات المواشي والقمامة.

- أكسيد النيتروجين Oxyde

No2 de Nitrogene يمثل

١٠٪ من هذه الظاهرة. يتسبب

عن الميكروبات، انحلال

الأسمدة، حرق الخشب والوقود

الحفري؛ حيث ينتقل إلى الأجواء

العليا فيتغير كيميائياً ويسقط على

شكل أمطار أو ثلوج حامضية، هذا إضافة إلى أكسيد الكبريت SO2. ويُعدّ هذان الغازان أهم مصادر الأمطار الحمضية؛ حيث تقضي هذه الأمطار على حيوانات ونبات الأنهار، وتدمر الغابات وتعري أحجار المباني.

- الأوزون Ozone الناتج من التلوث على سطح الأرض من جراء السيارات، المراكز الكهروحرارية، معامل تكرير البترول...

كل هذه الغازات إذا لم نوقفها أو نقلل من انتشارها فإن الحياة على الأرض ستصبح مجرد





مراكزه مثل قنبلة ذرية، ذلك أن نسبة اليورانيوم الموجود في القنبلة هي ٩٠٪، أما في المراكز النووية فإن نسبته لا تتعدى ٦٪، وما حدث في كارثة تشيرنوبل لهو ناتج من تنظيم بيروقراطي غير مسؤول. وما عدا هذا الحادث فإنه لم تسجل أية حالة وفاة. وبالرغم من أن خطر الإشعاع قد يظل قائما؛ إلا أن الاحتياطات المتخذة تحول دون وقوع أي تسرب مما يجعلها في مأمن. أما عن المنتجات الكيميائية، فقد أصبحت هذه الأخيرة ضرورية بالنسبة لحياتنا اليومية، مثل البلاستيك، البخاخات،

ألف طن من اليورانيوم في المراكز النووية، فإنه بعد سبعة قرون من الإنتاج فإن النفايات ستكون في حجم مسبح أولمبي إشعاعها يكون قد اندثر كليا، كما أنه في سنة ٢٠٠٠ إذا كانت كل الطاقة الكهربائية ناتجة من الطاقة النووية؛ فإن النفايات الانشطارية تعادل حجم علبة أسبرين للشخص الواحد في السنة، بينما سيخلف الفحم ١٥٠ مليار متر مكعب من الرماد و ٤٠٠٠ مليار طن متري من ثاني أكسيد الكربون في الجو. وإذا تحدثنا عن الطاقة النووية فيجب استبعاد فكرة انفجار



ذكرى، فإذا تضاعف التلوث فسيصبح الهواء غير صالح للتنفس. مع العلم أن هذا التلوث سيتضاعف خلال العقود الآتية، وإذا لم نتخذ الإجراءات اللازمة، فإننا سنواجه أصعب الكوارث التي عرفتها البشرية منذ بدايتها وأبشعها.

### الإجراءات

### التي يجب اتخاذها

١- إيقاف التلوث بجميع

أنواعه خاصة ثاني أكسيد الكربون، واستعمال الطاقة النووية بدلا من الطاقة البترولية والفحمية باستثناء الطائرات والبواخر الكبرى، وأن تعمل أغلب الآلات بالكهرباء الناتجة من الطاقة الذرية خاصة الانشطارية، ذلك أن إشعاعها جد ضئيل. وبطرق معالجة صحيحة، فإن نفاياتها المتخلفة ضئيلة. فمثلا إذا استعملنا ١٤٠





من التنافر السيكولوجي؛ فيصبح الفرد أكثر عدوانية وعصبية إزاء محيطه، فتتفاقم المشكلات من جرائم وبطالة وأزمات... وتصبح الحياة المهنية أصعب مثلاً نتيجة الحواجز التي يجب على الأفراد أن يتخطوها متبارين فيما بينهم. فهل يكون الفوز والبقاء للأصلح؟ أي لصاحب الشهادة العالية أم للأكثر ذكاءً أو حظاً؟ إضافة لما يسببه البشر من تلوث بشتي أنواعه، وهذا التلوث يتزايد بتزايد المواليد، زد على ذلك - وحسب تقديرات المنظمة العالمية للأغذية والزراعة - فإنه في سنة ٢٠٠٠ سيستعصي على ٦٤ دولة تغذية سكانها؛ مما يتسبب في أمراض كثيرة خاصة منها الدماغية التي ستعكس على مستقبل الدولة إزاء تسييرها من لدن أشخاص مرضى.

المراجع:

- REGARDS SUR I, UNIVERS: ALBERT PILOT: 202/1991.
- EL APOCALIPSIS DEL OZONO ANO CERO, ANO III, N 21.
- PODEMOS CONTROLAR EL CLIMA: CONOCER, N 112, MAYO 1992.
- MEDIO AMBIENTE: CONOCER, N 113, JUNIO 1992.
- COSAS SENCILLAS QUE TU PUEDES HACER PARA SALVAR LA TIERRA: CONOCER, SUPLEMENTO 1992.
- ASI DESTRUIMOS NUESTRO MEDIO AMBIENTE: CONOCER, N 119, DECEMBER 1992.
- INFORME ANUAL SOBRE LA SALUD DEL PLANETA: CONOCER, N 125, JUNIO 1993.

بالنسبة لغاز الميثان -METH- ANE فإن نسبته تتزايد مع مرور السنين. وقد نقول إن الماشية موجودة دائماً، إلا أن عددها يتزايد بتكثيرها نظراً لطلبات الاستهلاك الناتج أيضاً من النمو الديموجرافي، فإذا ضاعفنا عدد السكان، فإننا نضاعف الاستهلاك ومن ثم نضاعف التلوث.

٢- التصدي لقطع الأشجار والتصحّر: إذا قضينا على الأشجار والنباتات؛ فإن عملية التمثيل الضوئي التي من شأنها امتصاص ثاني أكسيد الكربون وتعويضه بالأكسجين ستقل، وسنضطر للبحث عن طريقة نقضي بها على ٣٠٠٠ مليون طن من ثاني أكسيد الكربون كل سنة، كما أن قطع أشجار الغابات وما يحدثه من تعرية يتلف كل سنة ما مقداره ٢٤ مليار طن من التربة الصالحة للزراعة، أي ضعف مساحة كندا.

٣- النمو الديموجرافي: ويعد العامل الأكثر تشعباً وتداخلاً مع كل ما سبق، فسيصل عدد سكان العالم حسب تقديرات عام ١٩٩٤م حوالي ٥.٦ مليار نسمة وفي سنة ٢٠٠٠ يصل إلى ٦ مليارات نسمة، وفي عام ٢٠٢٠ سيصل العدد إلى ٧ مليارات نسمة أو يزيد قليلاً. وفي كل يوم ينتقل الإنسان ليعمر أماكن كانت من قبل غابات، مبيداً لأشجارها وحيواناتها، مكوناً قرى وهجراً جديدة، ثم ينتقل بعدها مهاجراً إلى الحواضر طلباً لتحسين الحياة. فالتقسيم غير المتكافئ والاكتظاظ من شأنه خلق نوع

لا يخضع للفحص الدقيق والرقابة الصارمة، نفاياتها تلوث الماء والغذاء؛ ذلك أن صغار الفلاحين يسقون أراضيهم من الأودية التي تصب فيها نفايات المصانع كما أنها تضر بالمياه الجوفية عند تسربها إلى باطن الأرض.

فيما يخص التلوث بكاربونات الكلوروفلور CFC فإن التدابير والإجراءات التي تطبق في كثير من الدول الصناعية لتقليص صنع المواد المحتوية على هذا الغاز بدأت تؤتي أكلها، وظهرت مؤشرات ضئيلة لإيقاف تدهور طبقة الأوزون.

الورق.. إلا أننا لسنا واعين إلى أين سيفضي بها المطاف، إلى المزابل مكونة أكواما وجبالاً من النفايات خارج المدن أو إلى المياه؟ مع العلم أن كثيراً من الدول المتقدمة بدأت تعيد تحويل تلك المواد للاستعمالات نفسها - RE CYCLING، وعلى الرغم من أن المستهلك قلما يربط بين الأوعية الفارغة والمتنوعات البلاستيكية والتلوث، فأغلب المواد الكيماوية التي تدخل في صناعة اللدائن هي جد سامة، إضافة إلى ذلك فإن الدول المتقدمة تنتج مصانعها ما يزيد على ٧٠٠٠ مادة كيماوية أغلبها





# الألماسك رعيته وعمله

نجلاء حسن حامد

الألماس.. أجمل الأحجار الكريمة وأغلاها وأندرها. أصلب من الحديد، وأصله من الكربون! والألماس صعب المنال؛ فكل ٢٥٠ طناً من المادة الخام في المنجم تنتج قيراطاً واحداً منه. من أجله قامت حروب، وأدت محاولات الحصول عليه إلى وقوع حوادث سطو وقتل وتعذيب، ومع ذلك ذهب الجميع وبقي (حجر) الألماس.





# ...والله أعلم كسر الموت!

**منذ القدم** الميلاي، وسماه الإغريق -Ada-  
ma، وهو لفظ معناه الشيء الذي  
لا يقهر، ولعل هذا الاسم يرجع إلى  
صلابة الألماس، ثم تغير اللفظ فصار  
Adamant ثم Diamant  
ثم diamond. كذلك كان  
المصريون القدماء يزينون المومياءات

عُرف الألماس منذ قديم الزمان  
عند الرومان والإغريق والمصريين.  
وقد ذكر المؤرخ الروماني بليني  
Pliny الألماس في القرن الأول

الألماس هو الحجر الذي بدأ يتبدى في هذا العصر





ورش صقل الألماس: مهارة عالية وفن فريد



تطعيم التحف الفنية بالألماس يحتاج إلى مهارة عالية

الشوائب والتشويه، كان أكثر قدرة على إضفاء الشفافية وتحقيق قدر كبير من اللّمعان.

وللألماس كذلك مواصفات ومقاسات عالمية متفق عليها عند الصقل، مثل الاستدارة والثخانة. وتحتاج عملية الصقل وتشكيل الأحجار إلى خبرة تامة بتركيب الأحجار الكريمة، وكذلك إلى فن رفيع لإظهار الحجر بشكل جميل.

### البرلنت أشهر الأنواع

عند استخراج الألماس في شكل أحجار خام، تكون له أشكال مختلفة، منها المكعب والمستطيل والمروّس والمستدير والمركز.

ومن أشهر أشكال الألماس - وليس أنواعه - «البرلنت» الذي يتخذ بعد صقله وتقطيعه شكلا يتميز من سائر أشكال تقطيع الألماس الأخرى، بقدرته على بعثرة الضوء أو عكسه أو انعكاسه.

أما مواصفات الكمال في حجر «البرلنت» بعد صقله، وهو يشبه الهرم المقلوب إلى حد ما، فينبغي أن يكون له لون أزرق، وإن شئت الحقيقة لون أبيض ناصع البياض مع ميل إلى بعض الزرقة، وأن يكون جوهره لامعا براقا خاليا من الشوائب والحدوش. وللبرلنت أشكال عديدة، منها المستدير ويشكل نسبة ٩٠٪،

### مواصفات غير عادية

يقدر وزن جميع الأحجار الكريمة، ومنها الألماس، بالقيراط، وهو وحدة قياس طبيعية تُعرف ببذرة الخروب وهي تعادل خمس الجرام، وهناك عوامل ومواصفات عديدة تقرر سعر الألماس، هي: الحجم واللون ودرجة النقاء وطريقة الصقل. بل إن هناك علاقة مباشرة بين سعر الألماس ووزنه وحجمه، ذلك أن زيادة وزن الألماسة تعني زيادة القدرة على انعكاس الضوء، ومن ثم مزيدا من الجمال. بل إنه كلما زاد وزن الحجر زاد سعر القيراط منه، فإذا كان سعر القيراط الواحد من نوع ما (البرلنت مثلا) ألفي ريال سعودي مثلا عندما يكون الوزن قيراطاً، فإن سعر القيراط يصبح أربعة آلاف ريال إذا كان وزن الحجر - بالمواصفات نفسها - يبلغ قيراطين.

وبالنسبة للون الألماس، فإنه يُصنف إلى ثماني درجات، تبدأ بالأبيض المائل إلى الزرقة، وهو أثنى أنواع الألماس وأغلاها، ثم الأبيض النقي، فالأبيض المصفر، فالأخضر الداكن، فالوردي، ثم الأزرق ثم الأحمر.

وتعد درجة النقاء عاملا مهما في جمال الألماس، ومن ثم رفع ثمنه، فكلما كان الحجر نقيًا خاليا من

وكاترينا الثانية قيصرة روسيا. وفي العصر الحديث توجد أشهر الألماسات ضمن مقتنيات التاج البريطاني، وهي جوهرة الكوهينور وتزن ١٠٨.٩٣ قيراطاً، وألماسة نجمة أفريقيا الكبرى التي تزن ٥٣٠ قيراطاً، وهي أكبر ألماسة موجودة في العالم حتى الآن، كذلك ألماسة تزين التاج البريطاني وتزن ٣١٧ قيراطاً، بالإضافة إلى ألماسيتين من ذوات الوزن الكبير تتزين بهما الملكة في المناسبات الخاصة.

والتوايت بالألماس. وكان الهنود هم أول من فطن إلى إمكان صقل الألماس باستخدام مسحوق الألماس نفسه، وفي القرن الثالث عشر الميلادي، رتب الفرس الألماس في قائمة الجواهر والأحجار الكريمة فأوردوه بعد اللؤلؤ والياقوت والزمرد.

وعلى مر العصور والأزمان كان الألماس يشكل جزءا مهما من مقتنيات الملوك والباطرة، يستوي في هذا الإمبراطور الروماني يوليوس قيصر، والملك هنري الثالث ملك فرنسا، وفلاديمير فانوفاج الروسي





والقصبية الرئيسية. وبعدئذ تبدأ الصخور الموجودة في الأجزاء العليا بالتفتت والتحلل مكونة أشكالاً متنوعة من التربة قد تتجرف بما تحتويه من ألماس وتندفع نحو الجداول المائية والوديان ومجاري الأنهار.

### سر البريق الساحر

الألماس أصلب من الحديد!! ولا يمكن صقله أو قطعه إلا بأدوات ومعدات حادة مصنوعة خصيصاً لهذا الغرض، وبالرغم مما يتمتع به الألماس من صلابة شديدة تحفظه من الذوبان في أي نوع من الأحماض أو المحاليل، إلا أنه يتلف إذا تعرض لحرارة عالية، حيث إنه يحترق مخلفاً وراءه غاز ثاني أكسيد الكربون إذا ما وجد في مجال مملوء بالأكسجين. أما إذا تعرض لحرارة عالية في مجال خال من الأكسجين، فإنه يتحول إلى مادة الجرافيت التي هي شكل من أشكال الكربون الأسود.

ولكن ما الذي يعطي الألماس هذا البريق الساحر؟

السفر في بريق الألماس الخلاب هو تخلل الضوء داخل زوايا الحجر، ذلك أن وجود عدة أوجه للألماس، تجعل الضوء ينكسر عند تخللها، مخلفاً ألواناً جميلة، وتعكس الزوايا المتقابلة ألواناً ساحرة للطف فتخلف في النفس أثراً لا ينسى.

### مناطق الإنتاج والتسويق

يبلغ مجموع الألماس الذي يعدن على سطح الأرض حوالي خمسة أطنان كل عام، وتشمل هذه الكمية الألماس المستعمل في أغراض صناعية، أما الألماس المستخرج من البحر؛ فقد قامت إحدى شركات

ذلك أنه عند تدفق الحمم البركانية الملتهية، تتولد حرارة عالية وضغط شديد يؤثران في ذرات الكربون الموجودة داخل هذه الحمم، ويعملان على تحريك هذه الذرات واصطفافها على شكل بلورات ثمانية الأضلاع، وهذا يساعد على إنعكاس الضوء ويعطي للألماس شكله الفريد.

وبمرور الوقت تتكون الفجوات الأنيسوية التي تحتوي على خام الألماس، وذلك نتيجة لانخفاض درجة حرارة الحمم البركانية التي تتحول إلى مواد صلبة تعمل على إغلاق فتحات البركان الثانوية

الأرض على مر ملايين السنين بفعل الحرارة والضغط الشديدين حتى أصبح ألماساً. ويعد حجر الكميرليت مصدر الألماس، وهو عبارة عن صخور بركانية متواجدة بين ثانيا الحجر، يتكون فيها الألماس على عمق ١٦ متراً تقريباً، وتحت حرارة تتراوح بين ١١٠٠ و ١٣٠٠ درجة مئوية.

ورغم ظهور نظريات عديدة حول تكوين الألماس وتشكيله؛ إلا أن الرأي القائل إن الألماس قد تكون داخل البراكين الخامدة، لاقى كثيراً من التأييد من جانب العلماء والخبراء.

كذلك يوجد المربع والمستطيل وشكل القلب والمثلث. ويوجد كذلك الألماس الفلمنك، وشكله مثل نصف الكرة، أي مسطح من الأسفل وله شكل القبة من الأعلى. وعادة يقرر خبير الصقل الشكل الذي سيكون عليه الحجر عند صقله بحيث لا يفقد كثيراً من وزنه، فالحجر الخام القريب للشكل المستطيل يصقل مستطيلاً، والقريب من شكل الكمثرى يصقل على شكل الكمثرى، وهكذا.

### الكميرليت هو المصدر

الغريب أن الألماس في حقيقته هو كربون صاف تبلور في داخل



ساعة فريدة من نوعها  
مطعمة بعشرات الألماسات  
الثمينة



الألماس في جنوب أفريقيا باستخراج حوالي ٢٠٠٠ طن في غضون ١٠ شهور فقط.

وكانت الهند من أوائل الدول التي اكتشفت الألماس في أراضيها، وعلى الرغم من إكتشاف كثير من الألماسات النادرة مثل كوهينور وجهانجير في أراضيها، فإن إنتاجها أخذ في الانخفاض، وتقع مناجم الألماس الرئيسية الثلاثة في الهند قرب حيدر آباد وعلى طول نهر كويستنا وحول خليج البنغال.

وفي البرازيل اكتشف الألماس عام ١٧٥٠م، وظلت البرازيل مصدرا رئيسا للألماس حتى تم إكتشافه في جنوب أفريقيا عام ١٨٨٦م.

وتتركز مناطق الألماس في الاتحاد السوفيتي - وكان ينتج ١٦٪ من الانتاج العالمي - في جبال الأورال وسيبيريا وقيعان البحار.

أما دول أفريقيا الوسطى والجنوبية فإنها تمد العالم بـ ١٨٪ من حاجته من الألماس، وأما جنوب أفريقيا - أهم الدول المنتجة للألماس - فقد اكتشف الألماس في قاع نهر دفال الرملي عام ١٨٦٦م، وتعد مناجمها الثلاثة (بريمير - كمبرلي - دي بيريز) من أشهر مناجم الألماس.

وتوجد أهم مراكز صقل الألماس في بلجيكا، والولايات المتحدة، والبرازيل،

وهونج كونج، وفرنسا، وهولندا، وسويسرا، وفلسطين المحتلة. والأسواق الرئيسية توجد في أمريكا، ولندن، وإيطاليا، وجنوب أفريقيا، واليابان، وكندا.

### كوهينور أقدم ألماسة

تعد ألماسة كوهينور - وتعني بالفارسية جبل النور - أقدم ألماسات العالم. وكان قد تم العثور عليها، بالقرب من مدينة جولاكندا القديمة في الهند عام ١٣٠٤م، وكانت تزن آنذاك ١٨٦ قيراطا، وأصبحت من مقتنيات (راجا الملاو) ثم وقعت في يد السلطان بابر أول إمبراطور مغولي، وظلت في حوزة المغول مدة قرنين من الزمان، وعندما قام الإمبراطور الأفغاني نادر شاه بغزو الهند واستولى على دلهي، ظل طيلة شهرين يبحث عن (كوهينور) بلا جدوى، إلى أن علم من سيده عجوز أن إمبراطور الهند يحتفظ بها في عمامته. وعندئذ عمد نادر شاه إلى الحيلة؛ فقد أقام حفلا تبادل فيه العمامات مع إمبراطور الهند تعبيراً عن الصداقة، وفيما بعد

عندما فتح نادر شاه العمامة ووجد فيها ألماسة كوهينور، صرخ فرحا «وجدت جبل النور».

ظل نادر شاه محتفظاً بالألماسة إلى أن تم اغتياله عام ١٧٤٧م، وفي نهاية المطاف تعرض الأمير الأفغاني شاه شوها - يقال إنه ابن الإمبراطور نادر شاه - لتعذيب شديد وفقد بصره قبل أن يرضخ ويتخلى عن ألماسة كوهينور.

وبعد أن تقلت الألماسة بين أيدي كثيرة، عثر عليها ضابطان بريطانيان في لاهور عاصمة البنجاب عام ١٨٤٩م، وقدمت هدية للملكة فيكتوريا التي أمرت بأن تقطع إلى جوهرة وزنها ١٠٨.٩٣ قيراطا من أصل ١٨٦ قيراطاً. ثم أوصت بها لابنتها الملكة الكسندرا التي تزينت بها في حفل تتويج الملك إدوارد السابع عام ١٩٠٢م.

وفي عام ١٩١١م ارتدت الملكة ماري تاجا يشع منه بريق الكوهينور، وبعد ٢٦ سنة ارتدت الملكة إليزابيث زوجة الملك جورج السادس تاجا صنع لها خصيصاً لترتيبه بمناسبة تتويج

زوجها، ويُعرف هذا التاج الآن بتاج الملكة الأم ويسطع منه بريق الكوهينور.

### كولينان أكبر ألماسة

الألماسة كولينان Culinan هي أكبر ألماسة عُثر عليها حتى الآن. يبلغ وزنها نحو ١٣٠٦ قيراط، وحجمها يماثل حجم ثمرة الجريب فروت.

وكانت حكومة الترانسفال قد أهدها إلى الملك إدوارد السابع كعربون للصلح بعد حرب البوير، وبناءً على رغبة الملك، أرسلت الألماسة - التي كان قد عُثر عليها عام ١٩٠٥م - إلى امستردام من أجل التقطيع وإعادة الصقل، وبالفعل تم تقطيعها إلى تسع ألماسات بحجم كبير، ٩٦ ألماسة بحجم أصغر. ويجمع الخبراء على أن أكبر هذه الألماسات وأشهرها هي نجمة أفريقيا الكبرى التي تزين الصولجان البريطاني ويبلغ وزنها ٥٣٠ قيراطا، وتعد أكبر ألماسة موجودة في العالم، أما ثاني الألماسات المأخوذة من كولينان، فيبلغ وزنها ٣١٧ قيراطا، وتزين كذلك التاج البريطاني.

كذلك اشتق من ألماسة كولينان ألماسان كبيرتا الحجم تزين بهما الملكة في المناسبات الخاصة، تزن إحداهما ٩٤ قيراطا، والثانية ٦٣ قيراطا.



شعار القوات الجوية الملكية البريطانية: صنع من الذهب الأصفر والأبيض المصعق بالألماس (١٩١٦م)





ألماسة تيفاني: تزن ١٢٨ قيراطا، وعُثر عليها في منجم كمبرلي بجنوب أفريقيا، وتعد أجمل وأكبر ألماسة صفراء في العالم.

ألماسة الإكسلسيور: استخرجت من جنوب أفريقيا عام ١٨٩٣م، وكان وزنها عند استخراجها ٩٩٥.٢٠ قيراطا، ولكنها قطعت إلى عدة قطع بسبب استحالة صقلها قطعة واحدة، لشكلها غير المنتاسق.

الألماسة المغولية: استخرجت من الهند في القرن السابع عشر الميلادي، وكان وزنها قبل صقلها ٨١٧.٥٠ قيراطا وبعد الصقل بلغ ٢٨٧.٥٠ قيراطا.

ألماسة الجويلي: استخرجت من جنوب أفريقيا عام ١٨٩٥م، وبلغ وزنها بعد صقلها ٢٤٥.٣٥ قيراطا.

ألماسة الرجت: استخرجت من الهند عام ١٧١١م، وبلغ وزنها بعد صقلها ١٤٠.٥ قيراطا، وموجودة الآن في متحف اللوفر في باريس، وكانت فيما مضى من مقتنيات التاج الفرنسي.

ألماسة الأورلوف: مصدرها الهند، وبلغ وزنها بعد الصقل ١٩٩.٦٠ قيراطا، وكانت قد أهديت إلى كاترين الثانية الروسية عام ١٧٧٣م. وهناك أيضا ألماسات شهيرة في العالم مثل الجونكر ٧٢٦ قيراطا، والجاركاسي ٢٦٢ قيراطا، ويسمونهما نجمة الجنوب، وقد استخرجت من البرازيل. وهناك أيضا ألماسة الفلورنتين ١٣٧ قيراطا.

### الألماس الاصطناعي

تستخدم نسبة ٨٠٪ من مجموع إنتاج الألماس في العالم في الصناعة والتجارب العلمية. وعلى مر السنوات حاول علماء

شكل قلابين يزن كل منهما ٦٧ قيراطا، وأطلق عليها اسم «الألماس الأزرق للتاج» وبعدئذ انتقلت الألماسات من طريق الإرث إلى لويس السادس عشر وماري أنطوانيت.

في عام ١٧٧٢م سُرقَت الألماسات من باريس ثم ظهرت إحداهما في لندن عام ١٨٣٠م، بوزن جديد بلغ ٤٤.٥ قيراطا، واشتراها رجل أعمال بريطاني يُدعى هنري هوب مقابل ٩٠.٠٠٠ جنيه إسترليني، وبعد وفاته عانى ورثته المشكلات وأفلس عدد منهم. ثم انتقلت الألماسة إلى أوروبا الشرقية وأهداها أحد الأثرياء إلى ممثلة شهيرة، لكن ذلك الثري لم يلبث أن قتل الممثلة.

وبعدئذ اشترى تاجر يوناني الألماسة، ووقع له حادث تصادم حيث قتل ومعه أسرته، وعندما انتقلت الألماسة إلى السلطان عبد الحميد الثاني في تركيا وقع انقلاب وأطيح به، وأخيرا وصلت الألماسة إلى الأمريكية (ايغلين ويلش ماكلين) حيث عمدت إلى إعادة صياغتها على شكل قلادة من ٦٢ ألماسة، ثم روعت بمقتل اثنين من أبنائها وأصيب زوجها بمرض عقلي.

بعد وفاة السيدة ماكلين عام ١٩٤٧م اشترى تاجر المجوهرات (هاري ونستون) قلادتها بمليون دولار، ثم تبرع بها لمؤسسة سميث سونيان الأمريكية عام ١٩٥٨م.

ولعل هذه الأحداث هي التي أوحى إلى الناس بأن هذه الألماسة تجلب الشؤم إلى أصحابها، وهو زعم غير صحيح بطبيعة الحال.

### أشهر الألماسات

هناك عدد كبير من الألماسات الشهيرة بالإضافة إلى كوهينور ونجمة أفريقيا وهوب وغيرها، منها:

فسفورية حمراء حيرت خبراء الألماس.

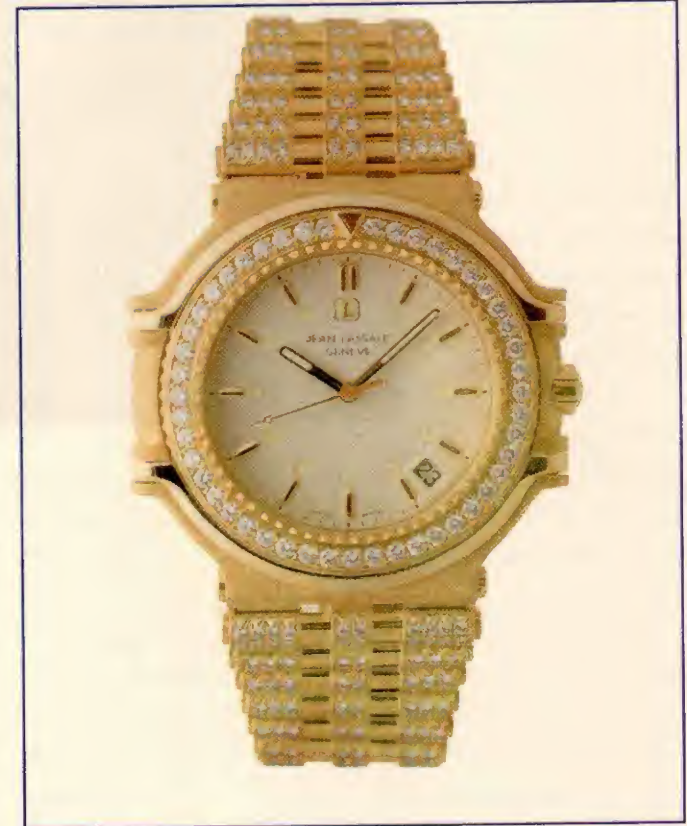
بلغ وزن ألماسة هوب ١١٢٥ قيراطا، وبطريقة ما انتقلت إلى فرنسا حيث بيعت إلى الملك لويس الرابع عشر؛ الذي عهد بها بدوره إلى صائغ مشهور عمل على صقلها على

### هوب أجمل ألماسة

تعد ألماسة (هوب) Hope Di- monde أشهر وأجمل ألماسة زرقاء في العالم. وتزن حوالي ٤٥ قيراطا، ولها مكانة خاصة في عالم الألماس؛ فهي الوحيدة التي تطلق أضواء



بعض الأساور والخواتم المصنوعة من الذهب، وقد تم تطعيمها بالألماس







## تجارب روسية ويابانية

نجح الروس في النصف الأول من ثمانينيات هذا القرن في صنع ألماسة هائلة الحجم، بلغ وزنها كيلو جرامين، وبهذا كانت هذه الألماسة الاصطناعية أكبر ثلاث مرات من أكبر ألماسة طبيعية عُثِرَ عليها وهي كـولـينان، ورغم هذه لم تكن

كثيرون إنتاج الألماس باستخدام مواد متنوعة، غير أن محاولات إنتاج الألماس لم تسفر عن أي نتائج إيجابية إلا في عام ١٩٥٥م، وكان ذلك في شركة جنرال إليكتريك في إحدى المدن الأمريكية، وبعد محاولات عديدة قام بها باحثو الشركة للحصول على الألماس الاصطناعي، توصلوا إلى طريقة مثلى لهذا الغرض، تمثلت في جلب مادة كبريتيد الحديد وغرسوا فيها قطعة صغيرة من الألماس، ووضعوا ذلك في أنبوبة جرافيت أغلقوا طرفيها بقرصين من عنصر التتالم، ثم وضعوا الأنبوبة بالمواد الموجودة داخلها في آلة ضاغطة حققت عند تشغيلها ضغطاً على الأنبوبة بلغ ٩٥.٠٠٠ درجة وكانت الأنبوبة محفوظة في درجة حرارة بلغت ١٥٠٠ درجة مئوية وكان ذلك لبضع دقائق.

وعندما فتح الباحثون الأنبوبة، وجدوا فيها كثيراً من البلورات اللامعة، ثبت لهم أنها ألماس. وعند إعادة التجربة وجدوا النتائج نفسها.

وفيما بعد تبين للباحثين أنه لا ضرورة لإضافة قطعة الألماس، وأنه يمكن إضافة فلزات خاصة تساعد في عملية تخليق الألماس. كذلك تبين أن تخليق الألماس لم ينتج منه شيء من الألماس الجواهر أو الحر، وإنما نتج ألماس أسود وأسمر صغير هو أقرب إلى الألماس التجاري الذي يُستخدم في الصناعة.

وفي اليابان نجح العالم يويتشي هيروسي من معهد نيهون للتقنية في إنتاج الألماس من الكحول!! فقد تمكن يويتشي، بعد تجارب فاشلة عديدة، من الحصول على الألماس من الكحول، وبالفعل حصل على ألماسة ليست في جمال الألماس الطبيعي، ولكن طريقته أدت إلى



ألماسة خاد قبل أن تخضع لعملية الصقل

الألماسة الاصطناعية جميلة، وبهذا لم تكن تصلح إلا للأغراض الصناعية.

وقد حصل العلماء الروس على هذه الألماسة الاصطناعية باستخدام غازي الميثان والهيدروجين، وهذه العملية مكلفة جداً، كما أن بلورات الألماس الناتجة بهذه الطريقة تستغرق وقتاً طويلاً.

إنتاج الألماس الاصطناعي بتكلفة أقل من تكاليف إنتاجه بالطرق التي كانت شائعة.

## الألماس..

### وعلماء العرب والمسلمين

سبق علماء العرب والمسلمين علماء الغرب بقرون في الحديث عن الألماس وكشف خصائصه وخصائصه.

فالعالم العربي البيروني في كتابه (الجمواهر في معرفة الجواهر) قام بالتمييز بوضوح بين الألماس من ناحية وبقيّة الحجارة الكريمة من ناحية أخرى، فهو يقول عن الألماس بالنسبة لسائر الأحجار الكريمة «إن له مكانة السيد بين الدهماء».

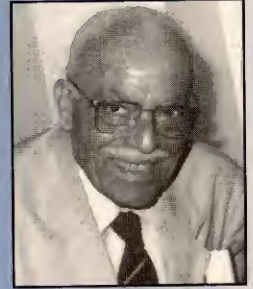
وقد درس البيروني عدداً من خصائص الألماس، مثل الصلابة والوزن النوعي وتشتيت الضوء والتفجّز، وألوانه المختلفة، وبعد أن تعرّف جميع هذه الخصائص، رتبها حسب أهميتها باستخدام الألماس كحجر كريم، الأمر الذي يدل بوضوح على أنه لا بد وأن يكون قد درس عدداً كبيراً من العينات قبل التوصل إلى استنتاجاته، وهذا هو المنهج الأمثل في إجراء البحوث حتى يومنا هذا.

أما التيفاشي، وهو من علماء العرب المعروفين أيضاً، فقد تمكن من تعرّف خصائص الألماس وتحديد الصلابة النسبية لعدد من المعادن والأحجار الكريمة فيقول: «الياقوت بصلابته يغلب مادونه من الأحجار ثم يغلبه الألماس». وبهذا يكون قد سبق موهر بفكرته لمقياس الصلابة بعدة قرون.

ويقول التيفاشي كذلك: «إن من الألماس نوعاً له شعاع عظيم إذا ظهر ألقى شعاعه على مظهر منه بالقرب من ثوب أو حائط أو وجه إنسان أو غير ذلك بنور مختلف الضوء أشبه شيء بنور قوس قزح». وهذه هي ظاهرة التحليل الطيفي للضوء التي يُنسب فضل اكتشافها إلى عالم الطبيعة الإنجليزي إسحق نيوتن.



# الصهيونية والمسيح المنتظر!



د. حسن ظاظا

كما يزعمون. ثم إنه دعا إلى السلام بين البشر، والمسيح في عقيدتهم (منتقم) يخسف الأرض تحت أقدام أعداء اليهود، وينتقم من ذرية كل أمة عاملت اليهود بقسوة أو كراهية، فيستعبد هذه الذرية لليهود، ويذلها أمامهم. ثم إن اليهود المعاصرين للمسيح كانوا متأكدين أن السيدة مريم البتول لم تكن زانية، ففي أسلافها أنبياء وملوك، ولها من يكفلها، فليست بحاجة إلى التكسب بالرديلة. واليهود لا يرفضون المعجزات، فكل تاريخهم معجزات! وإن أعوزتهم اخترعوها. لكن عيسى بن مريم قد ادعى أتباعه - وليس هو - أنه المسيح المنتظر، الذي كان في المعتقد الشعبي عندهم لابد أن يكون من سلالة داود وسليمان، وهذا متوافر فيه بطريق السيدة مريم، ولنفي هذا كان لابد من رميها بالزنا، وهذه التهمة عندهم سهلة وجارية على الألسنة منذ القدم وإلى الآن، ومن السهل جدا أن نسمع اليهودي العامي ينعث امرأة بريئة بأنها (زونا) أي: زانية، أو يصف واحدا من بني جلدته بأنه (مميز) أي: ابن حرام. وإذا كان عيسى عليه السلام تجنب أن يسمي نفسه (المسيح)؛ فلأن معنى هذه الكلمة، أو مايقابلها في العبرية (مَاشِيح) أو في الآرامية (مَشِيحَا) أنه الملك. وقد رفض ذلك رغم محاولة اليهود الإيقاع به أمام الرومان، عندما أخرج أحدهم من جيبه قطعة نقود عليها صورة القيصر الروماني وسأل سيدنا عيسى: لمن نعطي هذه النقود التي تحمل صورة القيصر؟ فأجاب: أعطوا مَالِقيصر لقيصر، وما لله لله! وعندما أخذ اليهود ليصليوه - بزعمهم - وضعوا على رأسه تاجا من الشوك الحکم، وسيطوج نفسه ملكا لليهود في فلسطين. لكن ما أصل هذه التسمية (المسيح)؟ وكيف تطور مدلولها مع العصور؟

للقراء، باختصار السر الكامن وراء هذا التلاعب. فعيسى عليه السلام كان اسمه بالعبرية والآرامية (يشوع) أي يسوع كما ينطقه نصارى العرب. وإذا حسينا التسمية الخطيرة (نبلا بريكا) بحساب الجُمَّل، أي بالقيمة الرقمية للحروف الأبجدية بترتيبها القديم: (أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضطغ)، وهذه القيمة هي على التوالي لكل حرف من هذه الحروف: ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠، ٢٠، ٣٠، ٤٠، ٥٠، ٦٠، ٧٠، ٨٠، ٩٠، ١٠٠، ٢٠٠، ٣٠٠، ٤٠٠، ٥٠٠، ٦٠٠، ٧٠٠، ٨٠٠، ٩٠٠، ١٠٠٠. إذا حسينا التسمية المذكورة تكون (١+٢٠+١٠+٢٠٠+٢+١+٣٠+٢+٥٠) = ٣١٦، وإذا حذفوا من الاسم (يشوع) حرف العين يكون حاصل الحروف الباقية (٦+٣٠٠+١٠٠) = ٣١٦ أيضا. واتفقوا سرا على أن يطلقوا اسم (يشو) على المسيح كناية عن هذا (المصلوب) أي الجيفة، التي يقدها أو يتبرك بها أتباعه! وقد اكتشف هذه السخرية بالمسيح عليه السلام (مارتن لوتر) مؤسس المذهب البروتستنتي في المسيحية في القرن الخامس عشر، وأشار إليها في أحد مؤلفاته وعنوانه (نفاق اليهود)، وقد ترجمه إلى العربية وطبعه في بيروت الأستاذ عجاج نويهض، الذي ارتطم بهذه المشكلة، فكتب إليّ وقتئذ متعجبا ومستفسرا، وبعد بحث في الكتب التراثية اليهودية، وافيته بالشرح، فنشره في الترجمة شاكرا ومقدرا - رحمه الله -.

## لماذا يحقدون على المسيح؟

أردت بهذا أن أشير إلى الحقد الدفين الذي يضمرة اليهود للمسيح لأنه - وهم يعرفونه حق المعرفة - لم ينسخ شريعتهم؛ بل كملها، ولكنه نسخ عقيدتهم ونسفها من جذورها، لأن دعوته كانت (للناس كافة) وليس لبني إسرائيل وحدهم

اليهود ينتظرون (المسيح) إلى الآن. وقد رسخت هذه العقيدة في نفوسهم حتى أصبحت ركنا من أركان الإيمان. ولو أتيج لنا أن نصت إلى دعاء حجاج اليهود والمتعبدين منهم عند (حائط المبكى) في القدس لوجدنا أهم ما يطلبونه من الله (التعجيل) بظهور المسيح المنتظر، يقولون ذلك وهم يتحسسون حجارة (الجدار الغربي) أو حائط المبكى، ودموعهم تجري من عيونهم مدرارا، وكل أجسامهم تهتز إلى الخلف وإلى الأمام وذات اليمين وذات الشمال! أما المسيح عيسى بن مريم عليه صلوات الله فقد أنكروه، وخيل إليهم أنهم صلبوه، ثم وضموه - بعد بعثته - بالكذب وبأنه مولود من الزنا! وسمّاه أحبارهم في التلمود والتفاسير الدينية القديمة (المدراس): بالجيفة المقدسة، وبلغت التلمود الآرامية: نبلا بريكا! ولكي لا يتعرضوا للقتل بأيدي النصارى، تلاعبوا بهذه التسمية الجارحة، وأسوق



التوراة التي يؤمنون بها وينسبوننها إلى موسى عليه السلام لا ذكر فيها للملك، إلا في سفر التثنية، آخر أسفارها، ومن المؤكد بين الباحثين - حتى اليهود والمسيحيين - أنه نص متأخر جدا يلخص الأحكام الشرعية الواردة خلال أسفار التوراة الأربعة السابقة له وهي: التكوين، الخروج، اللاويين أو الأحبار، العدد. والذين كتبوا هذا الملخص، بعد موسى بنحو ستمائة عام على الأقل، كانوا يرمون إلى جعله مرجعا سهلا وسريعا يستعمله القضاة في المحاكم، بعد قيام المملكة اليهودية في فلسطين. وبالطبع يهمل العبريون القدماء بملوك الأمم الأخرى مثل فرعون مصر، وملك بابل، وإمبراطورية آشور، ومملكة قورش في إيران، ثم بملوكهم هم، وأولهم شاؤول ثم داود وسليمان. وكل هؤلاء لم يؤسسوا مملكة إلا بعد موسى بخمسمائة سنة، ثم اتصل ذكر الملوك في عهد المملكة اليهودية في جنوب فلسطين، ومملكة السامرة في شمال فلسطين حتى زوالهما: القرن السابع (للسامرة) والخامس (ليهوذا) قبل ميلاد المسيح. وكان اليهود قد استعاروا من الأمم الأخرى مراسم (تنويج) الملوك، ومن أهميات هذه المراسم (المسح) على رأس الملك ببعض الزيوت العطرية قبل وضع التاج على رأسه، وكان كبير كهنة الدين في المملكة هو الذي يقوم بمراسم التنويج علنا أمام الجنود والجماهير المجتمعمة، لتكون الحفلة بمثابة مبايعة.

### مراسم من نسج الخيال!

وفي أيام موسى لم تكن لليهود أرض. حتى (أرض الميعاد) كما يقولون لم يدخلها موسى عليه السلام، وكان نبههم وقائدهم في تلك الرحلة التي استغرقت أربعين عاما - عبر سيناء وصحراوات الأردن - موسى نفسه، ويعاونه أخوه هارون وأبناؤه. فقرر أن يكلف هارون وأبناؤه بالقيادة الدينية لبني إسرائيل، كما اختار للإدارة المدنية السبعين رجلا الذين ورد ذكرهم في التوراة والقرآن. فاختار عند تنصيب هارون (المسح) على رأسه بالدهن المقدس، ضمن حفلة فاخرة جدا، لا بد أن كاتب النص عرفها من مراسم التنويج المذكورة في قصص الملوك القدماء العظماء. يقول الكاتب: «وقرب إليك هارون أخاك، وأبناؤه معه، من بين بني إسرائيل ليكنهوا لي، هارون، وناداب، وأيهو، وأليعازار، وإيتامر أولاد هارون. واصنع ثياب تقدس لهارون أخيك، للكرامة والبهاء، وكلم كل من له قلب حكيم ممن ملأتهم بروح الحكمة، أن يصنعوا ثياب هارون لتقدسه، ليكون

لي كاهنا. وهذه الثياب هي صدرية، وقميص عبادة» - (إفود بالعبرية) - وجبة وجلباب مبطن، وعمامة، وحزام. فيصنعون ثياب قدس لهارون أخيك وأبناؤه، ليكنهن لي. ويأخذون الذهب والحري الأزرق والأرجواني وصبغ القرمز ونسيج الكتان، ويصنعون قميص العبادة (الإفود)... ويكون له كتفان متصلتان. والزئار الذي على الإفود الذي يشده به من ذهب وحري أزرق وأرجواني وقرمزي وكتان مجدول. وخذ حجرتين من الجوز اليماني فانقش عليهما أسماء أسباط بني إسرائيل الأثني عشر، ستة على كل حجر بحسب مواليدهم، من عمل صانع جوهري، وتضعها على الإفود، تذكارا لبني إسرائيل، على كتفي هارون... واصنع طوقين من ذهب إطارا للحجرتين. وسلسلتين من ذهب خالص مجدولتين مضافورتين وعلقهما عليه بطرفيهما... واصنع الصدرية على يد نساج ماهر، كصناعة الإفود، من ذهب وحري أزرق... إلخ... وركب فيها حجارة

## استعار اليهود مراسم التنصيب الديني من مراسم التنويج عند الأمم الأخرى، وادعوا - كذبا - أن موسى عليه السلام توج بها هارون!

ثمينة للترصيع، أربعة أسطر. الأول ياقوت أحمر وياقوت أصفر وزمرد. والثاني بهرمان ولازورد أزرق وماس. والثالث سفير أزرق وعقيق يمانى وعقيق أسود، والرابع زبرجد وجوزع يمانى وتشب. وكلها محاطة بأطراف من الذهب، بأسماء أسباط إسرائيل حفرا كقش الخاتم...».

(تلخيص كاتب المقال من الفصل الثاني والعشرين من سفر الخروج ١ إلى ٢١).

ويستمر هذا الوصف إلى آخر الفصل: رقم ٤٢. ثم يستمر الفصل التالي في ذكر طقوس التنصيب من غسل بالماء وذبج عجل من البقر، وكبشين سميين، وفطائر من دقيق البر المعجون بالزيت، ورقاق من فطير السميذ المأخوذ من القمح. أما عجل البقر فيحرق شحمه وكبدته على مذبح القرائين بعد تلطيخ المذبح في زواياه (أو قرنيه كما تقول التوراة) بدم العجل. وما بقي منه من لحم وجلد فإنه يحرق بعيدا من المذبح! وأما الكبشان فيذبحان فتلطخ جوانب المذبح بدمهما. وتستمر

طقوس الذبح في كباش وحملان أخرى سبعة أيام؛ كل يوم حملان خوليان (التوراة - سفر الخروج ٢٩: من ١ إلى ٤٦). وفي الفصل التالي يأتي أمر الإله ببناء مذبح آخر مخصص للبخور!

### طقوس مستعارة

وواضح أن هذا التفصيل لا يرجع إلى موسى ولا هارون، وهما هاريان من وجه فرعون مع من هاجر معهما من الناس، يحيط بهم الخوف والفرع، وهجوم بدو سيناء، وصحاري الأردن، حتى استغرقت هذه الرحلة أربعين سنة، في طريق مطروق استخدمه إبراهيم عليه السلام في ذهابه إلى مصر وعودته منها إلى أرض كنعان، واستخدمه التجار العرب الذين التقطوا يوسف عليه السلام من الحب وباعوه في مصر، كما سلكه إخوة يوسف مرارا بين مصر وفلسطين للحصول على بعض البر بأمير أبيهم يعقوب، ثم ذهب يعقوب إلى مصر هو والأحد عشر كوكبا للقاء يوسف هناك والسكنى في وادي النيل، كانت الرحلة بالابل أو البغال أو الحمير لاستغفرق إلا أياما معدودات، ولولا العقبات التي قامت في وجه موسى ومن معه - وكان يعرف الطريق حق المعرفة - لما احتاج إلى أربعين عاما ليصل من شرق الدلتا في مصر إلى شرق الأردن عند جبال البحر الميت! وحتى إذا كان ذلك كذلك فإن ظروف هذه الهجرة لم تكن مشجعة على التأني في الديباج والكتان والذهب والأحجار الكريمة. والكاتب لهذا النص يبدو أنه كان من بقايا سبي بختنصر الكلداني في العراق (أرض بابل) أو بلاد العجم (الإمبراطورية الفارسية)، ورأى بعينه حفلات تنصيب (الكاهن الأعظم) للمعبد الوثني البابلي أو نظيره في المعبد المركزي للمجوس (الموبدان الأعظم) فأراد ألا يكون أبو كهنة اليهود (هارون) أقل منهم أبهة وفخامة، فنسج من خياله حفلة مماثلة لما رآه في أرض السبي اليهودي من بذخ هائل وإسراف في الترف رهيبة.

ثم يأتي دور إعداد الدهن المقدس للمسح به على الرأس، وهو الذي يصبح الكاهن الأعظم بعده (مسيحا). وتركيبه مذكور في التوراة؛ لكن تختلف المترجمون والمفسرون في تحديد أكثر عناصره، بحيث لا تكاد ترجمة تشبه الأخرى، ولا تفسير يتفق مع الآخر، وقد بذلت جهدي في تحديد عناصر هذا الدهان، فإن وجد القارئ الكريم فيما يرجع إليه من تراجم الكتاب اليهودي إلى العربية أو أية لغة أخرى ما يخالف ما ذكرت،



# الصهيونية والمسيح المنتظر!

شيء يصنعه (الجويم) أي الكفار أو أبناء الأمم الأخرى فهو حرام لا جدال في ذلك، وكل ما يصنعه شعب الله المختار فهو طاهر وطيب ومقبول من الرب!

لم تعرف التوراة كلها إذن (المسيح المنتظر) بل عرفت المسيح (الإمام) الذي يرأس الناس في العبادة، ويعظمهم - إن استمعوا له - ويقضي بينهم في خصوماتهم، أما هذا الإنسان المنتظر الذي لا يأتي أبداً، فلا ذكر له في التوراة - حتى هذه المنحولة على موسى - من أولها إلى آخرها!

فالمسيح المنتظر شخصية أبدعها خيال زعماء اليهود في زمن النكبة: انهيار مملكة إسرائيل - وعاصمتها السامرة - في شمال فلسطين في القرن السابع قبل المسيح، أي بعد موسى عليه السلام بما يزيد على سبعة قرون، وانهيار مملكة يهوذا، في أورشليم/القدس التي كان داود قد أقامها بعد شاؤول أول ملوك بني إسرائيل، وكان ذلك في القرن الخامس قبل المسيح، أي بعد موسى بما يقرب من ألف سنة. وهكذا عرف اليهود الطرد الجماعي من فلسطين، شمالها وجنوبها، والتشريد والسبي والاعتقال والعبودية والاضطهاد. فكان طبيعياً أن يداعب خيالهم انتظار بطل منقذ لهم، ومنقذ من أعدائهم، تسلم إليه مقاليد الأمة السياسية والدينية والعسكرية جميعاً، فيثأر لهم من أعدائهم، ويفرض عليهم الطاعة لشريعته قهراً وقسراً. وهنا نجد العجب العجيب في وصف هذه الشخصية الخيالية، فهو يقر العدل والسلام، ويجمع اليهود من جميع أنحاء العالم على جبل صهيون، ويقوم عرشه على الأمن والرخاء والحجة، لكن بشرط أن يكون من ذرية يسى اليهودي والد الملك داود. ومن اشتهروا بهذا الخيال النبي اليهودي (إشعيا بن أمومي)، وله في كتابهم سفر ضخيم، بعضه له، وبعضه منحول عليه من حاملين آخرين. واشتهر إشعيا بأنه صاحب عقيدة (المسيحانية) أي الاعتقاد في حقيقة ظهور هذه الشخصية صانعة العجائب من أجل اليهود. لكن المسيحيين تهاقنوا عليها وقالوا إن أوصاف إشعيا هي أوصاف المسيح عيسى بن مريم تماماً، وإن كان قد ظهر بعد إشعيا بسبع مائة سنة! يقول هذا النبي اليهودي: ويخرج فرع من جذر يسى، وينبت غصن من أصوله، وفيه يحل روح الرب، وروح الحكمة والفضة، روح الرأي والقوة، روح العلم وتقوى الرب. وينشرح بمخافة الرب، ولا يقضي بحسب رؤية عينيه، ولا يحكم بحسب سماع

فقد بذلت أقصى الجهد في البحث والتحري، والله من وراء القصد.

جاء في تركيب هذا الدهان: وكلم الرب موسى وقال: أما أنت فخذ لك من أفخر العطور من ذرور المر خمسمئة جزء، ومن القرفة العطرية مثل نصفه - مئتين وخمسين - ومن العود مئتين وخمسين، ومن الجاري خمسمئة، بالميزان المقدس، ومن زيت الزيتون مايكفي، واصنع ذلك دهناً للمسيح المقدس، عطراً فواحاً صنعة عطار، فيكون دهناً للمسيح المقدس. وامسح منه سرادق الاجتماع، وصندوق العهد، والمائدة، وجميع أبنيتها، وسراج الإضاءة ولوازمه، والمذبح المكرس للبخور، ومذابح القرايين المحرقة، وجميع لوازمها، والمرحاض ومقعده، وقدرتها فتكون قدس أقداس، يتقدس كل ما يمسه. وامسح هارون وأبناءه، وقدرتهم، ليكونوا لي. وبلغ بني إسرائيل، وقل: هذا يكون لي دهناً للمسيح المقدس، على مر أجيالكم، لا يدهن به بدن إنسان، ولا تصنعوا مثله طبقاً لتركيبه. فهو مقدس، وليكن مقدساً عندكم. وأي إنسان ركب مثله، أو جعل منه على أجنبي، يقطع من شعبه! وقال الرب لموسى: خذ لك عطوراً: صموغاً، وميعة، وفسوخاً عطراً، ولباناً طيباً، ولتكن أجزاءها متساوية، واصنعها بخوراً طيباً، صنعة عطار، ملمحاً نقياً مقدساً، واسحق منه ناعماً، واجعل منه أمام صُحف العهد في سرادق الاجتماع حيث أجتمع بك، فيكون لكم قدس أقداس. والبخور الذي تصنعه لا تصنعوا لكم بخوراً على تركيبه، ليكون عندكم مقدساً للرب. أي إنسان صنع مثله ليستنشقه يقطع من شعبه (التوراة سفر الخروج - ٣٠: ٢٢ إلى ٣٨).

## التوراة لم تعرف المسيح المنتظر

فالمسيح الأول في الدين اليهودي هو هارون، وتركيب الدهن المخصص للمسيح وكذلك تركيب البخور المستعمل في العبادة، حرم موسى تقليده، أو استعماله استعمالاً شخصياً خاصاً هو والبخور، فصاراً نوعاً من الاحتكار ذي العلامة المسجلة! وهذا دليل آخر على أن هذه النصوص أكثرها منحول على موسى مكذوب عليه، فأين توجد هذه العطور ولوازم البخور في صحراء سيناء. وإذا كانوا قد جاؤوا بها معهم من مصر فهي مواد تنتهي صلاحيتها للاستعمال سريعاً، والرجل الطيب الذي كتب هذا أراد أن يشير إلى أن هناك فرقاً بين عطر التتويج للملوك والأمراء وبخور قصورهم، ومثيل ذلك في شعب الله المختار، فكل

أذنيه، بل يقضي للمساكين بعدل، ويحكم لبائسي الأرض بإنصاف، ويضرب الأرض بعصا من لسانه، ويهلك المنافق بنطق شفثته، وتكون العدالة نطقاً لظهره، والحق حزاماً لخصره، فيسكن الذئب مع الحمل، ويربض النمر مع الجدي، ويكون العجل والشبل وأكل العلف معاً، وتقيم أولادها معاً، ويأكل الأسد التبن كالثور، ويلهو الرضيع عند جحر الأفعى، ويدخل الفطيم أصبعه في شق الشعبان فلا يسيؤون ولا يفسدون في كل جبل قدسي لأن الأرض تمتلئ من الإيمان بالرب، كما تغمر المياه البحر، وفي ذلك اليوم، سليل يسى القائم راية للأمم، تنجيه إليه آمال الشعوب، ويكون مثواه مجيداً. وفي ذلك اليوم، يعود السيد فيمد يده ليجمع بقية شعبه: من بقي منهم في آشور ومصر وقُتروس وكوش وعيلام وشنعار وحماة وجزائر البحر. ويرفع راية للأمم، ويجمع المنفيين من إسرائيل، ويقيم المشتتين من يهوذا من أطراف الأرض الأربعة. فيزول حقد إفرايم (الشمال) ويضمحل حقد يهوذا (الجنوب) فلا إفرايم يحسد يهوذا، ولا يهوذا يعادي إفرايم، وينقضون على كاهل الفلسطينيين نحو الغرب، ويهيئون أهل المشرق جميعاً، ويلقون أيديهم على أدوم ومؤاب (بادية الشام والأردن) ويخضع لهم بنو عمون (عمان)، ويدمر الرب لسان بحر مصر (خليج السويس)، ويهز يده على النهر بربحه العاصفة، فيشقه سبعة جداول حتى يمكن عبوره بالأحذية، فيكون طريق لبقيته شعبه، من بقي منهم من آشور، كما كان لإسرائيل من قبل (إشعيا ١١: ١١ إلى ١٦).

## مرارة الهزيمة تنتج خيالا مريضاً

ويرى أتباع جميع الكنائس والمذاهب النصرانية أن تلك (بشارة) بسيدنا عيسى بن مريم عليه السلام، ويطعونها، ويزودون بها المبشرين في أفريقيا وآسيا وسائر بلاد العالم. أما اليهود فيرفضون ذلك بإصرار، ويقولون إن الشروط التي ذكرها إشعيا في نبوءته لا تنطبق على رسول النصراني، إذ مازال الذئب يأكل الحمل، إلى آخر ما ذكره من هذا الخيال الواسع، وما زال الأسد



يأكل لحما لا نباتا، والفلسطينيون والأردنيون ومصر والعراق والمشرق والمغرب لم يخضعوا للراية اليهودية، بحمد الله. مما يجعل انتظار هذا المسيح المتوج ملكا على اليهود - بعد المسح على رأسه بالدهن المقدس، خليفة لداود وسليمان عليهما السلام - مرهونا بعلم الغيب. وحتى ملك سليمان لم يخضع له الشرق والغرب، ولا مصر والشام والأردن والعراق، ولكنها مرارة الهزيمة الكاملة الشاملة التي حلت باليهود هي التي أطلقت بينهم هذا الخيال المريض، فانعكست الصورة في أوهامهم، وأصبحت الدونية كبرياء وغرورا، والانكسار الساحق فتحا ونصرا، وكل زعيم يظهر فيهم مجاهدا في سبيل خلاصهم وإعلاء شأنهم يحسبونه (المسيح المنتظر)؛ بل خلعوا هذا اللقب على آخرين من غير اليهود كانوا زعماء في شعوبهم، وعطفوا على اليهود لأسباب سياسية بحتة، فمحوهم بعض ما كانوا يحلمون به، وأقدمهم الامبراطور الإيراني (قورش)؛ الذي وطّد الاحتلال الفارسي للعراق فتغلب على الآشوريين بشمال العراق - الموصل الآن - ودخل عاصمتهم نينوى، كما تغلب على الكلدانيين في الجنوب ودمّر عاصمتهم بابل، وساعده يهود السبي في هذه المهمة، فأصدر مرسوما بإطلاق سراحهم والسماح لهم بالعودة إلى فلسطين وإعادة بناء هيكل سليمان! فتأكدوا أنه (المسيح المنتظر) المخلص والمنتقم، وانتحلوا في سفر إشعيا نصا مقدسا جدا عندهم - مع أن إشعيا كان قد مات قبل أن يولد قورش بنحو قرنين من الزمان! - يقول هذا النص: هكذا قال الرب لمسيحه، لقورش، الذي أخذت يمينه لأخضع الأمم بين يديه، وأفك وثاق الملوك، لكي أفتح أمامه المغاليق، فلا توحد الأبواب. إني أمشي قدامك، فأقوم المعوج، وأحطم أقفال النحاس، ومزاليح الحديد أكسرها. وأعطيك كنوز الظلمة، ودفائن الخزائن، لتعلم أنني أنا الرب، الذي دعاك باسمك، إله إسرائيل إني لأجل عبيدي يعقوب، وصفيّ إسرائيل، دعوتك باسمك، وكنيتك، وأنت لاتعرفني. أنا الرب وليس آخر، ليس من دوني إله. إني وشحنتك وأنت لاتعرفني، لكي يعلموا من مشرق الشمس ومن مغربها أنه ليس غييري. أنا الرب، وليس آخر. أنا مبدع النور، وخالق الظلمة، وبارئ السلام، وخالق الشر. أنا الرب، صانع هذه كلها (إشعيا ٤٥: ١ إلى ٧). وواضح جدا أن الدجال الذي كتب هذا الكلام

الجميل - بعد موت إشعيا بزمان - كان داعية سياسيا لقورش الفارسي، ولكن كما يقول المثل: «يكاد المريب يقول خذوني!» أجرى على لسان الرب - مرتين - قوله لقورش: «أنت لاتعرفني». ثم أفصح هذا المدعي الوحي والنبوة عن علم بالجوسية لأبأس به، فالله عنده واحد، وهو عند قورش اثنان: النور (أهورامزدا) والظلمة (أهرمين) - الأول للسلام والخير والثاني للقلق والشر - وكرر أكثر من مرة على لسان الله عز وجل: «أنا الرب وليس آخر». ولكن مؤلف هذا الكلام رأى في قورش المخلص، والمحرر، والأخذ بالثأر من أعداء اليهود في بابل وآشور، ثم في الشام، ثم امتدت أطماعه حتى سقطت مصر في يد خليفته «قمبيز». وهكذا تشاء مفارقات التاريخ المضحكة أن يكون أقدم مخلص لليهود هذا (المسيح الكافر) المشترك عابد النور والظلام القاتل بالجوسية والثنية! ولكنه على كل حال كان ملكا عظيما، مسح كاهن الجوس الأعظم على مفرقه بالدهن المقدس ثم توجه.

### المسيح المنتظر عندهم: حسب الطلب!

وبهذا نزل سعر (المسيح المنتظر)، وأصبح يدعيه من شاء كما يشاء، أو يخلعه بعض المهاويس على هذا أو ذاك من الزعماء السياسيين اليهود، من غير حساب. وأصبحت كلمة (المسيح) تقترب في تصورهم بالملك، فالمسيح ملك له قدسيته، والظاهر أن المسح على شعر الملك قبل تنويجه كان شائعا في ممالك الشرق القديم كلها باستثناء اليهود من موسى إلى شاءوه (خمس مئة سنة). وفي حقبة القضاة - وهم الأبطال والمحاربون من أسباط بني إسرائيل، الذين تولوا القيادة في قومهم - ورد هذا النص: وفي تلك الأيام لم يكن لإسرائيل ملك (سفر القضاة ١٨: ١). ومع ذلك كان اليهود يعرفون تقليد المسح على رؤوس الملوك عند تنويجهم، كما أنهم من حين لآخر كانوا ينصبون على سبط واحد منهم، أو بضعة أسباط، رئيسا كانوا يسمونه ملكا أحيانا. كقوله مثلا: فأقاموا ابنمالك عليهم ملكا عند شجرة السديان التي في شكيم (القضاة ٩: ٦). لكن نقرأ بعد ذلك مباشرة قصة رمزية تبدأ هكذا: ذهبت الشجر ذات مرة (لتمسح) عليها ملكا. إلخ (القضاة ٩: ٨).

ويدعو أن نبيهم صمويل - ولم يكن لارسولا، ولا كاهنا حسب شروط اليهود في

هذين المنصبين - قد منح نفسه لقب (النبي) لأول مرة، لأنه لم يكن لا من سبط اللاويين (الكهنة) ولا من سبط يهوذا (الملوك). فكان يمسح بعض الناس (امراء) أو (قادة). جاء في سفره: وكان الرب قد أوحى إلى صمويل قبل أن يأتيه شأؤول بيوم واحد، وقال له: غدا في مثل هذه الساعة أرسل إليك رجلا من أرض بنيامين (إقليم بيت لحم) فامسحه قائدا (بالعبرية: نجيد) على شعبي إسرائيل، فيخلص شعبي من أيدي الفلسطينيين (صمويل الأول ٩: ١٥، ١٦). ومضت ثلاثة آلاف عام منذ هذا الوحي، ولم يخلص شعب الله المختار من أيدي الفلسطينيين! وكان هذا المسيح اليهودي هو شأؤول، الذي مسحه صمويل بعد ذلك بقليل ملكا تلبية لمطالب سياسية وعسكرية لاعلاقة لها بالدين: فقال صمويل لشأؤول: أنا الذي أرسلني الرب (لأمسحك) ملكا على شعبي، على إسرائيل، واسمع الآن قول الرب: هكذا يقول رب الجنود: قد أخذت على عماليق ماصنعوه بإسرائيل، وكيف وقفوا لهم في الطريق

## المسيح المنتظر عند اليهود حسب الطلب: يدعيه من يشاء، ويخلعه بعضهم على الزعماء السياسيين من غير حساب!

عند خروجهم من مصر. فهلم الآن فاضرب عماليق، ودمّر كل ممتلكاتهم، ولا تعف عنهم، بل اقتل الرجال والنساء والصبية والأطفال الرضع والبقر والغنم والإبل والحمير (صمويل الأول ١٥: ٣-١).

فهذا أول (مسيح) منتقم، لم يكن منتظرا، بل موجودا في بني إسرائيل، مسحه صمويل مرتين: أولاها قائدا، وثانيتهما ملكا، ومع ذلك كان عاصيا لله، غير موفق في سياسته ولا في حروبه، وكان شخصا مهترة الأعصاب، وكان لا بد من علاجه. وبعد أن عجز عن شفائه نُطس الأطباء، دعوا إليه من صحراء النقب راعيا من سبط يهوذا يدبج التسايح لله ويلحنها وينشد لها على الرباب أو الناي أو القيثارة أو غيرها من الآلات الموسيقية. وكان يشفي المصروعين وغيرهم من المصابين بأمراض



# الصهيونية والمسيح المنتظر!

صلته بالتعاليم الصهيونية الحديثة. ثم علينا أن نضع نصب أعيننا أن كل (مسيح منتظر) الآن يدعى آخر ملك شرعي لليهود، وهذا واحد من الأسباب التي منعت الدولة الصهيونية من إقامة نظام ملكي فيها، كما أحجمت عن تسميتها (جمهورية) لأن أصل هذه التسمية من النظم الديمقراطية اليونانية، طبقاً لأوصاف التي رسمها أفلاطون، ولو صدقها اليهود لقبولوا حكم الأغلبية، وكانت الأغلبية من العرب والمسلمين إذ ذاك.

ومن الشعر الديني المبكر جداً عندهم مراثية النبي إرميا لمدينة أورشليم بعد أن دمرها بختنصر الكلداني القسام من بابل، وساق اليهود من فلسطين إلى أرض المنفى في مملكته بابل، وقبض على آخر ملوكهم وأخذهم سجيناً تمهيداً لقتله، بعد أن قتل كل الأمراء من أولاده أمام عينيهِ ثم سلمهما حتى لا يرى بعد قتل أبنائه منظراً آخر. يقول إرميا المعاصر لهذه الحوادث: كان مطاردونا أسرع من نسق السماء، هبوا في أعقابنا على الجبال، وكمثوا لنا في الصحراء. روح شفاها (مسيح الرب) قد أخذ في حفرهم، الذي قلنا إننا في ظله نحيا بين الأمم (سفر مراثي إرميا ١٩: ٢٠). أما النبي دانيال، الذي كان منفياً في بلاد فارس، ويعمل عبداً في قصر امبراطور إيران «أرطاكسركيس»، يخدمه هو وضيوفه على المائدة، فيروى أنه كان يصلي ويدعو فجاءه جبريل، ولم تكن تلك المرة الأولى، «وبين وتكلم معي وقال: يادانيال إنني ظهرت الآن لأعلمك حتى تفهم، عند بداية تضمراتك خرجت الكلمة وأتيت أنا لأخبرك لأنك رجل مقرب فتأمل الكلمة، وافهم الرؤيا. إن سبعين أسبوعاً حُدَّتْ على شعبك، وعلى مدينة قدسك نحو المعصية، وإزالة الخطيئة، وتكفير الإثم، والإيتاء بالبر الأبدي، واختتام الرؤيا والنبوءة (ومسح قدوس القدسين)! فاعلم وافهم: إنه من صدور الأمر بإعادة بناء أورشليم، إلى (المسيح الرئيس) سبعة أسابيع واثنان وستون أسبوعاً» (دانيال ٩: ٢٢-٢٥). ومازال الدجالون في اليهود والنصارى يحسبون إلى الآن!!

دأءً دفيناً عند اليهود، وركنا من أركان العقيدة، باستثناء اليهود الصدوقيين القدماء، الذين كانوا لا يؤمنون بالمسيح المخلص المنتظر، لأنهم لم يكونوا يعتمدون إلا على ظاهر ما وصلهم من التوراة، وهو لا يتضمن أية إشارة إلى القيامة واليوم الآخر والحساب والعقاب، ومن ثم (المسيح المنتظر) الذي يأتي مع اقتراب قيام الساعة، حتى ينتصر مع مجيئه الخير على الشر، وتنهياً للبشر آخر فرصة للاستعداد للحساب. وفي العصر الحديث يرى (اليهود الإصلاحيون) أن المسيح المنتظر يتمثل في وعي الأمة بأحوالها، وحرية تقدير الموقف، بعيداً من تهويمات التلمود. وعند اليهود القرائين تبقى عقيدة (المسيح المنتظر) لكن مخففة جداً، نظراً لأن القرائين لا يستمدون شريعتهم ولا عقيدتهم من التلمود، فضلاً عن كتابات المشهوسين من الصوفية العاكفين على التلمود وماتلاه من كتب التصوف. وهي تمثل عالماً خاصاً حافلاً بجوهرات انتظار المسيح المخلص، مما يجعل إيضاح كل تلك الجوانب واجباً على من يتعرض لهذا البحث، خصوصاً منا نحن العرب من مسلمين ومسيحيين. والمسيحيون في أمن وعافية لأنه بُعث إليهم فأمثوا به، وينتظرون عودته من السماء في آخر الزمان «فيملأ الأرض عدلاً بعد أن ملئت جوراً» ويتفق معهم المسلمون في ذلك.

## ظاهرة سياسية في خدمة الصهيونية!

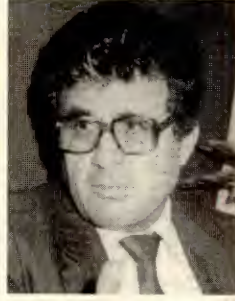
وإلى الآن لم نَسْ المسيح المنتظر في التلمود، ولا المسحاء الكذابين الذين أصبحوا مرضاً وبائياً مزمناً عند اليهود، ثم امتد منهم إلى المسيحيين أيضاً في زماننا هذا. وليس أولئك جميعاً بالخجائن أو الموسوسين أو الخائفين من المجهول؛ بل فيهم من يخدمون السياسة الصهيونية - خصوصاً المتطرفة الوحشية منها - ومنهم من يتجرون بهذه الخرافة، وهي عملية تجارية مربحة، ولا سيما لكونها تجارة بلا رأسمال، ومنهم من يعيش الجميلات من النساء، وكثيرات منهن أسرع من الرجال إيماناً بالخرافات، لأن أوضاعهن في الحياة والمجتمع مازال محاطة بأسوار من التضيق والقسوة ونقص العدالة. وهذه كلها بيغيات مناسبة، تنمو فيها كل ملوثات العقل البشري وترعرع، وأرجو أن شاء الله أن أتمكن - في مقالات مقبلة - من إعطاء فكرة، ولو موجزة، عن (المسيح المنتظر) في التلمود، واستثمار الأدب الصهيوني الحديث لهذا التراث الديني، وتوثيق

(العُصاب) بأذكاره وأناشيده ومزاميره، وكان اسمه داود بن يسى من سبط يهوذا. ونجح داود في إزالة أسباب الشكوى من شأؤول، وكان يصحبه في حروبه وغزواته، فيدير المعركة بذكاء ابن البادية المتمرس بفنون القتال، فاشتهر في الشعب جداً، وعدوه فارساً مغواراً، وفناناً موسيقياً مطرباً، وشاعراً مجيداً، وطبيباً حاذقاً، حتى غطت شهرته على شأؤول الملك، فغار منه وحقد عليه وأساء معاملته وفكر في قتله لولا أن يثير ذلك غضب الشعب، خصوصاً بعد أن أدار المعركة ضد الفارس الفلسطيني الأسطوري جالوت وقتله. وحن أوان موقعة جديدة فرفض أن يصطحب إليها داود، وذهب وحده، فانهزم جيشه هزيمة منكرة، وعادته في ميدان القتال أزمة صرع وانتهار عصبي فانتحر، وكان صمويل قد (مسح) داود ملكاً لإسرائيل قبل أن يموت، وقام بهذا العمل سرا؛ إذ كان شأؤول ما يزال حياً، وعلى خلاف خطير مع داود.

فيكون داود هو (الملك المسيح) غير المنتظر؛ بل الجالس على العرش بكل العظمة والجلال والبهاء وبكل الأخطاء التي يمكن أن تغري الملوك في ذلك الزمان، وقد ذكروا عنه انحرافات كعادتهم في الكذب على أنبيائهم، وهو الذي وطد دعائم مملكة - هو وابنه سليمان - عاشت بعدهما بين رفع وخفض، وجور وعدل، وانتصار واندحار قرابة خمسة قرون من الزمان. وكما ذكرنا في البداية، فإن (مسيحهم المنتظر) من مخترعات خيالهم الشعبي أمام الكوارث والخن وأخطار الزوال. فالإنسان الذي تحيط به المشاكل، ويخيفه المجهول، فيتحرك في قلبه هاجس أن الأزمان والأقدار كلها تقف ضده، يقع دائماً فريسة سهلة للغيبيات: النجمين والسحرة والعرافين وحافري العزائم والطلاسم، وقد يهرب إلى السكر والعريضة - وكان هذا فاشياً في الملوك اليهود الضعفاء من سلالة داود - أما على مستوى الأمة فإن الشعوب التي عضها سلاح الحرب الضروس، أو عاشت في العبودية والذل؛ فإن الحلم الذي يراودها هو مجيء شخص منهم تتحقق على يده المعجزة المنشودة، وهي (الخلاص) من الخطر المحدق بالأمة، وإقرار (الأمن) في ربوع البلاد، وتعقب الذين أجزموا في حق الأمة للثأر، لها والانتقام من مسببي ما كان من ضعف وفساد وانتهيار. هذا البطل الذي يداعب خيال الأمم الذليلة المطحونة صار



# المصلحة والله جلّ جلاله



محمد العربي الخطابي

فساد الوسيلة وحدها أو فساد الوسيلة والغاية معاً، والحال أن المصلحة تقتضي سدّ ذرائع الفساد لتحصيل النفع العام بأفضل وسيلة وأصحّ سعي.

إن جمهرة الدارسين عندنا قد استراحوا إلى ترجمة اللفظ اللاتيني (Interest) بالكلمة العربية «مصلحة» رغم الاختلاف الظاهر بين الكلمتين؛ سواء من جهة الأصل الاشتقاقي أو من حيث المعنى الاصطلاحي الخاص الذي تؤدّيه كل كلمة، هذا مع العلم بأن اللفظ العربي «مصلحة» له توجه خاص عند علماء أصول الفقه في الإسلام، فهو مصطلح مختص بقاعدة فقهية أصولية عند من يقول بها من أصحاب المذاهب. وربما كان أقرب إلى الصواب أن تُترجم كلمة (Interest) بلفظ «فائدة»، فهو يبدو أصق بالمعنى المراد عندهم في غالب الأحوال؛ فالفائدة تحفّضها الريّة أحياناً، وقد تحمل على الصلاح والفساد؛ وأما «المصلحة» فإنها تحمل على الصّلاح وحده مع ما يتضمنه من معاني الاستقامة في تحصيل المنفعة المباحة.

نعم، إن من حق المرء أن يلتبس مصليته ومصلحة ذويه فيما يعقده من نوايا أو يُقدم عليه من عمل، فهذا سلوك لا يؤاخذ عليه صاحبه ما دام ملتزماً بقانون الأخلاق القويمة التي تردع صاحبها وتصدّه عن الإضرار بمصالح الغير، وتدعوه عند الاقتضاء إلى إثارة النفع العام على المكاسب الفردية، فإذا لم تتوافر هذه الشروط اختل مفهوم المصلحة وتحول إلى مطمع أناني لا يردعه وازع.

## توافق المصالح وتعارضها

إن المصلحة المطلقة لكل فرد من الناس لا تتوافق بالضرورة مع مصلحة فرد آخر، وكل تجاوز للحدّ المعقول في هذه المسألة يفضي حتماً إلى التجاذب والتنازع، ولتفادي ذلك يقضي العقل بتقديم المصلحة العامة على منفعة الفرد شريطة مراعاة الحقّ والعدل والنصفية في الترجيح وإصدار الأحكام، انطلاقاً من القاعدة الحكيمة التي تُقرر أن «لا ضرر ولا ضرار» (٢)؛ وكل سياسة صالحة إنما تكون كذلك بقدر مراعاتها العادلة للمصالح الحقيقية التي من شأنها أن تُؤدي إلى انتظام أحوال المجتمع مع

إنه أت، ولا شك، من سريان سنن التطور الحتمية على اللغة، كما تسري على العادات والأخلاق ومفاهيم الحضارة مع ما يحدث باستمرار من تأثير الشعوب بعضها في بعض من جراء الاحتكاك والتجاور والخالطة وغلبة الأقوى وإذعان الأضعف.

وقد يكون من المفيد مطالعة النظر في اللفظ الذي يقارب كلمة «المصلحة» في اللغات الأوربية، فسنجد أن اللفظ الانجليزي (Interest) والإسباني (Interes) والفرنسي (Interet) تنحدر كلها من الأصل اللاتيني (Interest)، أي أنها من أرومة واحدة؛ وأما المعنى الأصلي للكلمة اللاتينية فهو «ما يهيم» ثم اتسع المدلول بمرور الأحقاب، وتعددت معاني الكلمة وصارت من الأسماء المشتركة، لفظها واحد ودلالاتها مختلفة. وإليك بعض معانيها مأخوذة بإيجاز من قواميس تلك اللغات: الأهمية، الاهتمام، المنفعة، المزية، الغنم، الفائدة (البنيكية وغيرها)، وبالجملة كل ما يتوخاه إنسان من سعي لجلب نفع معنوي أو مادي يرى فيه فائدة له أو تعويضاً وضماناً عن ضرر لحق به، بغض النظر عن توافق هذه الفائدة أو تعارضها مع الفضائل الخلقية المتعارف عليها.

وحينما يكون هذا الضرب من السلوك مرتبطاً بتدبير شؤون الدولة فإن بعض الناس يضيف عليه لباساً من «الواقعية» أو الذرائعية «البراجماتية» أو ما شابه ذلك من مصطلحات ومفاهيم تحوم كلها حول العبارة المشهورة «الغاية تبرّر الوسيلة»، وهو قول ينطوي في حقيقته على مغالطة مزدوجة؛ إذ قد يفهم منه

## معنى المصلحة

ورد في كلام السلف أن «الصّلاح هو استقامة الحال على ما يدعو إليه العقل والشرع» (١)، والمصلحة مفعلة من «صَلَحَ» بمعنى استقام أمره وانتهى عنه الفساد؛ فكل ما نفع الناس وجلب لهم خيراً معنوياً أو مادياً من طرق مباحة شرعاً وعقلاً وعرفاً فهو «مصلحة»، وما كان مخالفاً لذلك مما يعود بالضرر على الفرد أو الجماعة فهو «مفسدة».

ولما كانت المفسدة أعم بلوى وأبلغ أثراً في زعزعة بنية المجتمعات الإنسانية إن هي تركت على حالها من غير تدارك بالتقويم، فإن علماء أصول الفقه جعلوا درءاً مقدماً على جلب المصالح؛ ومن هذا القبيل أيضاً سدّ ذرائع الفساد التي قد يتسبّب انفتاحها في تغييب المصلحة العامة وهدم أركانها.

فإذا كان هذا هو المعنى الأصلي للفظ «المصلحة» في لسان العرب واصطلاحهم، فإن هذه الكلمة قد داخلها بمرور الزمن وتقلبات الأحوال الاجتماعية والاقتصادية والسياسية تغيير ما في الدلالة والاستعمال الجاري. والمثال على ذلك أنه حينما يُقال اليوم «إن فلاناً صاحب مصلحة» أو إن قوماً لا يعينهم سوى «مصالحهم» التي يسعون إليها بشتى الوسائل، أو إن «مصلحة» الدولة توضع فوق كل اعتبار آخر، فإن أول ما يتبادر إلى ذهنك هو أن هذه العبارات تجري مجرى الدم والانتهاك والإدانة، وأن لفظ «المصلحة» هنا إنما يراد به الوصول إلى الغرض المنشود بأية وسيلة، حتى ولو كانت غير مباحة؛ بل هي مذمومة شرعاً وخلقا وطبعاً، فمن أين هذا التجاوز يا ترى؟



إتاحة الفرصة لكل فرد كي ينال حقه في دائرة العدل والمساواة والإنصاف، ومن أجل ذلك جاءت الشرائع وسنت القوانين واستقرت أنظمة السلوك القويم في المجتمعات الإنسانية.

وإذا كان الأمر كذلك بخصوص التدبير السياسي الداخلي الذي يملئ على المسؤولين من الحكام في كل دولة تصرفات معينة تجاه المواطنين على أساس الموازنة بين النفع العام ومصالح الأفراد المشروعة؛ فإن المسألة تختلف بالقياس إلى السياسة الخارجية للدول من حيث تنكسي عبارة «مصلحة الدولة» مدلولاً يتسع أو يضيق بحسب قوة الشوكة أو ضعفها، وتبعاً للتفسير الذي تعطيه الدول -أو القابضين على زمام الحكم فيها- للعوامل الجغرافية والتاريخية والثقافية والأمنية التي تحكم وجود الشعوب، وتبلور مطامحها وأهدافها، وتلمي عليها تصرفاتها في علاقاتها الخارجية بغض النظر عن تطابق هذه التصرفات مع قوانين الأخلاق الحميدة أو تعارضها معها. ولهذا كانت روابط الدول بعضها ببعض أشد تعقيداً وأعصى على الفهم من نظام الروابط المصلحية التي تحكم الأفراد والجماعات داخل حدود كل شعب وأمة.

وإذا كان من المسلم به -مبدئياً- أن لكل دولة الحق الثابت في رسم سياستها الخارجية انطلاقاً من حرصها على حفظ مصالح حيوية تراها ضرورية لتأمين سلامتها ونموها بصورة تكسبها القدرة على الصمود أمام المنافسات والأطماع الخارجية من كل صنف، فإن الحفاظ على التوازن الدولي يقضي بأن تكون هذه «المصالح الحيوية» مقبولة من جهة الأخلاق، ومعترفاً بها من قبل المجتمع الدولي؛ بحيث لا يؤدي الإصرار على تحصيلها إلى إلحاق الضرر بمصالح الشعوب الأخرى. وعكس هذا الاتجاه هو الذي يقضي -عادة- إلى الاختلاف والتنازع المُنذرين بالآزمات والحروب.

### المبادئ والأفعال

إن «المصالح الحيوية» للدول ينبغي أن تنطلق من مبادئ خلقية وسياسية معينة يحددها العرف العام، ويقرها القانون الدولي الموضوع لضبط تلك المصالح ورعايتها بقدر المستطاع. وأما المبادئ فيمكن حصرها في ثلاثة:

أولاً: الاعتراف بحق كل دولة في العمل على حفظ سيادتها واستقلالها وسلامة أراضيها ضمن حدود معترف بها دولياً.

ثانياً: الإقرار بحق كل دولة في تصريف شؤونها الداخلية والخارجية بنفسها وإقامة علاقات سوية وسلمية مع الدول الأخرى بما يوافق مطامحها المشروعة في النمو والتقدم والازدهار من غير تدخل أجنبي أو ضغط خارجي.

ثالثاً: احترام حق كل دولة في الاستفادة -سلمياً- من مزايا التعاون الذي ترعاه المنظمات العالمية والإقليمية وتسهر على تنظيمه وتطبيقه جهد المستطاع.

ولكن الأمر لا يبدو بهذه البساطة، فإن المتتبع لسير العلاقات الدولية وتطوراتها سرعان ما يتبين له أن ما تسميه بعض الدول «مصالح حيوية» لها يتقسم بكثير من تجاوز الحدود الأخلاقية التي يطلب الوقوف عندها لقيام علاقات سوية بين الأمم على قاعدة العدل والرغبة في الوفاق والتفاهم وتبادل المنافع. وهذا التجاوز للحدود الخلقية يفضي في الغالب إلى انبثاق دعاوى مريبة يزخر بها قاموس العلاقات الدولية كالأمبريالية، والاستعمار، والوصاية، والهيمنة الفكرية (الأيدولوجية) والثقافية والحضارية، والتطهير العرقي على نمط ما يصنعه الصرب في عدوانهم على دولة البوسنة والهرسك. وهذه الدعاوى التي عدّنا جملةً منها يؤدي التمسك بها إلى ممارسة العدوان وانتهاك حقوق الآخرين المشروعة، واستهانة بالكرامة الإنسانية، وإخلال بالأمن والاستقرار الدوليين. والغريب في الأمر أن مثل هذه الممارسات تستند إلى مسوغات باطلة، وعلل وهمية في الغالب، جغرافية وتاريخية وثقافية واقتصادية واستراتيجية يتمسك بها بعض قادة الدول من الذين لا يجدون أي حرج في تجاوز الحدود الخلقية المقبولة في علاقات الأمم بعضها ببعض. والحقيقة أن قوة الشوكة غالباً ما تكون هي المسوغ الحقيقي لسلوك هذا النهج العدواني الذي لا يجزئ أصحابه في كل الأحوال والظروف، لأن موازين القوى يطرأ عليها التغيير، والشعوب مهما كانت ضعيفة

ومتخاذلة لا تتحمل الجور إلى ما لا نهاية، بل إن من طبيعتها أن تنتفض وتثور وتقاوم إذا انتهكت حرمتها باستمرار، والتاريخ يشهد بذلك.

### كيف التوفيق بين الأخلاق والمصالح

إلى هنا يحق لنا أن نسأل: كيف السبيل إلى التوفيق بين المصالح الحيوية للدول وقانون السلوك الخلقى المتعارف عليه في علاقات الأمم بعضها ببعض؟

إننا، بالتأكيد، لن نجد الجواب الشافي عن هذا السؤال في واقع الأفعال التي تتمسك بممارستها بعض الدول وترى فيها -حقاً أو باطلاً- التعبير الأمثل عن مطامحها وأهدافها القومية، ولذلك سيكون علينا أن نبقي في نطاق البحث النظري لتوضيح هذه المسألة بقدر الإمكان.

إن تحقيق العدل كان وما يزال من الأهداف الإنسانية النبيلة التي يجري ذكرها على ألسنة الحكماء ويتعقد عليها وجدان ذوي النوايا الطيبة من بني البشر، حكماً ومحكومين، إلا أن التغني بالعدل وتمجيده ونشده لا يعني دائماً أنه موجودٌ وسائد، بل هو من أكثر القيم الإنسانية غياباً وأقلها رواجاً، وذلك أن موازين العدل كثيراً ما تختل على يد أناس يملكون زمام الحل والعقد؛ فيسيئون التصرف فيها ويكيفون مفاهيم العدل وفقاً لمصالحهم الضيقة، وربما أسرفوا في ذلك اغتراراً بما يملكونه من جاه أو مال أو قوة وعصبية، أو غير ذلك من العوامل التي تسهل لهم وسائل اتخاذ القرار والسهر على تنفيذه من غير مراعاة لمبدأ العدل.

والشعوب -كما نعلم- إنما تتألف من أفراد تجمعهم خصائص مشتركة من نسب أو لغة أو عقيدة دينية أو كل ذلك مجتمعا، فإذا انضاف إلى هذا تقارب المصالح وحصول الحد الأدنى من الاتفاق على ما هو ضروري وحيوي منها لبقاء الجماعة وتماسك أطرافها؛ كـرغبة الجميع في السعي الآمن إلى تحصيل المعاش، ورعاية الأسرة، وتربية الأولاد، والمشاركة في ضمان الاستقرار والرفاهية العامة، نشأت من ذلك مصالح مشتركة، حقيقية أو وهمية، تدفع الجماعة إلى التضامن من أجل رعايتها



وتحسينها والذب عنها حتى ولو كان الثمن تنازل الأفراد عن بعض مصالحهم الخاصة طوعاً أو اضطراراً.

ولما كان الإنسان هلوفاً بطبيعته، فإنه يكتسب بمرور الزمن وتقلبات الحوادث نوعاً من الروح العدوانية تجعله دائم الارتياب والحذر تجاه الآخرين خوفاً من امتداد الأذى إليه بالعدوان. والشعوب - التي هي مجموعة من الأفراد تربطهم مصالح مشتركة - تولي أكبر الاهتمام لحماية حوزتها من أي عدوان خارجي محتمل؛ وهذه الحماية، التي هي غريزية في البشر، قد تقتصر على مداومة البقطة وترصد حركات عدو مفترض واتخاذ العدة لمواجهة أي هجوم خارجي مباغت؛ وقد تذهب الأمور إلى أبعد من ذلك حينما يدفع الإسراف في الحذر أصحابه إلى المبادأة بالعدوان، ولا سيما في حالة الشعور بالقوة التي تولد الطغيان عند غياب الحكمة والرؤية.

ومن الواضح أن التفاف مجموعات الأفراد حول مبادئ معلومة وأهداف مرسومة يحفز الجمهور إلى التضامن من أجل حفظ «مصالح» الجماعة واستمرار وجودها، وهو ما يؤدي في نهاية الأمر إلى نشوء الدول بعد توافر سائر شروطها التي تشمل خاصة في تعيين حدود الحوزة وتنصيب مؤسسات الحكم والتسيير العام، واستقرار المواصفات والأعراف، وسن القوانين الزاجرة وما إلى ذلك.

والدولة، بمفهومها العام، قد تتألف من شعب واحد يشترك أفراداً في خصائص عرقية ولغوية وثقافية تلتحم بها الروابط وتتحدد الأهداف - وهذا هو شأن الدول الصغرى على وجه العموم - وقد تتشكل الدولة من عناصر عرقية وثقافية متباينة تضطر معها الفئات المتنافرة إلى التعايش والتساكن بعد تغلب الأقوى على الأضعف من جراء المداهمات والغزوات التي يزرعها تاريخ البشر؛ وفي هذا السياق يندرج مصطلح الأقليات العرقية والدينية واللغوية.

وكما أن الأفراد حينما تقوى شوكتهم وينبسط نفوذهم، تتسع مع ذلك مطامحهم وتتعدّد مصالحهم وتقوى حاجتهم إلى حماية ما حصلوه من منافع، مباحة أو غير مباحة، فإن الجماعات البشرية إنما تُجسّم في الواقع مطامح الأفراد الأقوياء من أصحاب الجاه العريض

والنفوذ المبسوط والحيلة الواسعة، الذين يعمدون إلى بسط نفوذهم على عامّة الخلق باسم «المصلحة العامة»، وبذلك يتمكنون من المشاركة في تصريف الشؤون الداخلية والخارجية وفق هواهم متوسلين بشعارات ودعاوى يرومون منها إثارة حماسة المواطنين وحملهم على الاقتناع بأن السياسة التي يرسمونها إنما يراد بها النفع العام، وغرضهم في الغالب حمل الناس على التنازل عن عدد من مصالحهم المعاشية، وبذلك يصل أفراد معدودون إلى تحقيق أغراضهم وتحسين نفوذهم، إن لم يكن بالإقناع فبالقهر والغلبة.

وبالإضافة إلى ذلك يلاحظ أن ذاكرة الشعوب تخزن معلومات موروثة وذكريات تاريخية وثقافية ما تفك تغذي آمال الجماعة وتوجه مطامحها وتوحد أهدافها وترسخ اقتناعاتها القومية والإنسانية، حتى إذا ما أحسّت بخطر خارجي يوشك أن يدهمها استيقظت ذاكرتها وأتقدت حميتها، ونهضت للدفاع عما تعتقد أنها مصالح ومكتسبات لا يحق لها التفريط فيها، وعندئذ يجد ذوو الجاه والنفوذ الفرصة مواتية لمخاطبة حمية الجماعة وإلهاب حماسها ودغدغة مشاعرها بوعود قلما يقع الوفاء بها، ولا سيما حينما تكون الرغبة في العدل والمناصفة مفقودة؛ وهنا تقع القطيعة بين مفهوم المصلحة ومنهج القيم الخلقية التي يتصدهرها العدل واحترام كرامة الإنسان.

إن «المصلحة» في أعمّ تعريفاتها هي ما صلح به حال الجمهور واستقامت أحوال الأفراد والجماعة في شؤون المعاش والسعي للاستفادة المتوازنة من الخيرات المعنوية والمادية على أساس المساواة في الأخذ والإعطاء. وأما المفسدة فهي - على العكس - كل ما يؤدي إلى اختلال التوازن الاجتماعي المنذر بالظلم والعدوان والاستهانة بالكرامة التي خصّ الله بها بني الإنسان.

### أنواع المصالح

إن المصالح الحيوية لكل أمة تتعدّد صفاتها وتتشابه مع ذلك مقاصدها إذا روعي في التماسها سلطان العدل؛ ولا يخفى على البصير أن هذه المصالح ذات طبيعة معقدة ومتداخلة، لا سيما إذا نحن اعتبرناها من زوايا القيم

الخلقية؛ وسنحاول فيما يلي تصنيفها وبيان أوجهها المتعددة:

أولاً: المصالح السياسية: السياسة - بمعنى تدبير الشؤون العامة - هي قوام عمل الدولة وعلة وجودها وعنوان تصرفاتها في المجالين الداخلي والخارجي. ومن هنا فإن المصالح السياسية تنبثق من حاجة كل دولة إلى إقامة علاقات سوية وسلمية مع الدول الأخرى على أساس الاعتراف الدبلوماسي المتبادل، وما يترتب عليه من منافع تكفل لكل طرف حقه في السيادة والاستقلال داخل حدود معترف بها، ويتبع ذلك حق الانخراط الحر في المنظمات الدولية والإقليمية، والمشاركة في نشاطها من غير ضغط ولا إكراه ولا توجيه مفروض، ويقتضي ذلك أيضاً الاعتراف بحق كل دولة في إبرام المعاهدات الرامية إلى دعم الصداقة وتنشيط التعاون بين الدول على أساس تبادل المنافع بينها وفقاً لمقتضيات القانون والعرف الدوليين.

ثانياً: المصالح الاستراتيجية: وهي تترتب على المصالح السياسية، وقوامها الحرص على حماية الحوزة وتحسين الحدود وسد الثغور واتخاذ التدابير والوسائل الكفيلة بضمان الأمن القومي من غير تعد ولا تجاوز.

وقد يقتضي الأمر في هذا الصدد إبرام معاهدات دفاعية وإقامة أحلاف عسكرية مع دول تتفق مصالحها وتلتقي أهدافها، غير أن هذه الأحلاف كثيراً ما تكون سبباً في منازعات تغذيها مخاوف تاريخية واعتبارات جغرافية - سياسية، واختلافات في المذاهب الفكرية والاقتصادية والاجتماعية تثير الريبة والحذر وتولد التوتر في العلاقات بين الدول.

ثالثاً: المصالح الاقتصادية: هي العلة في وجود المصالح الأخرى، لأنها قوام حياة الأمم وطريق نموها ورفاهها، كما أنها علامة قوتها أو ضعفها.

والمصالح الاقتصادية يطبعها حرص الدولة على حسن استثمار مواردها البشرية والطبيعية، وتنظيم التبادل الحر مع الدول الأخرى في ميادين الاستثمار والتجارة والصناعة والزراعة والنقد والمواصلات والخدمات الأساسية، مع ما ينجم عن ذلك من رغبة في توسيع دائرة الأسواق الخارجية لفائدة التصدير والتوريد



الأمل في بناء عالم أفضل يسوده الأمن والأمان. والواقع أن مخاوف المجتمع الدولي تزداد حدة وظهوراً من جراء الاستمرار في إفساد البيئة الطبيعية، وإصرار جماعات من منعدمي الضمير على زراعة الأعشاب الخبيثة وتحويل نتائجها إلى سموم تقتل بملايين المدمنين على المخدرات، هذا بالإضافة إلى تمسك دول بتطوير أسلحة الدمار وصنعها وإعدادها للانطلاق، مع ما في ذلك من إثارة الرعب والقلق في قلوب الجيران الأقربين والأبعدين، وتهديد الأمن والسلامة في مناطق شاسعة من كرة الأرض التي بدأت تضيق بسكانها رغم رحابتها وضخامة مواردها.

وما من دولة تقدم على ممارسة نوع من الأعمال المثيرة للقلق والارتباب؛ إلا ونراها تنتحل أعداراً تدرجها في سلك «المصالح الحيوية» المطلوب رعايتها، وهي في العرف الخلقي محض مفسد لا صلاح وراءها من حيث إنها تفتقد الوازع الذي من شأنه أن يصد أصحابه عن تجاوز الحدود الخلقية فيما يراود رعايته من مصالح.

#### خاتمة

إن الله قد استخلف الناس في الأرض ليعمروها بالقسط، وليتصرفوا فيما سخره الله لهم بالإحسان والعدل وحسن القصد وصحة التمييز والتعاون على البر؛ وثمرة ذلك كله هو معنى المصلحة شرعاً وعقلاً. وقد أوصى الله تعالى عباده بالالتزام المعروف في أمور العبادات والمعاملات والأخلاق، فقال سبحانه: ﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فَسَيُفْسِدَ اللَّهُ الْأَرْضَ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص: ٧٧). ولذلك فإن قوام كل «مصلحة»، دينية كانت أم دنيوية، هو: الإيمان والاستقامة، وهما كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

#### الهوامش:

- ١- انظر: التهانوي، كشف مصطلحات الفنون (طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب)، ٤٠/ ٢١٧.
- ٢- حديث شريف، رواه الإمام مالك في الموطأ عن عمرو بن يحيى عن أبيه، ورواه ابن ماجه والدارقطني مستنداً عن أبي سعيد الخدري.
- ٣- Peman, Jose' Maria شاعر وكاتب مسرحي إسباني معاصر، غزير الإنتاج.

فضاء الدنيا، وهي بذلك تُشيع الحسن والقيح وتقبض على زمام التوجيه والإحياء والتأثير من غير أن يقدر المستضعفون على صد تيارها الجارف؛ وبذلك انقلب مفهوم المصالح الثقافية عند بعض الدول المنتجة لوسائل الإعلام ومواده إلى مفسد مكشوفة تغزو العقول البريئة، وتبعث بالقيم الخلقية من غير أن يعينها شيء سوى تضخيم مداخلها ومضاعفة أرباحها المادية، مستفيدة من استسلام الجماهير وشدة إقبالها على متابعة ما يُقدم لها من سقط المتاع، فينتشر من جراء ذلك الفساد الخلقي وما يرافقه من إباحية وزيف وعنف، وما يحدثه من ردود فعل متطرفة نراها كل يوم تعصف بأغصان الأمن والاستقرار والطمأنينة في غير ما جهة من العالم. خامساً: المصالح المستحدثة: استعزنا هذه العبارة من رواية للكاتب الأسباني المعاصر «خوسي ماريا بيما» (٣) بالرغم من اختلاف مقصدنا عن موضوع مسرحيته.

إن هذا الضرب من المصالح المستحدثة هو من قبيل القول الشائع: «تحدث للناس أفضية بقدر ما أحدثوا من فجور»؛ فهذه المصالح تنشأ جملةً من تعاطف كثير من أوجه النشاط الذي يمارسه الناس في هذا العصر، ويُحدث أثره المتزايد في العلاقات بين الأمم، كالحاجة إلى مكافحة التلوث والحفاظ على سلامة البيئة الطبيعية وإنقاذها من التدمير؛ ومن هذه المصالح المستحدثة أيضاً تزايد الحاجة إلى تعاون الدول من أجل التخفيف من ضراوة انتشار المخدرات وتفاشٍ تهريبها والاتجار بها - أحياناً بتواطؤ الحكام -. ومن هذا الباب أيضاً ما ينشأ من مشاكل وأفضية عن غزو الفضاء وانتشار الاستعمالات النووية والكيميائية والجراثومية. ومن هذا القبيل أيضاً الطابع الدولي المتشعب الذي تتسم به المماريات الرياضية التي تحظى بتنظيم دولي، ويتسع الاهتمام بها بين الجماهير العريضة في جميع أنحاء العالم مع ما يرافق ذلك من إثارة وحماسة تزيدها وسائل الإعلام اشتعالاً.

إن هذه الأفضية التي ذكرناها في باب المصالح المستحدثة تُحدث في هذا العصر عميق الأثر في العلاقات بين الدول وتستلزم تعاوناً وطيداً ومستمرّاً بينها؛ ولكن الممارسات المنحرفة التي نشاهدها ونسمع عنها تُضعف

وضبط الأسعار وتوفير أدوات التعامل المالي وما يرتبط به من قروض وتعريفات جمركية وتأمين، وما إلى ذلك من التدابير التي يقتضيها تعبير سبل المبادلات والمعاملات على قاعدة التكافؤ والعدل وحق كل دولة في نشدان التنمية الملزمة لمواردها وإمكاناتها.

ولما كان من حق الدول، صغيرها وكبيرها، أن تتعهد بالرعاية مصالحها الاقتصادية وأن تسعى إلى توسيعها، فإن واجب التفاهم العالمي قد اقتضى قيام هيئات دولية وإقليمية متخصصة هدفها الظاهر تنظيم المعاملات وتبادل المنافع الاقتصادية، فضلاً عن المعاهدات التي تبرم في هذا الشأن بين الأمم ويفترض فيها الالتزام بالعدل والمساواة من أجل الحفاظ على مصالح كل طرف، وهذا ما لا يحدث دائماً؛ إذ المعتاد في العلاقات الدولية أن يستبد القوي بالضعيف، وأن يحتال عليه بشتى وسائل الاحتيال، ويريه المصلحة فيما لا مصلحة فيه للطرف المستضعف ليضمن القوي لنفسه أكبر نصيب من المنافع والمكاسب.

رابعاً: المصالح الثقافية والعلمية وما في معناها: تنشأ هذه المصالح من اهتمام الأمم بالحفاظ على مقوماتها الفكرية وتراثها الاعتقادي والمعرفي حرصاً منها على بلورة مطامحها وبلوغ أهدافها في ميادين العلوم والآداب والفنون وفقاً لمعتقداتها ومقوماتها الذاتية التي من شأنها أن تكسيها إشعاعاً متميزاً بين الأمم، هذا فضلاً عن تطلع الشعوب إلى الاستفادة من الخيرات التي يُتيحها تقدم العلوم والتقنيات مع إمكان المشاركة الإيجابية في حركة التقدم من غير إضرار أو مساس بقيمتها الخلقية وخصائصها الفكرية والروحية التي تمثلها اللغة والعقيدة الدينية وأنماط الحضارة والعمران والفنون؛ التي تُضفي على المجتمع الإنساني ألواناً من التنوع الخلّاق والتميز الإيجابي. والعناصر التي ذكرنا جملةً منها هي التي تدفع الأمم إلى الإبداع وتجويد الإنتاج المعرفي، وتنشيط رغبتها في الإشعاع خارج حدودها لتثبت مكانتها بين الدول؛ إلا أنه قلما يتاح ذلك للشعوب المستضعفة في هذا الزمان الذي نحن فيه، وهو زمانٌ صارت فيه الغلبة والتحكّم لسلطة الإعلام ووسائل الاتصال المتطورة التي تمكن أصحابها من الهيمنة على







# نادي الاستعماريين

التائب عبدالله

تأميم قناة السويس. ففي خلال اجتماع ترأسه (ماكينزي كينج) رئيس وزراء أستراليا لأعضاء نادي مالكي أسهم قناة السويس وفي مقدمتهم بريطانيا، أشار (ماكينزي كينج) عَرَضاً لما يفيد بوجود هيئة للدول التي لها مستعمرات.

## البداية.. من هنري الملاح!

ولم تمر إشارته دون أن يتنبه لها المحللون السياسيون، لكن الحديث عن نادي الاستعماريين - وهي الهيئة التي أشار إليها (ماكينزي) - لم يشع نظراً لما يحيط بالنادي من سرية بالغة، ولما في الإشارة ذاتها يومئذ من غموض. ولكي تكون الصورة أكثر وضوحاً لا مفر من التعرض لتاريخ الاستعمار الحديث منذ بدايته في الثلث الأول من القرن الخامس عشر الميلادي؛ إذ إن هذا الاستعمار البغيض نشأ مع بداية النهضة الأوروبية، فوق التسلسل التاريخي لاستعمار مُعْرِفون اليوم بشعوب العالمين الثالث والرابع، قام الأمير البرتغالي (هنري) الشهير بـ

التي تتعلق بسياسات النادي، في إطار من سياسة عامة يتفق عليها الأعضاء، وتكون ملزمة لكل عضو. ٥ - السعي إلى إقامة أحلاف تسائر سياسة النادي (تبين أن حلف الناتو بدأ بأعضاء صاروا من مؤسسي نادي الاستعماريين)

٦ - الوقوف في وجه أي مطلب يجاهر به سكان المستعمرات الحاضرة والسابقة إلى أن يوافق النادي على سياسة معينة تجاه تلك المطالب.

وقد التزم جميع الأعضاء منطوق هذه المبادئ، حتى إن أمريكا لم تصوت لصالح دولة الكويت - على الرغم مما لها من مصالح نفطية فيها - وذلك خلال عديد المرات التي عرض فيها أمر استقلال الكويت على الأمم المتحدة، ولم تؤيده إلا بعد أن وافقت بريطانيا وبقيّة أعضاء النادي على ذلك الاستقلال. كما التزم الجميع المحافظة على سرية وجود النادي وسرية قراراته، والمرة الوحيدة التي كاد أن ينكشف أمر النادي فيها للعالم حدثت أثناء أزمة

مؤسسو هذا النادي هم رؤساء حكومات كل من بريطانيا، البرتغال، أسبانيا، فرنسا، بلجيكا، هولندا، أمريكا، وأخيراً إيطاليا، وقد أقر أولئك الرؤساء مبادئ ستة عدوها دستورا، الالتزام به شرط للحصول على عضوية النادي. والمبادئ الستة هي: ١ - الإبقاء المطلق على سرية النادي وسرية قراراته وسياساته.

٢ - عدم قبول أية دولة في عضويته لم يسبق لها أن استعمرت شعباً غريباً عنها.

٣ - الاحتفاظ بالمستعمرات ومناطق النفوذ القائمة إلى أطول مدى ممكن لاستثمار ثرواتها والحصول على مافيا من مواد أولية بأثمان معقولة، واحتكار أسواقها لتصريف منتجات الدولة المستعمرة.

٤ - توحيد كلمة أعضاء النادي والالتزام بالتعاون بينهم على حماية مصالح أعضائه بالتضافر بينهم عند التصويت على قرارات المنظمات الدولية



(هنري الملاح) بإنشاء أول مركز تجاري على شاطئ أفريقيا الغربي في «فرصة» في ساحل مايعرف اليوم بجمهورية ساحل العاج. ويقول بعض المؤرخين إن أول مركز تجاري أوروبي أنشأه (هنري) على الساحل الأفريقي الغربي كان على ساحل سيراليون، وليس هناك ما يمنع من أن المركزين نشأ في الفترة الزمنية ذاتها، ولم تلبث تلك المراكز التجارية أن اتسعت وصارت مستعمرات كبيرة، بعد أن بدأ الأوروبيون في أعمال النخاسة التي عادت عليهم بأرباح كبيرة، وخاصة بعد أن شرعوا في تصدير الزنج ليباعوا إلى أصحاب المزارع من الأوروبيين في النصف الغربي من الكرة الأرضية، وبالذات في مايعرف اليوم بأمريكا الشمالية، علما بأن هنري الملاح هو أول من جلب رقيقاً أفريقياً سنة ١٤٤٠م إلى أوروبا، وكانو عشرة من الشباب الأشداء دهش سكان لشبونة لمنظرهم وهم يتلون في القيود ويصيحون بكلمات غريبة غير مفهومة.

وتلت إسبانيا البرتغال في احتلال أجزاء من غرب الشمال الأفريقي في بداية العقد الخامس من القرن الخامس عشر الميلادي، وذلك في أثناء محاولاتها إخراج العرب من الأندلس، وهاجمت الموانئ الأفريقية التي يأتي منها المدد العربي إلى القلة الباقية من ملوك الطوائف الذين لا يزالون متشبثين ببقية من أرض الأندلس. في النهاية عمدت إسبانيا إلى محاولة قطع المدد عن غرب الأندلس، باحتلال ثلاثة موانئ هي (سبته ومليلة وإفني) وكما قاموا باحتلال ميناء صغير على مقربة من طنجة قبل إن أول حملة استطلاعية لطارق بن زياد أبهرت منه، ولكن الإسبان لم يلبثوا أن هجروه لصعوبة دخول مراكبهم إلى ذلك الميناء عند هياج البحر، وقد أعادت إسبانيا مدينة إفني إلى الغرب منذ بضعة عقود. ومن أغرب المصادفات أن تطلع علينا جريدة الشرق الأوسط بخبر نشرته في الصفحة الرابعة من عددها رقم (٥٩٣١) الصادر يوم ٢٤ رمضان ١٤١٥هـ، وخلاصة الخبر أن البرلمان الإسباني أقر لائحة الحكم الذاتي لمدينتي سبته ومليلة، وبذلك سينشأ في المدينتين جهاز حكم محلي أغلب أعضائه من العرب.

### نشأة فكرة نادي الاستعماريين

عند رجحان كفة انتصار الحلفاء: بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية وروسيا ومن يساندها من دول وشعوب على دول المحور وهي ألمانيا وإيطاليا واليابان ومسانديها من حكومات وشعوب، ووصول جيوش الحلفاء إلى ضواحي برلين، عقد

زعماء الحكومات الحليفة مؤتمر بالظا في شباط/فبراير ١٩٤٥م حضره ونستون تشرشل عن بريطانيا وفرانكلين روزفلت عن الولايات المتحدة الأمريكية وجوزيف ستالين عن روسيا، واتفقوا - بوصفهم من حمل أعباء الحرب وتكاليفها حتى هزموا أعداءهم، وقدموا أكبر التضحيات البشرية والمادية - على تقاسم النفوذ على شعوب دول أوربا بخاصة، والشعوب الراحلة تحت نير الاستعمار الأوربي بعامه، وبهذا القرار مهدوا لقيام المعسكر الغربي بقيادة الولايات المتحدة، والمعسكر الشرقي بقيادة روسيا، وقد ظهر فيما بعد أن دول البلقان وبولندا كانت منطقة نفوذ روسيا، وبقية العالم منطقة نفوذ الولايات المتحدة وبريطانيا مع مراعاة مصالح فرنسا في مستعمراتها. ولم يخرج من البلقان سوى اليونان لإخفاق ثورة شيوعي اليونان ضد حكومتها. بينما بقيت الأقليات الإسلامية في كل من بولندا ورومانيا والمجر وبلغاريا محكومة بصرامة من قبل حكومات شيوعية لاتعترف بأي دين، محرومة حتى من أبسط الحقوق الدينية، كما بقيت الأقليات الإسلامية في يوغسلافيا وهي البوشناق، التي حُرف اسمها إلى بوسنا (ومواطنوها أول من أسلم من شعوب البلقان سنة ١٣٨٩م)، وكذلك ولاية كوسوفو بسكانها البالغين مليونين، و٩٥٪ منهم ألبانيو العرق إسلاميو العقيدة، وسنيو الفقه مثلهم مثل أبناء وطنهم الأم وإخوتهم البوشناق.

وتقاسمت الولايات المتحدة وحليفها بريطانيا الهيمنة والنفوذ في العالم غير الشيوعي في بقية العالم القديم.

وفي أثناء اجتماع الزعماء الثلاثة ببالظا لمس تشرشل نهم ستالين لالتهم أكبر مساحة من شرق أوربا ليصل إلى المياه الدافئة في البحر المتوسط، كما تبين له الرغبة الشديدة لدى ستالين في التوسع في الأراضي الإيرانية للوصول إلى الخليج العربي، وفي سرية بالغة طرح تشرشل فكرة إنشاء نادي الاستعماريين على رئيس الولايات المتحدة فرحب بها في حماسة مشترطاً أن لا يبرز اسم الولايات المتحدة بين أسماء أعضاء النادي المقترح، ورحبت فرنسا وبلجيكا وإسبانيا والبرتغال وهولندا وإيطاليا بالفكرة، وصادقت على مبادئ نادي الاستعماريين، وقام النادي في سرية كاملة يتبادل رؤساء حكومات الأعضاء رئاسة جلساته.

وما إن انتهت الحرب العالمية حتى أدت قرارات مؤتمر بالظا إلى انقسام العالم إلى معسكرين: معسكر شرقي وتهيمن على دوله وشعوبه روسيا، ومعسكر

غربي وتهيمن على سياسته ودوله وشعوبه الولايات المتحدة وبريطانيا. وبحدوث هذا الانقسام استمر ماعرف تاريخياً بـ «الحرب الباردة»، ابتدأها رئيس الولايات المتحدة «هاري ترومان» بإصداره قراراً تنفيذياً غداة إعلان انتهاء الحرب بإنهاء سريان قانون الإعارة والتأجير، الذي يسمح للحكومة الأمريكية بتقديم معونات وقروض مالية وأسلحة وتأجير سفن حربية وتجارية بأجور اسمية إلى حلفائها المحاربين إلى جانبها، وكانت روسيا أكبر المستفيدين من ذلك القانون.

### اشتداد الصراع بين الاستعماريين

واشتد الصراع بين المعسكرين، وحاولت بعض دول العالم الثالث النأي بنفسها عن ذلك الصراع بإنشاء جبهة عدم الانحياز، وعجزت الدول الاستعمارية عن الوقوف في وجه مطالب مواطني مستعمراتها. فاعترفت بريطانيا باستقلال الهند والباكستان، واعترفت هولندا باستقلال أندونيسيا، وحاولت فرنسا الاحتفاظ بمستعمراتها التي أعلن المارشال ديغول أنه لم يجيء إلى السلطة لتصفيتها، وعندما هزمت فرنسا في فيتنام ثم في الجزائر، اضطرت إلى الاعتراف باستقلالهما، ولم يطل انتظار مستعمراتها الأفريقية حتى استقلت واحدة بعد أخرى.

وعلى الرغم من مكابرة بريطانيا فإنها لم تلبث - بعد أن أنهكتها الاضطرابات في مستعمراتها مالياً وعسكرياً - أن تخلت للولايات المتحدة عن نفوذها في مناطق شرق قناة السويس، وعن مسؤولياتها حيالها بعد أن قبلت الولايات المتحدة القيام بأعباء حماية المصالح الغربية في تلك المناطق، ومساندة الدول المشتعلة على تلك المصالح عسكرياً ومالياً، وما إن وصلت مارجريت ثاتشر إلى رئاسة الوزارة البريطانية حتى سلمت للرئيس الأمريكي ريجان كل مابقى لبريطانيا من نفوذ في العالم العربي الممتد من جبال طوروس إلى سواحل المغرب وموريتانيا على المحيط الأطلنطي كما ورثته نفوذ بريطانيا في كامل أفريقيا وآسيا.

واستمرت إسبانيا مغامرات استعمار الشعوب فاستغلت رحلة المغامر الدعي «كريستوفورس كولومبس» الذي نسب باطلا الفضل في اكتشاف «الهند الغربية» لنفسه، ومات قبل أن يعرف أن الأرض التي وصل إليها ليست أرضاً هندية كما أعلن؛ بل هي النصف الغربي للكرة الأرضية الذي سبقه إليه «محمد يري» أمير البحر التركي، ووضع خريطة لبعض سواحلها الشمالية الشرقية أوضح فيها





## نادي الاستعماريين

الطريق الموصل إليها من إسبانيا، وطريق العودة وزمن الإبحار ذهابا وإيابا للاستفادة من الرياح الموسمية ذهابا والرياح الغربية الشمالية إيابا (وسنرسل إلى مجلة الفصيل - إن شاء الله - بحثا يوضح بطلان دعوى كولومبس، فخرية بيرى التي حصل كولومبس على نسخة منها لازالت محفوظة بمكتبة قصر «طوب قاي» باستانبول).

ومهما كان الحال فلم تمر بضعة عقود على اكتشاف العالم الجديد حتى كان لإسبانيا مستعمرات واسعة في تلك الأراضي، وأخذ شذاذ أوروبا ومغامروها يهاجرون إلى «الأرض الجديدة» فرارا من حياة الفاقة في أوروبا وطمعا في حياة أفضل.

أما البرتغال فلم تلبث أن صارت من كبار تجار الرقيق المجلوب من أفريقيا، ودفعتها أرباح النخاسة الهائلة إلى التوسع في احتلال مناطق من أفريقيا إلى الجنوب الشرقي أسمتها «أنجولا» صدرت منها مئات الألوف من الزنوج المسترقين لتبيعهم في العالم الجديد، وحتى بعد تحريم النخاسة سنة ١٨١٥م استمر تشبثها بأنجولا، واستمرت تستنزف خيراتها حتى اضطرتها ثورات الأنجوليين المتعاقبة إلى الجلاء عنها في أوائل العقد الثامن من القرن العشرين.

أما فرنسا فقد احتلت ثلث القارة الأفريقية وأجزاء كبيرة مما يعرف اليوم بكندا، بعض سكان تلك الأجزاء لايزالون يتكلمون الفرنسية. واحتلت أيضا أراضي كل من المغرب وموريتانيا والجزائر وتونس من الشمال الأفريقي، كما احتلت سورية ولبنان ولم تحل عنهما إلا سنة ١٩٤٣م.

وأما روسيا فقد بدأت منذ أواخر القرن السابع عشر في قضم ما استطاعت قضمه من الأقاليم والمراكز الإسلامية المجاورة لها من أشهرها سمرقند وبخارى، وامتد استعمارها حتى شمل الجمهوريات الإسلامية الست ومنها جمهورية الشيشان التي تتردد أنباء القتال بينها وبين روسيا هذه الأيام. أما ما استولت عليه من أراض خلال حرب القرم بينها وبين تركيا فقد انتهت تلك الحرب باحتلال روسيا لتفليس وباكو وما أحاط بهما من أراض غنية بالنفط.

ولم تتوان بلجيكا - على ضآلة حجمها بالقياس إلى الدول الاستعمارية الأوروبية الأخرى - عن تكوين إمبراطورية جنوب بحيرة «فيكتوريا» تعادل مساحتها مساحة بلجيكا مرات كثيرة، وعدد سكانها أضعاف البلجيكين. مثلها مثل هولندا التي احتلت جواه وسومطرة والأرخبيل الأندونيسي كله حتى صار

نصيب كل هولندي حتى الرضيع منهم عشرة من الوطنيين من سكان مستعمراتها.

أما إيطاليا التي لم يتوحد شعبها منذ قرون تحت سلطة حكومة واحدة إلا سنة ١٨٦٠م، والتي كانت آخر الحكومات الأوروبية التي مارست الاستعمار. وبدأت باحتلال أترتيا على البحر الأحمر وجانب كبير من أراضي الصومال تمتد بطول الساحل من حدود أوغندا الشمالية حتى حدود الصومال البريطاني في القرن الأفريقي. وحاولت احتلال الأقاليم الحبشية المجاورة لأترتيا، ولكنها توقفت بعد هزيمتها الشنيعة في معركة عدوة أمام جيش نجاشي الحبشة مينليك قبيل نهاية القرن الماضي، ولم تعاود الاحتكاك بالحبشة إلا سنة ١٩٣٥م وهو احتكاك انتهى باحتلال إيطاليا لكامل الأراضي الحبشية موحدة مستعمراتها السوداء في قطعة واحدة. كما غزت ليبيا سنة ١٩١١م، واحتلت جزر الدوديكانيز عقب الحرب العالمية الأولى، واحتلت ألبانيا قبيل الحرب العالمية الثانية، لكنها جرّدت من كل تلك المستعمرات نتيجة لهزيمتها في تلك الحرب، وكانت لها مطامع في اليمن لم تتمكن من تحقيقها، ولم نذكر ألمانيا ضمن الدول الاستعمارية بعد أن خسرت كل مستعمراتها في الحرب العالمية الأولى.

والآن نركز على استعمار بريطانيا لأكبر مساحة مستعمرة في العالم استعمرتها دولة واحدة. فهي استعمرت الولايات الثلاث عشرة التي استقلت باسم الولايات المتحدة الأمريكية، وكندا، وهي أكبر مساحة من كامل الولايات المتحدة الحالية، وبدأت عملياتها الاستعمارية باحتلالها لشبه القارة الهندية المشتملة على دول الهند وبنجلاديش وباكستان، وحاولت احتلال أفغانستان ولكنها أخفقت في احتلالها بعد خسائر كبيرة تكبدتها في معركة مر خيبر الموصل إلى الأراضي الأفغانية.

واحتلت قارة أستراليا كاملة، واستعمرتها حتى قبيل الحرب العالمية الثانية، واحتلت العراق والأردن وفلسطين واليمن الجنوبي وماجوره من مشيخات عرفت بالمشيخات المتصاحفة، وكذلك الكويت وعمان، كما احتلت جميع الأراضي الواقعة على ضفتي نهر النيل من منبعه في بحيرة فيكتوريا إلى مصبه في البحر الأبيض المتوسط باستثناء فرع نهر النيل النابع من بحيرة تانا الحبشة. كما احتلت أكبر جزء من أفريقيا فيما يقع جنوب الصحراء، ومن ضمنه جامبيا وسيراليون ونيجيريا وأوغندا وكينيا وتنجانيقا وجزيرة زنجبار، التي شكلت مع تنجانيقا جمهورية تنزانيا الحالية، وزامبيا وجميع أراضي

جمهورية زيمبابوي وجنوب أفريقيا بعد أن طردت منها الهولنديين، ويضيق المجال عن ذكر جميع مستعمرات بريطانيا وغيرها من أعضاء نادي الاستعماريين فالحديث عنها محزن ويطول.

أما الولايات المتحدة فبعد أن استقلت حاولت خلق موضع قدم لها في الجزائر وليبيا فأخفقت ولكنها استعمرت بالفعل الفلبين وكوبا.

لقد استقلت معظم المستعمرات عن مستعمرها ولكن القليل من تلك المستعمرات لا يزال يئن تحت نير الاستعمار المباشر للمستعمرين الأوروبيين مثل ستة ومليلة، وجزر فيجي والانتيل والكثير من الأقاليم الإسلامية التي تحتلها روسيا منذ القرنين السابع والثامن عشر.

### انكشاف أمر نادي الاستعماريين

لم تتردد المستعمرات التي استقلت في مطالبة مستعمرها السابقين بتعويضها عما سببه لها من أضرار في البشر والأموال والمستلكات، فلما مال جوليو أندريوتي للاستجابة لمطالب الليبيين بتعويضهم عما لحقهم من أضرار من جراء احتلال إيطاليا لليبيا منذ ٥ تشرين الأول/أكتوبر ١٩١١م حتى ٢٣ شباط/فبراير ١٩٤٣م. سارعت مارجريت ثاتشر رئيسة وزراء بريطانيا - رئيسة نادي الاستعماريين يومئذ - إلى إرسال مذكرة إلى أندريوتي تذكره بضرورة احترام إيطاليا للمبدأ السادس من المبادئ التي يقوم على أسسها النادي، وختمت مذكرتها بقولها: «ليس لإيطاليا أن تفتح باب تعويض المستعمرات السابقة والحالية بأي حال». وتساءلت قائلة: «إذا كانت إيطاليا قادرة على تدبير دفع تعويضات لليبيين في شكل من الأشكال عن استعمارها لهم ٣٢ سنة، فكم ستدفع بريطانيا للهند وحدها تعويضا لها عن استعمارها لها أكثر من ثلاثة قرون، وكم سيدفع أقدم مستعمر وهو البرتغال لمستعمراته، وكم ستدفع إسبانيا التي مازالت تحتل سبتة ومليلة حتى اليوم؟».

فما كان من أندريوتي إلا أن سوف في الوفاء بما عرضه من حلول لمشكلة تعويضات الليبيين في شكل مساعدات اقتصادية، وإقامة مستشفيات للمعاقين، ومنتجات صحية للمرضى من قدماء المجاهدين وأفراد أسرهم تقام في إيطاليا. واستمر في تسويفه حتى أودى انفجار الفضائح المالية في إيطاليا بعهد الحرب الديموقراطي المسيحي، كما قضى على حكومة أندريوتي وأحرقته بصفته من كبار الساسة الإيطاليين، وكشف الذين خلفوه في الحكم عما في هذا البحث من أسرار، وما خفي منها كان أعظم.



# المجتابة العلمية باللغة العربية نجا وزلاجز الوهم

عبد الله سليمان القفاري

هل نحن بحاجة إلى أن نستذكر أنه في الوقت الذي تعلّمت فيه أوروبا أن تحمل العلوم على لغاتها العديدة بقينا نحن نقف على أمجاد أسلافنا العظام؛ الذين استفادت أوروبا من علومهم في الفلسفة والهندسة والرياضيات والفلك والعلوم الطبيعية وغيرها؟  
وهل نحن بحاجة إلى أن نذكر أن بعض المصادر العربية في علوم الطب ظلت تُدرّس في جامعات أوروبا طيلة أربعة قرون؟

وهل نحن بحاجة إلى أن نذكر أن بيت الحكمة ظهر في عهد الرشيد ليكون اللبنة المؤسسية الأولى عند العرب الذين استشرّفوا أبعاد التعريب وقاربوا المهمة الحضارية الحتمية في النقل والترجمة، وأنه عني بترجمة أمهات الكتب اليونانية والفارسية إلى العربية، ثم اتسعت الترجمة على نطاق واسع، فكانت ثمرتها نقلة حضارية مكّنت العرب من امتلاك أدوات البحث العلمي بلغتهم، وكانت طريقاً لإسهامهم الحضاري الخلاق فيما بعد؟

وهل نحن بحاجة إلى أن نقول إن هذه اللغة التي استطاعت أن تنجح في تجربتها التاريخية، وعلى كل صعيد، تعطينا اليوم الثقة بقدرتها على

مواكبة هذا العصر الذي تميّز بالانفجار المعلوماتي؟ وهل تكون اللغات الأضعف والأقل حظاً وتاريخاً وتجربة مثل اللغة التركية والكورية والملاوية والعبرية التي أصبحت لغات علم وفكر وتدرّس عند شعوبها أفضل حظاً من لغة القرآن الكريم؟  
إن هذه المداخلة مقدمة ضرورية لقضية أصبح محور الحديث حولها ثقيل على النفس في زمن أصيب فيه العمل العربي المشترك بأزمات ربما لا يكون أولها التصدّع وعدم الثقة والانكفاء القطري. ورغم كل هذه المحبطات إلا أن التأسيس الفكري والتحرير العلمي لبعض قضايا الفكرية والعلمية المعاصرة يتطلب الاندماج في السياق العلمي والتاريخي الذي ليس لنا خيار آخر إلا

التعامل معه والبناء على أساسه.  
إن تأصيل بعض القضايا الفكرية والعلمية ضرورة حضارية لمقاربتها، وما هذه الورقة إلا محاولة يسيرة في هذا المجال الشائك.

## لماذا الكتابة العلمية باللغة العربية؟

سؤال كبير يتطلب إجابة واضحة مقنعة إن بدت للبعض الخاص بدهية، فهي للغالب الأعم قد تكون غير واردة في سياقه الفكري. ودعونا قبل الإجابة عن هذا السؤال نحذر مصطلح الكتابة العلمية بالعربية ليكون مدخلاً مناسباً لصلب الموضوع.

إننا نعني بالكتابة العلمية باللغة العربية كتابة النتاج الحضاري بكل أشكاله باللغة العربية، ويتأكد هذا في مجالات العلوم والتقنية؛ كونها التحدي الأكبر في هذا العصر، حيث تظهر الفجوة العلمية والتقنية الهائلة بين الدول المتقدمة والدول المتخلفة، وتزداد هذه الفجوة يوماً بعد يوم.

وفي هذا العالم الذي أصبحت الترجمة والنقل بين اللغات جزءاً من التنظيم الفكري والسياسي والاقتصادي في الدول المتقدمة والراغبة في التقدم، كانت تجارب اليابان وكوريا وروسيا والصين والولايات المتحدة الأمريكية ودول السوق الأوروبية المشتركة ودول عديدة غيرها تُعدّ حقاً تجارب مذهلة في النقل والترجمة.

إن الإجابة عن هذا السؤال تقع ضمن نطاق العديد من عناصر العملية الفكرية والتنموية والحضارية، ويمكن صياغتها بشكل نقاط سريعة على النحو التالي:

إن من الثابت علمياً أن الإنسان يفكر آلياً بلغته الأم التي يتحدث بها في مجتمعه، والإنسان العربي مثل أي إنسان يفكر آلياً بلغته العربية. وإنه من الصعب على الإنسان أن يتحدث بلغة ويفكر بغيرها؛ إذ إنه سيضيق قسماً كبيراً من وقته في التفكير والترجمة بين الفكر واللسان. فالتفكير باللغة الأم، ثم ترجمة الأفكار إلى لغة أجنبية للشخص ذاته، سينتج لغة مشوهة ركيكة، وربما لا يكون تعبيراً سليماً عن الفكر، وستكون طاقة فكرية مهددة كان من الأفضل صرفها في الإبداع العلمي عوضاً عن ضياعها بين الفكر واللسان.



وانتشار العلوم والمفاهيم العلمية والتقنية باللغة العربية يشكل توطينا في حقيقة الأمر لهذه العلوم في بلادنا؛ فالعلوم والتقنية لا تستوطن بلدا عامة شعبها لا يفهم لغتها. وكما نعلم فإن لغة العلوم الفنية والتقنية في الوقت الحاضر هي إحدى لغات العالم المتقدم، وأعظمها وأوسعها انتشارا، ألا وهي اللغة الإنجليزية. وتوطن العلوم والاستحواذ على التقنية، لا يمكن أن يتم اعتمادا على شريحة صغيرة في المجتمع حيث لها ظروف الابتعاث والسفر وتعلم لغة أجنبية في ظل ظروف معينة.

ونحن نعلم أن المصانع العملاقة في أنحاء العالم يعمل بها ويدبر آلاتها آلاف العمال والفنيين من تلك الشعوب، ويتعاملون ويتفاعلون مع أدواتها بلغاتهم مما جعلهم يبدعون ويطورون تقنياتها من خلال تعاملهم معها بلغتهم الأم التي يجيدونها ويفكرون بها.

ثم إن استخدام اللغة العربية في البحث العلمي سيجعل الفائدة أعم وأشمل، ويخرج بالعلم من دائرة القلة المثقفة التي تتقن اللغة الأجنبية إلى أوساط عموم المثقفين والفنيين والعمال حين توضع بلغتهم، وعندما يقرأ كل هؤلاء المرتبطين بالعلوم المادة العلمية بلغتهم الأم التي يحسنونها بشكل رفعا للمستوى العلمي للشعوب، وستصوغ شخصية الإنسان صياغة علمية متجددة تجعل العلم ومتابعة تطوراتها جزءا من اهتماماته. وسيزول أكبر عائق يحول دون استثمار القدرات الفنية الشابة الناشئة التي تشكل في العادة النسبة الغالبة من الشعب.

### اللغة الأم.. والتفاعل مع المجتمع

إن التخلي عن اللغة الأم في التعبير العلمي والتقني سيصيب المجتمع بانفصام في شخصيته، وسيضعف لغته الأم، بالإضافة إلى أن المادة العلمية ستكون غريبة عن العقل واللسان والتداول والفكر، ولذلك لن تتفاعل مع المجتمع الذي لا يحسنها، ولن تلبى احتياجاته.

وتؤكد كثير من الدراسات التي اهتمت بقياس العلاقة بين المحصلة العلمية للطلاب المتلقي ولغة العلم، الارتباط العضوي بين نمو المحصلة المعرفية والاستيعاب والتلقي باللغة الأم.

ومن هذه الدراسات، دراسة أجريت في الجامعة الأردنية على طلاب السنة الأولى

بالجامعة في الأقسام العلمية، أكدت ارتفاع الحصيلة المعرفية والاستيعاب لدى الطلاب عند تلقيهم موادهم العلمية باللغة العربية، حيث ارتفعت نسبة النجاح بما يعادل ٣٥٪ عن الأعوام السابقة التي تم التدريس بها بغير العربية (١)، وهذا يعطي دلالة قوية وواضحة أن التدريس والتعليم باللغة العربية للمواد العلمية سيزيد من فرص استيعابها وتمثلها وضمها، والتعبير عنها بقوة وبوضوح مما يساعد على زيادة فرص الإبداع في المستقبل لدى المتلقين بها، كما أن استخدام اللغة العربية ونشرها بوصفها لغة علمية في أوساط المتعلمين سيعمل على اختفاء الحواجز الناشئة من اللغة العلمية الأجنبية التي لا يجيدها إلا القلة، وسيتمكن الكثيرون من التفاعل مع تخصصاتهم العلمية بشكل أكثر إيجابية.

وتؤكد ذلك شهادة أستاذ جامعي في إحدى كلياتنا الطبية (٢) بأن كثيرا من طلبة الطب يحجمون عن الدخول في نقاش علمي جاد في مجالات تخصصهم بسبب صعوبة اللغة وخشية عدم التوفيق في التعبير عن أفكارهم ومفاهيمهم باللغة الإنجليزية التي يدرسون بها.

إن احتمال ظهور النوب والإبداع بين من يفكرون بلغتهم في أسوأ تقدير أعلى ممن يفكرون بلغة غيرهم، وهذا يفسر قلة المبدعين العرب الذين درسوا باللغات الأجنبية واستخدموها في عطاءهم المعرفي. وحتى الذين نجحوا في تقديم إنجازات علمية بلغة الغير، لو أنهم استخدموا لغتهم وأعطوا الإمكانيات نفسها لأنجزوا ما هو أهم وأفضل، ولكانت الفائدة أعم وأشمل لأبناء وطنهم.

وثراء اللغة العربية بصفاتها مادة لغوية ينأى بها عن مواطن النقص والقصور، فهي تحتوي على ٤٠٠ ألف مادة، وكل مادة تنفرع إلى كلمات عديدة مما يجعلها تحوي مئات الآلاف من الكلمات، في حين نجد الفرنسية لا تحتوي إلا على ٢٥ ألف كلمة والإنجليزية على ١٠٠ ألف كلمة فقط. وهذا يدل على غنى العربية فيما يخص المفردات، كما أنه يتوافر حاليا مئات الآلاف من المصطلحات العلمية المعربة التي عنت بإصدارها مؤسسات معنية بالتعريب ونشر المصطلح العربي (٣)، وإن كانت هذه

المؤسسات يعثورها كثير من الإشكالات، أهمها تباطؤ الإنتاج وضعف التنسيق وتوحيد المصطلح؛ إلا أن جهودها بحاجة للاستثمار من قبل المستخدمين لتحقيق التفاعل البناء الذي من شأنه تنشيط هذه المؤسسات.

من كل هذا يظهر أن كتابة العلوم باللغة العربية ليست حالة تفرضها العصرية والقومية، وليست جهودا ضائعة كما يتصور البعض، وإن كان للبعض تحفظ من أن التوسع في هذا المجال قد يعوق عملية التواصل مع العلم بلغاته العالمية، ويحرم المتلقي من قراءة ما يستجد من العلوم بلغاتها الأجنبية.

إن مثل هذا التحفظ له وجاهته عندما تنتفي اشتراطات النقل والترجمة ضمن خطة واسعة ودقيقة للترجمة والتعريب تواكب كثرة الإنتاج المعرفي العالمي المتنامي، وتؤطر لطاقت متخصصة قادرة على متابعة التطورات العلمية في المجالات المختلفة لتتمكن من نقل تلك المعارف إلى اللغة العربية عبر إصدارات دورية وضمن عمل مؤسسي كبير في حجم الهدف الذي يسعى لتحقيقه.

### واقع الكتابة العلمية باللغة العربية

ليس من شك أن واقع الكتابة العلمية بالعربية لا يسر صديقا، ولكن درءا للشكوك يمكن أن نستعرض هذه الجزئية بالأرقام والإحصاءات:

معظم الجامعات العربية البالغ عددها (٨٨) جامعة تنص قوانينها صراحة على أن لغة التدريس هي العربية، وتسمح هذه الجامعات بالتدريس باللغة الإنجليزية في ظروف خاصة، ومع ذلك فإن معظم هذه الجامعات تقوم بتدريس العلوم البحتة والعلوم الهندسية والطبية باللغة الأجنبية الإنجليزية أو الفرنسية (مع وجود استثناء يتمثل في تجربة بعض الجامعات السورية).

ومعظم الأساتذة يدرسون باللغة الإنجليزية وينشرون أبحاثهم بها، ويعطون الطلبة قائمة المراجع والكتب باللغة الإنجليزية، ويستعمل الطلبة كتب التدريس المقررة باللغة الإنجليزية. وقد دلت الإحصاءات على أن ٩٥٪ (٤) من البحوث المنشورة لأساتذة الجامعات العربية قد تم نشرها بالإنجليزية؛ على الرغم من أن معظمها



# المجتابة العلمية باللغة العربية

## تجاوز الحاجز الوهم

إننا لا نعني هنا أن ممارسة الكتابة العلمية باللغة العربية تحققت شروطها كافة، وإنما نريد أن نقول إن الانكفاء على كتابة العلوم باللغات الأجنبية، وعدم المقاربة الميدانية لعملية الكتابة بالعربية، إنما هو تأجيل وتعطيل للمسير نحو صحة علمية تنموية قادمة لا محالة. وإن عدم المقاربة الميدانية تحت ذرائع الحواجز الفنية واللغوية والمصادر المرجعية إنما هو هروب من الواقع وتأجيل لمشروع حضاري يحتاج إلى كثير من الوقت والجهد والمعاونة قبل أن يتبلور في إطار مؤسسات قادرة على مواجهة متطلباته. أما الحديث عن الاشتراطات النظرية للمقاربة الميدانية لعملية كتابة العلوم بالعربية فحديث يطول، لن يكون أول متطلباته بناء بيت حكمة جديد.

إن المبادرة الفردية والمقاربة الميدانية مجالها مفتوح واستثمارها ممكن، وكثير من المؤسسات التنموية القائمة بدأت بتشكيل رأي عام حول ضرورتها، ومن خلال مبادرات فردية وجماعية أبانت المكتسبات التي يمكن جنيها من خلال الممارسة التطبيقية والمقاربة الميدانية بعيدا من التنظير والتنظير فقط.

### الهوامش:

- ١- محمد نزار: واقع المصطلح العربي في العلوم، مؤثر الكتابة العلمية باللغة العربية. بنغازي ١٠-١٣ مارس ١٩٩٠.
- ٢- د. زهير السباعي، مؤثر تعريب الطب والعلوم الطبية، البحرين ١٦-١٨ فبراير ١٩٩٣ م.
- ٣- مكتب تنسيق التعريب بالرباط، المجمع العلمي العراقي، بغداد، مجمع اللغة العربية، دمشق، مجمع اللغة العربية، القاهرة، المنظمات والاتحادات العربية والجامعات، دور النشر العامة والخاصة.
- ٤- د. رحي لطفى، التجربة الأردنية في مجال تأليف الكتب الهندسية بالعربية، مؤتمر الكتابة العلمية باللغة العربية، بنغازي ١٠-١٣ مارس ١٩٩٠ م.
- ٥- خالد سرحان، تعريب التعليم الهندسي وتعريب التعليم العالي ضرورة شرعية، التعليم: العدد ٥ يناير ١٩٨٨ م.
- ٦- مؤثر التخطيط العلمي في مجال المصطلحات، كوالالمبور، ٢٠/٧/١٤١١ هـ.
- ٧- د. محمد السويدي، الناشر العربي، عدد يونيو ١٩٨٣ م.
- ٨- عبد الله القفاري، عرض تجربة خاصة في كتابة أول أطروحة ماجستير في مجال علوم الفيزياء باللغة العربية في جامعة الملك سعود، مؤثر الكتابة العلمية باللغة العربية، بنغازي ١٠-١٣ مارس ١٩٩٠ م.

بلغاتها الوطنية؛ حيث عملت على إنشاء المراكز والإدارات التخصصية لنقل العلوم والأبحاث إلى لغاتها الوطنية كما فعلت تركيا وماليزيا.

لقد رأيت ضمن زيارتي لكوالالمبور في عام ١٩٩١ م (٦) كيف استطاع الماليزيون التفاعل مع لغتهم (الملاي) وكيف نقلوا-ومازالوا- الكتب العلمية المتخصصة إلى لغتهم، وهي لغة في الأصل مطعنة بكثير من المصطلحات والألفاظ العربية والإنجليزية والهندية. ومع ذلك أصبحت لغة علم وتقنية، وكفينا علما بأن الطب يدرس في ماليزيا، ومنذ سنوات بلغتها الوطنية.

إن انبعاث (النمور الأسبوية) في جنوب شرق آسيا التي أصبحت تشكل كتلا اقتصاديا ذا أهمية بالغة، وأصبحت ذات إمكانات صناعية وتقنية منافسة، لم يكن من الممكن دون تخطيط هذه المنظومة لسياستها التعليمية وفق ضوابط التعليم وقراءة العلوم بلغاتها الوطنية.

ولعلنا لا نبالغ عندما نقول: إن العرب لم يحاولوا توحيد جهودهم المبعثرة أو تنسيقها فيما يتعلق تعريب العلوم وكتابتها باللغة العربية، ولو حاولوا لوصلوا منذ زمن مرحلة نقل العلوم كافة بالعربية.

ولكي ندلل على ذلك نشير إلى دراسة أوردت إحصائية (٧) للكتب العلمية العربية المنشورة بجامعتي تشرين وحلب السوريتين، فجامعة حلب أصدرت (١٠٨) كتاباً علمياً متخصصاً جديداً وهذا في رأيي يمثل نتاجاً جيداً تمثله جامعة واحدة في وطننا العربي، وهو يحد ذاته دلالة على أن صعوبة الكتابة العلمية باللغة العربية لا تتعدى حواجز الوهم التي تعلقت في عقول كثير من أبنائها، وأنه إذا توافرت العزيمة الصادقة والدافع الكبير تذلت كل الصعاب.

إن تجربة كتابة العلوم بالعربية في بعض جامعاتنا أبانت هشاشة الحواجز الفنية واللغوية التي يتذرع بها كثير من الباحثين، وإن عدم تضلع الباحث العلمي باللغة العربية لا يعني الانكفاء على اللغات الأجنبية لتكون لغة التأليف والتدريس، ولكاتب هذه السطور تجربة في هذا الميدان (٨) كشفت إمكانات واسعة لممارسة هذا النوع من الكتابة، وحققت نتائج طيبة على صعيد الواقع ومن خلال الممارسة.

قد تم نشره في مجلات علمية داخل البلاد العربية ودخل هذه الجامعات وخارجها. كما تبين أن ٩٩٪ من البحوث العلمية والطبية والهندسية قد تم نشرها باللغة الإنجليزية.

إن نظرة سريعة على بعض إحصاءات النشر في العالم - فيما يتعلق بالكتب والدوريات والدراسات والمقالات العلمية - وموازنة المجموع العالمي بمجموع الإنتاج العلمي المنشور باللغة العربية في العالم العربي في هذه المجالات، تعطي انطباعاً بالضآلة والتفاوت الرهيب بين الإنتاج العالمي وحصة العالم العربي منه، إذ إن ما نشر في العالم من مقالات علمية يصل إلى حوالي ٢١ مليون مقالة، ويتوقع أن يتراوح العدد بحلول عام ٢٠٠٠ بين ٨-١٠ ملايين مقالة منشورة في ١٤٠ ألف مجلة علمية.

ويصدر من الكتب العلمية في العالم سنوياً أكثر من ٧٥ ألف كتاب علمي و ٣٠٠ ألف براءة اختراع، في حين أن ما كتب ونشر في الدول العربية خلال عشر سنوات (١٩٧٠-١٩٨٠ م) يبلغ ٢٨٤٠ كتاباً علمياً، ولا تشكل المطبوعات العلمية الصادرة في الوطن العربي (كتب ودوريات) من خلال بعض الإحصاءات أكثر من ١٩٪ (٥).

وما سبق نرى أن حصة العالم العربي من المنشور العلمي في الإنتاج العالمي نسبة ضئيلة جداً، وأكثر ضآلة المنشور منها بالعربية؛ وخاصة في العلوم التطبيقية والتقنية التي نحن في أمس الحاجة لتعلمها ولامتلاكها وتسخيرها ضمن اشتراطات النهضة والتطوير التي نسعى إليها.

### التجربة... تجاوز حاجز الوهم

من نافلة القول أن نقول إن معظم دول الغرب يترجم بعضها آثار بعض في ميادين العلوم والتقنية بمجرد ظهورها، وطليبة العلوم والهندسة والطب في اليابان وألمانيا وفرنسا لا يقرؤون مراجعهم باللغة الإنجليزية كما نفعل نحن؛ بل باللغات الوطنية، وبذلك دخلت العلوم والثقافة في صميم التركيب العقلي للدارس، ولم تقف مشكلة اللغة عقبة في طريق الفهم أو الإبداع.

ولن نتحدث عن تجربة اليابان أو الصين أو كوريا، بل سنشير إلى تجارب بعض دول العالم النامي، ومنها بعض الدول الإسلامية التي أدركت أهمية قراءة العلوم ودراساتها وانبعاثها





# موسى بن أبي الغسان

شعر:

ياسين فرجاني

[أبو عبد الله الصغير يوقع وثيقة تسليم غرناطة، ويأبى موسى بن أبي الغسان ذلك، فيمتطي جواده ويخرج إلى حيث يلتقي بجمع من الإسبان خارج المدينة؛ فيعمل فيهم سيفه ويقتل عددا منهم ثم يسقط مضرجا بدمائه، فيزحف إلى النهر ويلقي بنفسه فيه].

غرناطة الثكلي وراء السور دامية الحاجر  
ينتأبها يأس تغلغل في النفوس وفي الصمائر  
أعمى العيون الشاخصات وراح يفتك بالبصائر  
ألقى بها الأحداث في لجج من المأساة هادر  
لم تستطع رد العدو عن المسالك والمعابر  
حاقت بها من كل ناحية ظبا الجيش الحاصر  
والجوع يجتاح الحمى، يغتاله، والجوع كافر  
غام الصباح على الربي يطوي البشاشة والبشائر  
والليل مد رواقه الدأجي وما لليل أخبر  
ضاق الرحيب فلا نجاة لمن يغامر أو يقامر  
والشعب لا يدري إلى أي تؤول به المصائر  
مستسلم، ثبط العزيمة، مرهق الأعصاب خائر  
راع الكبار مروء، وحش طويل الباع كاسر  
يمشي، يمزق بالتسيوب الرأعفات وبالظافر  
دعبر أطل على الكواعب والأبيات الحرائر  
وتساؤل.. حار الصغار به على الأحداق حائر  
والغمامض المجهول كابوس، ثقيل الظل أسر  
طاف الأمير بمقلتيه على وجوه من جماد  
فكأنها من قبل ما بشت لداعية الجهاد  
أهل المشورة مالههم ذا اليوم من رأي سداد

عقد الهوان لسان أرشدهم فضل عن الرشاد  
لم يبق شيء.. كل شيء ضاع من يدهم وباد  
حمد التوفد في العقول النيرات، غدا رماذ  
لم يستبينوا في الضحى خيط البياض من السواد  
بالرجال.. ولا رجال.. على المطهمة الجياد  
أين الميامين الكمأة وأين فرسان الطراد  
أين الحمأة عن الحمى مستفجرين لكل عاد  
أين الذين إلى "نصير" متسماهم أو زياد  
ريح التفريق والشقاق رمت بهم في كل واد  
ألوت بأندلس تقسمها دويلات انقياد  
ألقى بها للضعف والترف المدمر والفساد  
سيظل صوت الأم في أذن "الصغير" إلى المعاد  
ضيعت ملكاً فابكه مثل النساء فلن يعاد  
ما كنت حافظه حفاظ رجال مملكة شداد  
فتلقفتك "أبا عبيد الله"، مشرعة حداد  
وقع وثيقة صلحك المشؤوم حمراء المداد  
"موسى" أبى ذل الأسار وعار صلح كالإسار  
ثارت حفيظته وخلف ضلوعه البركان ثار  
مستعبرا كيف انطوت أعلام زهو وانتصار  
هذي الديار دياره وهو المتتيم بالديار  
عشق الماذن والقباب وكن للدنيا منار  
عشق الخمائل والجداول أين حل وأين سار  
جنات عدن كيف يسلمها "الصغير" إلى الدمار  
نادى.. وفي عينيه من غضب تلظى وقد نار  
تالله لا أرضى بصلح فبيته ذل وانكسار  
يأبى "أبو الغسان" أن أرضى ويأبى لي النجار  
الموت خير.. لا حياة مع المهانة والصغار  
أرخي العنان لأدهم كالنسر في الأجواء طار  
فكأنه للقاء فارسه المجلي في انتظار  
وكأنه برق غداة على العدو به أغار  
أوفي على جمع تملكهم لهجمته انبهار  
فأجال فيهم سيفه الظمان ينقع غل ثار  
وتكاثروا.. فهوى على الترب المضرج في احتضار  
ورنا إلى النهر القريب وقد تغشاه الدوار  
بيد العلوج أموت لا يانهر هذا الموت عار  
افتح ذراعك ضمني سر بي فقد أن المسار  
سأكون رمز فدى لمن بعدي الفداء لهم شعار  
عبر من التاريخ مائلة فهل يجدي اعتبار



## الحج الموسوي الرُّسِّي في رحلته (٥)

# نزّهة الجليليين ومدينة الأئمة الأئمة

(( ٥ ))



حلقات يكتبها:

الشيخ محمد الجاسر

### البادية بين قسوة الحياة واستبداد ولاة الحج وأمرائه!

وقد أشار الرحالة الموسوي المكي إلى حادثة وقعت للحجاج القادمين من الشرق عندما وردوا آبار (لينة) جديدة بالوقوف والتأمل، فهي توضح جوانب من عبث الولاة في ذلك العهد بحجاج بيت الله الحرام.

ولقد سبق أن ذكر في رحلته أن في اليوم الثالث والعشرين من شهر ذي الحجة سنة إحدى وثلاثين ومئة وألف عندما رحل ركب الحجاج من (المضيق) (١) اعترضته قبيلة (عتيبة) فحدثت معركة بينهم وبين الحجاج، انتهت بهزيمة (عتيبة) وأسر أربعة من مشايخهم، وحيازة عدد من خيلهم وإبلهم وأنعامهم.

ولم يفصل الموسوي سبب هذه الحادثة. وليس من المستبعد أن تكون من آثار غطرسة أمراء الحاج وظلمهم، واحتقارهم لأبناء البادية، وقد حدثت حوادث من ذلك القبيل منذ عصور متقدمة؛ ومنها ما أشار إليه القطبي في رحلته إلى اسطنبول سنة ٩٦٥ هـ، حيث قال: إنه سافر مع أمير الحج الشامي الأمير يونس باشا أمير (حمص). قال: وفي ثامن عشر من شهر محرم سنة ٩٦٥ نزلنا قبيل العصر بوادي الفحلين، وكان أمير الحاج الأمير يونس مر في الطريق بإبل ترعى لـ (عنزة) فاستاقها، واستاق معها بعض الحمير فهرب أهلها، وكانت الإبل

نحو الستين، والحمير نحو العشرة، فباعها من العربان الذين معه، وأمسست (عنزة) في تلك الليلة تأخذ من تطرف من الحجاج، وكانت ليلة مخوفة، وكان الماء في شعب على يمين المتوجه إلى الشام، وجرح في تلك الليلة جماعة من عسكر أمير الحاج (٢).

لم يذكر القطبي هنا لماذا أقدم أمير الحاج على أخذ إبل هاؤلاء البدو المساكين، الذين لا يلامون أن أبدوا شيئاً من المقاومة، والحد والكرهية والرغبة في الانتقام من أمثال هاؤلاء الأمراء المتغطرين، ممن شحنت كتب الرحلات إلى الحج بأخبار استغلالهم وتعديهم على أبناء البادية واستهانتهم بهم.

ومن أقرب الأمثلة على ذلك ما يجده الباحث في كتاب «الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة» (٣). وما أشار إليه مؤلفه الشيخ عبد القادر بن محمد الجزيري الحنبلي من استبداد الولاة وظلمهم الرعية وترفعهم وتجبرهم، قوله في حوادث سنة سبعين وتسع مئة: (والقتيل من أولاد العرب لا يؤخذ له بشأ، وعمت الأحوال الخبيثة بالأشوار والأضرار)، وأشار في حوادث هذه السنة: إلى أن القتل إذا كان من الرعية والقاتل من الروم - يعني الترك -، فإن دمه يذهب هدراً لتفضيل الروم أنفسهم على غيرهم.

ومع أن الجزيري مؤلف ذلك الكتاب كان من رجال الدولة في عصره؛ إلا أنه لم



يتأثر بصلته بهم، فهو كثير الدفاع عن العرب الذين يربهم طريق الحج من مصر إلى مكة، ممن يقوم بحراسة الحاج عند مرورهم بمنازل ذلك الطريق مقابل ماتصرف لهم الدولة من مرتبات سنوية، هي - على ضآلتها - عرضة لتصرف بعض أمراء الحجاج بها تصرفاً يثير غضب أصحابها فتسوء بسبب ذلك معاملتهم للحجاج، إلا أن الجزيري يدرك أن السبب هو هذا التصرف، فينحي على الأمراء باللائمة.

وموضوع صلة البادية بالحجاج من الموضوعات التي هي جديرة بإفرادها بالدراسة، إذ كثير من الرحالين كانوا ينقادون بعواظهم لإرضاء رؤساء الحجاج، فينسبون تبعات ما يقع من تعد أو مخالفة من أحد أبناء البادية إلى أولئك أنفسهم دون النظر إلى أسبابه وبواعثه.

مجمل ما ذكر الموسوي في هذا الموضوع أنه بعد أن أشار إلى ما وقع بين الحجاج وبين قبيلة (عتيبة) دون ذكر السبب الموجب لذلك (٤)، تعرض لذكر الحادثة عند نزول الحجاج متجهين إلى مكة فوق آبار (لينة) بما ملخصه: وكنت قد ذكرت في أول الكتاب ما اتفق ليوسف باشا حاكم الحلة من الطعان والضراب مع (عتيبة)، وأنهم سدوا الرِّيع بالأحجار ف وقعت الحرب، ووقع القتل في العرب من أيدي عسكر بغداد ونهب أموالهم، فرصدوا الحاج على قُلل تلك الجبال، وعزموا على نهبهم، وأضرموا لعسكر بغداد البلاء، فكان أن وقع بينهم ما وقع.

وعندما مرَّ الحجاج بآبار (لينة) متجهين إلى مكة نزلت فرق الحجاج على الآبار، وكان معهم الشريف شبير بن سعيد الشنبري الذي نزل على بئر فأتى إليه بعض أجناد أمير الحج، للاستقاء من ماء تلك البئر، فلم يرض عبيد الشريف شبير بذلك، ومنعوه فحدثت مشاحنة أدت إلى الخصام والقتال، فجرَّح عبيد الشريف اثنين من الأتراك، وجرَّح الترك أربعة من العبيد، واشتدت الفتنة حتى جرى نهب الحجاج بأسرهم، ولم يصغ أمير الحاج لشكوى الشريف، بل قابله بالشدة والتوعد بالقتل،

فقبل ذلك على مضض، وضعف ممن معه، ولما بلغ الحاج (وادي مران) (٥) تهيأ بعضهم للإحرام منه. فوصل إليهم في ذلك اليوم زيد بن أحمد بن أخي الشريف شبير، رسولاً من أمير مكة يحيى بن بركات، لاستقبال الحجاج وحفظهم مما قد يعترضهم في طريقهم، وله شيء معلوم يأخذه منهم، فنزل على عمه الشريف شبير، فرأه مهموماً حزينا، فلما علم بأنه متأثر من أمير الحج، الذي وثب عليه والسيوف في يده مشهور، لما سمع زيد هذا أضمر أن يوقع الأمير في أضيق المصيبة وأوسع المحنة (٦)، وكان قد بلغهم بأن (عتيبة) قد سدوا المضيق بالأحجار، وهو الرِّيع الذي سبق أن حدث فيه الحرب (٧)، وأنهم قد رصدوا الحاج على قُلل تلك الجبال، فما كان من زيد بن أحمد إلا أن أظهر للحجاج بأنه يريد أن يذهب بهم إلى مَأْمَن وهو (ريع المنحوت) (٨) الواقع في طريق الطائف، وقد يَبَّت للحجاج شراً. يقول الموسوي (٩): فأرسل إليهم - يعني (عتيبة) - السيد زيد بن أحمد، وأخبرهم عما له من مقصد، وأنهم يحفظون نساءهم وأطفالهم في البيوت، ويصلون من ليلتهم إلى (ريع المنحوت)، وهو ريع بطريق (الطائف) صعب الطريق في غاية الضيق، وأمرهم بنهب الحاج بأسره، وقتل الأمير أو أسره:

فما من يد إلا يد الله فوقها

ولا ظالم إلا سيلى بأظلم

وقد تمت على الحاج هذه المحنة والناس في بكاء وضج وعج وثج خيفة أن يفوتهم الحج، فسار السيد زيد بن أحمد إلى الأمير وأخبره عن تجمع (عتيبة) الغفير، وأنه لا سبيل له إلى المسير من ذلك الطريق، وضمن له أنه إذا سار من طريق (ريع المنحوت) دخل مكة ثامن ذي الحجة بلا تعويق، فاستصوب رأي الأمير، ولم يدر ما خبيئ له من البلاء الكبير، فلم نزل نحث العيس طئنا بأنه ليس هناك تدليس ولا تلبيس، فوصلنا (ريع المنحوت) في ثامن ذي الحجة عند الزوال، وإذا بعرب (عتيبة) كالجراد المنتشر على رؤوس تلك الجبال، فحين شاهد الأمير ما حل به وبالناس من البلاء، وعلم أنه قد صار مذبذباً لا إلى

هاؤلاء ولا إلى هاؤلاء، جمع إذ ذاك الجنود، وأمرهم بالصعود على الجبل، فوقع الرمي بالرصاص، ولم يزالوا في كرفرف، وقد حل بالأمير وجنده الويل والنبور إلى أن ولى النهار وأقبل الليل، فنزلت الأعراب من فوق الرِّيع، ونهبت الحجاج نهباً شنيعاً، وقتلت الأتراك قتلاً ذريعاً، وما أبت على كبير ولا صغير، ولا غني ولا فقير، ونهبت كل ما كان للأمير من متاع، وشاع القتل في الحاج، وتفرقت الناس بين تلك الجبال، وتاهت في التلال والرمال، فما وصلنا أرض (السيل)، إلا بعد زام من الليل، وكانت لنا بها ليلة يالها من ليلة! لم تذق فيها أعيننا الهجوع، فأخذنا بأرض (السيل) ساعة إلى أن وصل إلينا المقاطيع بعضهم يستطيع المشي وبعضهم لا يستطيع، فرحلنا قاصدين بيت الله، وفي نصف الليلة التاسعة من ذي الحجة وردنا البيت الحرام، فأخذنا في (الأبطح) والكل منا قد أشرف على الهلاك. انتهى.

أثرت أن أسوق نص كلام الرحالة ليتضح مايتخذ أولئك المشرفون على شؤون الحجاج في العهود الماضية من طرق الابتزاز والاحتيال، وإيقاع الحجاج في طرق المهالك تحقيقاً لأهدافهم وأغراضهم السيئة، والأدهى من ذلك أن أكثر الذين يتصدون لتسجيل تلك الحوادث ينحون باللائمة على أبناء البادية.

ثم تحدث بإيجاز عن قيامه بأداء نسك الحج، ويلاحظ أن الموسوي المكي هذا صنيعة من صنائع الولاة في ذلك العهد، ولهذا فهو يجمع في كثير من الأمور التي تنال منهم، ولا يفصح إلا في حالات قليلة. كما تحدث عن تلك الحادثة الشنيعة.

### غزو جدة من قبل الأفرنج

ومما عرض لذكره من الحوادث قوله: وفي اختتام سنة ٩٤٨ هـ خرجت طائفة من الأفرنج (١٠) وخربت غالب البنادر، ثم قصدوا بندر (جدة) المحروسة ونزلوا بالمرسى المعروف بـ (أبي الدوائر) في خمسة وثمانين برشة (١١)، مشحونة بالرجال والسلاح، فقاتلهم أبو نبي شريف مكة المشرفة بنفسه، وترك الحج وأشخص معه ابنه ونزل إلى



سعداً لكون عمره إذ ذاك أربعاً وعشرين سنة، وقام الشريف سعد، وانحاز إليه عسكر الدولة وتبعه عسكر السلطان المرتين بمكة، وقامت الفتنة بين الشريف حمود والشريف سعد، وكان بمكة المشرفة من قبل السلطان محمد رجل اسمه عماد الدين أرسله السلطان ناظراً على الحرمين وأعم عليه بجدة، ونظارة المسجد الحرام، فألبس عماد الدين الشريف سعداً خلعة الملك، وأصلح بينهم، إلى أن يعرضوا للأبواب من اختاره السلطان ولأه، فسكنت الفتنة، إلى أن جاءت الأوامر والخلع للشريف سعد في شهر رجب، ثم عرض الشريف حمود إلى السلطنة، وأخذ خطوط جميع الأشراف، على أنهم ما يرضون إلا الشريف حموداً، فلم يرض السلطان إلا بالشريف سعد. وفي ذي القعدة خرج حمود ومن معه من الأشراف من مكة، وأرسل جماعة إلى (جدة) فنهبوا القوافل الواصلة من جدة إلى مكة، وتعرض بنو أخيه لقافلة اليمن فنهبوا، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وتغلب حمود على بندر (ينبع)، وأخذ حبوب أهل المدينة الشريفة، وأخذ حب الشريف سعد، ثم أرسل ولده وبعض الأشراف إلى مصر يعتذرون، وأرسل معهم بهدية لباشا مصر، فأمسك الباشا على ولد الشريف حمود، والأشراف الذين معه وحبسهم بمصر والله أعلم. انتهى.

الحواشي:

- (١) هو وادي نخلة الشامية.
- (٢) «رحلة الطي» ولا تزال مخطوطة.
- (٣) قمت بتحقيقه ونشره في ثلاثة مجلدات ضخام.
- (٤) تقدم نص كلامه في الحلقة الأولى.
- (٥) منهل مشهور في أعلى نجد، كان من منازل الحجاج قديماً.
- (٦) ج ١ ص ٢٧٣.
- (٧) وهو الريع المفضي إلى وادي نخلة الشامية طريق الحج العراقي القديم.
- (٨) هو الريع المفضي إلى السيل (قرن المنازل) وهذا يقع في بلاد عتبية.
- (٩) ج ١ ص ٢٧٤.
- (١٠) هم البرتغاليون الذين تسللوا إلى البحر الأحمر (بحر القلزم) والخليج الشرقي (خليج عُمان) في القرنين العاشر والحادي عشر.
- (١١) برشة: سفينة بحرية معدة للحرب تجمع على برشات.
- (١٢) ج ١ ص ٢٨٩.
- (١٣) ج ١ ص ٤٣٣.
- (١٤) عنوان المجد في تاريخ نجد، ٣٢٠/٢ وما بعدها.

١٠١٤ هـ بمكة المشرفة، وتربى في حجر والده، وسافر معه إلى اليمن، ولما توفي والده بصنعاء رجع إلى الحجاز. انتهى ملخصاً. والشريف زيد هذا قد امتد حكمه إلى نجد، وذكر ابن بشر (١٤) في سوابقه: أنه في سنة ١٠٤١ خرج زيد بن محسن الشريف أمير مكة جُلّوي إلى نجد، وتولى مكانه نامي بن عبدالمطلب من جهة الترك، ولكن لم تتجاوز ولاية نامي مئة يوم، بعدد حروف اسمه، فعاد الأمر لزيد بن محسن، حيث سار سنة ١٠٥٧ إلى نجد، ونزل (الروضة) المعروفة في «سدير» وقتل رئيسها محمد بن ماضي بن ثاري، وفعل ما فعل من القبح والفساد، وولى فيها رميزان بن غشام من آل أبي سعيد، وأجلى عنها آل أبي راجح.

كما ذكر: أنه في سنة ١٠٦٩ ظهر على نجد ونزل (قري التويم) الماء المعروف بين (التويم) و(جبال) وتصرف في بعض أمور إقليم (سدير).

ثم ذكر وفاته سنة ١٠٧٦ وأشار إلى الاختلاف الواقع في ولاية مكة بعد وفاته. أما الموسوي المكي فيقول عن الشريف زيد بأن الشريف عبدالله بن حسن طلبه، وجعل الولاية بينه وبين ولده محمد بن عبدالله، فقدم مكة ثم خرج إلى المدينة، ثم تولى ثانياً فسار في الناس سيرة هنية، وحكم

بشريعة الرسول، وبلغت الرعية بعده كل سول، وأزال كثيراً من المنكرات، وأبطل ما خالف الكتاب والسنة من المحرمات، وأمنت في أيامه الرعايا، وغمر الناس بالمواهب والعطايا، وعمر بمكة عمائر مستحسنة، وأثراً في جميع المشاهد يئنة وأثنى عليه الفضلاء والخطباء ومدحه الشعراء والأدباء، وأغنى بكرمه كل من خدمه بتأليف وأكرم كل من ألف باسمه شيئاً من جوهر التصنيف، محباً للعلماء، مبالغاً في إكرامهم وبلوغ مرامهم، محباً للفقراء معتنياً بهم. وبعد وفاته قام مقامه أصغر أولاده الشريف سعد بن زيد، وطلب الولاية السيد حمود بن عبدالله، وتبعه أكثر الأشراف، وظنوا أن الولاية له، وأن لامنارعه له لكونه كان المتصرف في حياة الشريف زيد، وكون أولاد زيد غائبين، واستصغروا الشريف

(جدة) في جيش عرمرم عظيم بعد أن أمر بالنداء في نواحي (مكة) من صحبنا فله أجر الجهاد، وعلينا السلاح والنفقة، فبلغ أهل الجهاد مبلغاً عظيماً، وعيون الكفار تدور عليهم في كل حين، فشاهدوهم يزيدون عدداً في كل يوم، واستمر ذلك مدة، ولما رأى الكفار صبر المسلمين على القتال، ومددهم في كل حين، عادوا على الأعقاب ناكسين بالإذلال، وكفى الله المؤمنين القتال، وبلغ السلطان سليمان خبر الواقعة فوقعته منه أجل موقع، وأكرم الشريف بنصف مدحول (جدة) الباقي زيادة على النصف الذي كان بيده، وحباه بهدايا وتحف، وإلى هذه الواقعة يشير الشيخ الفاضل عبدالعزيز الزمزمي ويمتدح الشريف أبا نمي، ثم أورد قصيدة طويلة جاء فيها (١٢):

كل عزيز ذل في بابيه  
وهابه التركي والشركسي  
سلي النصاري عنه مذقار  
(جدة) عن جدتهم الأتقي  
من ذا الذي نكس أعلامهم؟  
بها نعم لولاه لم تنكس  
فاستبدوا الأقرب واستقروا الـ  
أبعد من طورهم الأقدس  
أتوك كالبخر فصاروا لدى  
بخر كالجرة للمحتسي  
آتاهم لك في قوة

من العوالي والطبا والقيسي  
أعددت جيشاً لو بهم بحره  
أحاط لهم ببحر من المغطس  
وكل طرف سابق سابق  
في بحر كبح النفع لم ينفطس  
يقتري الأسد على ظهره  
من الأعادي كل مستفترس

وساق بعد قصيدة الزمزمي قصيدة الخطيب ابن داريما التي عارضها الزمزمي بقصيدته تلك.

وقد يورد تراجم مختصرة لبعض ولاة مكة، من ذلك قوله (١٣): وفي سنة ١٠٧٧ يوم الثلاثاء ثلاث خلون من محرم توفي صاحب حرم الله الأمين، الشريف زيد بن محسن ملك مكة المشرفة، ودفن بالمعلاة في قبة أبي طالب، وكانت ولادته سنة



# قصص

## التوبة النصوح

د. محمود جبر الربدادي

محجن عن شرب النبيذ وعن التعرض للمحصنات، فلما لم ينته حذه على شربها غير مرة، وقلت لك إن في الرجل صلأ وعنجهية، وعزة بالإثم جعلناه يقابل صلابة عمر في إقامة الحدود بالإصرار والتمرد، مما دفع عمر الذي لايساوم على مبادئ الإسلام إلى نفي أبي محجن إلى جزيرة (حوضي) بالقرب من البحرين ولكنه يفلت من أيدي مرافقيه، ويتوجه إلى سعد بن أبي وقاص الذي كان في العراق يحارب الفرس في القادسية، فيرسل عمر إلى سعد أن يحبسه، فحبسه في قصره، وقيد رجله بقيد مخافة أن يعاود الهرب مرة ثانية، فلما كان (يوم أرمات)، وهو أحد أيام الحرب بين العرب والفرس في القادسية، انتهى إلى أبي محجن خبر ما حل بالمسلمين من ضنك وضيق، فأخذ يتحرق للانطلاق للمعركة، ولما لم يتيسر له ذلك رجع يرسف في قيوده، ويقول:

كفى حزنا أن تطعن الخيل بالقنا  
وأصبح مشدوداً على وثاقها  
إذا قمت عنائي الحديد وأغلقت  
مصارع من دوني تُصمّ الناديا  
وقد كنت ذا مالٍ كثير وأخوة  
فأصبحت منهم واحداً لا أخا ليا  
فإن مت كانت حاجة قد قضيتها  
وخلفت سعداً وحده والأمانيا  
وقد شف جسمي أنني كل شارب  
أعالج كيلاً مصمتاً قد برانيا  
فله دري يوم أترك موثقاً  
وتذهل عني أسرتي ورجاليا  
حيساً عن الحرب العوان، وقد بدت  
وأعمال غيري يوم ذاك العواليا  
ولله عهد لا أخيس بعهده  
لئن فرجت أن لا أزور الحوانيا

وتُجمع الروايات على أن سلمي بنت حفصة زوج سعد بن أبي وقاص رآته على هذه الحال من شدة الرغبة في المشاركة في المعركة، فقال لها: يا بنة آل أبي حفصة، هل لك إلى خير؟ قالت: وما ذاك؟ قال لها: تُخلّين عني وتعيرينني (البقاء) - وهي فرس لسعد بن أبي وقاص - فله علي إن سلمي الله أن أرجع إليك حتى تضعي رجلي في قيدي، فقالت له سلمي: قد استخرت الله ورضيت بعهدك، فاطلقتة، فانطلق أبو محجن إلى الفرس فامتطأها ثم لحق بجيش المسلمين، فلما توسط الميمنة كبر وصال وجال، ولعب برمحه وسلاحه بين الصنفين،

وسألني القوم عن ديني وعن خلقي  
إذا سما بصر الرعديدة الفرق (١)  
وعامل الرمح أرويه من العلق (٢)  
تتفي المسابير بالإزباد والفهق (٣)  
وإن ظلمت شديد الحقد والحنق  
وأكتم السر فيه ضربة العنق  
وقد يثوب سوام (٥) العاجز الحمق  
ويكتسي العود بعد الجذب بالورق  
وقد أكر وراء المحجر البرق (٧)  
وأترك القول يدينني من الرهق (٩)

ترك لنا ديوان شعر صغيراً، لا يعدو أن يكون مقطعات قصيرة، ليس بينها قصائد طوال، ولسنا ندري أهذا الديوان كل بضاعته من الشعر أم هذا الذي بقي في ذواكر الرواة؟ هذه التركة الشعرية جمعها الناقد المشهور أبو هلال العسكري صاحب الصنائع وجمهرة الأمثال وشرح الحماسة والفروق في اللغة، واعترف بأن أبا محجن شاعر مقل (١). ترددت أخبار أبي محجن في ثانيا أمهات المصادر كالإصابة والاستيعاب والشعر والشعراء والأغاني وخزانة الأدب ومروج الذهب وتاريخ الطبري وفتوح البلدان، ولكن كل هذه المصادر تجمع على إيراد قصته مع عمر بن الخطاب، هذه القصة التي تقول: إن عمر رضي الله عنه نهى أبا

قال أبو محجن الثقفي:  
لا تسألني الناس عن مالي وكثرتهم  
قد يعلم الناس أنا من سراتهم  
أعطى السنان غداة الروع حصته  
وأطعن الطعنة النجلاء عن غرض  
عف الإياسة (٤) عما لست نائلة  
وأكشف المأزق المكروب غمته  
قد يقتير المرء يوماً وهو ذو حسب  
قد يكثر المال يوماً بعد قلته  
وقد أجود، وما مالي بذي فنع (٦)  
وأهجر الفعل ذا حوب (٨) ومنقصة

قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وأمنوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم﴾ (الأعراف: ١٥٣).  
شاعر مخضرم بين الجاهلية والإسلام، انحدر من قبيلة ثقيف، وانحدرت معه من هذه القبيلة في جاهليتها سجتان: شجاعة منقطعة النظير، وصلف يصل إلى أن تأخذ الشاعر العزة بالإثم، أسلم والتزم مبادئ الإسلام، والإسلام يقر في المرء كل مزايا الخير وينميها، ويصارع كل مزايا الشر ويحتشها.  
أسلم أبو محجن - ودعني من اختلاف الرواة في اسمه الحقيقي وكنيته - في السنة التاسعة للهجرة، ورويت عنه عدة أحاديث،



ثُمَّ أَدْهَشَ الْمُقَاتِلِينَ، حَتَّى إِنْ سَعِدًا أَخَذَتْهُ  
الْدهشة، وَقَالَ: لَوْلَا مُحْبِسُ أَبِي مُحَجَّجٍ  
لَقُلْتُ هَذَا أَبُو مُحَجَّجٍ وَهَذِهِ الْبُلْقَاءُ، وَلَمْ  
يَزَلْ أَبُو مُحَجَّجٍ يُقَاتِلُ حَتَّى تَحَاجِزَ أَهْلُ  
الْعُسْكَرِينَ فَعَادَ إِلَى الْقَصْرِ، وَوَضَعَ رِجْلَيْهِ  
فِي الْقَيْدِ، وَقَالَ:

لَقَدْ عَلِمْتُ ثَقِيفٌ غَيْرُ فَخْرٍ  
بَأَنَّا نَحْنُ أَجُودُهَا سَيُوفًا  
وَأَكْثَرُهَا دُرُوعًا ضَافِيَاتٍ  
وَأَصْبِرُهَا إِذَا كَرِهُوا الْوُقُوفَا  
وَأَنَا رَفْدُهُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ  
فَإِنْ غَضِبُوا فَسَلِّ رِجْلًا عَرِيفَا  
وَلَيْلَةَ قَادِسٍ لَمْ يَشْعُرُوا بِي

وَلَمْ أَشْعُرْ بِمُخْرِجِي الزُّحُوفَا  
فَإِنْ أَحْبَسَ فَقَدْ عَرَفُوا بِلَانِي...  
وَأِنْ أَطْلُقْ أَجْرِعُهُمْ حُتُوفَا  
فَجَاءَتْهُ سَلْمَى الَّتِي أَعْجَبَتْ بِمُوقِفِهِ  
وَشَجَاعَتِهِ، فَقَالَتْ لَهُ: يَا أَبَا مُحَجَّجٍ، فِي أَيِّ  
شَيْءٍ حَبَسَكَ هَذَا الرَّجُلُ؟ فَقَالَ: أَمَا وَاللَّهِ مَا  
حَبَسَنِي بِحَرَامٍ أَكَلْتُهُ وَلَا شَرِبْتُهُ، وَلَكِنِّي  
كُنْتُ صَاحِبَ شَرَابٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَأَنَا أَمْرُؤُ  
شَاعِرٍ، يَدِبُ الشَّعْرَ عَلَى لِسَانِي، فَيَنْفِثُهُ  
أَحْيَانًا، فَحَسِبَنِي لِأَنِّي قُلْتُ:

إِذَا مِتَ فَادْفِنْنِي إِلَى أَصْلِ كَرْمَةٍ  
تُرَوِّي عِظَامِي بَعْدَ مَوْتِي عُرُوقَهَا  
وَلَا تَدْفِنْنِي بِالْفَلَاةِ فَإِنِّي

أَخَافُ إِذَا مَا مِتَ أَنْ لَا أَذُوقَهَا  
أَبَاكَرُهَا عِنْدَ الشَّرُوقِ وَتَارَةً

يَعَاجِلُنِي بَعْدَ الْإِغْيَا غُبُوقَهَا  
وَلِلْكَأْسِ وَالصَّهْبَاءِ حَقٌّ مَنَعَمٌ

فَمَنْ حَقَّقَهَا أَلَا تُضَاعَ حَقُوقُهَا  
ثُمَّ قَامَتْ إِلَى سَعْدٍ وَأَخْبَرَتْهُ خَبَرَ أَبِي  
مُحَجَّجٍ، فَدَعَا بِهِ، وَأَطْلَقَهُ، وَقَالَ: إِنِّي لَسْتُ  
مُؤَاخَذَكَ بِشَيْءٍ تَقُولُهُ حَتَّى تَفْعِلَهُ، قَالَ أَبُو  
مُحَجَّجٍ: لَا جُرْأَ وَاللَّهِ إِنِّي لَا أَجِيبُ لِسَانِي  
إِلَى صِفَةِ قَبِيحٍ أَبَدًا، فَقَالَ سَعْدٌ: أَمَا وَاللَّهِ لَا  
أَضْرِبُ الْيَوْمَ رِجْلًا أَبْلَى اللَّهِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى  
يَدِهِ مَا أَبْلَاهُمْ، فَيُخْلَى سَبِيلُهُ. فَقَالَ أَبُو  
مُحَجَّجٍ: قَدْ كُنْتُ أَشْرِبُهَا إِذْ كَانَ الْحَدَّ يَقَامُ  
عَلَيَّ وَأَطْهَرُ مِنْهَا، فَأَمَا إِذَا بَهَرَجْتَنِي فَلَا وَاللَّهِ  
لَا أَشْرِبُهَا أَبَدًا، (٢) .. وَكَانَ التَّحْوَلُ، فَبَعْدَ  
أَنْ كَانَ يَقُولُ:

إِنْ كَانَتْ الْخُمُرُ قَدْ عَزَّتْ وَقَدْ مُنَعَتْ  
وَحَالَ مِنْ دُونِهَا الْإِسْلَامُ وَالْحَرْجُ  
فَقَدْ أَبَاكَرُهَا رِيًّا وَأَشْرِبُهَا  
صَرَفًا وَأَطْرِبُ أَحْيَانًا فَأَمْتَرُجُ  
وَقَدْ تَقُومُ عَلَى رَأْسِي مَغْنِيَةٌ  
فِيهَا إِذَا رَفَعْتَ مِنْ صَوْتِهَا غَنَجٌ

إِذَا هُوَ بَعْدَ التَّوْبَةِ النَّصُوحُ يَقُولُ:

أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ الرَّحِيمِ فَإِنَّهُ

غَفُورٌ لَذَنْبِ الْمَرْءِ مَا لَمْ يَعَاوِدْ  
وَلَسْتُ إِلَى الصَّهْبَاءِ مَا عَشْتُ عَائِدًا

وَلَا تَابِعًا قَوْلِ السَّفِيهِ الْمَعَانِدِ  
وَكَيْفَ - وَقَدْ أَعْطَيْتَ رَبِّي مَوَاتِقًا -

أَعُودُ لَهَا، وَاللَّهِ ذُو الْعَرْشِ شَاهِدِي  
سَأُتْرَكُهَا مَذْمُومَةً لَا أَذُوقُهَا

وَأِنْ رَغِمَتْ فِيهَا أَنْوَفُ حَوَاسِدِي  
ثُمَّ اسْتَمَرَّتِ التَّوْبَةُ، وَيَبْدُو أَنَّ أَصْدِقَاءَ  
الْأَمْسِ لَمْ يَصْدُقُوا تَوْبَتَهُ، فَيَرِدُ عَلَيْهِمْ مُؤَكَّدًا  
هَذِهِ التَّوْبَةُ وَيَقُولُ:

وَقَالَ لِي النَّدِيمَانِ مَا تَرَكْتُمَا  
أَلْجِدُ هَذَا مِنْكَ أَمْ أَنْتَ تَلْعَبُ؟

وَقَالُوا عَجِيبٌ تَرَكْتَ الْيَوْمَ قَهْوَةً  
كَأَنِّي مُجَنُّونَ، وَجَلْدِي أَجْرَبُ

سَأُتْرَكُهَا لِلَّهِ، ثُمَّ أَذْمَهَا  
وَأَهْجَرُهَا فِي بَيْتِهَا حَيْثُ تُشْرَبُ

لَقَدْ تَابَ الرَّجُلُ تَوْبَةً نَصُوحًا بِمَحْضِ  
إِرَادَتِهِ لَا خَوْفًا مِنْ شِدَّةِ عَمْرِ وَسَعْدٍ، وَذَهَبَ  
بَعْدَ الْقَادِسِيَّةِ مُجَاهِدًا مَعَ جَيُوشِ الْفَتْحِ  
الْإِسْلَامِيِّ حَتَّى اسْتَقَرَّ بِهِ الْمَقَامُ فِي أَذْرِبَيْجَانَ  
أَوْ فِي جَرَجَانَ، وَأَدْرَكَتْهُ الْمَنِيَّةُ هُنَاكَ سَنَةَ ٣٠  
لِلْهَجْرَةِ.

هَذَا التَّحْوَلُ الْكَبِيرُ الَّذِي طَرَأَ عَلَى حَيَاةِ  
الرَّجُلِ جَعَلَ عَمْرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَغْيِرُ رَأْيَهُ  
فِي أَبِي مُحَجَّجٍ عِنْدَمَا بَلَغَتْهُ تَوْبَتُهُ، فَقَدْ رَوَى  
أَبُو هِلَالٍ الْعُسْكُرِيُّ فِي الدِّيَوَانِ أَنَّ عَمْرَ  
كَانَ يُفْضِلُ أَيْيَاتِهِ الْقَافِيَةَ الْمَكْسُورَةَ الَّتِي  
أَثْبَتْنَاهَا فِي صَدْرِ مَقَالَتِنَا هَذِهِ «وَكَانَ يَتَّهَمُ  
رَأْيَهُ فِيهَا، فَلَا يَذْكُرُ ذَلِكَ إِلَى أَنْ قَالَ لِعَلِيِّ بْنِ  
أَبِي طَالِبٍ: مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ؟ قَالَ: الَّذِي  
أَحْسَنَ الْوَصْفِ وَأَحْكَمَ الرِّصْفِ وَقَالَ  
الْحَقُّ، قَالَ: وَمَنْ هُوَ؟ قَالَ أَبُو مُحَجَّجٍ فِي  
قَوْلِهِ: «لَا تَسْأَلُنِي النَّاسَ عَنْ مَالِي وَكَثْرَتِهِ»  
قَالَ: أَيْدَتْنِي يَا أَبَا الْحَسَنِ أَيْدُكَ اللَّهُ، فَمَازَلْتُ  
مُؤْيِدًا فِي كُلِّ خَيْرٍ، ثُمَّ قَالَ: صَدَّقَ فِي كُلِّ  
مَا ذَكَرَ لَوْلَا أَفَةُ كَانَتْ فِي دِينِهِ مِنْ حَبَّةٍ  
لِلْخُمْرِ، وَلَقَدْ تَرَكْتُهَا أَنْفَاءً (٣). لَقَدْ كَانَ  
التَّحْوَلُ فِي شَخْصِيَّةِ أَبِي مُحَجَّجٍ فَكَانَ  
التَّحْوَلُ فِي رَأْيِ عَمْرِ، تَحْوَلُ رَأْيِ عَمْرِ  
طَرِيقَ الضَّلَالِ إِلَى الْهَدْيِ، فَتَحْوَلُ رَأْيِ عَمْرِ  
مِنْ الشَّدَةِ فِي تَطْبِيقِ الْحَقِّ إِلَى الرِّضَا فِي  
تَأْكِيدِ الْحَقِّ، فَاطْمَأْنَنَ نَفْسَهُ لِمُنْحَى شَعْرِ أَبِي  
مُحَجَّجٍ بَعْدَ التَّوْبَةِ أَخَذًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنِّي  
لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ  
اهْتَدَى﴾ (طه: ٨٢).

وَرَوَى الْعُسْكُرِيُّ أَنَّ عُبَيْدَ بْنَ أَبِي مُحَجَّجٍ  
دَخَلَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، فَقَالَ لَهُ  
عَبْدُ الْمَلِكِ: أَيْبُوكَ الَّذِي يَقُولُ:

إِذَا مِتَ فَادْفِنْنِي إِلَى أَصْلِ كَرْمَةٍ

تُرَوِّي عِظَامِي بَعْدَ مَوْتِي عُرُوقَهَا

وَلَا تَدْفِنْنِي بِالْفَلَاةِ فَإِنِّي

أَخَافُ إِذَا مَا مِتَ أَنْ لَا أَذُوقَهَا

فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَكِنْ أَبِي الَّذِي

يَقُولُ:

لَا تَسْأَلُنِي النَّاسَ عَنْ مَالِي وَكَثْرَتِهِ

وَسَأَلُنِي الْقَوْمَ عَنْ دِينِي وَعَنْ خُلُقِي

وَأَنْشُدَهُ الْآيَاتِ إِلَى آخِرِهَا، فَقَالَ

عَبْدُ الْمَلِكِ: إِنْ كُنَّا أَصَانَا لَكَ الْقَوْلَ فَإِنَّا لَا

نَسِيءُ لَكَ الْعَطِيَّةَ، وَأَمْرُ لَهُ بِعَشْرَةِ آلَافِ

دِرْهَمٍ (٤).

وَيَحِلُّ لِكَاتِبِ الْمَقَالَةِ أَنْ يَخْتِمَ مَقَالَتَهُ

بِطَرَفَةٍ ذَكَرَهَا أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْبَهَانِيُّ فِي

الْأَغَانِي (٥): رَوَى أَنَّ رَجُلًا مَرَّ بِقَبْرِ أَبِي

مُحَجَّجٍ الثَّقَفِيِّ فِي نَوَاحِي أَذْرِبَيْجَانَ، قَالَ:

فَرَأَيْتُ قَبْرَهُ وَقَدْ نَبَتْ عَلَيْهِ ثَلَاثَةُ أَصُولِ كَرَمٍ

قَدْ طَالَتْ وَأَثْمَرَتْ، وَهِيَ مَعْرُوشَةٌ، وَعَلَى

قَبْرِهِ مَكْتُوبٌ: هَذَا قَبْرُ أَبِي مُحَجَّجٍ الثَّقَفِيِّ،

فَوَقَفْتُ طَوِيلًا أَتَعَجَّبُ مِمَّا أَتَّفَقَ لَهُ حَتَّى صَارَ

كَأَمْنِيَّةٍ بَلَغَهَا حِينَمَا يَقُولُ:

إِذَا مِتَ فَادْفِنْنِي إِلَى أَصْلِ كَرْمَةٍ

تُرَوِّي عِظَامِي بَعْدَ مَوْتِي عُرُوقَهَا

الشُّرُوحُ:

١- الرَعْدِيدَةُ الْفُرْقُ: الْحَيَانُ.

٢- الْعَلَقُ: الدَّمُ.

٣- النُّجْلَاءُ: الْوَسَاعَةُ، وَالْعَرَضُ: النَّاحِيَةُ، وَالْمَسَايِرُ: جَمْعُ مَسِيرٍ

وَهُوَ الْمِيلُ الَّذِي يَقْدَرُ بِهِ عَمَقُ الْحَرَاكِ، وَالْفَهْقُ: كَثْرَةُ الدَّمِ.

٤- الْإِبَاسَةُ: الْيَأْسُ.

٥- الْإِقَارُ: الْإِقْلَاقُ، يَثُوبُ السَّوَامُ: يَكْثُرُ مَالُ الرَّاعِي.

٦- ذُو قَنْعٍ: ذُو كَثْرَةٍ.

٧- الْمُخَجَّرُ: الْمُضْبِقُ عَلَيْهِ جَدًّا فِي الْحَرْبِ. وَالْبَرْقُ: الشَّاحِصُ

الْبَصَرِ.

٨- الْحُوبُ: الْإِثْمُ.

٩- الرُّغْفُ: السَّفَهُ وَالْحَمَقُ وَالْجَهْلُ.

المَصَادِرُ:

١- جَمْعُ هَذَا الدِّيَوَانِ بِصَنْعَةِ الْعُسْكُرِيِّ الدَّكْتُورِ صِلَاحِ الدِّينِ

الْمُنْجِدِ وَنَشَرَهُ فِي بَيْرُوتَ سَنَةِ ١٣٨٩ هـ/١٩٧٠ م.

٢- الْقِصَّةُ مُفَصَّلَةٌ فِي أَخْبَارِ أَبِي مُحَجَّجٍ فِي الْأَغَانِي الْمَجْلَدِ الثَّامِنِ

عَشَرَ ص ٢٨٩ فَمَا بَعْدَ.

٣- دِيَوَانُ أَبِي مُحَجَّجٍ ص ٢٢.

٤- وَفِي الْأَغَانِي أَنَّ دُخُولَ عُبَيْدِ بْنِ أَبِي مُحَجَّجٍ كَانَ عَلَى

مَعَاوِيَةَ، وَجَرَى مَا جَرَى بَيْنَهُمَا مِنْ حِوَارٍ وَإِنْشَادِ شَعْرٍ، وَيَنْتَهِي

الْخَبَرُ بِأَنَّ قَالِ مَعَاوِيَةَ لِعُبَيْدٍ: إِذَا وَلَدْتَ نِسَاءً قَتَلْتُكَ مِثْلَكَ.

الْأَغَانِي ١٨/٣٢٩٧-٢٩٨.

٥- الْأَغَانِي، الْمَجْلَدُ ١٨ ص ٣٠٠.



# الحضارة الإسلامية

« ٢ »

د. أحمد محمد العسال

ولكن الحضارة في حركتها وتدفعها تشبه كثيرا تيار الماء المتدفق في مجرى نهر مندفع يجمع روافد من هنا وهناك، فلا عجب إذا وجدنا الحضارة الغربية - وقد أخذت من منابع الثلاثة الماضية كإرث ثقافي موصول بالإغريق والرومان والكنيسة - تأثرت وتعلمت من الحضارة الإسلامية من طريقين مهمين:

الأول: الاحتكاك المباشر - في جولات الصراع الروماني البيزنطي، والحروب الصليبية - بالمسلمين.  
والثاني: من طريق الجامعات والمعاهد العلمية في جنوب إيطاليا وقرطبة ودمشق وبغداد.

وقد استطاع العلماء المسلمون بمنهجهم المتوازن الذي حفظ العقل من الاستمرار في البحث فيما وراء الطبيعة وفيما لا طائل منه؛ إذ إنه من الغيب الذي اختص الله به، وأن طريقه إخبار الصادق المصدق صلى الله عليه وسلم، وأن دور العقل فيما يدخل في دائرة قدرته وإمكاناته، وأن الحواس هي وسائله التي تعينه وتمكنه أن يعرف القوانين في نفسه وفيما حوله من الكائنات. هذا المنهج هو الذي مكن المسلمين من إحداث النقلة الهائلة في مجال العلوم التجريبية، وجعلهم ينقلون الطب والصيدلة والكيمياء والعلوم الأخرى تلك النقلة الهائلة التي أعطت أوروبا مفاتيح العلم التجريبي، وظلت العربية لغة الطب في فرنسا حتى القرن السادس عشر، وفي إنجلترا حتى القرن التاسع عشر. وتأثير الحضارة الإسلامية في مجال العلوم الأخرى الآن مقرر ومسجل في كثير من المصادر، وإنما أردنا فقط تسجيل التأثير في هذا المضمار.

وقد حدث تأثير آخر في مجال الفكر الديني ألا وهو حركة الإصلاح الديني التي نشأت عنها المذهب البروتستانتي، وقادها مارتن لوتر في ألمانيا وكلفن في إيطاليا، والتي حاولت أن تحرر الكنيسة من صكوك الغفران ومن قضايا الاعتراف. ولكن الأزمة الهائلة والانقسام النكد بين رجال العلم وآباء الكنيسة من جراء سيطرة الفكر الإغريقي

المثل العليا والقيم الكريمة التي تجمع بين بني الإنسان على كلمة سواء، ويخص أهل الكتاب بالرعاية والعناية لما عندهم من بقية خير وأثر من الكتب التي تنزلت فيهم على ماسبينه فيما بعد.

ولهذا فإننا سنرى إلى أي حد يمكننا أن نحاور الحضارات التي نعيشها بصفتنا مسلمين؟ وما هي مجالات هذا الحوار، وكيف نهيم الجو الصالح لهذا الحوار؟  
لكننا قبل أن نجيب عن هذه الأسئلة المهمة لا بد لنا أن نعرف من قرب الحضارة السائدة في زماننا والقائدة لزماننا ألا وهي حضارة الغرب.

## حضارة الغرب (الروافد والمؤثرات)

يجمع المؤرخون والمفكرون على أن الحضارة الغربية وخاصة الأوروبي منها وليدة روافد ثلاثة:  
في المجال الأخلاقي: المسيحية وخاصة الكاثوليكية.  
في مضمار الحقوق والسياسة والدولة: تأثير موصول للقانون الروماني.  
في حقل الفكر والفنون: التقليد الإغريقي (١).

## الحضارات في ميزان الإسلام

وعلى ذلك فالميزان الذي يزن به الإسلام الحضارات هو مدى قربها أو بعدها من عقيدة التوحيد، ومن قوانين الحق والفضيلة، والتزامها بقيم العدل والقسط وحضها على محاسن الأخلاق وجميل العادات والآداب، وبعدها من جرائم الظلم والتسلط والكبر. والإسلام يرى أن الأسرة البشرية لحمية واحدة وأصرة مشتركة، وأن التعدد والتنوع بين الأمم والقبائل إنما غايته التعارف والتعاون لا التنازع والتخاصم، فيقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَكُمْ وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: ١).

ويقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣). ويأمر بالتعاون والتأزر: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (المائدة: ٢) إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث التي تضع البشرية كلها في إطار التفاهم والدعوة إلى



على عقلية آباء الكنيسة في نظرتهم للكون والحياة، وأن الأرض هي مركز الكون، إلى غير ذلك من الآراء، أدى إلى إقامة محاكم التفتيش التي حكمت على العلماء بالحرق والسجن وغير ذلك، فكان أن حدث رد الفعل الذي قامت على إثره الثورة الفرنسية التي كان شعارها «اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس»، والتي عزلت الدين عن الحياة وحسنته داخل الكنيسة.

وانطلقت حضارة الغرب تبحث عن نظريات تؤسس عليها نظرتها للحياة والإنسان والكون فتوجهت أولاً إلى الإيمان بالعقل الإنساني الواحد بدل الإيمان بالله الواحد، وقد وضع ذلك فيما وضعه أوجست كونت (Auguste Conte) في كتابه الشهير في الفلسفة الوضعية، وكذلك ما وضعه هيجل في نظريته في تحليل التاريخ، وأن المبدأ الأساسي الذي يحرك الوجود هو الروح أو العقل (Geist) المطلق الكيان، ثم نظرية دارون في نشوء الأحياء وارتقائها (٢).

ثم جاء علماء الاجتماع مثل هربرت سبنسر وأمثاله فنقلوها من عالم الحياة العضوية إلى عالم الحياة الإنسانية، ثم جاء جان جاك روسو فوضع نظريته في العقد الاجتماعي التي كانت أساس نظرية القوميات فيما بعد، ثم جاء كارل ماركس ووضع نظريته الجدلية على أساس أن المحرك لحياة الإنسان هو العامل الاقتصادي، ثم فرويد الذي قال إن المحرك هو الغريزة الجنسية. وهكذا اجتمعت للحضارة الغربية كل النظريات التي تربط نشاط الإنسان بالجانب المادي في الحياة وتفرغه من الجانب الروحي، ثم جاء الذرائعيون (البراجماتيون) فكرسوا مذهب المنفعة وقالوا: إن علم الأخلاق فيما يتعلق بالناحية المعيارية مثل العلوم الطبيعية في أنه لا يمكن استنباطه كله مرة واحدة من مبادئ ذهنية، بل لابد أن يخضع للزمن وأن يكون مستعداً لأن يغير نتائجه من آن لآخر، والآراء الذائعة حق، وأن القانون المعياري الحق هو ما يعتقده الرأي العام.

### إنجازات الحضارة الغربية

ومع هذا الانقسام النكد الذي حدث بين الحضارة الغربية والدين، وهذا الخط المنحرف الذي جعلها تبعد كثيراً من هدى الفطرة السليمة والقيم الصالحة؛ إلا أنها أنجزت إنجازات رائعة في ميداني العلوم والمخترعات، وميدان الحياة الاجتماعية والسياسية، فقد انتقلت بالبشرية من عصر البخار إلى عصر الكهرباء والصناعة والتقنية المتقدمة، ثم عصر الاتصالات والفضاء، وأخيراً عصر الإلكترونيات وثورة المعلومات.

أما في ميدان الحياة الاجتماعية فقد قدمت المذهب الحر (الليبرالي) الذي أرسى دعائم فصل السلطات الثلاث: القضائية والتشريعية والتنفيذية وأعطى الأمة حقها في السيادة وانتخاب ممثليها، وبذلك خلصت المجتمعات الغربية من رقة الإقطاع واستبداد الأمراء والحكام وهيمنة آباء الكنيسة، فغدت هذه المجتمعات حرة تمارس حياتها بكل إبداع وإيجابية.

ومن هنا خطت هذه المجتمعات خطوات هائلة في طريق التقدم والحضارة، وانطلقت تبني وتتعلم وتستثمر فوصلت إلى ماوصلت إليه الآن مما نراه ونشاهده ونشعر به من الفجوة الهائلة بين مجتمعات الغرب والمجتمعات الأخرى، وهذا مايفسر التأثير الهائل، والتقليد المشاهد، والافتتان الكبير بمنجزات هذه الحضارة ومحاولة اللحاق بها، فكما قيل: المغلوب مولع بتقليد الغالب، وكما قيل أيضاً: إن قيادة قطار التقدم منوطة بمن يملك زمام العلم والابتكار، ولايسع المتخلف أو قليل البضاعة إلا أن يركب هذا القطار شاء أم أبى!!

### الحضارة الغربية

#### ودورها في استعمار الشعوب

ولكن من سوء طالع هذه الحضارة أن ارتبطت نهضتها وتقدمها بأسلوبها الوحشي التدميري للشعوب الضعيفة، واستباحتها لخيرات هذه الشعوب بأساليب تنم عن الخبث والدهاء والمكر والبعد من القيم

الفاضلة، وما أمثلة أعمال شركتي الهند الشرقية في الهند، والشركة الهولندية في أندونيسيا، وحرمة صيد الزنوج في أفريقيا وشحنهم إلى أمريكا لاستغلالهم واستعبادهم، وإفناء الهنود الحمر في أمريكا، والسكان الأصليين في استراليا، وحرب الأفيون في الصين، واستنزاف مناجم الذهب في جنوب أفريقيا وغينيا، إلا أمثلة يسيرة على ذلك (٣).

وقد كان حظ العالم الإسلامي وفيراً من هذا الذل الاستعماري، فقد سقط كله إلا القليل النادر تحت رحى الاستعمار الغربي خلال القرون الثلاثة الأخيرة، ولم تأت الحرب العالمية الأولى إلا وكان شرق العالم الإسلامي وغربه تحت السيطرة الاستعمارية تمهيداً لإلغاء الخلافة سنة ١٩٢٤م (٤)، وقد سبق للشعوب الإسلامية في آسيا الوسطى والقوقاز أن طحت تحت رحى القيصر الروسي وورثتها بعد ذلك الماركسية.

وقد تسببت هذه الروح الاستعمارية في إذكاء جذوة التنافس، وولدت المذاهب النازية والفاشية والماركسية التي اصطلت العالم بسببها بحرين عالميتين ذهب ضحيتها ما يتراوح بين ١٦٧ - ١٧٥ مليون شخص أزهقت أرواحهم وبصورة متعمدة باسم الأيديولوجية وباسم السياسة - على حد تعبير بريجنسكي -. وهذا العدد المساوي عدد سكان ثلاث دول أوروبية مجتمعة هي فرنسا وإيطاليا وبريطانيا، أو مايزيد على ثلثي سكان الولايات المتحدة الأمريكية، وهو رقم أكبر من إجمالي كل الحروب الأهلية والاضطهادات الدينية عبر التاريخ الإنساني كله (٥).

ومن هنا كان تعامل الحضارة الغربية بإرثها التاريخي، وإرثها الفكري، ونظرتها الاستعمارية نظرة الاستعلاء والكبر إلى الشعوب الأخرى؛ نظرة لا تقوم على الندية ولا الأخذ والعطاء إنما هي قائمة على الأحادية، وأنها الحضارة التي انتهت إليها الحضارات. وزاد من تركيز هذا الموقف انهيار النظام الاشتراكي، فانفردت الحضارة الغربية بقيادة العالم، وظهرت الكتابات التي



تبرر هذا الانفراد من مثل كتابة فرانسيس فوكوياما وكلامه عن نهاية التاريخ، وأن العالم بأسره قد وصل إلى ما يشبه الإجماع بخصوص الديمقراطية الليبرالية بوصفها نظاما للحكم بعد أن ألحقت الهزيمة بالأيديولوجيات المنافسة. ويرى فوكوياما أن كلا من هيجل وماركس كانا يريان أن التاريخ سيصل إلى نهايته حينما تصل البشرية إلى شكل من أشكال المجتمع الذي يشبع حاجة البشر الأساسية والرئيسية، فهو عند هيجل الليبرالية وعند ماركس المجتمع الشيوعي.

ومن مثل كتابة هينجتن في بحثه عن صدام الحضارات. وفيه يرى أن الصراع القادم سيكون صراعا بين الحضارات ستصفي فيه الحضارة الغربية الحضارات التي لا زال عندها إحساس بهويتها وذاتيتها، وأن أهم عامل في حضارات اليوم هو الدين. ويضرب الأمثلة على بدء الصراع الدامي في العالم بأن المحرك لها هو الدين، ولهذا يرى العقلاء من الغرب من أمثال روجيه جارودي: أن هيمنة الغرب هي أخطر حدث في تاريخ الكون لم ينتج منه سوى الخوف من الموت، وخشية الإنسان أخاه، والذعر من المستقبل. يقول جارودي: منذ القرن السادس عشر إلى نهاية القرن العشرين تحكمتم في حضارتنا الغربية فرضيات ثلاث:

١ - أسقية الفعل والعمل.

٢ - أسقية العقل.

٣ - أسقية اللامتناهي الرديء واللامتناهي الكمي.

ثم يقول: إن هذه الحضارة مجهزة بدواعي الانتحار، وذلك لانعدام الغاية كما تشهد بذلك ظاهرة اللجوء إلى المخدرات، وانتحار المراهقين التي هي أكثر حدوثا في البلاد الأوفر ثراء، وازدياد معدل الجريمة، وانتشار مرض الإيدز وتلوث البيئة، ونفاد الموارد الطبيعية، وهي نتيجة لتصور لا يرى في الطبيعة إلا خزاناً ومزبلة.

إن مجتمعاتنا التي تدعي أنها متقدمة تشغل باسم فرضية اللامتناهي الكمي

بمقتضى مبدأ السفسطائيين: «خلق الحاجات والشهوات».

إن هذه النهضة لم تكن مجرد حركة ثقافية، بل كانت مولدا مزدوجاً للرأسمالية والاستعمار، والتي هي أبعد من أن تكون أوج النزعة الإنسانية. لقد أتلقت هذه الحضارة حضارات أعلى شأناً منها في علاقة الإنسان بالطبيعة والمجتمع والأمور الإلهية (٦).

### أزمة الحضارة الغربية

من خلال العرض السريع للحضارة الغربية تبين لنا ما فيها من جوانب مشرقة وباهرة أسهمت ولا تزال في تقدم البشرية في نواح كثيرة علمية واجتماعية واقتصادية وسياسية. لكنها للأسف منيت بالمادية المتطرفة، التي حجبته عن الدين الحق، وإن كانت هناك بقايا فليس لها الدور المؤثر، وتبع ذلك غلبة الأهواء الضالة في جوانب الغرائز في الجنس والكسب، واتجاه المجتمع الغربي إلى إباحة الاستباحة، وهو مصطلح ينطبق على أي مجتمع يباح فيه كل شيء، ويمكن أن يمتلك أي شيء، مجتمع انحدرت فيه المعايير الأخلاقية مع مضاعفة الانهماك في الإشباع الذاتي والمادي والحسي (٧).

وإذا كان هذا هو الجانب الداخلي في الأزمة، فإن جانب التعامل مع الآخر هو الأزمة الحقيقية التي تعاني منها البشرية، ألا وهي الروح الاستعمارية البغيضة التي تبيع للقوة المسيطرة للعالم السياسات الظالمة والجائرة والخطط الاقتصادية والاجتماعية التي تكرس السيطرة وتفرض الظلم والقهر على الآخرين وتلبسها ثوب الأمية والعالمية.

ولسنا في مجال التفصيل، ويكفي أن نشير إلى السياسة العالمية التي تكرس الاستعمار الاستيطاني الكريه في فلسطين كما كرسه من قبل في جنوب أفريقيا وروسيا لولا كفاح شعوبهما. ثم ننظر الآن في مأساة البوسنة والهرسك، حتى إن جريدة النيويورك تايمز أعلنت - بمناسبة مرور ألف يوم على حصار سرايفو - موت المبادئ والقيم، وقد جاء فيه: «في ذكرى التزامنا بالمبادئ والقيم الخلقية التي ماتت في البوسنة

والهرسك عام ١٩٩٤م لا ترسلوا باقات زهوراً! قوموا بتعزية المجلس الأوروبي الأمريكي العامل من أجل السلام في البلقان» (٨).

وإذا اقتربنا من السياسة الاقتصادية وجدنا السياسة الربوية الجائرة التي يملها صندوق النقد الدولي وكذا مؤسسة التجارة العالمية، ولسنا في مجال التفصيل بل غرضنا إكمال الصورة. وينضم إلى ذلك السياسة الاجتماعية التي تسعى إلى فرض سياسة سكانية على العالم تغير نظام الأسرة وتفتح باب الانحلال والتهتك كما هو حادث في الغرب. وما مؤتمر السكان الذي عقد في القاهرة في تشرين الأول/أكتوبر ١٩٩٤م منا ببعيد، وقد تعاون الأزهر الشريف مع الكنيسة الكاثوليكية في التصدي لخططه الأثم. ومع ذلك فالسياسات الرسمية والاجتماعية لا تزال تغزل الشباك للمجتمعات المقهورة والضعيفة بفعل آليات القروض المشروطة والمتدسدة على هذه الشعوب، ووجود التبعية الذليلة القابلة لهذه السياسات.

### عالمنا اليوم

تلكم باختصار شديد جوانب الأزمة الهائلة في الحضارة الغربية والمؤثرة تأثيراً بعيداً في مستقبل البشرية، لكن الجانب الآخر من الصورة هو أن العالم اليوم يختلف عن عالم الأمس من حيث ثورة الاتصال الإلكترونية. لقد دخلت البشرية عصر الإعلام المتعدد الذي يزوج بين ثلاثة أجهزة: الهاتف (التليفون) الحاسوب (الكمبيوتر) والتلفاز، هذه التقنيات تم ربط بعضها ببعض. إن شبكة INTERNET أكبر شبكة حاسوب يتحدث فيها مشتركون من شتى الأقطار في اللحظة نفسها بطريقة آنية بتكلفة مكالمات هاتفية محلية.

إن شبكة الألياف الضوئية ستحل محل الكابلات النحاسية لتنقل المعلومات بكل أشكالها بسرعة الضوء. إن شعرة واحدة من تلك الألياف الضوئية قادرة على حمل مئات من القنوات التلفازية في اللحظة نفسها،



## حوار الحضارات « ٢ »

العجز والتردي وعدم القدرة على علاج النزيف الدامي في كثير من مناطق العالم - وخاصة الإسلامي - في فلسطين والبوسنة وكشمير والصومال وجنوب السودان... مما سبب قلقاً وحيرة وإحباطاً في نفسية المجتمع الإنساني كله بعامته والإسلامي على وجه الخصوص. وأخيراً قضية حقوق الإنسان المنتهكة في كثير من المجتمعات التي لا تزال تن من القيود الظالمة والجائرة التي لا تعطي الفرد حقه في التعبير الكريم ولا القضاء العادل ولا العيش الكريم، وتعمل فيه بقانون البطش والاستعباد ولا تراعي فيه التكريم الذي خلقه الله من أجله، ولا الصيحة التي أطلقها الخليفة العادل عمر رضي الله عنه : «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟». كل ذلك وغيره يفرض على البشرية منظمات وجامعات وحكومات وعلماء وأدباء ومفكرين أن يتناذروا إلى حوارٍ يضيء شموعاً في هذا الجو، ويعطي أملاً لنفوس وعقول يدمي أفئدتها هذا الواقع الأليم.

### العقبات التي تواجه الحوار

وما لاشك فيه أن الحوار سيتنوع حسب المشكلات والقضايا التي تواجه الحضارات القائمة والأطروحات والأفكار التي سببها الإرث التاريخي والممارسات التي اعتادت الحضارة القائمة، وقد عرض الأستاذان روجيه جارودي المفكر الفرنسي ومحمد مزالي في كتاب «حوار الحضارات» أن العقبة الكؤود أمام مشروع الأمل في الحوار هي: عقدة الاستعلاء والغرور التي تحكم الغرب وإرادة الهيمنة والاستغلال، وأنه ما لم يتحرر الغرب من هذه العقدة ويحترم خصوصية كل ثقافة، فإن الأمل في الحوار لن يتحقق، وأن شرف المساهمة في إثراء الحضارة البشرية حق وواجب، وأنه لا بد من محو آثار الالتباس التاريخي الكبير الذي أفسد علاقات الشرق والغرب منذ قرون ومهد للحروب

خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير» (الحجرات: ١٣).

وحمل القرآن الكريم ألواناً جميلة من خطاب الأنبياء - عليهم السلام - الحاني الرفيق، والبراهين المتعددة الحاشدة لآيات الله - عز وجل - في كونه من مثل دعوة نوح - عليه السلام - ودعوة أبي الأنبياء إبراهيم وتاملاته وحجته حينما نظر إلى الكواكب نجومها ثم قمرها وشمسها إلى أن قال: ﴿إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين﴾ (الأنعام: الآية ٧٩).

ثم الختام الرائع للأنبياء - عليهم السلام - برسولنا محمد - صلى الله عليه وسلم - وإتمامه مكارم الأخلاق وأنه جاء رحمة للعالمين، وإرساله الرسائل للملوك والأمراء والعظماء بالدعوة الحانية للدخول في دين الله، وترك الوثنيات والتحرقات التي أضاعتها الأهواء إلى دين الله الحق، وقد أحترم الإسلام أهل الكتاب وأوصى بهم وطلب البر بهم وجدالهم بالتي هي أحسن.

### حاجة البشرية إلى الحوار

بيناً فيما سبق كيف أن ثورة المعلومات وشبكة الآليات الإلكترونية والآليات الضوئية جعلت العالم كله قرية واحدة، وقد أصبح البث الفضائي من طريق الأقمار الصناعية حقيقة مشاهدة وأمرنا نعيشه في كل وقت وأن، مما يسر تبادل المعلومات، وسهل لغة الحوار والتفاهم، هذا من جانب. ومن جانب آخر فإن المستوى الذي وصلت إليه الإنسانية من التقارب في جوانب الجامعات والفنون والآداب والثقافات جدير بفتح نوافذ الفهم المشترك، ناهيك عن النتائج المفزعة والثمرات المرة التي نزلت ببني الإنسان من الاندفاع المحموم تجاه حضارة الوفرة واستباحة الإباحية، وما أوجدته من مشكلات متفاقمة ومتعاظمة في ارتفاع معدل الجريمة وانتشار المخدرات والخطر المتفاقم لطاعون العصر مرض الإيدز. ثم ماوصلت إليه البشرية اليوم من حالة

وسيتحول الاستقبال من الأساس التناظري إلى الأساس الرقمي، وهذه الشعرة المصنوعة من الزجاج اللين والتي يقدر سمكها بسمك شعرة الإنسان تستطيع أن تنقل بمقدار ألف مرة من المعلومات التي تستطيع كل ترددات الراديو نقلها مجتمعة.

ونتيجة لهذا فقد أحدثت صناعة تقنية المعلومات ثورة في العالم لدرجة أن الناتج العالمي لصناعة المعلومات سنوياً يقرب من ألف مليار دولار، وقفزت العمالة في صناعة المعلومات من ٨٪ في أواخر القرن الماضي فتجاوزت ٤٥٪ في عام ١٩٨٠م.

### ما معنى هذا؟

سيتزوج علما المعلومات والاتصالات، وسيصبح في الإمكان عمل بعض الأعمال دون التحرك، وستزداد أهمية البيت والأسرة والتعليم وسيكون هناك تعليم ذاتي، وستصبح المعلومات باعتبارها مصدر القوة معياراً اجتماعياً ووسيلة ارتقاء وتقدم فضلاً عن كونها مورداً اقتصادياً مهماً، ومن المؤكد ستحدث تغييرات ثقافية واجتماعية وسياسية وحضارية، وهذا التحول في التقنية سيمكّن من خطاب العقل والفكر من دون حوائل، وسيتيح للذين يملكون وسائل ويقدر على معالجة مشكلات الإنسان، ويحسنون الدخول إلى فطرته.. الحوار والجدل.

### الرؤية الإسلامية للحوار

جاء الإسلام خطاباً للبشرية كلها وعودة للفطرة الأصلية، فقام على خطاب النفس كلها عقلاً ووجداناً وحساً، واعتمد البرهان والتفكير والتدبر في آيات الله في الكون والنفس والحياة، وحرّم القسر والإكراه وأوجب الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، وتجاوز بنظرته الجنس واللون وخاطب الناس جميعاً بأنهم من أب واحد وأم واحدة، واحترم تعدد شعوبهم وقبائلهم ولغاتهم وعدّها من آيات الله، يقول تعالى: ﴿ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين﴾ (الروم: ٢٢)، «يا أيها الناس إنا



## حوار الحضارات « ٢ »

الصلبية وبرر الاستعمار والاعتداء على حرمان الشعوب، وأنه لا بد من محاولة اكتشاف الذات ووجود رؤية حضارية أصيلة تسمح بالتعدد وتؤمن بمقومات الكيان الفردي والجماعي الروحية والفلسفية والأخلاقية، وتتيح الابتكار والخلق والمعاناة للظفر بالحلول الجذرية للمشكلات المستعصية التي يطرحها علينا محيطنا الثقافي والاجتماعي. وبالجملة لابد لأبناء الحضارة الغربية من التواضع الفكري والتخلي عن الاعتقاد بأنهم كل شيء، وأنهم مصدر المعرفة والقوة والسعادة وأن من سواهم من البشر مضطرون إلى الأخذ عنهم والافتداء بهم واستهلاك بضاعتهم. نسألهم باسم الموضوعية العلمية أن يعيدوا قراءة التاريخ ويفتحووا على الحضارات والثقافات الأخرى.

لقد استقبل النبي - صلى الله عليه وسلم - وفد نصارى نجران في مسجده الشريف وحوارهم واستمع إليهم، وقد حدثت حوارات في العصر الحديث بدأت من البابا بولس السادس في ٦ آب/أغسطس ١٩٦٤م، وقد أنشئت أمانة لشؤون غير المسيحيين في الفاتيكان، ودائرة مع الشعوب ذوات العقائد الحية (الأيدولوجيات) في مقر مجمع الكنائس العالمية في جنيف، والوثائق الأولى للحوارات تبين أنه كان وسيلة مخفية للتبشير، وقد أوضح الدكتور هالكروتز وهو عالم لاهوتي نرويجي في دراسته المفصلة أن الحوار هو التطوير الثاني لحركة التبشير المسيحي (٩).

وقد أوضح أحد الباحثين (١٠) الذين عاصروا الحوار الإسلامي المسيحي أنه كي يكون الحوار ناجحاً ومفيداً ومؤدياً لرسالة لا بد من رعاية الشروط الآتية:

١- تبادل المعلومات والأفكار والحقائق التي تزيد من معرفة كل فريق بدين الفريق الآخر وتاريخه وحضارته؛ توضيحاً يعين على

التلاقح على مواطن الاتفاق أو الاتفاق بطريقة مخلص وموضوعية.

٢- البعد من التلفيق الديني بين أحكام الدينين سواء كان ذلك التلفيق صريحاً أو رمزياً.

٣- العناية بحسن اختيار المحاور بأن يكون متخصصاً في الموضوع ليكون قادراً على التعبير الصحيح.

٤- حسن اختيار مواضيع الحوار والبعد ما أمكن من حساسيات الفكر اللاهوتي الكلامي القديم الذي حفلت به كتب الملل والنحل.

٥- اختيار الموضوعات الحية مثل وضع الأقليات سواء كانت مسيحية أو مسلمة في كلا المجتمعين الإسلامي والمسيحي، وتبيين الحقوق والواجبات التي يعطيها كل دين للآخر (١١).

وما يعين على إنجاح الحوار وفتح المجالات الكثيرة له:

- تصحيح الصورة الخاطئة التي ألصقت بالإسلام والمسلمين لدى العقليّة الغربية، وهذا ما أكدته أنا ماري شيمل في مقدمتها

لكتاب «الإسلام كبديل» عندما قالت: المرء عدو ما يجهل، فإن لوحات فناني القرن التاسع عشر تسمي المسلمين «المحمدين» وهم إما برابرة غير متحضرين، شاهر السيف، أو مترفون غارقون في مجالس اللهو بين الحسان، أو فقيه ملتح متزمت، أو صورة إرهابي وقح لا وازع له. ومسيحيو القرون الوسطى ظنوا أن الإسلام زندقة وارتداد عن الدين المسيحي، وشاعت الأسطورة التي زعمت أن محمداً لم يكن سوى كاردينال كاثوليكي خرج عن البابا، وأنه شغل بإقامة الدولة ويزوجاته عن الوعظ والدعوة، وأنه آلف القرآن (١٢).

- إن تصحيح الصورة يقتضي تفهمنا لتيارات التفكير في الغرب والتوجه إلى الشرائع التي تبحث عن علاج ما أصاب النفسية الغربية من دمار، وتقديم الإسلام الصحيح لهم من خلال البلاغ الواضح المبين والتركيز على الجانب العقدي والعبادي

والروحي والأخلاقي، كما ينبغي السعي لتصحيح الأخطاء المبثورة في الكتب المدرسية عن الإسلام والمسلمين.

- العمل على إنشاء مراكز بحث ودراسات متخصصة في جامعاتنا ومعاهدنا الإسلامية تُعنى بقضية الحوار، وتعمل على الاتصال بالمراكز المماثلة لتقدم المعلومات الصحيحة.

- وعلى المسلمين وعلمائهم بوجه أخص أن يبذلوا جهداً في تبني قضية الحوار، فهم الأمة الشاهدة على الناس بالدعوة، وأن يتخذوا الوسائل المكافئة لذلك بفهم نفسية المخاطبين، خاصة فهم الحضارة الغربية والحضارات الأخرى مثل الحضارة الصينية والمذاهب المختلفة، فهذا ما فعله سلفنا الصالح، ويقدر ظروف كل شريحة، وقد أصبح الإسلام موجوداً في كل بقاع المعمورة، وأفلست الأيدولوجيات والمذاهب الأخرى وأصبحت الحاجة ماسة للإسلام، فهل ينهض المسلمون بواجبهم ويقدمون للعالم الخير الذي عندهم، نسأل الله العون والتوفيق إنه نعم المولى ونعم النصير.

### الهوامش:

- ١- حوار الحضارات، تأليف روجيه جارودي، منشورات عويدات بيروت - باريس، الطبعة الثالثة، ١٩٨٦م، ص ١٧.
- ٢- انظر: معركة الحضارة لولف غسطنطين زريق، ص ٥٧-٥٥، الطبعة الأولى، بيروت، أبريل ١٩٦٤م.
- ٣- انظر: حوار الحضارات، الفصل الثاني، وفيه رصد أمين مولى لما قام به المستعمرون في آسيا وإفريقيا، ص ٩٣-٩٣.
- ٤- انظر: الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي الحديث، د. محمد البيه، ط التاسعة ١٩٨١م، مكتبة وهبة، القاهرة، صفحة ٢٣ وما بعدها.
- ٥- «الانقلابات»، تأليف ز. بريجنسكي، ترجمة خالد محمد بهاء، ط مركز الدراسات الحضارية، القاهرة، ص ٢٩.
- ٦- حوار الحضارات، روجيه جارودي، ترجمة د. عادل العوا، منشورات عويدات، بيروت/باريس، ص ٣٨٨-٣٨٦.
- ٧- انظر «الانقلابات» ص ٧٤-٧٥ وما بعدها.
- ٨- عن جريدة «الشعب» المصرية بتاريخ ١١/٤/١٩٩٤ العدد ٩٣٦، وقد أمضت البيان السيدة مارجريت ثاتشر مع عدد من كبار الساسة العالمين.
- ٩- بحث مخطوط عن الحوار الإسلامي المسيحي، ص ٣، د. عز الدين إبراهيم.
- ١٠- هو الأستاذ د. عز الدين إبراهيم المستشار الثقافي لرئيس دولة الإمارات العربية المتحدة.
- ١١- انظر: المرحع السابق ص ٤ - ٥.
- ١٢- أنا ماري شيمل، مقدمة «الإسلام كبديل» ط/أولي ١٩٩٣م، طبعة مجلة النور الكويتية، ص ٧ وما بعدها.



# المرأة.. تطير التبرعات من منزلها!

حسن بن حسين المهنا

المرأة ليس في مكتب أو شركة، بل في منزلها.

والذي نقصده هنا ليس أداء الواجبات المنزلية، بل أداء عمل يدر دخلاً مالياً، ولكن بحيث يكون موقع أداء هذا العمل هو المنزل، وهذا النوع من العمل، مع أنه موجود في منطقة الخليج؛ لكنه ليس شائعاً كما هو متوقع نظراً للخصوصية الثقافية المحافظة التي تتسم بها شعوب الخليج، والمجال ليس كافياً هنا لاستقصاء الأسباب.

وقبل كل شيء علينا أن نعلم أن في الولايات المتحدة وحدها ٢٦ مليون شخص يعملون في منازلهم (أي ١٠٪ من الشعب الأمريكي). ورب سائل يسأل: كيف يعملون في منازلهم؟ والجواب أن بعضهم يعمل في حجرة إضافية في المنزل، أو جزء من غرفة النوم أو على طاولة المطبخ، أو في مراب السيارة. يقول كتاب «حقائق العالم» لعام ١٩٩٣م بأن نسبة العاملين في الشعب الأمريكي في عام ١٩٩٠م هم ٦٥٪ من الشعب، أي ١٦٩ مليوناً، وهذا يعني أن العاملين في منازلهم يشكلون ما نسبته ١٥٪ تقريباً من مجموع الأمريكيين العاملين. أكثر من ذلك أن شركات ضخمة

في منطقتنا العربية لا يزال البعض ينظرون إلى عمل المرأة خارج المنزل على أنه أحد أوجه تطور المجتمع، ويرون بقاءها في المنزل انتقاصاً من قدرها، ولا زالت ترن في آذاننا مقولة "تعطيل نصف المجتمع"، مع أن النصف الآخر "غير المعطل"، أي الرجال، لا يعملون بالجهد والكفاءة المطلوبين، بل إن كثيرين منهم يشكّلون بطالة مقنعة ساهمت بشكل أو بآخر في تفاقم مشكلات الروتين والترهل الإداري.

الصحيحة للموظفين والعاملين، إذ تشترط الكفاءة في أداء العمل والصدق والأمانة في تحمل المسؤولية.

نحن لا نعترض على العمل الشريف الكريم للمرأة، ومن المؤسف أن النظريات والأفكار الاجتماعية التي يتبادلها الناس كثيراً ما تفترض حتمية التصادم بين التراث والمفاهيم الموروثة من ناحية، والأفكار الواردة من ناحية أخرى، والتصادم يحدث فعلاً فيما يتعلق مثلاً بالثوابت الإسلامية التي جاءت أفكار دخيلة لتنتزعها عبر شعارات براقية، ولكن أكثر الأفكار المتصادمة الأخرى يمكن تطويعها لتعيش وتتكامل في تناغم جميل مع عقيدتنا وثقافتنا، ومن أمثلة ذلك عمل

ولكن هذه السطور لم تكتب اعتراضاً على عمل المرأة خارج المنزل أساساً، وكيف نعترض عليه وقد كانت السيدة خديجة رضوان الله عليها تعمل في التجارة، وكان يعمل في تجارتها أشرف الخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ لقد كانت تجارتها عالمية بمقياس ذلك الزمان، تجوب الفياضي والقفار من الشام إلى اليمن، كما أننا لا نعترض على أن المرأة ذات قدرة على التخطيط والتدبير، ونحن نقرأ في القرآن الكريم أن ابنة نبي الله شعيب عليه السلام قالت لأبيها عن نبي الله موسى عليه السلام: ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ (القصص: ٢٦). وهي بهذا تضع الأساس في عملية التقويم





كما أن من الأسباب الرئيسة أن الشركات الأمريكية الضخمة صارت تستعين كثيراً بالعاملين في منازلهم في أداء بعض الأعمال الطارئة أو الموسمية بدلاً من توظيف أشخاص بصفة دائمة، وفي الولايات المتحدة كتاب ينشر سنوياً اسمه «دليل العمل المنزلي» يحتوي على قوائم بالأعمال التي تحتاج إليها شركات عملاقة مثل شركة الهاتف الأمريكية وشركة جي سي بيني، ويقوم بها العاملون في بيوتهم.

ومما ساهم كثيراً في انتشار هذه الظاهرة ثورة الاتصالات التي نشهدها في هذا العصر. فلنفترض أن شخصاً تخرج بشهادة جامعية في المحاسبة أو القانون أو الهندسة، يمكن لهذا الشخص أن يعمل في منزله لحساب شركات أو مؤسسات، ويعد لها تقارير معينة عن الميزانية أو تصاميم معينة وغير ذلك، كل ما يحتاج إليه هو حاسوب وخط هاتف وجهاز فاكس، وكل هذا في إحدى زوايا غرفة نومه، فإذا انتهى التقرير أرسله إلى الشركة بالفاكس أو عبر شبكة الحاسوب.

والسؤال هنا يفرض نفسه: لماذا لجأ كل هؤلاء للعمل المنزلي؟ هناك عدة أسباب، منها توفير إيجار المحل، وتوفير الوقت والمال في الانتقال يومياً من المنزل إلى العمل وبالعكس، ومنها أن البعض (النساء بالذات) أردن عدم ترك المنزل والأطفال، فهن يعملن ويشرفن على منازلهن بين فترة وأخرى. كما أن الحكومة الأمريكية ممثلة في إدارة الأعمال التجارية الصغيرة تشجع على ذلك لأن العاملين في منازلهم يوفرّون من استهلاك الطرق والحوادث المرورية والتلوث.

بدأت عملها في زاوية في أحد المنازل، فمثلاً شركة بورلاند العالمية لبرامج الحاسوب (التي تملك برنامج داتا بيس ٤ وبرنامج كواترو) بدأت في غرفة نوم

فيليب كاهن، وشركة أبل العملاقة (التي تنتج حاسوب ماكنتوش) بدأت على يدي كل من ستيف جوبز وستيف وزيلاك وكانا يعملان في مراب (كاراج) منزل أحدهما. أما شركة ديل للحاسوب التي تبلغ مبيعاتها الآن نصف مليار دولار فقد أنشأها شاب في التاسعة عشرة من عمره اسمه مايكل ديل بمبلغ ١٠٠٠ دولار فقط كانت في جيبه، وكان يعمل في حجرته بالسكن الجامعي أثناء دراسته في جامعة تكساس، حيث كان يشتري القطع الأساسية للحاسوب ويركبها حسب رغبة الزبون ويبيعها بربح جيد.

وبالنسبة للنساء فهذه قائمة لبعض الشركات الأمريكية الكبيرة التي ابتدأتها نساء في منازلهن، وقد ذكرها ميل كوك في كتابه «من الأعمال المنزلية إلى الأعمال الكبرى»:

اسم الشركة	صاحبة الشركة	مجال عمل الشركة	المبيعات السنوية (ملايين الدولارات)
جماليات ماري كاي	ماري كاي أش	مواد التجميل	٤٥٠
اسأل - للحاسوب	ساندرا كورتزيك	برامج حاسوب للأعمال	٤٠٠
ليليان فرنون	ليليان فرنون	البيع بالبريد	١٦٠
ألعاب الاستكشاف	لين نيميث	ألعاب تعليمية	٧٠
أروماتيك	باتي ابتون	ملطقات الجو المعطرة	٥٠
جورجيت كلنكر	جورجيت كلنكر	مواد العناية بالبشرة	٢٠
الأمهات العاملات	ريبيكا ماثياس	ملابس النساء الحوامل	١٥
تصميمات بالارد	هيلين بالارد	أثاث - بيع بالبريد	٦
حديقة حيوانات سوزي	سوزي سبافورد	بطاقات المعايدة	٦
بوتيك آني	آني بوتر	مشغولات يدوية	٥
فنون الجبل الأزرق	سوزان شوتر	بطاقات المعايدة	٥
تي ميكرو	هايدي رويون	برامج حاسوب	٥
المنتجات العالمية المثيرة	جوديث كابلان	هدايا	٤
أمهات يوم الاثنين	سوزان شميدت	مراكز رعاية الاطفال	٢



ولكن مجال العمل في المنزل مجال واسع، وهذه قائمة ببعض الأعمال المنزلية:

١- المشغولات اليدوية: مثل الطبع على الحرير، زخرفة القواقع، صنع السلال، صناعة الشموع المزخرفة، الخط، تلوين الزجاج، تلوين الخزف.

٢- الصناعات الصغيرة: مثل صناعة المرايل، الأختام المطاطية، تجليد الكتب، إطارات (براويز) الصور والمرايا، الأثاث المصنوع من الخيزران، الصناعات الجلدية، تصليح المواد التراثية القديمة وبيعها، الخياطة والحياكة والتطريز.

٣- البيع بالجملة والمفرق: مثل الكتب، الألعاب التعليمية، الهدايا والتحف، اشتراكات المجلات، الملابس والأقمشة، البيع بالبريد (هناك مثلاً شركة اسمها: تسوق حول العالم بالبريد، ترسل مطبوعاتها في أنحاء العالم بما فيه منطقة الخليج، وترأسها سيدة أمريكية اسمها جيل بيرد، وهي تبيع الكتالوجات والمجلات والموسوعات).

٤- الخدمات: مثل الطبع على الحاسوب (أو الآلة الطابعة)، دروس التقوية، الترجمة، برمجة الحاسوب، تصاميم الملابس وتصاميم الديكور، التصوير الفوتوغرافي (تصوير النساء للنساء مثلاً)، حصص التمارين الرياضية وتخفيف الوزن، تسريح الشعر، كتابة

المقالات للمجلات وغيرها.

وهذه القائمة هي غيض من فيض، وقد اختصرناها، ولا شك أن من بين القراء من يعرف غيرها، بل من القراء من لديه عمل غير مذكور في القائمة.

ومن ناحية أخرى، ومن أجل إرضاء فضولنا في كل ما يتعلق بالعمل المنزلي من جميع نواحيه الاجتماعية والمالية وغيرها، لا بأس من أن نطلع على آخر استفتاء نظمته مجلة "المكتب المنزلي" في عدد كانون الثاني/يناير ١٩٩٥م لقرائها، وهي مجلة أمريكية متخصصة في مواضيع العمل المكتبي في المنزل، وبالذات العمل على الحاسوب، ولا تشمل أعمال التطريز والخياطة ونحو ذلك، وهذه هي أهم الأجوبة:

طريقة تمويل المشروع: ٧٣٪ بالتوفير الشخصي، ١٦٪ ببطاقات الائتمان، ٩٪ الأهل والأصدقاء، ٨٪ المشروع لم يكن يحتاج إلى رأس مال، ٦٪ قروض من بنوك أو مؤسسات حكومية. أهم مجالات الأعمال المنزلية: ٢٠٪ استشارات، ١٨٪ خدمات مساندة للأنشطة التجارية، ٨٪ خدمات مساندة للأنشطة المالية، ٨٪ خدمات سكرتارية وطباعة نصوص، ٧٪ برمجة وخدمات حاسوب، ٦٪ إعلانات وتسويق، ٥٪ علاقات عامة، ٤٪ فنون ورسوم، ٤٪ كتابة، ٤٪ خدمات طبية.

حين تعمل في البيت - بدلاً من الوظيفة - هل تأسف على فقدان مايلي:

المميزات الوظيفية	نسبة من يأسفون على فقدانها
التأمين الصحي - العلاج المجاني	٤٤٪
معاش التقاعد	٣١٪
الجو الاجتماعي في المكتب	٢٩٪
وجود موظفين مساعدين (سكرتارية)	٢٧٪
زيادة الرواتب والعلاوات	٢١٪
العمل مع فريق جماعي	١٥٪
الغذاء في المطعم	٥٪

كما أن ٢١٪ لا يأسفون على فقدان أي شيء مما ذكر أعلاه.

وهنا نتوجه إلى الأخوات في منطقتنا الخليجية أو العربية ونقول لكل واحدة منهن: يمكنك أيتها الأخت الكريمة أن تعمل من منزلك، وتؤسسي شركة من أضخم الشركات دون الحاجة إلى الاختلاط بالرجال، وإذا كانت هناك حرج في الماضي فقد زالت مع التطور الهائل في علوم وتقنيات الاتصالات، وأمكن للسيدة أن تؤسس شركة خاصة لربائهن من النساء أو أن تعتمد على وسائل الاتصالات المتطورة في تفادي الاختلاط، وأحسب أن الاستفتاء المذكور أعلاه قد أوضح أن من يعملون في منازلهم لا يفتقدون أمراً مهماً، فالتأمين الصحي مثلاً قد يفتقده بعض الغربيين، ولكنه موجود في دول مجلس التعاون عبر العلاج المجاني، وأما راتب التقاعد فإن أرباح الأعمال التجارية المنزلية ستعوض عن غيابه، مع ملاحظة أن وضع المرأة عندنا ليس كما هو في الغرب، ولن تتعرض للجوع والذل إذا لم يكن لديها راتب تقاعد، وأما الموظفون المساعدون فإن السيدة تستطيع توظيف من يساعدها في العمل أو أن يعمل بعض أفراد العائلة أو الصديقات كفريق مشارك أو مساعد، وبذلك تؤمن أيضاً الجو الاجتماعي الذي تفضله.

نستطيع أن نقول بكل ثقة: إن السيدة التي تحتفظ بحجابها تستطيع أن تغزو أنحاء العالم عبر شبكات الحواسيب أو من طريق الوكالات التجارية ونحوها. ومن الجدير بالذكر أن مجلة "بايت" المتخصصة في أجهزة الحاسوب قد أفردت عنواناً رئيساً على غلاف عدد شهر يناير ١٩٩٥م يقول: "مكتب صغير وشركة كبرى"، وقالت بأنه مع الاستفادة من شبكات الحاسوب الدولية فإن أي شخص يمكن أن يقوم بتعاملات تجارية، ولا يعلم أحد إن كان يدير شركة ضخمة أو كان جالساً في حجرة صغيرة، هذا ما قاله المختصون، فهل تستفيد نساؤنا من الفرصة؟





الشيخ أبو عبد الرحمن  
ابن عقيل الظاهري

## امتناع ظاهر وتعيين محتمل

قال أبو عبد الرحمن: ها هنا وقفات:  
الوقفة الأولى: أن أبا عبيدة معمر بن النشئ لم يقل إن  
التقدير: فإذا استعذت فافراً.

وإنما قال: في الكلام تقديم وتأخير، والاستعانة قبل  
القراءة، ولا يلزمه أن يكون تقدير الكلام عنده: فإذا استعذت  
فافراً؛ بل يحتمل أن يكون تقدير الكلام عنده: فإذا أردت  
القراءة فاستعذ، وحينئذ يصدق أن الاستعانة قبل القراءة بعد  
الإرادة، ويصدق أن في الكلام تقديمًا وتأخيرًا، لأن إضمار  
الإرادة بين ذلك.

الوقفة الثانية: أن أبا حاتم السجستاني قال بالتقديم  
والتأخير، وقدر الكلام صراحة بأن المراد إذا استعذت فافراً.  
ولا يلزمه أن الأمر بقراءة القرآن بعد الاستعانة على  
الرجوع لقيام الأدلة من خارج على أن الأمر يتعلق بالاستعانة  
من أجل القراءة.

الوقفة الثالثة: أن ما نقله البخاري هو كلام أبي عبيدة  
بعينه، وهذا ما قرره ابن حجر، ولا وجه لاستدراك العيني على  
ابن حجر في ذلك.

الوقفة الرابعة: أن ابن جرير قال كلاماً يحتمل ضبطه  
وجهن وهو قوله: (وكان المعنى عنده: وإذا استعذت فافراً).  
فإن كانت العبارة بلفظ (وكان الفعل ناقص: أي وكان المعنى  
عنده: فهو يريد على أبي حاتم السجستاني بلا ريب، وإن  
كانت العبارة بلفظ (وكان التي للتشبيه: أي وكان المعنى عنده:  
فهو يريد على أبي عبيدة بلا ريب).

الوقفة الخامسة: أن تقدير الآية يعني: فإذا أخذت في  
القراءة فاستعذ، تقدير غير صحيح، لأن المعنى حينئذ أن  
يستعذ أثناء التلاوة.

واستدراك العيني وارد على هذا القول بلا ريب، ولكنه  
غير وارد على ابن حجر، لأن ابن حجر ناقل لهذا الرأي عن  
ابن عطية غير قائل به.

الوقفة السادسة: أن ابن حجر رحمه الله نقل قول من قال  
إن الآية على ظاهرها إلا أن فيها إضماراً والتقدير: إذا أردت  
القراءة فاستعذ.

قال أبو عبد الرحمن: إن هذا القول غير متصور، لأننا إذا  
أضمرنا الإرادة فقدرناها فلن تكون الآية على ظاهرها، ولن  
تكون الاستعانة بعد القراءة، بل تكون الإرادة، ثم الاستعانة  
وبعداً القراءة مباشرة.

وهذه الوقفة ليست إبطالاً لمذهب تقدير الإرادة، وإنما هي  
إبطال لدعوى أن هذا المذهب لا يخرج الآية عن ظاهرها.

وجه جملة الآية على ظاهرها أن الاستعانة جاءت ثانية..  
وليس هذا الوجه بصحيح؛ لأن الظاهر ليس مجرد مجيء  
الاستعانة ثانية، وإنما هو الابتداء بالقراءة والتشبه بالاستعانة.

والتعبير الأدق التفريق بين ظاهر الوضع اللغوي وظاهر  
الاستعمال المجازي الذي أصبح ظاهراً في الإرادة لا المواضع  
بغلبة الاستعمال، ويأتي بيان ذلك إن شاء الله.

الوقفة السابعة: أنه يفهم من كلام الكشميري عدم التافي  
بين دعوى التقديم والتأخير ودعوى تقدير الإرادة.. بل نص  
على عدم التافي الككوهي.

قال أبو عبد الرحمن: دعوى التقديم والتأخير وحدها  
المقتضية بتفسير أبي حاتم عندما قال: (إذا استعذت فافراً:  
لا يمكن أن يجتمع معها دعوى تقدير الإرادة.

أما من قال: التقدير إذا أردت أن تقرأ فاستعذ، فلا ريب  
أن دعوى التقديم والتأخير مفهومة من كلامه، لأنه يفهم حينئذ  
أن الاستعانة قبل التلاوة لا بعدها.

وإذن فلزم عن إضمار الإرادة التقديم والتأخير.  
وقال أبو العباس ثعلب (٢٠٠ - ٢٩١هـ) في مجالسه:

عنه.  
ولما تطرق الحافظ ابن حجر (٧٧٣ - ٨٥٢هـ) لشرح نقل  
البخاري الذي أبهم فيه صاحب دعوى التقديم والتأخير قال:  
وذلك كلام أبي عبيدة بعينه.

ثم فسر ابن حجر دعوى التقديم والتأخير بقوله: وقرره  
غيره (يعني غير أبي عبيدة) فقال: إذا وصلة بين الكلامين،  
والتقدير فإذا أخذت في القراءة فاستعذ.

وقيل هو على أصله لكن فيه إضماراً: أي إذا أردت  
القراءة، لأن الفعل يوجد عند القصد من غير فاصل.

قال أبو عبد الرحمن: أما الذي نقل عنه ابن حجر أن إذا  
وصلة فهو ابن عطية في تفسيره، وأما الذي نقل عنه وجود  
الفعل عند القصد فهو الزمخشري في كشافه.

وتعقب الحافظ ابن حجر أبو محمد بدر الدين محمود بن  
أحمد العيني (٨٥٥هـ) في كتابه (عمدة القاري) فقال: في  
قول ابن حجر المراد بالغير أبو عبيدة فإن هذا كلامه بعينه،  
وهذا فيه خطأ.

والثاني في قوله: والتقدير فإذا أخذت في القراءة فاستعذ،  
وقيل هو على أصله، لكن فيه إضماراً: أي إذا أردت القراءة.  
وهذا يكاد أن يكون أقوى خطأ من الأول على ما لا  
يخفى على من يتأمل فيه.

قال أبو عبد الرحمن: راجعت كتاب ابن حجر المعروف  
بانتقاض الاعتراض الذي رد فيه على العيني فلم أجده فيه دفعة  
لما أورده العيني.

وإنما اتهم العيني بأنه حذف من كلامه.  
والواقع أن ما حذفه العيني يخل بكلام الحافظ ابن حجر  
وفكرته، وسبباً تحقيق ذلك إن شاء الله.

والعجب أن الشيخ محمد أنور الكشميري (١٢٥٢هـ)  
في كتابه (فيض الباري) رجح رأي أبي عبيدة في القول  
بالتقديم والتأخير مع إفادته بأن تقدير الإرادة بعد إذا مطرد في  
لغة العرب.

وقال الشيخ أبو مسعود رشيد أحمد الككوهي  
(١٣٢٣هـ) في كتابه (الامع الدراري) موجهاً كلام أبي عبيدة  
الذي أخذ به البخاري: فلا تنافي بين تأويله وتأويل الجمهور أن  
المراد بالقراءة إرادتها، بل معناهما واحد، لأن كلام المؤلف  
غير أب عنه.

ذهب أبو عبيدة معمر بن النشئ (٢١٠هـ) في كتابه (مجاز  
القرآن، إلى أن قوله تعالى: ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ  
بالله﴾ (التحليل: ٩٨) مقدم ومؤخر، لأن الاستعانة قبل القراءة.  
واستدل بنصوص من الشرع والشعر للدلالة على أن  
العرب تقدم وتأخر كقوله تعالى: ﴿والله أخرجكم من بطون  
أسباطكم لتعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار  
والأفئدة﴾ (التحليل: ٧٨).

فقدم الإخراج على جعل السمع مع أن جعل السمع  
والأبصار والأفئدة قبل الإخراج.

قال أبو عبيدة: والعرب تقدم وتأخر.  
ولم يحك أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري  
(١٩٤ - ٢٥٦هـ) غير هذا الوجه في صحيحه، فإنه نقل  
كلاماً عن مجاهد في موضوع آخر، ثم قال: وقال غيره: هذا  
مقدم ومؤخر، وذلك أن الاستعانة قبل القراءة.

وقد رد الإمام ابن جرير (٣١٠هـ) هذا المذهب فقال  
مشيراً إلى أبي عبيدة غير ذاك اسمه: وكان بعض أهل العربية  
يزعم أنه من المؤخر الذي معناه التقديم، وكان المعنى عنده:  
وإذا استعذت بالله من الشيطان الرجيم فافراً القرآن.

ولا وجه ما قال من ذلك، لأن ذلك لو كان كذلك لكان  
متى استعذ مستعذ من الشيطان الرجيم لزمه أن يقرأ القرآن.

وتابع أبا جعفر ابن جرير في رد هذا المذهب أبو بكر  
محمد بن القاسم الأنباري (٢٧١ - ٣٢٨هـ) في كتابه  
«إيضاح الوقف والابتداء» رداً على أبي حاتم سهل بن محمد  
السجستاني (١٧٢ - ٢٥٥هـ) حيث قال أبو حاتم: المعنى فإذا  
قرأت فاستعذ.

قال ابن الأنباري: فلم كان كما قال لوجب على كل  
مستعذ من الشيطان أن يقرأ القرآن.

ثم وجه دعوى التقديم والتأخير، ووضعها موضعها مبيناً أن  
العرب إذا وجدت الفعلين يقعان في وقت واحد في حال  
واحدة كان تقديم هذا على هذا، وهذا على هذا بمنزلة واحدة،  
وذكر النماذج لذلك من القرآن الكريم.

ودعوى التقديم والتأخير مذهب عزاه ابن الجوزي في «زاد  
المسیر» إلى أبي حاتم مع أن ابن جنادة الهذلي حكى عن أبي  
حاتم الأخفش بظاهر الآية.. فلما أن يكون قول أبي حاتم اختلف  
تعدد في هذه المسألة، وإما أن يكون ابن جنادة غلط في النقل



قول الله عز وجل: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ هذا مثل الجزء مثل قوله: إذا قمت قمت، وقيامي مع قيامك: أي الاستعاذة والقرآن معا.

أي اجعل مع قراءتك الاستعاذة كقولك: اجعل قيامك مع قيام زيد، وأتيت إذا أحمر البسر: أي في وقت أن يحمر البسر في قول الخليل، ولا يلزم عن دعوى التقديم والتأخير إضمار الإرادة.

قال أبو عبد الرحمن: مؤدى هذا القول أن الشرع أراد جعل الاستعاذة أثناء التلاوة.. إلا أن نصوص الشرع والسيرة العملية تأبى ذلك.

وتقديم الإرادة هو الأصح.

إذن تقدم القراءة على الاستعاذة ظاهر ممتنع.

وتقديم الإرادة وتعليق الحكم بها أمر محتمل إلا أنه احتمال متعين.

وهذا هو سياق العلماء عن هذا الاحتمال:

قال أبو بكر الأنباري (٢٧١ - ٣٢٨ هـ) في كتابه وإيضاح الوقف والابتداء: المتعالم عند جميع الناس أنه أراد: فإذا أردت قراءة القرآن فاستعذ، لأن الآية تدل على أنه أمرنا بالاستعاذة وعلمنا بها عند قراءة القرآن.

وقال الجصاص (٣٧٠ هـ) في أحكام القرآن: وإنما الاستعاذة قبل القراءة لنفي وساوس الشيطان عند القراءة. قال الله تعالى: ﴿يَوْمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ (الحج: ٥٢).

فإنما أمر الله بتقديم الاستعاذة قبل القراءة لهذه العلة. وقال الجصاص أيضاً: قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ يقتضي ظاهره أن تكون الاستعاذة بعد القراءة كقوله: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا﴾ (النساء: ١٠٣)، ولكنه قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن السلف الاستعاذة قبل القراءة.

وقد جرت العادة بإطلاق مثله، والمراد إذا أردت ذلك كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا﴾ (الأنعام: ١٥٢) وقوله: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ (الأحزاب: ٥٣).

وليس المراد أن تسألها من وراء حجاب بعد سؤال مقدم. وكقوله تعالى: ﴿وَإِذَا نَجَّيْتُمُ الرُّسُلَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْكُمْ صُدُوقَكُمْ﴾ (الحاقة: ١٢).

وكذلك قوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ معناه إذا قرأت، فقدم الاستعاذة قبل القراءة.

وحقيقة معناه: إذا أردت القراءة فاستعذ. وكقول القائل: إذا قلت فاصدق، وإذا أحرمت فاغتسل: يعني قبل الإحرام.

وقال أبو محمد مكي بن أبي طالب (٣٥٥ - ٤٣٧ هـ) في الكشف عن وجوه القراءات السبع: والمعنى على خلاف الظاهر.. معناه فإذا أردت قراءة القرآن فاستعذ بالله، ودل على ذلك الإجماع أن الاستعاذة قبل القراءة، ودليل هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا﴾ (الأعراف: ٤).

فوقع في ظاهر التلاوة أن مجيء البأس بعد الهلاك، وليس المعنى على ذلك، وإنما معناه: وكم من قرية أردنا إهلاكها فجاءها بأسنا.

فمجيء البأس بعد إرادة الهلاك وقيل الهلاك. وكذلك التعوذ المأمور به يكون بعد إرادة القراءة وقبل القراءة على أصل الفاء.

وقال أبو محمد ابن حزم (٤٥٦ هـ) في كتابه المحلى:

والأمر أنه قد صح إجماع جميع قراء أهل الإسلام جلاً بعد جيل على الابتداء بالتعوذ متصلاً بالقراءة قبل الأخذ في القراءة مبلغاً إلينا من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهذا قاض على كل ذلك.

وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا توضأ أحدكم فليستثر، وصح عنه عليه السلام أنه استثر في أول وضوئه.

وقال أبو القاسم جابر الله محمود بن عمر الزمخشري في كشافه: ﴿فإن قلت: لم عبر عن إرادة الفعل بلفظ الفعل؟

قلت: لأن الفعل يوجد عند القصد والإرادة بغير فاصل، وعلى حسيه، فكان منه بسبب قوي وملابسة ظاهرة.

وقال شمس الدين السرخسي في كتابه (المبسوط): والذين نقلوا صلاة رسول الله عليه الصلاة والسلام ذكروا تعوذه بعد الافتتاح قبل القراءة، ولأن من أراد قراءة القرآن ينبغي له أن يتعوذ.

ثم قال: معنى الآية: إذا أردت قراءة القرآن فاستعذ. وقال القاضي أبو بكر ابن العربي في كتابه وأحكام القرآن: وقال العلماء: إذا أراد قراءة القرآن تعوذ بالله، وتأولوا ظاهر ﴿إِذَا قَرَأْتَ﴾ على أنه إذا أردت كما قال: ﴿إِذَا قُمْتُ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ معناه إذا أردت القيام إلى الصلاة، وكقوله: إِذَا أَكَلْتُ فُسِمَ اللَّهُ.

معناه إذا أردت الأكل.

وحقيقة القول فيه أن قول القائل فَعَلْ يَحْتَمِلُ ابتداء الفعل، ويحتمل تماديه في الفعل، ويحتمل تمامه للفعل.

وحقيقته تمام الفعل وفراغه عندنا، وعند قوم أن حقيقته كان في الفعل، والذي رأيناه أولى، لأن بناء الماضي هو فَعَلْ، كما أن بناء الحال هو يفعل، وهو بناء المستقبل بعينه، ويخلصه للحال تعقيقه بقولك الآن.

ويخلصه للاستقبال قولك: سيفعل.

هذا منتهى الحقيقة فيه، وإذا قلنا: قرأ بمعنى أراد كان مجازاً، ووجدناه مستعملاً، وله مثال فحملناه عليه.

وبين ابن العربي من وجه آخر: أن الظاهر غير مراد بنصوص أخرى، وهي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وغيره: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ في صلته قبل القراءة.

قال: وهذا نص في الرد على من يرى القراءة قبل الاستعاذة بتمام ظاهر اللفظ.

أما ابن عطية فقد قدر: فإذا أخذت في قراءة القرآن فاستعذ.

وقال الرازي: وأما الأكثرون من علماء الصحابة والتابعين فقد اتفقوا على أن الاستعاذة مقدمة على القراءة.

ولما ذكر أمثلة تفسر بتقدير الإرادة قال: وأيضاً لما ثبت أن الشيطان ألقى الوسوسة في أثناء قراءة الرسول صلى الله عليه وسلم بدليل قوله تعالى: ﴿يَوْمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾، ومن الظاهر أنه تعالى إنما أمر الرسول بالاستعاذة عند القراءة لدفع تلك الوسوسة، فهذا المقصود وإنما يحصل عند تقديم الاستعاذة.

وحمل ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ﴾ على معنى فإذا أردت القراءة يعني أن الآية الكريمة أوقعت الماضي موقع المستقبل.

وقد استدلل القرطبي لذلك بقول الشاعر:

وإني لأتجمل لك ذكرى الذي مضى

من الود واستئناف ما كان في غد

قال: أراد ما يكون في غد.

وأما أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني فقد أورد في كتابه (إرشاد الساري) اعتراضاً على الزمخشري

في تقديره للإرادة، فقال: وقال الشيخ بهاء الدين السبكي في شرح التلخيص: وعليه سؤال، وهو أن الإرادة إن أخذت مطلقاً لزم استحباب الاستعاذة بمجرد ذلك.

وإن أخذت الإرادة بشرط اتصالها بالقراءة استحبال تحقق العلم بوقوعها، ويمتنع حينئذ استحباب الاستعاذة قبل القراءة.

قال في المصباح: بقي عليه قسم آخر باختياريه يزول الإشكال، وذلك أننا لا نأخذ الإرادة مطلقاً؛ ولا نشترط اتصالها بالقراءة، وإنما نأخذها مقيدة بأن لا يعن له صارف عن القراءة.

وأما أبو السعود العمادي فقد بين في تفسيره (إرشاد العقل السليم) وجه المجاز في صرفه الآية عن ظاهرها فقال: عبر بالقراءة عن إرادتها على طريقة إطلاق اسم السبب على السبب إذبان المراد الإرادة المتصلة بالقراءة.

وقبله مصطفى بن إبراهيم بن التمجيد قال في حاشيته على تفسير البيضاوي: وإنما عبر عن إرادة القراءة بلفظ القراءة، لأن الأفعال الاختيارية تصدر عن محالها بعد سبق الإرادة والقصد إليها.

ولما كانت الإرادة سبباً لها ذكر السبب وأريد به السبب مجازاً كقوله: ﴿إِذَا قُمْتُ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ المعنى إذا أردت القيام إلى الصلاة بقرينة فاعسوا، لأن الأمر بغسل الأعضاء إنما هو وقت إرادة القيام إلى الصلاة لا وقت القيام.

وذكر الشهاب القضاة في حاشيته على تفسير البيضاوي تعليقاً على قول البيضاوي: فإذا قرأت: إذا أردت قرأته كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُمْتُ﴾.

قال الشهاب: وقوله إذا أردت قرأته: يعني أنه مجاز مرسل كما في الآية المذكورة كما تشهد له فاء السببية.

وتدل إن الفاء لا دلالة فيها على ما ذكر، وإن إجماعهم على صحة هذا المجاز يدل على أن القرينة المانعة عن إرادة الحقيقة ليس بشرط فيه.

قلت معنى هذا الكلام أن كون الفاء في فاستعذ للسببية لا يعني صرف الآية عن ظاهرها، وهو تقديم القراءة على الاستعاذة.

وتعقب الشهاب القضاة هذا القول فقال: وليس بشيء، لأن ما طلب الاستعاذة من الوسوسة في القراءة المؤدية إلى خلل ما بحسب الظاهر يكون قبل الشروع فيها، ومثله يكفي قرينة.

وهناك من أبي أن يجعل حكم آية الاستعاذة حكم آية الضوء لوجود دليل على أن الحقيقة في آية الضوء غير مرادة، أما آية الاستعاذة فلم يقد دليل على أن الحقيقة غير مرادة، وإنما قام الدليل على أن الاستعاذة جائزة قبل القراءة، ولم يقد دليل على أنها غير جائزة بعد القراءة.

ورد الشهاب القضاة هذا القول بوجهين:

أولهما: أنه لا دل الإجماع والنصوص على أن الاستعاذة قبل القراءة تعين أن تكون الفاء في فاستعذ للسببية، أي إن القراءة سبب الاستعاذة فلا بد حينئذ من تقدير الإرادة.

وقاني الوجهين: أن الفراغ من التلاوة لا يناسب الاستعاذة من العدد، وإنما يناسبها الشروع في القراءة فلم يقد تقدير الإرادة، وبهذا تكون القراءة والاستعاذة مسببتين عن الإرادة.

وقال إسماعيل بن محمد مصطفى القونوي عصام الدين أبو الفداء في حاشيته على البيضاوي: ويعتبر هذا التجوز مجازاً مرسل، لأن الله ذكر السبب وهو الفعل - أي القراءة - وأريد السبب وهو الإرادة للإيجاز والتبسيط على أن من أراد العبادة (يعني عبادة التلاوة) ينبغي أن يتبادر إليها بحيث لا ينفك الفعل عن الإرادة.

قال القونوي: والقرينة على المجاز كون الجواب متقدماً



# صَدَقَ الْعُقُولُ

## امتناع ظاهر

## وتعين محتمل

على الشرط، فلا جرم أنه مؤول بالإرادة.  
وقال الشوكاني في تفسيره وفتح القدير: قال الزجاج وغيره من أئمة اللغة: معناه إذا أردت أن تقرأ القرآن فاستعد، وليس معناه استعد بعد أن تقرأ القرآن.

ومثله إذا أكلت فقل: بسم الله.  
قال الواحدي: وهذا إجماع الفقهاء أن الاستعاذة قبل القراءة إلا ما روي عن أبي هريرة وابن سيرين وداوود ومالك وحمزة من القراء، وتابع الألويسي في تفسيره «روح المعاني» ما نقلته آنفا عن الشهاب أخفاجي.  
قال أبو عبد الرحمن: كل من قدر معنى الإرادة فهو مقرر بأن الآية مصروفة عن ظاهرها لا أستشي إلا ما ذكره الكشميري في فيض الباري من اطراد تقدير الإرادة بعد فإذا، وهذا يوحي بأن تقدير الإرادة هو ظاهر الآية لأطرافه في لغة العرب.

وصرف الآية عن ظاهرها وحملها على معنى الإرادة قضية شائكة أطال العلماء النزاع حولها كما مر.

وما اختاره الجمهور من كون الاستعاذة قبل القراءة، وأن الآية مصروفة عن ظاهرها، وأن تقديرها: إذا أردت القراءة فاستعد ثم اقرأ مباشرة هو المذهب الصحيح، إلا أنني لا أرخص جميع الأدلة التي استدلت بها الجمهور، ومعنى ذلك أنني أصحح دعواهم وأنازع في استدلالهم.

وكل هذا يحتاج إلى الوقفات التالية:  
الوقفة الأولى: عند قول أبي بكر الأنباري: إن الآية تدل على أنه أمرنا بالاستعاذة وعلمناها عند قراءة القرآن.  
قال أبو عبد الرحمن: ليس في الآية دلالة على ذلك، لأنه لم يرد الأمر بالاستعاذة عند القراءة، وإنما قال تعالى بصيغة الماضي: فإذا قرأت، ولم يقل: عندما تقرأ.  
والدليل على ما أراده الأنباري إنما يكون من براهين أخرى غير نص آية الاستعاذة من سورة النحل.

الوقفة الثانية: أنه لا ريب في أن الاستعاذة قبل التلاوة تدفع الوسوسة، ولا ريب أيضا أن الاستعاذة بعد التلاوة تدفع الوسوسة عن الرياء والعجب والسمعة والشك والريب فيما تلاه من كتاب الله.

وإذن فليس أحد التعليلين أولى من الآخر، ولا مجال لاقتراح الحكم بالتعليل مع ورود النص بالاستعاذة بعد التلاوة.  
الوقفة الثالثة: أن نسخ الله لما يلقى الشيطان في أمية الرسول (على التسليم بصحة سبب النزول وهو قصة الغرانيق) لا يعني أن الاستعاذة قبل التلاوة أولى من الاستعاذة بعد التلاوة، بل إن الآية لم تنص على الاستعاذة أصلا.

ومثل هذا لا يدفع به ما ورد نصا في موضع الخلاف وهو قوله تعالى: ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ﴾.

الوقفة الرابعة: أن ما أورده من النماذج من الشرع والشعر وكلام الناس: إنما يدل على أن حمل ما بعد إذا جائز ومطرّد في لغة العرب، ولكنه لا يدل على أن قوله تعالى: ﴿فإذا قرأت﴾ يجب أن يحمل على معنى فإذا أردت.

ولو صحت هذه الدعوى لوجب حمل كل كلام في الوجود على معنى: إذا أردت، وذلك حينما يكون مصدرا بإذا، وإذن فكل نص لايجوز حمله على غير ظاهره إلا بثلاثة شروط:

أولها: أن يقوم برهان على أن الظاهر غير مراد، أو أنه لا يتصور إرادته.  
وثانيها: أن يكون المجاز الذي سيحمل عليه الظاهر جائزا ومستعملا في لغة العرب.

وثالثها: أن يقوم برهان يبرح إرادة مجاز دون مجاز.  
الوقفة الخامسة: أن الأحاديث الواردة بالاستعاذة قبل التلاوة في الصلاة لا تكفي وحدها لإخراج قوله تعالى: ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ﴾ عن ظاهره، لأن الآية نص في التلاوة المجردة.

أما الأحاديث فهي نص في قراءة التلاوة للصلاة، فينبغي وضع كل حكم شرعي موضع.

الوقفة السادسة: أن من قدر: فإذا أخذت في القراءة يلزمه أن الاستعاذة أثناء التلاوة، وهذا توليد مذهب جديد لم يقل به أحد من الصحابة والتابعين.

الوقفة السابعة: أن من بنى تقدير الإرادة على أساس أن فاء فاستعذ للسببية لايساعده البرهان، لأن الفاء لا تأتي للسببية، وإنما تكون السببية مفهوما سيقا، وليست من مفهوم رابطة الفاء بذاتها.

كما أن دلالة الفاء باقية في الآية على وضعها سواء أحملنا الآية على ظاهرها، أم حملناها على معنى الإرادة.

فلا أثر لمعنى الفاء في محل النزاع.

الوقفة الثامنة: أن معظم تعليلاتهم الخارجة عن صيغة الخطاب المسوغة نظرا للاستعاذة قبل القراءة لو سلم لها لدلت على جواز الاستعاذة قبل القراءة، ولكنها لا تسقط دلالة الآية على الاستعاذة بعد التلاوة لأن ذلك دلالة صيغة.

الوقفة التاسعة: أن القنوني لما قدر الإرادة أتبع ذلك بدعوى أن في الآية تنبيهها على أن من أراد التلاوة ينبغي أن يتبادر إليها.

قال أبو عبد الرحمن: ليس في الآية ما يدل على ما قال، لأن التقدير لن يكون بعبارة: فإذا أردت قراءة القرآن فاقراء، وإنما سيكون التقدير بعبارة: فإذا أردت القراءة فاستعد وقرأ بعد ذلك مباشرة.

وإنما ورد الأمر بالمسارعة إلى فعل الخيرات بنصوص أخرى.

الوقفة العاشرة عند قول القنوني: والقرينة على المجاز كون الجواب مقدما على الشرط.

قال أبو عبد الرحمن: الجواب لم يتقدم لا قبل تقدير الإرادة ولا بعدها، لأن تقدير الإرادة يعني تغير الشرط ولا يعني تأخره.

والقنوني رحمه الله صحح دعوى ادعاها بدعوى ادعاها أيضا، وهذا هو المصادرة على المطلوب الذي تأباه العقول.

وبعد كل هذا الاعتراض على أدلة الجمهور أصح دعواهم، وهي أن الاستعاذة بعد التلاوة، ولكن بأدلة أرى هي الأصح.

وبأن ذلك أن الله أمر بالاستعاذة بعد التلاوة في قوله تعالى: ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله﴾، فدل ظاهر هذا النص على أن الاستعاذة بعد القراءة، لأن الاستعاذة وردت جوابا للشرط.

ودل ظاهر هذا النص على أن الاستعاذة بعد التلاوة بلا مسهلة، لأن الفاء في أصل وضعها اللغوي تقتضي الترتيب

الزمني الذي يسميه النحويون تعقيا.  
فلو تركنا الله لهذا النص، ولم يردنا بيان آخر لوجب علينا أن نحمل كلام الله على ظاهره فستعذ بعد التلاوة مباشرة.  
إلا أنها قامت دلائل على أن الظاهر غير مراد، وهذه الدلائل تلخص في التالي:

أولاً: أنه لم يؤثر قط أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تعوذ بعد التلاوة وتركها في أولها.

ثانياً: أن القلة الذين خالفوا الجمهور وقالوا إن الاستعاذة بعد التلاوة لم يخالفوهم بزيادة بيان عندهم، وإنما خالفوهم في الفهم ورأوا أن الآية على ظاهرها.

ورأى الجمهور أنها بمعنى الإرادة، ومادام الاختلاف في الدراية لا في الرواية فإن النفس تناس إلى فهم الجمهور.

ثالثاً: أنه صح تعوذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل تلاوة آية الإفك، وأن جبريل عليه السلام علمه التعوذ قبل التلاوة.

والرجحان في العمل بهذا النص.

رابعاً: أنها صحت تلاوة الرسول صلى الله عليه وسلم في الصلاة مسبقة بالاستعاذة.

وليس لدينا برهان على أن تلاوة الصلاة مخصوصة بتقديم الاستعاذة، فغلب في ظننا أن الاستعاذة مقدمة على كل تلاوة.  
خامساً: أن المجاز إذا غلب استعماله صار ظاهراً، وصارت الحقيقة تحتاج إلى دليل.

وباستقراء كلام الشرع وكلام العرب وجدنا غلبة استعمال ما بعد إذا بمعنى الإرادة.

وقد أورد الجمهور نماذج كثيرة، وأذكر من النماذج أيضا قوله صلى الله عليه وسلم: إذا سألت الله فاسأله ببطون أكفكم، وإذا صلى أحدكم فلا يضع نعليه عن يمينه، وإذا صلى أحدكم فليقبل تلقاء وجهه، وإذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله، وإذا صلى أحدكم للناس فليخفف، وإذا صلى الإمام جالسا فليجلسوا، وإذا صليت على الميت فأخلصوا له الدعاء، وإذا صليت فأقيموا صفوفكم.

وأشبه هذا كثير جداً، وكله دال على أن المعنى إرادة الفعل.

فلما وجدنا غلبة المجاز في هذه القضية، ورأينا أن فهم الجمهور لآية الاستعاذة إنما هو حملها على المجاز، ورأينا أنه لم يوجد نص يشهد لظاهر الآية، ورأينا النصوص تؤيد مجازها علمنا أن مجاز الآية هو الظاهر، لأنه هو الغالب الاستعمال.  
وهذا هو الظاهر الأدبي الذي يلغى الظاهر اللغوي بغلبة استعماله.

وفرقة عن الظاهر المجرد قيام البرهان النقلي من الخارج على غلبة الاستعمال، وقيام البرهان من النظر على أن ما غلب استعماله ترشح أعماله.

وبهذا لا نقول إن الحقيقة معذرة التطبيق، وإنما نقول دلت القرائن على عدم إرادتها لاسيما السيرة العملية.

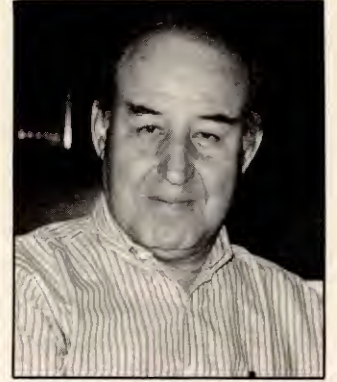
فلما علمنا أن الحقيقة غير مرادة بحثنا عن سر التعبير بالماضي مع أن المراد المستقبل مستأنسين بملاحن لغة العرب التي ورد بها التنزيل: فوجدنا النكتة في ذلك أن الفعل عادة يأتي بعد الإرادة مباشرة، واستتبنا من ذلك أن المكلف لا يجعل مهلة بين إرادته القراءة والاستعاذة بل يباشر القراءة بالاستعاذة.

فلما مباشرة الإرادة بالاستعاذة فدل عليها الفاء في: فاستعذ، وأما مباشرة التلاوة للاستعاذة فدل عليها نكتة إيقاع الماضي والمراد الحاضر، فعلمنا أنه لا فاصل بين الإرادة والقراءة إلا بالاستعاذة.



# نحتاج إلى رؤية شاقبة للمنفذ إلى آفاق المستقبل

أجراه: حسين حسن حسين



الحقيقي للشعر من هذا الهجوم، لأنه يستطيع أن يميز الغث من السمين. أما خشيتي، فعلى الصغار الذين يخرجون إلى ميدان الشعر وكلهم عواطف، فيتأثرون بأسماء تلمع، ويحاولون تلمس خطاهم، فيكتشفون بعد مضي الزمن أنهم كانوا يسرون وراء سراب، لأن ما أنتجوه كان سخفاً، ولم يكن شعراً يبقى، فيتأكد لهم أنهم ضيعوا جزءاً مهماً من حياتهم، وقسطاً كبيراً من طاقتهم الشعرية فيما لا يجدي. فنحن الآن في زمان شعر تجريبي لم يثبت وجوده بعد.

- فبماذا تفسرون - إذن - علو صوت الداعين إلى هذا النوع من الشعر والأدب؟  
\* أعتقد أن هذا من تأثير استعمار ثقافي قدم من خارج وطننا العربي، قاصداً هدم أهم مافي هذا الوطن، وأقصداً به اللغة العربية، لغة القرآن الكريم، ولغة الأحاديث النبوية، ولغة المآثر والفنون العربية الجميلة، فهؤلاء يريدون أن يفعلوا بالعربية ما فعله كمال أتاتورك بالحرف العربي في تركيا.

أحمد عبد السلام البقالي، أديب مغربي معروف، يكتب الشعر والقصة القصيرة والرواية، اقتحم ميدان أدب الخيال العلمي، حتى عد من الأدباء العرب القلائل الذين يكتبون هذا النوع من الأدب، وخاض تجربة الكتابة للأطفال والفتيان، ونال جوائز من المغرب ومصر عن قصصه: «المسورة»، و«رواد الجهول»، و«السلسلة الذهبية». كان «للفيصل» هذا الحوار معه، وتطرق إلى العديد من القضايا الأدبية والنقدية المختلفة.

فهتمته وتأثرت به أم لم تفهمه ولم تتأثر به، وسواء هز مشاعرك أم لم يهزها. وهؤلاء الأدعياء - للأسف - هم الأغلبية، مما يدعوني إلى أن أصفه بهجوم الجراد على ميدان الشعر.

أما الرواية فقد أصبحت من ثوابت العربية؛ إذ غدت مقروءة لدى طائفة كبيرة من الناس، وكذلك القصة القصيرة، ولكن مكانتهما لا ترقى أبداً إلى مكانة الشعر. لكن هذا الهجوم على ميدان الشعر، ألا يمثل - في نظركم - خطراً على الذائقة العربية؟

\* لأخاف على القارئ الراشد المتذوق

- بوصفكم تكتبون الشعر والقصة القصيرة والرواية، هل تتفقون مع المقولة الشائعة الآن بأن الرواية أصبحت ديوان العرب؟

\* لأستطيع القول بأن هذا الذي ذهب إليه البعض صحيح، لأنني أعتقد أن الشعر سيبقى دوماً ديوان العرب، مع أنه يجتاز أزمة في التلقي في المرحلة الراهنة. وفي رأيي أن الشعر الذي يواجه هذه الأزمة هو ما أطلق عليه «اللا شعر» وليس الشعر الحقيقي. فقد أقتحمت أبواب الشعر بدعوى إزالة جميع القيود والقوانين، فأصبح في إمكان أي أحد أن يكتب ما يشاء، ويسميه شعراً، سواء



- لكم تجربتكم الثرة في كتابة أدب  
الخيال العلمي، مارؤيتكم لهذا النوع من  
الأدب؟

\* دخلت ميدان الخيال العلمي بالمصادفة،  
إذ إن الموضوع هو الذي فرض علي الإطار؛  
حيث توجد للأفكار مجموعة من الأطر؛  
فالعاطفة المطلقة لا ينفع لها إلا الشعر،  
والفكرة البسيطة تلائمها القصة القصيرة، أما  
الرواية فتتناسب الفكرة المعقدة ذات  
التفاصيل. لكن الفكرة الفلسفية المستقبلية  
التي يحاول فيها الأديب أن يث في عقول  
قرائه نماذج مستقبلية للحياة كما يراها، فلا  
يصلح لها إلا قالب الخيال العلمي.

وللأسف الشديد، فإن كلمة الخيال توجي  
للقرارئ العربي بالتخييلات والتهيينات  
والتصورات التي لا تستحق منا التفاتاً، في  
حين أن العكس هو الصحيح. فهذا العالم  
الذي نحياه، وكل هذه الحضارة الحالية  
كانت في حقيقتها تصورات في عقول  
العلماء والمفكرين والأدباء. فالهاتف والتلفاز  
والحاسوب وغزو الفضاء، وغيرها من  
مخترعات العصر، كانت بذوراً زرعت في  
عقول شباب حاولوا تطبيقها وإحالتها إلى  
واقع، فكان لهم ذلك.

إن من رسالة الأديب أن يقترح أشياء يراها  
ممكنة، فيقوم العالم بإيجادها مادياً. وليس  
جول فيرن منا يبعيد. وقد استفادت وكالة  
الفضاء الأمريكية (ناسا) كثيراً من أدب  
الخيال العلمي، واستشارت الأدباء ليضعوا  
تصوراتهم عن هيئة سفن الفضاء، وملابس  
الرواد، وغير ذلك من المسائل العلمية.

- هل كان لوجودكم في الولايات  
المتحدة الأمريكية دور في اتجاهكم إلى هذا  
الأدب؟

\* لا أشك في ذلك أبداً، لأنه قد تكون  
لدي قلق كبير من الخطر الذي يكتنف  
كوكب الأرض، من جراء القوة الذرية التي  
تراكمت لدى الدول الكبرى في العالم.

فأنا من منطلق هذا القلق، والمناقشات مع  
من يضطلعون بالمسؤولية الكبرى مثل  
كيستنجر ومكنمارا وغيرهما، تولد عندي  
قلق وخوف من أن نضع مصيرنا بين يدي  
هؤلاء، إذ رأيتهم أناساً عاديين قد تغيب  
عقولهم لسبب من الأسباب، فيتخذون قراراً

فهم قد فشلوا في تغيير الحرف العربي، إلا  
أنهم يحاولون تغيير الأسلوب، وهذا ما يجب  
أن تنتبه إليه وزارات التعليم والثقافة في عالمنا  
العربي، وتعمل على محاربته.

وقد عبرت عن هذا الإدعاء بالحدثاء  
الذي يروج له بعضنا بأربعة أبيات من الشعر  
أكتفي بإيراد البيت الأخير منها:

إذا أنت لم تطرب لشعر سمعته

ولم تدر مامعناه فهو حديث  
فكل شيء لا يفهم ولا يطرب لا يمكن  
أن تكون له صلة بالعقل والقلب، وما  
الإنسان سوى قلب وعقل، ومن ثم فإن مالا  
يخاطبنا عبر هذه البابين فهو مرفوض حتماً.  
- تبدو في الأفق النقدي العربي اتجاهات  
نقدية حديثة عليه؛ كالبنيوية والتفكيكية  
وغيرهما. مامدى تأثيرها - في رأيكم - في  
الناتج الأدبي العربي؟

\* النقد ليس اختصاصي على الإطلاق،  
فأنا لا أقرؤه، فهو علم يتداوله النقاد فيما  
بينهم، لأنني حين أكتب شعراً أو قصة أو  
رواية، أفعل ما قاله المتنبي:

أنا ملء جفوني عن شواردها

ويسهر الخلق جراها ويختصم  
أما أن أقرأ النقد، وأن أطوع مواهبي لما  
يقوله هذا الناقد أو ذاك، فهذا يسلبني  
شخصيتي. فأنا أكتب ما أشعر به فعلاً،  
وبكل صدق وحماسة، ليدخل القلوب عفوياً  
صادقاً كما هو، لأن الأدب تواصل بين  
الأديب وجمهور المتلقين.

وأنا أرى النقد الآن يأتون بجداول  
ومثلاث ومربعات، فيبدو لك النص الأدبي  
كما لو كان حساباً أو معادلات كيميائية،  
فهذا الذي نراه ليس له علاقة بالأدب. لأن  
الأدب فن جميل، ينبغي أن ننظر إليه في  
مجمله، أما أن تفكك الجملة أو تفكك  
الكلمة، فهذا مالا أستسيغه.

قد يودي بالحياة البشرية إلى الهلاك. فغنت  
لي فكرة أن هناك مجموعة من العلماء هربوا  
بعيد الحرب العالمية الثانية وجاؤوا إلى  
الصحراء المغربية، وأنشؤوا فيها مؤسسة  
داخل جبل، حتى لا يكتشفهم جهاز الكشف  
من بعد «الرادار» ولا يطلع عليهم جاسوس.  
وكانوا يخطفون العلماء الممتازين في فنونهم،  
ويأتون بهم إلى هذه المؤسسة التي أطلقت  
عليها لقب «الجودي»، وهو اسم الجبل الذي  
وقفت عليه سفينة نوح عليه السلام. وسميت  
الرواية «الطوفان الأزرق»، فإذا كان الطوفان  
الذي أتى على قوم نوح عليه السلام مائياً،  
فإن هذا الطوفان القادم هو طوفان ذري،  
سيعم الكون، ويبيد الحياة البشرية. وفكر  
هؤلاء العلماء في إنقاذ الأرض، باستقدام  
عدد من النساء والرجال وإغلاق الجبل  
عليهم، إذ يستخدمون مياه جوفية لاتناثر  
بالذرة، ويجمعون كل علوم الحضارة  
الإنسانية وفنونها ويتم تخزينها في حاسوب  
(كمبيوتر) ضخم.

- بعد الكتابة للأطفال خضتم تجربة  
الكتابة للفتيان، مادواعي هذه التجربة؟

\* بصراحة، جاءت تجربة الكتابة للفتيان  
بالمصادفة ذاتها التي كانت وراء كتابتي  
للأطفال، فعندما أردت أن أقدم لأطفالي كتاباً  
يقرؤونها وجدت معظم الكتب الموجهة إليهم  
تزخر بالأفكار التي تملئها الاتجاهات العقيدية  
لكتابها، كما وجدت أن الكتب الجيدة  
القليلة مثل كتابات محمد عطية الأبراشي  
وغيره، هي كتب تراثية تتوجه إلى الماضي  
أكثر من اتجاهها نحو الحاضر أو المستقبل.  
ورأيت أن كتب الأطفال لابد أن تتوجه إلى  
الحاضر ثم إلى المستقبل، بحيث تصف كل  
ما يحيط بالطفل العربي الحديث، لينشأ واثقاً  
من غنى لغته وثرائها، ومن قدرتها على  
مسايرة العصر، وهكذا بدأت الكتابة  
للأطفال، وعندما صار أطفالي فتية انتقلت  
معهم إلى سنهم، فواكبت أطوار أطفالي من  
الطفولة المبكرة إلى سن السادسة عشرة  
تقريباً، وبخاصة أنني وجدت أن الطفل حين  
يودع عالم الطفولة يذهب مباشرة إلى قصص  
الكبار دون جسر موصل بينهما، وهذا الجسر  
- حسب رأيي - هو قصص الفتية.

- هناك من يرى أن واقعنا المتردي يجعل  
من هذا النوع من الأدب ترفاً فكرياً؟



# سهم العيون (\*)

شعر: عبدالرحمن عبدالله الكريم

لَعَلَّكَ يَا زَكِيَّ بِنَ قُنْصُلٍ إِذْ رَمَيْتَكَ  
كَعَابٍ بَضْءٌ بِذَوَاتِ هُدْبٍ  
تُجِيلُ لِحَاظَهَا أَنِّي تَدَارِي  
مُسَارِقَةً بِإِكْبَارٍ وَعُجْبٍ  
تَكَادُ تُضِيءُ أَرْبُعَهَا إِذَا مَا  
أَجَالَتْ مَعْصَمًا مَدَا يَجْدُبُ  
تَمَلَّكُهُ الْهَوَى فَحَنَّتْ عَلَيْهِ  
بِجِيدٍ قَادَهُ قَلْبٌ لِقَلْبٍ  
حَبَّتْهُ إِمَارَةُ الشُّعْرَاءِ كَيْمَا  
يُدَانِي مَذْخُهُ صَبًّا لَصَبٍ  
هُوَ ابْنُ الشَّرْقِ وَهِيَ مَهَاةُ غَابٍ  
أَبُوهَا مِنْ جِبَالِ الْأَلْبِ غَرِيبِ  
عَزِيزِي مِنْكَ يَا ذَاتَ الْأَقَا حِي  
تَلَلْتُ شَفَافَ مُهْجَتِهِ بِنَهَبٍ  
إِذَا مَسَّتْ خُطَاكَ الْأَرْضَ أَصْفَى  
لِرَجْعِ رَيْنِهَا الْفَتَّانِ يُصْبِي  
دَعِيهِ لِيَجْنِ مِنْ بَحْرِ الْأُمَانِي  
لَأَلِيَّ لَمْ يَزَلْنَ بَدُونِ ثَقْبٍ  
(وَمَانِيْلُ الْمَطَالِبِ بِالتَّمَنِي  
وَلَكِنْ) بِالْغِلَابِ عَلَى الثَّأْبِي  
إِذَا الْأَيَّامُ جَسَدَتْ فِي خُطَاهَا  
تَبَاعًا أَلْحَقْتُ رَكْبًا بِرَكْبٍ  
وَعُمُرُ الْمَرْءِ مَغْرَسُ طِيَبَاتٍ  
لَأَخْرَاهُ عَلَى مَرَضَاةِ رَبِّي

(\*) معارضة لقصيدة للشاعر الراحل زكي قنصل نشرت في أحد أعداد الفيصل على الروي نفسه والقافية نفسها.

\* ينبغي أن يكون العكس هو الصحيح، فكلنا نعيش في الماضي، مما يجعل لزاماً علينا أن نضرب الناس على رؤوسهم ليفيقوا من غفوتهم وغفلتهم، ولنظروا حولهم. إن علينا أن نكتب عن المستقبل، وأن نكتشف أسرارهِ وموقعنا فيه، وعلينا أن نتساءل: كيف سيكون حال الآخرين؟ وكيف يخترعون ويكتشفون؟ وكيف يسيطرون على العالم؟ ولماذا نحن واقعون تحت هذه السيطرة؟ ولماذا تكون ثرواتنا ومواردنا رهينة لهذا الغرب المسيطر؟

إن علينا أن نفكر في كيفية تخطيطهم لجامعاتهم، وأساليب تنظيمهم مراكز بحوثهم العلمية في هذه الجامعات. كما ينبغي أن نحص النظر في طرائق تعليمهم لأبنائهم.

هم ينظرون إلى المستقبل، فيما نحن قابعون تنفجر عليهم، كأن الأمر لايهمنا ولا يعيننا، في حين أنهم فاعلون في حياتنا، حتى غدا كل ما يحيط بنا، ومانستهلكه من نتاجهم، كل هذا يحتاج منا إلى تفكير عميق، ورؤية ثاقبة تنفذ إلى آفاق المستقبل.

- هناك اتهام شائع بأن أدب الأطفال لا يلقى اهتماماً في عالمنا العربي؟

\* من واقع تجربتي، أرى أن الاهتمام بهذا الأدب بدأ في التنامي، مما يعني أن كتاب الطفل له مستقبل باهر. وقد أدلل على ذلك بأنني اتفقت - مؤخراً - مع إحدى دور النشر

في المملكة العربية السعودية على طباعة بعض قصصي، مما استدعي تغيير بعض التعبيرات المغربية المحلية لتلائم الطفل السعودي، وهذا يؤكد الحفاوة بما يكتب للأطفال.

- هل هناك علاقة بين الأدب والدبلوماسية؟ أقول ذلك من واقع المزاوجة بينهما لديكم، ولدى بعض أديبائنا كالأديب الراحل يحيى حقي، ود. غازي القصيبي، ومحمد المكي إبراهيم وغيرهم.

\* يحب الأديب العمل الدبلوماسي لأنه يتيح له السفر، ومقابلة شعوب أخرى، وطبقات مختلفة من البشر. فهو يعيش على تجاربهم، وعلى ما يأخذه من الآخرين، وما يمتصه من المجتمعات، وما يسمعه من الناس، فلولاً أسفاري وعيشي في الخارج ما كنت كتبت نصف ما كتبت، لأن عقلي وفكري وخيالي كان سيظل حبس حدودي المحلية.



النفسي الذي يمثل بلاشك حلم كل فنان  
يعبر عن نفسه ونفوس الآخرين.

ويطول الحديث حول هذا التواصل أو  
التنافر بين الفنون، وأعتقد أن ما يقال في  
الموسيقى أو الفن التشكيلي أو المسرح - أبي  
الفنون - قد أخذ حقه تماماً، وبقي أن نتناول  
الشعر وموقعه بين الفنون الأخرى.

### العرب.. ونظرية الفن

وأزعم أن أي نظرية عامة في الفن لا بد  
لها أن تبدأ بالفرض الذي يقول: إن الإنسان  
يستجيب لأثر الأشياء المتناسقة أمام حواسه  
وسطحها وكتلتها وأصواتها وألوانها، في  
صورة إحساس بالمتعة، على حين يؤدي  
الافتقار إلى مثل هذا التناسق إلى خلق شعور  
بعدم الارتياح أو اللامبالاة، أو حتى عدم  
الرضا، والنفور. وفي كلمات أخرى، يمكننا  
أن نؤكد أن الإحساس بالتناسق الممتع هو  
الإحساس بالجمال، والإحساس المضاد هو  
الإحساس بالقبح.

ومن الصعب أن ننكر أهمية الفن  
والجمال، فلو حاولنا دراسة الحياة بجوانبها  
الحديث والقديم، والمتمددين والبدائي،  
والفردى والاجتماعي، لتأكدنا من مظهرها  
الجمالي. ولو أننا عدنا إلى تقاليد الإنسان  
البدائي، لرأينا يرقص ويغني وينحت في  
الصخر، ويرسم فوق الكهوف والجدران،  
ويزخرف درعه القتالي، أو عُذته، ويعجب  
بالمراة ويعشق جمالها، كما أن الإنشاد  
وسرد القصص كانا مبعثاً للمتعة والسرور،  
كما يؤكد لنا التاريخ أن الإنسان انحاز إلى  
الفن قبل انحيازه إلى العلم، ولاتكاد توجد  
أمة تتجاهل الفنون؛ فالأُم تفخر دائماً  
بشعرائها وأدبائها ورساميها مثلما تفخر  
بقادتها وحكامها.

إن الفن متغلغل في السياسة والدين،  
وفي السلم والحرب، إنه يمس أخص  
الخصائص في حياتنا اليومية كالملبس  
والمسكن والأثاث. والحياة بغير جمال مملّة  
مقفرة.

وقديماً كان الشاعر العربي فخراً لقبيلته،  
ولسان حالها ووسيلة إعلامها، وقبيلة بلا  
شاعر كان لا ينظر إليها ولا يعتد بها.  
ولولا الشعر العربي ما عُرف التاريخ  
العربي، فهو ديوان العرب، وسجل حياتهم،

# نزّهة القواس

## في الفن العربي



أحمد سويلم

ترتبط كلمة الفن - في أبسط مدلولاتها عادة - بتلك الفنون التي نميزها  
بأنها فنون تشكيلية أو فنون مرئية. لكن هذا التفسير يمكن أن يكون أكثر  
دقة لو أدخلنا في نطاقه فنون الأدب والموسيقى.

ومن المؤكد أن بين الفنون جميعاً خصائص مشتركة. وقد اجتهد  
المفكرون على مر العصور في الوقوف على ملامح هذه الخصائص كل  
بقدر حماسه وقناعته.

وكان شوبنهاور أشهر من قال بأن كل الفنون تطمح أن تكون مثل  
الموسيقى، على حين يرى هيجل - في كتابه الموسيقى - أن العمارة أبعد  
الفنون من الكمال، لأنها عاجزة عن التعبير الروحي تعبيراً مطابقاً بوساطة  
المادة الثقيلة التي تستخدمها.

فردريك هيجل



شوبنهاور



ويضيف هيجل: إن النحت لا ينظر إلى  
الروحي - وهو موضوعه بالذات - في مظهر  
شخص أو فرد أو في مظهر الداخلية الذاتية،  
وإنما ينظر إليه في مظهر الفردية الحرة!  
أما الموسيقى فهي تخاطب الداخلية  
الذاتية الأعماق والأبعد غوراً..  
وما يقول به شوبنهاور أو هيجل أو  
غيرهما ليس كلاماً نهائياً في موضوع التأثير



وأحداثهم وأفراحهم وأحزانهم.

وما أحوجنا اليوم أن نقف مع ذواتنا وقفة موضوعية لنطرح سؤالاً محدداً هو: هل كان لدى أمة العرب نظرية للفن العربي؟ وإلى أي مدى تقوم هذه النظرية بدور التأثير الممتد القائم على الهوية العربية؟ وإلى أي مدى استوعبت هذه النظرية المتغيرات في فنون العالم الخارجي؟ وهل قضيته ناقشها أجدادنا في كل عصر، مؤكدين أن العرب أمة متذوقة تحب الجمال وتذوقه وتتقده، وترفض القبح في السلوك والطبيعة.

ولاشك أن الدين الإسلامي قد خصّ الأمة العربية بمفاتيح حضارية لاتزال تؤتي ثمارها حتى اليوم وفي الغد. ولم ينفصل الفن العربي عن الثقافة الإسلامية في أي عصر من العصور، من الأندلس حتى الهند.

فالفن صورة عليا من صور الثقافة، ومن ثم فقد حافظ الفن دائماً على صورته العربية جنباً إلى جنب مع صفة الثقافة العامة. بل مزج واستفاد من فنون البلاد المفتوحة وثقافات الوصول إلى وحدة فنية عربية إسلامية قائمة على فكرتي: الوجدانية والتعالي.

وتقوم فكرة الوجدانية على اعتبار أن ذات الله مطلقة (ليس كمثله شيء)، فهو واحد بذاته.. ومن هنا فإن الإنسان كمادة لا قيمة له في حساب الكون إلا بما ينطوي عليه من جوهر، والجوهر لا بد من تعريته - أي أن يتخلى الإنسان عن كل ما هو عرضي، وكل ما هو حسي، لهذا فإن التأمل الذاتي هو فعل وجداني محض..!

وهكذا يمكن أن نخلص إلى أن الفن العربي قام على معنى الحدس، باعتبار أن الجمال في طبيعة الإنسان سواء رضي أم لم يرض.

أما التعالي فتعني به السمو، وهو عنصر من عناصر الجمال الأمثل، ويتجلى ذلك في العمارة الإسلامية الشامخة التي تخترق الفضاء، وفي شفافية وعذرية الحب لدى الشعراء العذريين.. وفي كبرياء الشاعر العربي واحترام الحكام والخلفاء له ولقنه الجميل، وفي دفاع الفنان العربي عن نفسه أمام قوى الطبيعة وعدوان الغير، بالثقافة الواسعة ورغبته العارمة إلى المعرفة ونشدها المثل العليا وإطلاق العنان لخياله.

وإذا كان لكل مجتمع فلسفته ومثله وقيمه ونزعاته التي تنشأ معه وتتطور مع تطور الزمن، فإن هذه العناصر جميعها تكمن في داخلها إمكانات تجعلها تعيش مع الزمن دون أن تتخلف، فما من مجتمع إلا كان التناقض والتضاد واصطراع القوى سمة من سماته، وتتحرك هذه العناصر مع حركته وتتأرجح بين قطبي الحلم والحقيقة.

## الفنان لا ينعزل عن مظاهر الوجود وأشكال الحياة من حواله ؛ بل يتخذ منها مادة لصياغة رؤاه ومفهومه للحياة

ولقد مر المجتمع العربي بمثل هذه المراحل من الازدهار إلى الانكماش نتيجة هذه الصراعات التي انعكست على الإبداع والإحساس الإنساني.. فالفنان لا يمكنه أن يغمض عينيه عن مظاهر الوجود وأشكال الحياة التي تدب من حوله، وربما لو اكتفى بتسجيل هذه الظواهر والأشكال فحسب، لكان فنه تافهاً غير ذي موضوع، ولكنه يتخذ من صور الحياة والوجود مادة أولية لصياغة الرؤى التي يكمن سرها في أعماق قلبه.

### المدلول النفسي للون عند العرب

وهناك ملاحظة مهمة تتعلق بألوان الفنون العربية.. فهي تشمل الشعر والمقامة وفنون النثر والخط العربي والعمارة وفن الرقص العربي (الأرابيسك) والتزيين على السجاد وتزيين الكتب والمساجد والقصور من الداخل.. وأيضاً الفن التشبيهي المبسط. وهناك تفسير شائع للرقش العربي، هو أن الإسلام قد منع تمثيل الوجوه أو الأجسام، مما أدى إلى تجريد هذا الرقش الذي ازدهر دائماً في جميع العصور على عكس الفن

التشبيهي الذي كان ممنوعاً، وإن وجد كان سريراً وضعيفاً وبدائياً لعدم تشجيعه.

والجدل في هذا الموضوع قديم وكثير، لكن حسينا هنا أن نتساءل: بماذا نفسر سك النقود التي ظهرت في عهد الخليفة عبدالملك بن مروان وكانت تحمل صورته؟ وبماذا نفسر تلك الصور الجدارية الموجودة في قصر عمرة وغيرها من قصور الأمويين في منطقة الشام؟ وقد نفذت بناء على أمر الخليفة هشام بن عبدالملك. بل يذكر التاريخ عندما عثر في عام ٤٦٠ هـ على أنقاض قصر الخليفة المستنصر، أنهم وجدوا بينها ما يربو على ألف قطعة كان قد صور عليها الخليفة مع عدد من المحاربين ومن الشخصيات الشهيرة في عصره، هذا إلى جانب الفنانين المسلمين من فرس وترك وغيرهم، مما حفلت أعمالهم بالصور التشبيهي.

بل إن العناية بالألوان لدى العرب كانت موضوعاً مهماً لدى بعض المؤرخين والمفكرين، فقد كان لها مدلولاتها النفسية والفلسفية، وقد وصف المظفر بن قاضي بعلبك الفيلسوف في كتابه «مفرح النفوس» تأثير اللون في النفس.. وجاء فيه:

- الألوان السوداء وما يتركب منها تكدر الروح وتسمي القلوب، وتولد الأخلاط السوداء.

- واللون الأصفر هو لون الشمس المحرقة، وهو لون الصحراء، لون المدى الذي لا يحد، فيه تجمعت خيالات العرب وأحلامهم، فيه النهار، وفيه الصراع مع الحياة.

- واللون الأخضر، لون الأرض التي باركتها السماء، وهو لون النعمة والرضا، وهو لون الماء والهواء وشجرة الحياة.

كما ارتبطت الألوان عند العرب بالكواكب ومعانيها العقائدية. فاللون الذهبي يرمز إلى الشمس، والفضي إلى القمر، والأبيض إلى الزهرة، والأزرق إلى عطارد، والأسود إلى زحل، وهكذا.

كما أن لون البشرة واللوان العيون كان لها تأثيرها لدى الشعراء.

الشاعر العربي..

مصور بارع

ونسوق هنا بعض نماذج الشعر نلتقطها



من بحر الشعر العربي تؤكد هذه المعاني..  
فهذا شاعر يشبه المرأة بالقمر، فيقول:  
وبدت لميس كأنها

بدر السماء إذا تبدى  
وأحياناً يشبهها بالسيوف البيض  
والسم:

خلقنا لهم في كل عين وحاجب  
بسمر القنا والبيض عينا وحاجبا

أما تصوير العيون فقد أكثر فيه الشعراء  
لوحاتهم التشكيلية الجميلة، ومن ذلك:

لها عين لها غزل وغزل  
مكحلة.. ولي عين تباكت

وحاكت في فعالها المواضي  
فيا لك مقلة غزلت وحاكت  
(الحديقة) في اللغة هي السواد الأعظم  
في العين، سميت بذلك لأن البياض محدق  
بها، وأحدق القوم أي حاصروا..

وهكذا تشارك اللغة بألفاظها في التصوير  
والجمال، وهذا الشريف الرضي يقول:

يا قلب مالك لا تفيق وقد رأت  
عينك كيف مصارع العشاق  
فتكت بك الحدق المراض ولم تزل  
تُشجي القلوب جناية الأحداق

ولنقرأ معاً خفاف بن ندبة يصور  
السحاب المطر بقوله:

يجر بأكناف البحار إلى الملا  
ربابا له مثل النعام المعلق

وأحسب أن حياة العربي قد قامت على  
الرحلة والانتقال سعيًا وراء الكلا وبحثًا عن  
الرزق، وليس غريباً - إذن - أن يقع على آثار  
من حل قبله أو من مر بهذه الأماكن ونزل  
بها، فنجد الشاعر ينطق الأطلال الخرساء،  
وينطق الطبيعة الممتدة أيضاً، ويرسمها في  
لوحات تبوح بالفرح والحزن، بالحب  
والحرب، بالصيد والقتل.

وكما يفعل الرسام يفعل الشاعر، ويجعل  
الطبيعة المحيطة موضوعاً للتعبير، حتى إن  
بعض الشعراء قد تفوق على نفسه في  
تصويره للطبيعة، وفي مقدمتهم ذو الرمة  
الذي عاش أواخر العقد الثامن من القرن  
الأول الهجري..

يصف ذو الرمة ظبية في الصحراء،  
فيقول:

براقة الجيد واللآت واضحة  
كأنها ظبية أفضى بها لب  
بين النهار وبين الليل من عقد  
على جوانبه الأسباط والهدب  
(اللبات: موضع القلادة، واللب: ضرب  
من الرمل، وكذلك العقد، والأسباط:  
نبات، والهدب: أطراف النبات).

وهو هنا يصور الظبية في هذا الوضع  
الجميل: إنها قادمة من بعيد وقد أفضت بها  
رملة وهي تخرج من هذه الرملة في وقت  
الغروب بين النهار والليل، فراها هناك في  
الوادي، وهي تلمع وسط النباتات  
والأعشاب.

أليس هذا فناً تشكيليًا عبقرياً؟  
ونقرأ له مرة أخرى يقول:  
وردت وأرادف النجوم كأنها  
وراء السماكين المها واليعافر

## الفن عند التوحيدي ظاهرة إنسانية سامية تتصف بالشمول والرسوخ، وهو عنصر من عناصر الحياة والحضارة

فهو هنا يصور النجوم تسير وراء  
السماكين وكأنها المها؛ أي بقر الوحش،  
واليعافر؛ أي الظباء.

ويقول أيضاً:  
وقد مالت الجوزاء حتى كأنها  
صوار تدلي من أميل مقابل..  
إنه يصور الجوزاء كأنها صوار - أي قطع  
من البقر يتحرك في هذا الرمل الواسع  
المسمى أميلاً، وهكذا تبوح الطبيعة  
الخرساء، وتتحرك الطبيعة الراكدة.  
ويمتلك الشاعر العربي حاسة التجسيم  
والتركيز، في مثل قول امرئ القيس:

وما ذرفت عينك إلا لتضربي  
بسهميك في أعشار قلب مقتل

وهذا الفرزدق يصور الشيب بقوله:  
والشيب ينهض في الشباب كأنه  
ليل يصيح بجانيه نهار

وهذا بشار الشاعر المكفوف يعطينا  
صورة يعجز عنها المبصرون، فيقول:  
كأن مثار النقع فوق رؤوسنا  
وأسيافنا ليل تهاوى كواكب

وهذا ابن الرومي يرسم صورة هزلية  
كاريكاتورية في التهكم على البخيل فيقول:  
يقتر عيسى على نفسه  
وليس بياق ولا خالد  
فلو يستطيع لتقتيره

تنفس من منخر واحد  
وهذا أحمد شوقي يقول:

واللحرية الحمراء باب  
بكل يد مضرجة يدق

والأمثلة كثيرة في مجال الرؤية  
والتجسيد والجمال للعالم المحيط بالشاعر  
العربي.

### نظرية الفن عند التوحيدي

والآن وقد وصلنا إلى هذه الوقفة  
الحاسمة، يحق لنا أن نذكر طرفاً من نظرية  
الفن العربي عند العرب كما وردت على  
لسان العالم العربي الكبير أبي حيان  
التوحيدي.

فقد كان أبو حيان أدبياً حكيماً فيلسوفاً  
متصوفاً. عاش القرن الرابع الهجري؛ أي  
عصر الازدهار السياسي والثقافي معاً. وقد  
سبق غيره في وضع نظرية للجمال وما يدور  
حولها من مشكلات متعددة، مثل  
مشكلات الإبداع والتذوق ودور العلم  
والتقنية وتصنيف الفنون ودور الشعر، ثم  
موضوع العبقرية والإلهام.

وكان أبو حيان يعمل وراقاً - وهي مهنة  
كبار الكتاب -، وقد أتاحت له هذه المهنة  
مزيداً من الإطلاع والمعرفة.

يذكر أبو حيان على لسان أبي سليمان  
في كتاب (الإمتاع والمؤانسة) ما يفرق بين  
الإنسان والحيوان.. ويخلص إلى أن العمل  
الفني عمل إنساني لا يستطيع الحيوان  
ممارسته، وأنه يتم بالأيدي لأنه يتطلب  
المهارة، ولا يتطلب العقل، فنحن نرسم  
ونضرب على الآلات وننحت ونبني



# نزهة القواس في الفن العربي

التأليف الرخيص الذي يمارسه العامة والمتطفلون على اللغة.

والفن لدى أبي حيان كالمعلم ليس من دون رسالة، وليس هدرًا أو عبثًا.. بل هو نتيجة الروح والنفس في عمل منسجم شريف.

وفي «رسالة علم الكتابة» يثير أبو حيان مشكلات مهمة تماثل مشكلات عصرنا في الفن وقواعده، أهمها: وحدة الفنون.. فهو إذ يتحدث عن حسن الخط ودور القلم، فإنما يتحدث عن الفن بصفة عامة. ولأنه كان وراقًا وخطاطًا وأديبًا ومبدعًا ومحدثًا، لا يأتي بأمثالته من الخارج، بل من واقع إحساسه وعمله.

فالفن عنده يتصف بالشمول والرسوخ، وهو عنصر من عناصر الحياة والحضارة والتاريخ الإنساني، يفهمه الناس جميعًا في الحاضر، وينتقل إلى الناس في المستقبل. ويطرح أبو حيان في مسألة الجمال والتذوق سؤالاً: ما سبب استحسان الصورة الحسنة؟

ويقرر أن تذوق الجمال يخضع إلى اعتدال مزاج المتذوق، وتناسب العمل الفني وتناسقه.

وعملية التذوق كالإبداع، نوع من الانجذاب والاندماج بين المتذوق والعمل الفني. مع المعنى المجرد للمادة في الشيء، وليس مع المادة المحسوسة نفسها.

ومن هنا تختلف لذة التذوق الجمالي مثلاً عن اللذة الجنسية، ففي الحالة الأخيرة، لا يتم الاتحاد؛ بل الممارسة بين الجسد والجسد، وهو الشوق الجنسي الذي يختلف عن الانجذاب الجمالي.

ويصنف أبو حيان الفنون وفقاً لما يلي:  
١- الصورة الصناعية، أي الفنية اليدوية، وهي نوعان:

- صورة غير مشبهة - وهي الصورة الإلهية - وفيها الزخرفة والخط.  
- والصورة التشبيهية.

٢- الصورة السمعية وهي أيضاً نوعان:  
- لفظة غنائية كالشعر أو بلاغة كالنثر.  
- وآلية تحتاج إلى أداة غير الصوت، وهي

الموسيقى.  
ويعرف أبو حيان الشعر بقوله: الذي منتهاه قائم في نفس صاحبه، ثابت في

بأيدينا، وليس بقولنا كما قال دافنشي فيما بعد..

وأن اليد تتبع النفس الملهمة، ولا تتبع العقل الذي يبحث دائماً في الأمور النافعة والضارة، أو في المنطق الذي يستخلص نتائج العقل، وأن العمل الفني يتجه إلى محاكاة الطبيعة.

الفن إذن لدى أبي حيان ظاهرة إنسانية سامية، على أنه يذكر أن الحيوان قد يتأثر بالجمال الصوتي وغيره؛ أي أنه قادر على التذوق الغريزي ولكنه لا يؤكد ذلك بصورة قاطعة.

ثم نصل إلى قوله: «إن النفس علاقة بالذات؛ دراية للأمور بلا زمان، وذلك أنها فوق الطبيعة. والزمان إنما هو تابع للحركة الطبيعية، وكأنه إشارة إلى امتدادها، ولذلك اشتق اسم المدة منه؛ لأن المدة فعله، والامتداد افتعال، وأصلهما واحد: من المد..».

من هنا نصل إلى مفهوم الإبداع الذي يميزه أبو حيان عن العمل العقلي، حيث يقوم على البديهة والإلهام ثم على العمل المسؤول المثقف.

ثم يؤكد أبو حيان أن الطبيعة تعلو على الفن، حيث يقوم الفن بمحاكاة الطبيعة الإلهية ونسخها. وليس بمقدور أي قوة بشرية أن تتساوى مع قوة إلهية إلا من طريق التشبيه والتقريب. والفن متناه بعكس الطبيعة، وليس من الممكن أن يصل الفن إلى معارضة الطبيعة إلا من طريق البرهان الواضح.

أما أسلوب التعبير بالكلمة فلها شروطها الجمالية عند أبي حيان، وأهمها:  
- العناية بأصول البلاغة وأركانها وتقديمتها محكمة..

- التدقيق في الألفاظ واختيار الجميل منها وهجر الموحش.

- تنزيل اللفظ على المعنى المقصود، دون أن يغرينا اللفظ الجميل فننق في عنده، فنقع في سقم وشكيلة لا قيمة لها.

- بعد التأكد من مطابقة الصورة للمضمون يعود المبدع لتوشية ما أبدعه، فيحذف اللفظ الغريب المستكره؛ كي لا ينزل في أسلوبه مع ذوي الترفع الكاذب وهم المتحذلقون. ولا ينغمز في أساليب

قريحته، يجيش به صدره، ويجود به طبعه، وصح عليه ذوقه..

ويعرف بلاغة النثر بقوله: التي علم صاحبها وطالبها ما ينتهي إليه.. ويقف عليه من تنميق لفظ، وتزويق غرض.

ونكتفي هنا بهذا القدر من نظرية أبي حيان التوحيدي التي تؤكد الهوية الفنية العربية وقدرتها على التنظير للفن في أي عصر وأي مجتمع.

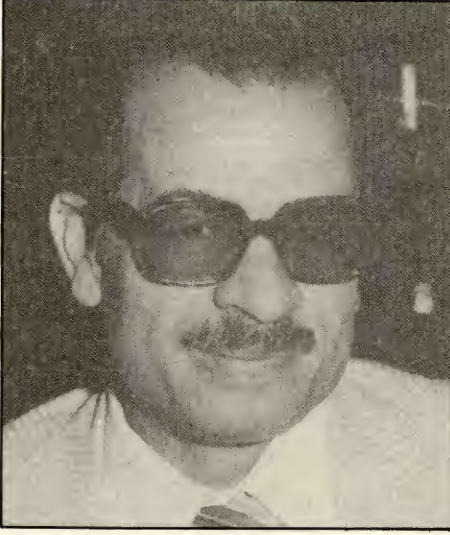
ويبقى قبل أن نختم هذا الموضوع أن نؤكد قدرة الوعي العربي بإحداث هذا التوازن بين تراثنا العريق.. وبين ما يمكن أن نأخذه من الخارج المعاصر.

إن كليهما - التراث والمعاصر - يستحق أن نعامله بمعياري الانتقاء والاختيار والاصطفاء. فليس كل التراث صالحاً، وليس كل مايرد إلينا من الخارج يضيف إلى هويتنا!

## المراجع:

- ١- الفن والتربية، د. محمود بسيوني، دار المعارف ١٩٨٤م.
- ٢- دراسات في الفن، رمسيس يونان، هيئة الكتاب ١٩٦٩م.
- ٣- نشأة الفنون الإنسانية، جورج كوبر، ترجمة عبد الملك الناشف، مؤسسة فرنكلين ١٩٦٥م.
- ٤- دراسات في نظرية الفن العربي، د. عفيف البهنسي، هيئة الكتاب ١٩٧٤م.
- ٥- معنى الفن، هريوت ريد، ترجمة سامي خشبة، دار الكاتب العربي ١٩٦٨م.
- ٦- فن الموسيقى، ج. هيجل، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت ١٩٨٠م.
- ٧- الحب عند العرب، أحمد تيمور باشا، دار الكتاب العربي ١٩٦٤م.
- ٨- شعر الطبيعة في الأدب العربي، د. سيد نوفل، دار المعارف ١٩٧٨م.
- ٩- ذو الرمة، د. يوسف خليف، دار المعارف ١٩٨٥م.
- ١٠- أبو حيان التوحيدي، د. إحسان عباس، دار القلم بيروت، ١٩٨٤م.
- ١١- أبو حيان التوحيدي، د. إبراهيم الكيلاني، دار المعارف ١٩٨٠م.
- ١٢- قاموس الألوان عند العرب، د. عبد الحميد إبراهيم، هيئة الكتاب ١٩٨٩م.
- ١٣- الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان التوحيدي، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين، مكتبة الحياة، بيروت ١٩٩٢م.





د. نجيب الكيلاني

رواية :

# ملكة العنب رؤية تحليلية

محمد حسن بريغش

ويطالب زُرَّاع العنب بإخراج الزكاة، وحدثت بلبلة بعد الخطبة، ثم تلا ذلك حدوث بعض السرقات لمحاصيل العنب من المجرمين الذين يتصيدون أوقات الفوضى للنهب والسلب.

قامت (براعم) تعلن التصدي للشباب الخطيب، لأنه - كما تظن - شجع اللصوص على السرقة بخطبته تلك، ومنعته من الخطبة في الجمعة التالية بما لها من نفوذ وذكاء.

وفي هذه الأثناء وقعت جريمة قتل، راح ضحيتها أحد اللصوص المنحرفين، حيث أُلقيت جثته في أراضي براعم، فاستدعى ذلك بعض التحقيقات التي لم تصل إلى نتيجة.

ولكن أحد عملاء السلطة استغل هذه الحوادث، وبدأ يكتب التقارير التي يتهم فيها الشباب المتدينين في قرية (الربايعة) بإحداث البلبلة والإرهاب، مع التخطيط للعمل ضد الدولة.

ووسط هذه البلبلة التي أحاطت بالقرية، وصلت جثة أحد الشبان ممن كان يعمل في بلد عربي، مما أثار عواطف الناس، فتظاهر أهل القرية ضد حاكم هذا البلد الذي بدأ يرسل جثث أبناءهم.

تعدُّ تجربة الدكتور نجيب الكيلاني - رحمه الله - مع القصة تجربة ثرية، ومحاولاته في ترسيخ قواعد القصة الإسلامية محاولات مبكرة. ورغم العثرات التي اعترضته في الوصول إلى النموذج الواضح للقصة الإسلامية، فإنه استمر في العطاء حتى أصبح رائد القصة الإسلامية الحديثة، بكثرة عطائه، وتنوع إنتاجه، وتعدد موضوعاته، ووضوح أسلوبه، وصدق تجربته.

لقد كانت تقاليد القصة الحديثة - بفهمها الغربي - تترك آثارها في بعض ما كتب، ولكنه مع ذلك، قدم عدداً كبيراً من القصص، والروايات، والمجموعات القصصية المتميزة، فضلاً عن الدراسات الأدبية، والآراء النقدية في كثير من الموضوعات، والفنون المختلفة، وسيظل هذا الإنتاج موضع التقدير من قبل الدارسين والنقاد والمبدعين.

فبدأت تتحول من زراعة الحبوب والقطن إلى زراعة العنب.

نجحت في فكرتها، وربحت كثيراً من بيع ثمار العنب، فاستأجرت أرضاً أخرى من الفلاحين، وتوسعت في زراعتها، مما جعل الفلاحين يقلدونها ويزرعون العنب، ليزداد ربحهم ومحصولهم، وأصبحت بذلك زعيمة هذا المحصول، وزراعته من الفلاحين، فكانها أسست نقابة لزُرَّاع العنب.

كان لهذا التغيير أثره في القرية، فوقع بعض الأحداث، مما جعل أحد الشبان يخطب في المسجد يوم الجمعة،

في رواية «ملكة العنب» - وهي من الروايات الأخيرة التي صدرت للدكتور الكيلاني(\*) - خطا خطوة مهمة، في إعطاء نموذج واضح وناجح للقصة الإسلامية الحديثة بكل عناصرها الفنية والموضوعية.

وتدور هذه الرواية حول فتاة ريفية ذكية جميلة، مات أبوها بعد أن نالت الشهادة الإعدادية، وترك لها قطعة من الأرض. فخرجت هذه الفتاة (براعم) إلى الحقل تزرع وتحصد، وتنفق على بيتها الذي يضمها مع أمها المريضة وأختيها الصغيرتين، وتفتق ذهنها الذكي عن فكرة تطوير الزراعة ليزداد دخلها،



ولكن السلطة الحاكمة نظرت إلى هذه المظاهرة على أنها نوع من البلبلية والتحدى للسلطة فاعتقلت عشرات الشباب، ووجهت إليهم تهمة تدبير المؤامرة ضد الدولة، وقدمتهم لمحكمة أمن الدولة، بعد أن عذبوا، وضربوا وأجبروا على تسجيل اعترافات كاذبة.

إزاء هذه الأحداث تحول اهتمام القرية من زراعة العنب، وما يدور حولها إلى الحديث عن القتل الملقى في مزارع براعم، ثم جثة الشاب التي وصلت من الخارج، وبعدها طغى على القرية حديث الاعتقالات، والتعذيب، ولا سيما بعد أن شملت كل شاب ملتجأ أو متدين، بل طال أحد الشيوخ الزاهدين، الذي كان بعيداً من كل هذه الأحداث.

أثارت هذه الأحداث دوافع الفطرة النقية عند براعم، فقامت تدافع عن شباب القرية، وعن الشيخ الزاهد، فذهبت إلى المدينة، وولت محامياً كبيراً للدفاع عنهم، وإثبات براءتهم، واتصلت - أيضاً - بنائب الدائرة الانتخابية وشرحت له الأمر، فحضر للقرية، وخطب في الناس، وشجب الظلم وسياسة القمع، ولكن العسكر حضروا فجأة، وجروه، وضربوه، دون احترام لمكانته، أو اعتبار لحصانته النيابية. انتقلت المشكلة إلى مجلس الشعب (النواب)، ووزارة الداخلية، فأصدرت الوزارة بياناً تنفي واقعة الاعتداء على النائب، وتتهم الإرهابيين، أعداء الشعب بالتآمر وإحداث الفوضى.

وتثار القضية في مجلس الشعب فيرد ممثلو الحكومة والحزب الحاكم، ثم يصدر المجلس بياناً يؤكد فيه الحرية، والديمقراطية، ويعد ما قيل حول النائب نوعاً من الإشاعات والمكائد التي تثيرها أحزاب المعارضة، والمتطرفون، والإرهابيون المتاجرون بالدين.

أما في السجن فيجري استجواب المعتقلين، الذين لا يعرفون سبباً

لاعتقالهم، ويخضعون للتعذيب والضغوط لكي يوقعوا على اعترافات لم يتفوهوا بها. وأثناء التحقيق يقف الشيخ (أبوالمجد شاهين) الرجل المؤمن الزاهد، متحدياً المحقق، فلا يتكلم إلا بالآيات القرآنية، مما جعل الضابط يقف عاجزاً أمامه، ولا يستطيع إلا إخلاء سبيله.

بلغ الضجر مبلغه في القرية، وعجز المحامون الذين أوكلتهم براعم للدفاع عن المعتقلين عن إخراجهم من الاعتقال. فعمدت براعم إلى مقابلة المحافظ - حيث أصبحت مشهورة في المحافظة كلها - وتبرعت بمبلغ كبير لأحد المشاريع التي ستنفذها المحافظة، أملاً في أن يكون ذلك عوناً على انفراج الأزمة.

ولكن المحافظ عجز عن تنفيذ ما وعد به، فأرشداهم أحدهم إلى نائبة في مجلس الشعب، ووصفوها بأنها (واصلة) إلى أبعد مدى، ولها علاقة وطيدة بالكبار، وأنها «امرأة ولا ألف رجل» وأنها «أعوص المشاكل تحلها بدقائق، وبالتلفون» لأن «أكبر رأس ينحني لها احتراماً». فتذهب براعم إلى مكتبها الذي يغص بالمراجعين، وتعرض عليها الأمر فتطلب النائبة خمسة عشر ألف جنيه على هذه القضية، لقاء الإفراج عن المعتقلين. وبذلك استطاعت النائبة تدبير أمر الإفراج عنهم، بطريقة مسرحية أشبه بالمهزلة.

يعود المعتقلون إلى بيوتهم بعدما ذاقوا من العذاب ألواناً، فتعود للقرية أفراحها، وتقوم براعم بإخراج الزكاة، ويتولى الشيخ أبوالمجد توزيعها على المحتاجين، وتعيش القرية في وئام وسلام في ظل هذا التعاون والتراحم، وتبدأ في الانتعاش، فتختفي - شيئاً فشيئاً - الأخطاء والمعاصي، حيث كان الشيخ أبوالمجد يقول للناس: «عندما يكف الناس عن الجدل، ويبدؤون العمل، يتحقق الأمل، ويسود الحب والأمان. هل هناك أعظم من ألا يبيت في قريتنا جائع بعد اليوم؟».

وأثناء المشاهد السابقة تمر أحداث الخليج، واحتلال الكويت، وما يتبع ذلك من أمور هزت المنطقة كلها، فعلق الشيخ أبوالمجد - بعد أن صعقه خبر هذه الأحداث وبكى ثم جلس في بيته -: «هناك المسلم يذبح أخاه المسلم، والسماة تصب الحمم على الأبرياء، والأرض تتفجر بالنار، والعمائر والمصانع والمتاجر ينهبها المغول ويدمرونها... هناك عذارى وأيامى ويتمى يستغيثون، أليس هذا من علامات الساعة؟».

ويضيف: «هل رأيت أعجب من هذه الأيام؟ الذئب يريد أن يحكم بالعدل وينصف الفقراء! إبليس يدعو الناس إلى الحبة والمواساة، والحب والإيمان، وأعدى الأعداء يجلس على منصة القضاء ليحكم بين المتنازعين!».

وفي القرية تقع أمور تخص الناس، حيث ينهار مستشفى البلدة نتيجة إهمال الدولة في ترميمه وصيانته، ويعتم الناس هناك لهذا الأمر، بينما تتجاهل السلطات ما حدث، وتبني مسرحاً فخماً في البلدة، مما جعل أحد الرعاة «كشكلاً» يقول لمجموعة من الحشاشين الذين يجلس معهم: «لن يحل مشكلة المستشفى إلا عبد الشكور!!؟» وظن الحشاشون أن عبد الشكور واحد من أصحاب الملايين فراخوا يتساءلون عنه.

فقال الراعي الحشاش وهو يضحك: «يا مساطيل!! ألا تعرفون عبد الشكور؟ فأجابوا: عَرَفْنَا يا فيلسوف الغبراء.

فقال: عبد الشكور شعلان يا بهائم - أقطع ذراعي إن عرفه أحد منكم لأنكم جهلة - إنه مندوب صندوق النقد الدولي، وهو مصري الأصل، لكنه أمريكي الجنسية».

«فسأله أحدهم: وهل الأمريكان يسمون عبد الشكور؟

فرد عليه الآخر - من الحشاشين -: ولم لا؟

فمد أحدهم النرجيلة إليه قائلاً: خذ يابوش يا ابن مبروكه».



## رواية :

### ملكة العنب

#### رؤية تحليلية

ويستمر الحوار بين الحشاشين حتى يقول الراعي وهو يشرح: «إن تقارير عبد الشكور هي التي تمنحنا القروض أو تمنعها.

فرد أحدهم: لأنه أصبح أمريكياً، والأمريكي رجل مصلح، ولا يعرف العواطف، ولا صلة الرحم، ولهذا رفعوه إلى المركز العالي.

فعلق أحد الحشاشين: لو كان ابن مزاج لما فعل ذلك.

فأجاب الراعي: المزاج شيء، والمصلحة شيء آخر.

فسأل أحدهم: وهل يضربون الناس في أمريكا على أردافهم كما يفعلون عندنا؟

فأدرك الراعي أنه يريد التعريض بقصة تعذيبه من قبل أمن الدولة، فضحك وقال:

أمريكا بلد العجائب، الشعب هو الذي ينكل بالشرطة، ولكل فرد حق في تعاطي الحشيش علناً في الشوارع، والنساء يعرضن أنفسهن بأسعار في متناول الجميع، وبالساعة، إنها بلد الحرية يابهايم!! حرية الجنس والمخدرات والسياسة. السجون هناك مثل فنادق الدرجة الأولى».

ويتابعون هذا الحوار فيقول أحدهم:

«صدقوني يا إخوان خير لكم ألف مرة أن تكونوا حشاشين من أن تكونوا رجال سياسة، لقد ازددت يقيناً أن الحشيش كالخيز يجب أن يحظى بالدعم».

حوار ساخر، عميق الدلالة، كثير الإيحاء، قوي التأثير.

وتمضي الحوادث، فتتكشف أسرار القتل الذي وجدت جثته في أرض براعم، ويلقى القبض على المجرم ومعاونيه.

أما الشاب المتدين الذي خطب وطالب بإخراج الزكاة، فقد قام يوم الجمعة، وخطب في المسجد، وطالب أهل قرية (الربابعة) بتكريم ابنة القرية (براعم) الشريفة، العفيفة، الخيرة، التي صنعت للبلدة معروفاً، ودافعت عن شبابها، ومصالحتها، ثم اقترح أن يخرجوا جميعاً نحو بيتها، ويقدموا لها مصحفاً هدية، للتعبير عن احترامهم وتقديرهم لها، ثم قال:

«إذا أردنا أن نحقق مبادئ الإسلام في الدولة، فلنبداً بأنفسنا وأسرنا، ثم إلي قرانا الصغيرة، ولا نتظر انقلاباً مفاجئاً يطبق شريعة الله، فالإسلام رجال قبل أن يكون سلاحاً، ومعارك دامية، وكما تكونون يؤلّي عليكم».

ثم اتفق أهل القرية على التعاون، وحل مشكلاتهم بأنفسهم. أما الدولة، فلم يعجبها ذلك، فبدأت تتدخل عن طريق الحزب والأمن، وتدعو الناس لوضع أموالهم في المصارف، وتتهمهم بأنهم يشكلون بيت مال للمسلمين. ولكن العمدة دافع عن القرية وأهلها، وأوضح للسلطات أن أهلها طيبون، متعاونون في سبيل الخير، ولا مقصد لهم إلا كل خير.

وتنتهي القصة بزواج الشاب المتدين محمد حسب الله من ابنة القرية براعم، الفتاة الذكية العفيفة، التي قاومت كل المغريات ووقفت أحسن المواقف، وكانت مثال الفتاة الشريفة.

هذه الرواية - ملكة العنب - نموذج جيد للقصة الإسلامية الحديثة، حيث تخطى فيها المؤلف حاجز التوجس والتردد، وعبر من خلالها - بحق - عن أصالة تجربته، وأدبه الإسلامي، حيث أعطى موهبته كلها، وعطاءه الواسع لهذا الأدب الذي عرفه وأحبه وخدمه.

لقد كانت الرواية تعبيراً واضحاً عن ملامح القصة الإسلامية، ومميزاتها الفنية والموضوعية، دون خشية من النقاد الذين

لا يرضون إلا بكل غريب مستحدث، أو صورة منكرة، أو أسلوب يرتدي أزياء العلمانيين.

ولقد كان المؤلف في روايته، واضح الرؤية، صادق التصور، فرسم شخصياته بدقة، وأعطاهم ملامح الحياة الواقعية، بكل تنوعها، وألوانها، وظروفها.

ولم ينس في أحداث القصة، أن يتطرق إلى الضعف البشري كما تطرق إلى القوة، ووقف عند الزوايا المظلمة، الحزينة الفاجعة، كما وقف عند الزوايا المضيئة، المفرحة، وراعى ناموس الحياة، وقانون الفطرة الإلهية الذي يحكم طبيعة البشر، ولهذا ظهر الانحراف خطأ شاذاً عن الفطرة.

وظهر الخير فطرة كامنة في العمق، وكان الناس يستجيبون لنداء الفطرة حين تتوافر الأسباب المناسبة، وينحرفون حين تغيب هذه الأسباب، أو تدخل عوامل الشر في الأحداث، أو حين تغيب دواعي الاستقامة، وتترك لعوامل السوء والانحراف والشر لتتغنى وتفسد.

وكانت مشاعر العاطفة والحب مشاعر إنسانية راقية عذبة رقيقة، ولكنها - أيضاً - بعيدة من سعار الجنس ومثيراته وصوره المنحرفة. فالعاطفة مشاعر كريمة عميقة.

وكان الكاتب في تصويره للأحداث لماحاً، ذكياً، شجاعاً؛ حيث رسم خارطة واسعة للأحداث تتسع للعالم العربي كله، إن لم يكن أكثر، وإن كانت المساحة المادية التي دارت فيها مساحة قرية صغيرة.

فالقرية هي مصر، أو الوطن العربي، أو العالم الإسلامي كله، والشخصيات هم من قرية (الربابعة)، ولكنهم نماذج واقعية بأسماء متعددة في كل بلد. فالربابعة القرية، صورة مختصرة دقيقة ترمز لهذا المكان، أو ذاك، أو ذلك.

وفي القصة تصوير للشخصية المسلمة الواعية، الشخصية التي تنفذ بوعيتها وبصيرتها إلى ما وراء الأحداث،



## قصيدة:

# هي أمنيّة.. لما نشهد الرجال!

شعر: أحمد العرفج

إلى الشاعر محمود درويش وبقية الأصوات في  
أطلال مازالوا يذكرونها.. فرائحة الزيتون جغرافيا:

سُكِبَتْ عَلَيَّ صَدْرُ التَّفَاؤُلِ  
مَا بَقِيَ مِنْ مُوجَعَاتِ مِزْمَنِهِ  
مِنْ مُوجَعَاتِ مِزْمَنِهِ!  
مِنْ مُوجَعَاتِ مِزْمَنِهِ!  
أَيُّجُوسِ جَسَاسِ الظَّلَامِ  
خِلَالَ نَاهِدَةِ الرَّبِيِّ  
وَيَشُدُّ مِنْ ذَلِكَ الْمَغْرَدِ مَوْطِنَهُ  
بِاسْمِ الَّذِي أُسْرِيَ نَجَزُ الْغَرْقَا  
بِاسْمِ الَّذِي أُسْرِيَ نَعِيدُ الْمَوْعِدَا  
وَبِهِ نَرُدُّ الْمَوْطِنَا  
وَبِهِ نَزِفُ السُّوسِنَا  
هُوَ حَسْبُنَا ... هُوَ حَسْبُنَا  
لَا بَأْسَ  
هِيَ أَمْنِيَّةٌ ... هِيَ أَمْنِيَّةٌ  
هَذِي خَطَايَا ... وَذِي يَدَيَّ  
دَعْنِي ... دَعْنِي - يَا رُؤْي -  
أَمَارَتِي بِالسُّوءِ  
«نَفْسِي مُؤْمِنَةٌ»

هي أمنيّة  
هي أمنيّة  
تَغْفُو عَلَيَّ صَدْرُ الرَّبِيِّ  
حَاصِرَتْ فِي أَنْحَائِهَا  
قَلْبِي  
فَعَادَ الْيَوْمَ يَكْتُبُ أُغْنِيَةَ  
«هِيَ أُغْنِيَّةٌ.. هِيَ أُغْنِيَّةٌ»  
قُلْ لِي - بِحَرْفِكَ -  
كَيْفَ حَالُ الْأَزْمَنَةِ؟  
قُلْ لِي - بِجَرْحِكَ -  
كَيْفَ حَالُ الْأَمْكَنَةِ؟  
بِرَوَائِحِ الزَّيْتُونِ نَرْسُمُ أُغْنِيَاتِ  
الْبَرْتَقَالِ  
وَشَقَشَقَاتِ السُّوسَنَةِ  
هِيَ أَمْنِيَّةٌ  
نَسْرِي - بِأَذْنِ اللَّهِ - يَا تِلْكَ  
الْفُصُونِ اللَّيْنَةِ  
هِيَ أُغْنِيَّةٌ

وأعماق القضية، ونتائج ما يجري.  
كما صور الشخصية المسلمة البسيطة  
التي تظهر عارية أمام الأحداث ولكنها  
صادقة طاهرة.

وصور الفطرة السليمة، والطبيعة  
المنحرفة، والمخطئة.

وصور الخطأ بحدوده الواقعية دون  
تهويل أو تزويق أو تعليل. كما صور  
الندم والتوبة، وعودة الإنسان إلى الحق  
حين تصدمه الأحداث، وتكشف أمامه  
الحقائق.

وصور الطبيعة المتألفة الحانية على  
الإنسان، المسخرة له لتعطيه وتبادل الخنو  
حين يمنحها الجدم مع الإخلاص، ولم  
يجعل منها نقيضاً يصارع الإنسان،  
ويعترض طريقه.

صور الحيوان وهو يتعاطف في ود مع  
الإنسان، كما صور الإنسان وهو ينظر  
إلى هذا المخلوق الأعجم بحنو وعطف  
ووفاء.

صور المجتمع بعيون واعية، نافذة،  
مبصرة، صادقة، وقلب حساس، وعقل  
ذكي للاح، وبصيرة مستقيمة. ولم  
يخضع لمقاييس المذاهب المادية الحديثة  
في تفسير الأوضاع وقبولها وتسويغها،  
وإضفاء الشرعية على صور الانحراف،  
والغلو في هذا التصوير. وكتب عن  
الأحداث السياسية المعاصرة، ومواقف  
الناس وعن الإسلام، والمسلمين، والعالم  
من حولنا، برؤية إسلامية شفافة،  
واضحة.

لم يهرب إلى التاريخ، ولم يغادر بعيداً  
إلى هنا وهناك؛ بل أضاء الواقع، وعرض  
لنا صوراً مثيرة منه، بطريقة واضحة  
بسيطة موحية، إنها قصة ملكة العنب،  
نموذج للقصة الإسلامية الحديثة.

(\*) صدرت للدكتور الكيلاني عدة روايات، منها:  
ملكة العنب، قضية أبو الفتوح الشرقاوي، اعترافات  
عبد المتجلي، امرأة عبد المتجلي. ومجموعة قصصية:  
الكابوس. وصدر له أخيراً: مملكة البلعوطي، الرجل الذي  
آمن.



## دراسات في أدب الجزيرة العربية (١٧)

# الحفظى يقتفى أسلافه ويكشف عن مقامه في الأسر



د. عبدالله أبو داهش

شهدوا جميعاً قسوة الحنين والبعد من الوطن. ورغم ضعف الأداة الشعرية التي كان الحفظى يعبر بها في بعض قصائده؛ إلا أنه استطاع أن يصور في شعره المشاق والآلام التي أدركته ومن معه من الأسرى منذ غادر وطنه حتى وصل استانبول بتركيا في رحلة بحرية قاسية، ولعل ما أزعجه في هذه الرحلة أن جنود الترك لم يتركوا له فرصة يؤدي صلاته فيها، ولم يطفئوا ظمأه بجرعة ماء يشربها، رغم وجود الماء ووفرته، يقول:

طلبناهم قرضاً نؤديه للذي  
أراد بهذا للأخير وأول  
فلم يأذنوا في الصبح والظهر بعده  
ولا العصر والوقت في ليل أليل  
وكدنا نلاقي جرعة الموت حسرة  
على نقص دين بعد وافي التكمّل  
وجزنا بدا الوادي وذياك بعده  
على ظمأ والشن بالماء ممّلي  
وما عظموا المولى ولا حرمة الملا  
بشربة ماء أو ورود بمنهل

ولعل خير من صوّر هذا الواقع، ودلّ عليه الشيخ أحمد بن عبدالحالق الحفظى (١٢٥٠ - ١٣١٧هـ) الذي عاصر تلك الأحداث في زمانه، وقاسى مرارة المنفى خارج وطنه، يقول وهو في المنفى بتركيا وقد شهد لمعان البرق قبل وطنه:

أذهب الأتس وأبقى لوعتي  
ونفى عن مقلتي طيف الوسن  
فإذا خاطبته مستعجلاً  
أيها البراق هل زرت الوطن  
لزماني عادة في أهله  
فارتقب يا جاهلاً صرف الزمن  
ولقد حلّ بقلبي لوعة  
من فراق أهل ودي والوطن  
هاتف الإحسان قد يهتف بي  
وظنوني في إلهي خير ظن  
إن يمن الله بالعفو لنا  
فهو المعطي للإطاف ومن (١).  
وإذا كان الحفظى قد أثاره لمعان البرق وهو أسير في بلاد الترك، فإنما يشير إلى المعاناة التي يقاسيها هو والأسرى الذين معه من أمراء عسير وأعيانها وعلمائها، حيث

يدرك الباحث أن الشعر في تهامة عسير أواخر القرن الثالث عشر الهجري ظل محتفظاً باللامح السلفية التي كان متميزاً بها منذ العقد الثاني من ذلك القرن نفسه. وذلك حين دوام الشعراء الحفظيون البكريون على اتصالهم بأمراء عسير السلفيين، إذ كانت تلك المنطقة على حال من اليقظة الأدبية والصلة القوية بالبيئات الأدبية الأخرى المجاورة، كما أنها لم تسلم من غزوات الترك وحروبهم، بما أودى بالشعراء إلى حال من القلق والآلام. فهم لم يسلموا من الأسر والنفي خارج بلادهم، ولم يكن لديهم الاستعداد النفسي للتخلص مما ورثوه من أسباب فكرية سابقة، وأدى ذلك إلى واقع نفسي ظاهر، ومعاناة حقيقية معلومة؛ فمن الواضح أن الشعراء الذين أخرجوا من ديارهم في سبيل وطنهم، واتجاههم الفكري قد أحسوا بمرارة الحنين وأدركوا جور أعدائهم وعسفهم، مما جعل شعرهم يصور مرحلة من مراحل العداء لمراكز التأيد السلفي بجنوبي الجزيرة العربية.



سوى مَوْرِدِ الْجَنِّينِ آخِرَ يَوْمِنَا  
ونادى المُنَادِي عَجَلُوا بِالْتَّرَحُّلِ (٢).  
ترى هذا الإيحاء الحقيقي للمعاناة في  
رحلة شاقة يقطعها الأسرى من رجال ألمع  
بتهامة عسير، ومن عسير نفسها حتى تركيا  
عبر الأودية والجبال والبحار، في مقام حزين  
لا يسعفه غير الإحساس بالتجلد والصبر،  
ثم فطرة هذا الشاعر التي تسير بيسر في  
تكوينه لقصيدته الموسومة «في طريق  
المعتقل». أما تراه وقد أحسن تصوير حاله،  
حين فتن في دينه، وأوذي في معاشه، حين  
كان يرى الماء، ولا يناله، إلا بعد أن يُسمح  
للأسرى جملة بورود منهل «الجنين»،  
ولكن في آخر النهار؛ حيث تزداد الآلام،  
وحين يرفع المُنَادِي النداء بالرحيل إلى أين؟  
إلى المنفى خارج البلاد!

ولما استقر الحفظي في «يانيه» بتركيا زاد  
شوقه إلى رجال ألمع بتهامة عسير، وأخذ  
يصور حاله في شعره، وما مسّه من ألم، فقد  
حفل شعره عندئذ بشيء مما أنتجه في هذا  
الميدان، ولكن الأداة الشعرية كانت  
لا تسعفه أحياناً لإيضاح الحال الرتيب الذي  
كان يعاينه، ومن شعره في تلك الأثناء قوله:  
أسير بأرض الروم لأدر دَرَّها  
ولا علَّها نَهْلُ المَوْدَةِ والفخر  
وإني لأرجو أن أعود لموطني  
بخير وأمر الله أحسن من أمري (٣).  
وقال:

تذكرت أرضي فاستحالت مدامعي  
دمًا باطنًا يذري دموع السَّوَاغِمِ  
سقى الله أوطانًا تحف بتَهْلِيلِ  
بِوَاكفِ مَزْنٍ من ولي المَراجِمِ (٤).  
ولم يزد هذا الواقع المرير إلا صلابة  
وقوة، فقد أخذ بعد عودته من تركيا يدعو  
إلى وحدة إسلامية، ويحذر كَيْدَ التُّركِ،  
وبطشهم، إذ قال:

الله أكبر هذا أعظم المَنَنِ  
أن عدتُ أرضي بعيد الأسرِ والمَحَنِ

وزرتُ نَجْدًا دُعاة الدين فيه هُمُ  
ولاة أمري وأهل الفضل والمنِ  
وسرتُ أسعى حثيثًا في عسير كذا  
كل البلاد إلى مصر كذا اليمن  
أدعو السراة إلى دين يوحدهم  
صفاً وينعمهم من صولة الزمن  
قد طُفْتُ في الأرض أعواماً وخُضْتُ لما  
فيها يحوراً على البأبور والسُّفُنِ  
سبعون شهراً بأرض الروم عن كمل  
ومثلها من ربا نجد إلى عدن  
ما كنت يوماً أجوب الأرض في سفري  
لغير مجد، وإني غير ممتهن  
وإني لست في الأطماع مجتهداً  
أو طالباً ثمناً في اللبث والظعن  
وأسمع الناس نصحاً قبل قارعة  
تهد ركن القوى من فعلنا الخشن  
عسى اتحاذ لنا فالأرض واحدة  
والدين محترَمٌ عن فعل كل دَنِي  
فلا يَغَيِّرُ ربي ما يَغَيِّرُهُ  
إلا بتغيرنا الأحوال عن سَنَنِ (٥).  
ويتضح الاتجاه السلفي، والرغبة في  
الإصلاح لدى هذا الشاعر؛ فقد أبدى ثناءه  
على الله تعالى حين عاد إلى وطنه، وأشار  
إلى نجد موطن الدعاة السلفيين، ومنطلق  
الدعوة الإصلاحية، ثم بين جهوده في سبيل  
جمع الشمل حينما طوف ببلاد كثيرة،  
لا يتغي سوى تحقيق الاتحاد، وجمع  
الكلمة.

ولئن دعا الحفظي إلى توحيد الصف  
وجمع الكلمة؛ فإن ذلك ليدل على أنه قد  
صور حال الشريعة الإسلامية، وقد هان  
على المسلمين أمرها، حيث أنشأ قصيدة  
تخليعية لاتخلو من الإبداع، والرغبة في  
الإصلاح، ومنها:

الشرع نادى ملوك الأرض بلِ طلب  
حكماً صحيحاً يزيل الشكَّ والرِّيبَا  
وقدم العرض لكن ما استجيب له  
وحقه في ملوك الأرض قد وجبا

نادى بصوت بليغ للعباد معاً  
إني جعلت لأغراض الدنيا سببا  
وها أنا طالب منهم محاكمتي  
فصورتني بقيت والجسم قد ذهباً  
تُرِكتُ في حالة يرضى العدو بها  
مجرد من لباسي صرت منسلباً  
مقطع الأربع اللاتي أقوم بها  
والعين قد ذهبت والرأس قد عُصبا  
في حيرة صرْتُ مُلقى في طريقهم  
وأقله الحيل من حالي ووا حَرَبَا  
إن تنصروني فإن الله ناصركم  
أو تخذلوني رأيتم كلكم تَبَّأ  
أنا الذي أسس الرحمن بنيته  
وشيد المصطفى أمري بكل نَبَا  
وأنتم تهديموني بعده علَّنا  
يا ضيعة العمر لما صرْتُ مغترباً  
إني غريب، وأيضاً عدت مغترباً  
طابت منازل طوبى اليوم للغربا (٦).  
وفي الحقيقة: إن هذه الشكوى التي بثها  
الحفظي على لسان الشريعة الإسلامية، تشير  
إلى رغبة هذا الشاعر في الإصلاح، وميله  
إلى نصرة الدين، وأنه وإن كان لا يحسن  
أحياناً استخدام الدلالة اللغوية المناسبة في  
بعض أبيات قصيدته، فإن اعتماده على  
التشخيص وتسخير الخيال، يدل على ملامح  
الحسن في شعره، وليس الأمر مقصوراً على  
هذه القصيدة، وإنما هناك قصائد قصصية  
أخرى (٧).

### الحواشي:

- (١) توجد هذه القصيدة لدى الباحث.
- (٢) محمد بن إبراهيم الحفظي، «نفحات من عسير» ١٥٢.
- (٣) ١٥٣، والجنين: اسم لجبلين في طريق الذهاب إلى الشقيق.
- (٤) المصدر نفسه ١٥٩.
- (٥) المصدر نفسه ١٦١.
- (٦) المصدر نفسه ١٨٦، ١٨٧.
- (٧) انظر: «الحياة الفكرية والأدبية في جنوبي البلاد السعودية» للباحث.



## حسين رؤوف ازدواج الديانة قاده إلى الإسلام

ولد لأبوين إنجليزين يمثلان الديانتين النصرانية (الكاثوليكية) واليهودية، فعاش طفولته مزدوج الديانة، ونشأ وتربى وسط تقاليد الكنيسة الإنجيلية البريطانية، فكانت ثمرة هذا التشتت العقائدي أن أبى عقله تقبل التناقض الكبير بين عقائد وتعاليم ديارتين مختلفتين، وتكشفت له مساوئ التحريف في كليهما. وإذا كان البعض قد يعتقدون ديناً على أساس عاطفي أو فلسفي أو اجتماعي، فإن حسين رؤوف لم يفعل مثلهم، وإنما اتبع فطرته السليمة، وزكى هذا الاتباع بدراسة الديانات الرئيسية في العالم، ليكون اختياره متلاقياً مع فطرته، وعن قناعة ويقين.

### حائر بين ديارتين

بدأت رحلته للبحث عن الحقيقة في مرحلة مبكرة من عمره، وأتيح له بحكم دراسته في المدارس البريطانية أن يطلع على المذهب البروتستانتي، ويوازن بينه وبين المذهب الكاثوليكي، والعقيدة اليهودية، ومالت نفسه إلى رفض مذهب التجسيد الإلهي كما تصوره النصرانية، وكذا مبدأ الكفارة أو سر الاعتراف الذي يملك القسس ناصيته ويوهمون البسطاء به، ووجد نفسه - في البداية - تميل إلى فكرة الألوهية عند الديانة اليهودية، إذ رأى فيها توفيراً للذات

### الإلهية عما هو في النصرانية.

### تناقض عقائد اليهود

لكنه ما كاد يخوض في عقيدة اليهود ممعناً النظر والدرس فيها حتى وجدها عقيدة تقيد أتباعها وتفرقهم في شكليات وطقوس لا نهاية لها، والأسوأ من ذلك أنها منطوية على ذاتها، مغلقة على ما عداها، وتخلق هوة بين الشعوب حين تزعم أن اليهود شعب الله المختار، وماعداهم كفاراً، وفي الوقت نفسه ترفض أن ينضوي هؤلاء الكفار تحت لوائها، وتوجد تمايزاً بين الفئات الاجتماعية المختلفة، الأمر الذي يتناقض

مع ما يفترض أن تمثله الديانة من دعوة إلى الحق والعدل، ويفسد زعمها بأنها من لدن إله حق، فالإله لا يمكن أن يظلم عباده أو يرفض أن يهتدى إنسان لمجرد أن أمه لم تكن تنتمي إلى شعب الله المختار!

### رفض للنصرانية

وبالمثل وجد في النصرانية مساوئ عدة تكشف عن حقيقة التحريف الذي حدث فيها، فأسرار الكنيسة السبعة لا معنى لها، وعبثاً سعى إلى معرفة كنهها بسؤال القسس والرهبان، لكن ما المسؤول بأعلم من السائل، إضافة إلى ذلك رأى فيها إخضاعاً للعباد لسلطان عباد آخرين، فالسلطات الممنوحة للبابوات والكرادلة والقسس، تتيح لهم إحكام قبضتهم على رعايا الكنيسة، وممارسة دكتاتورية قاسية على البسطاء، تجبرهم على الخضوع لسلطانها، خضوع الذليل، الذي لامفر أمامه من القبول بهذه السخرة، والرضا بالعبودية لغير الله، توهماً بأن ذلك هو الطريق الوحيد لنيل عفو الخالق ورحمته، باعتبار أن القسس والرهبان يملكون مفاتيح الجنة، وصكوك الغفران، التي من دونها لن يكتب للإنسان سوى التعاسة في دنياه وأخراه، والعذاب المقيم، ما لم يرض عنه البابوات والأخبار.

### مع الهندوسية

كان طبيعياً وقد تكشف للمهتدي الجديد مساوئ الديانتين اللتين يدين بهما أبواه، أن يجد نفسه لا يؤمن بأي منهما، ومن هنا بدأ يسعى إلى ما يرضي نفسه الخيري ويقنعها بالبحث عن ديانة يجد فيها ذات الله الحقيقية، وكانت الديانة الهندوسية وجهته الأولى التي سعى إليها باحثاً عن الحقيقة، آملاً في أن يجد فيها



ما لم يجده في ديانتني والديه، فقرأ تعاليم فيدانتا، وأوبا نيشادز، وغيرهما من الكتب الهندوسية المقدسة، التي شدته في البداية لما فيها من فلسفة شرقية، لكنه حين أمعن النظر فيها وجدها خالية من أي حل للشرور الاجتماعية، والأدهى أنها في مواطن كثيرة تقنن هذه الشرور، وتجعل منها واقعاً لا بد من الإقرار به؛ وإلا حلّ سخط الله وعقابه على الخارج عن ناموسه!!

ولم يكن صعباً أن يترك الهندوسية ويملها، وهو يرى فيها عيوب النصرانية المحرفة ذاتها من إعطاء امتيازات للكهنة لاتوافر لغيرهم، كما أن فيها من نقائص اليهودية المحرفة تقسيم الشعب إلى طبقات لا يمكن تجاوزها. فمثلما ادعى اليهود أنهم شعب الله المختار، فإن البراهمة في الهندوسية يعدون أنفسهم طبقة فوق الجميع، حتى إنهم يأنفون أن يصافح أحدهم واحداً من طائفة المنبوذين الذين يشتركون معهم في الديانة، فمهما علا الأخير، يظل منبوذاً حياً وميتاً.

### البوذية مجرد رياضة روحية

كانت البوذية محطته التالية، ومنها تعلم الكثير عن العقل البشري وقوانينه، وكشفت له عن طريقة سهلة لفهم الكون، اعتقد بعدها أن هذا دليل على سمو البوذية الروحاني، حين تلجأ إلى ممارسة الرياضة النفسية للوصول إلى ضبط المشاعر وتنظيم الرغبات وإخضاعها للقوانين الأخلاقية.

لكنه ما لبث أن اكتشف أن هذا السمو الروحاني الذي شعر به حين مارس طقوس البوذية لا يدل على سمو عقيدتها، ولا يتعدى أن يكون مجرد

مقدرة تنمي بالتدريبات لإتقان رياضة نفسية، وهو عمل يمكن أن يقوم به أي شخص يملك الإرادة والرغبة. وحين بحث عن القضية التي شغلته، ونعني بها وجود الله وطبيعة هذا الوجود، اكتشف أن البوذية لاتعطي اهتماماً كبيراً لهذا الجانب، وتتشابه مع النصرانية في كونها تدعو إلى عبادة إله مثلث يسمونه (فو)، ولا تتضمن عقيدتها أية تشريعات تنظمها، بل يقتصر الأمر على وجود منهج يتبعه المرء من أجل تخليص نفسه ومساعدة غيره على تحقيق هذا الخلاص!!

### البحث في الإسلام

قد يسأل سائل: ولماذا لم يتجه حسين رؤوف إلى دراسة الإسلام، وهو ثاني أكبر ديانة سماوية من حيث الانتشار؟! الحقيقة أنه فعل ذلك، لكنه أخطأ الطريق في البداية حين عمد إلى قراءة الترجمة الإنجليزية لمعاني القرآن الكريم التي قام بها رودويل، وهي ترجمة حافلة بالأخطاء المقصودة وغير المقصودة. وفيها تحريف كثير لمعاني القرآن الكريم، يبعد بها من الحق، ويؤدي إلى فهم خاطئ عن الإسلام لدى المتلقي.

لذا لم يتجه اتجاهاً فعلياً إلى تعرف الإسلام، وظلت المعاني الخاطئة التي تركتها ترجمة رودويل كامنة في نفسه إلى أن قيض الله له رجلاً مسلماً زوده بنسخة مترجمة من معاني القرآن الكريم وعليها تعليقات لعالم مسلم، وبعض الكتب التي تناول العقيدة الإسلامية باللغة الإنجليزية.

كان ذلك عام ١٩٤٥م، وفي ذلك العام كانت بداية تطلعه إلى اعتناق

الإسلام، حيث دُعي ذات يوم لمشاهدة الصلاة والمشاركة في تناول طعام الغداء عقب صلاة العيد، فوجد أن المسلمين لا يقتصرون على أمة بعينها؛ بل هم من شعوب مختلفة، منهم الأوروبي والصيني والأمريكي والشرقي والعربي، وبالرغم من تعدد جنسياتهم إلا أن من يراهم يجدهم قلباً واحداً، فالقيم الواحدة التي تتمركز في قلوبهم تجعل اختلاف جنسياتهم هشاً، وتربطهم برابط أوثق من أية جنسية، إنه رباط «لا إله إلا الله»، رباط الإخلاص في عبادة الله وتوحيده.

### اعتناق الإسلام

وشده أكثر للإسلام ما وجدته متلاقياً مع فطرته وهو التوحيد الخالص لله، وتنزيهه - عز وجل - عن التجسيم والتشبيه، والسمو بصفاته، وهو ما لم يجده في غير الإسلام من ديانات، فقرر قراره على أن يتخذ الإسلام ديناً، وأشهر إسلامه، رغم اعتراض أصدقائه وأقاربه على هذه الخطوة التي عدوها خطوة إلى الوراء، باعتراف ديانة لأناس متخلفين؛ إذ خلط هؤلاء - بفهمهم القاصر - بين العلة والمعلول، ولم يفهموا أن الإسلام لاعلاقة له بانحطاط حال المسلمين، فضلاً عن تجاهلهم أن الثقافة الإسلامية وحضارة الإسلام وعلومه، هي التي كانت نقطة ارتكاز أوروبا حين صنعت أوروبا الحديثة في عصر النهضة، ولو لم تكن علوم المسلمين وحضارتهم، لما قُدر لهذه النهضة الأوروبية أن تقوم. وهذه حقيقة أدركتها أكثر عقول أوروبا نبوغاً حين تجردت من عنصريتها وبحثت في الإسلام برغبة صادقة في العلم.



فضيلة الشيخ:  
د. صالح بن سعد اللحيدان

تابعي، وصحة أحاديث

ما صحة حديث: «صلوا كما رأيتموني أصلي»، وحديث «من لم يزرني؟»

محمد ع. م، الرياض.  
بقية بن الوليد إمام في العبادة والجهاد، وهو من شيوخ شعبة بن الحجاج، وضعفه في الرواية وكونه يدلّس [التدليس المراد به هنا: إسقاط ضعيف بين ثقتين] إنما جاء من أنه ابتلي بتلاميذ ليسوا بذلك.

أما حديث «صلوا كما رأيتموني أصلي» فهو صحيح، وهو من رواية لم يتطرق الشك إليها، والتلفظ بالنية عند الصلاة بدعة لأنها لم ترد أبداً، وحديث «من لم يزرني فقد جفاني» موضوع لم يصح سنداً ولا متناً.

الخضر عليه السلام

هل الخضر - عليه السلام - حي؟

زعيم الخير الله 81 - South Meadows - Park Lane - Wembley.

نهض الإجماع عند عامة علماء الشريعة من الصحابة ومن بعدهم من أهل العلم على أن الخضر عليه السلام متوفى، لقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾ (الأنبياء: ٣٤). وقد ثبت هذا بقاطع من النص والاستقراء عليه. وهذه الآية عامة لم تقيد بمقيد، ولم تُخصص بمخصص. ودعوى عيسى عليه السلام أنه حي ولم يأت يبايع النبي صلى الله عليه وسلم ليست قائمة، لأن عيسى عليه السلام حي؛ لكن تجري عليه أحكام أخرى غير أحكام الأرض، ولأنه عليه السلام مؤمن به وأوصى بالإيمان به، وقد بشر به كما حكى الله تعالى عنه: ﴿ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾ (الصف: ٦). ولأنه حينما ينزل يكون على دين الإسلام الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم

ويحكم به. لكن كل المقصود أن عيسى عليه السلام له الآن حكم آخر برفعه إلى السماء، فلا يقال إنه لم يثبت أنه جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم.

ولو فتشت عن حقيقة القول بأن الخضر حي الآن لوجدتها عواطف صوفية ومنامات. وليس هناك دليل شرعي. ومن المعلوم بالضرورة أن حياة عيسى عليه السلام لا تُخصص الآية حسب قواعد أصول القراءات لمصطلح التفسير، ودلالة ثواب النسخ والعموم والخصوص.

ردود خاصة

الأخ محمد الحمادي بن علي، حلب، سورية:

التوجه إلى القبلة من أعظم واجبات الصلاة، ولا تتم الصلاة إلا بهذا، فقد توافرت النصوص على هذا، قال تعالى: ﴿وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره﴾ (البقرة: ١٤٤). لكن هناك حالات يُعفى فيها عن المصلي عدم التوجه إلى القبلة، منها:

- ١- الجهلُ بجهتها بعد الاجتهاد والتحري.
- ٢- انحراف الطائرة أو المركب بعد الصلاة إلى جهة القبلة.
- ٣- حال الخوف الشديد المربك لسبب ما.

الأخ د. م. ع. القاهرة، مصر:

هناك من الرسل عليهم السلام من جمع الله تعالى له بين النبوة والملك، والملك خادم لها وحارس ليعبد الله وحده ويُحكم بشرعه في شؤون الحياة كلها.

وهناك من الرسل عليهم السلام من جمع الله تعالى له بين النبوة والصناعة والإدارة والسياسة والطب.. إلخ.

المقصود أن الرسل جاؤوا لتكون لا إله إلا الله (منهج حياة)، وما لا نص فيه من أمور الدنيا فيجتهد فيه أهل علمه على أن لا يخالف نصاً أو يخالف قاعدة شرعية، أو يكون سبباً لفصل الدين عن الدنيا.

لعلك تقرأ بتمعن وفهم سور: البقرة، وهود، ويوسف، والحج، والنمل، ومحمد، والتكاثر، والناس.

الأخ م. علي. ب، الرياض، وزارة المعارف:

لقد كتبت خطاباً خاصاً للوزارة بشأن ماذكرت، وقد كان الأولى أن تقوم بهذا لسلامة ماذكرت من العوارض.

الأخت م. هـ، جدة:

الطلاق ليس حلاً؛ بل هو حل للضعيف، اصبري. فلست أرى موجباً للطلاق. وسوف - إن شاء الله تعالى - ترين عاقبة الصبر بشرط حسن النية، وأن يكون الصبر واعياً.

الأخ محمود. ل. ن، سوريا:

لا أعرف الشخص الذي تسأل عنه. والبوطي طالب علم جيد؛ لكن عليه ملاحظات في فهم نصوص التوحيد، والتفريق بين الحديث الصحيح والضعيف والحسن.

الأخ جعفر بن سعد الدين، الثانوية الشرعية للبنين بحمص، سورية:

وردنا سؤالك حول مهربي المخدرات. وعللك يا أخ خضر تبعث بالسؤال مطوياً إلى إدارة البحوث العلمية والإفتاء بالرياض. نفع الله بك.

إلى: Box 9081 Ahinsan - Kumasi - Ghana.W/A.

احترام الكفار غير التعامل معهم، والمسلم يسير على مبدأ واضح الطريق محدد الغاية، فالكفار يجب كرههم بعد محاولة دعوتهم إلى الإسلام بحكمة وعقل وصبر وعدم يأس، إذا لم يستجيبوا، لكن لا يجوز ظلمهم. أما التعامل معهم فهذا يكون للضرورة فقط وليست الضرورة هنا مطردة.

وأما رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لربه جل وعلا ليلة الإسراء فهذا فيه اختلاف بين الصحابة، والذي يظهر لي عدم الرؤية لعدم وجود نص خاص محدد، والله تعالى أعلم.



# علم التخدير عند أطباء العرب والمسلمين وأثره في الحضارة الغربية

د. محمد مصطفى السمري

هذه صفحة طبية خالدة من صفحات تاريخ المسلمين الحضاري العظيم، صفحة ننشرها على الناس بعامة والشباب بخاصة؛ ذلك أن شبابنا - وهم أملنا - يأسر قلوبهم ويجذب أبصارهم ما حققه الغرب من قوة وعلم، ويغشى ذلك عيونهم، فلا يصرون ضوء تاريخنا الإسلامي المجيد وعلم أجدادنا ونهضتهم الزاهرة. وأملنا أن تبرز هذه الصفحة شيئاً من دور الأطباء المسلمين في تاريخ العلم والحضارة، وتأكيد سبقهم إلى وضع أسس الطب علماً من الناحية النظرية وفناً من ناحية الممارسة، فضلاً عن اتباعهم المنهج العلمي الدقيق في الطب بكل خطواته.

يعتمدون على قدرتهم العضلية في قيد حركة المريض حتى يتم علاج جراحه أو تجبير كسره، ولجأت بعض الجماعات إلى وضع قطعة من الخشب على رأس المصاب قبل إجراء العملية الجراحية له، ثم يطرقون عليها بشدة، حتى يفقد الوعي وعندئذ يقومون بإجراء الجراحة. وكانت أغرب وسيلة للتخدير تلك التي استعملها الآشوريون عند ختان أطفالهم - (CIRCUMCISION)؛ حيث كانوا يعطون الدورة الدموية للمخ بالضغط على الشريانين السباتيين - (CA) (ROTID ARTERY) الموجودين بالرقبة، مما يؤدي إلى حدوث الإغماء، ثم تجرى للطفل عملية الختان على عجل قبل أن يفيق من إغمائه. لقد انطوت كل طرق التخدير قديماً - قبل نهضة الطب الإسلامي - على مخاطر بالغة، وكثيراً ما كانت تنتهي بوفاة المريض قبل إجراء الجراحة. ولا عجب فلقد كانت مؤهلات طبيب التخدير في أوروبا قديماً: عضلات قوية، وقوام سمهري، وهراوة غليظة طويلة، وكل ما عليه أن يكمن للضحية - المريض -، فإذا ما دلف من باب حجرة العمليات ضربه على مكان معين بالرأس

المخدرة التي مهدت لاختراع التخدير بوساطة استنشاق الغازات عام ١٨٤٢م. ليس هذا فحسب؛ بل إنهم عرفوا خطورة (المخدرات) كالحشيش والأفيون وغيرهما، ونادوا بعدم استعمالها إلا للضرورة القصوى؛ مثل تخدير المرضى، تمهيداً لإجراء العمليات الجراحية، وسبقوا بذلك الطب الحديث في تعرفها وإظهار خطورتها.

هذا في الوقت الذي كان الطب - بكل فروعه - في أوروبا قد غلبت عليه الخرافات والجهل. فكان المريض يصلب على شجرة، ثم ينهال عليه الطبيب بالضرب حتى يخرج الشيطان من جسده. فقد كان المرض في اعتقاد أطباء أوروبا شيطاناً يسكن جسد المريض، وكانت الجراحة بصفة خاصة مهنة حقيرة وضيعة، لا يقدم عليها سوى حثالة المجتمع، وتبلغ المأساة أوجها عندما أصدر البابا (تورس) عام ١٥٣٦م قراراً بتحريم كل أشكال التعامل مع الأمراض جراحياً. ليس هذا فحسب؛ بل عند كل طبيب يجرؤ على ممارسة تلك المهنة حقيراً وغير شريف. حتى هؤلاء الأطباء - غير الشرفاء - كانوا

صفحة مלאها الأطباء المسلمون بمأثرة عظيمة؛ ألا وهي علم التخدير (ANAESTHESIA) ولاغرو، فعلم التخدير وتسكين الآلام نبت إسلامي صرف، عمده إليه الأطباء المسلمون لا لتخفيف الآلام فحسب، بل تسهياً للجراحين القيام بالعمليات الجراحية دون أن يشعر المريض بأي ألم.

لقد نبغ الأطباء - إبان حكم الإسلام - في علم الجراحة، ونهضوا بها من سافل محطتها إلى أسمى ما يليق بها من الكرامة والرفق. وكان طبعياً وبديهياً أن يتكروا علم التخدير، لأنه لأجراحة من دون تخدير، كما أن قصة الألم على أنه نوع من أنواع الجزاء الإلهي، التي ذاعت في أوروبا في العصور الوسطى وما قبلها، لا أصل لها في تفاليد المسلمين أو معتقداتهم. ومن هنا أسهموا في علم التخدير إسهاماً، لاتزال آثاره بارزة للعيان ومائلة للأجيال. فاكشفوا التخدير الكلي أو العام - (GENERAL ANAESTHESIA) (LOCAL AN- والتخدير الموضعي - AESTHESIA) واستعملوا لذلك الشرابات والمراهم والطلاءات. كما ابتكروا (الإسفنجة



ضربة قوية تفقده الوعي، فيقوم الأطباء حينئذ بإجراء الجراحة (١).

### الأطباء في ديار الإسلام يكشفون التخدير العام

نجح الأطباء المسلمون الأوائل في اكتشاف أعشاب ونباتات لها قوة التخدير مثل: الأفيون والحشيش، وست الحسن، والبيروج، والزوان، والشوكران، والشيلم وغيرها. وكانوا يصنعون خلطة من بعض هذه النباتات على هيئة (شراب)، ثم يعطونه - بكميات معينة - للمريض المقبل على الجراحة.

ويشير (GYRIL ELGOOD) إلى أن أشد المواد المخدرة عند العرب كان: «الأفيون ودونه تأثيرا البيروج، والحشيش، والشوكران، والبنج، وست الحسن، وبزر الحس، والشلج والماء البارد» (٢). ويذكر د. مصطفى شحاته أستاذ الأنف والأذن والحنجرة بطب الإسكندرية أن الأطباء المسلمين استخدموا الأفيون بدلاً من الخمر الذي كان يستخدمه من سبقهم من أطباء اليونان وفارس، وربما كان تحريم الإسلام للخمر هو السبب الذي دفعهم لاستبعادها.

وكان ابن سينا (ت ١٠٣٦ م) أول طبيب في العالم يستخدم التخدير العام لإجراء العمليات الجراحية، مستخدماً في ذلك بعض النباتات كالزوان والشيلم (٣).

كما كان أبو القاسم الزهراوي (ت ١٠١٣ م) أول طبيب جراح في العالم يستخدم خليطاً من نباتات الزوان والشيلم والشوكران، وكانت هذه الخلطة تنبم المريض على الفور ولفترة زمنية طويلة تكفي لإجراء العمليات الجراحية الكثيرة التي كان يقوم بإجرائها بنفسه.

### الإسفنجة المخدرة..

### اختراع إسلامي

طور الأطباء المسلمون طريقتهم في التخدير العام، فبعد أن كانوا يعطون المريض المخدر على هيئة شراب، ابتكروا (الإسفنجة المخدرة). وهي عبارة عن قطعة من الإسفنج مبللة بمواد مخدرة مثل الزوان والشيلم والأفيون.. إلخ. توضع هذه الإسفنجة المخدرة على أنف المريض وفمه ليستشق الغازات الطيارة الناتجة، حيث يتم التخدير ويركن المريض بعدها إلى سبات هادئ عميق.

وليس ثمة شك أن الإسفنجة المخدرة هي اختراع إسلامي الأصل، توصل إليها الطبيب المسلم الأندلسي ابن زهر (ت ١١٦٢ م)، واستعملها في تخدير مرضاه (٤).

لقد دخل هذا الابتكار الطبي المهم إلى أوروبا بطرق كثيرة، وظل معمولاً به حتى القرن التاسع عشر الميلادي. وليس من شك أن الإسفنجة المخدرة كانت هي الأساس الذي بدأ به أطباء أوروبا في العصر الحديث واعتمدوا عليه في التخدير بواسطة استنشاق الغازات عام ١٨٤٢ م؛ حيث أضافوا إلى هذه الإسفنجة بعض الغازات مثل: الغاز المضحك والكلوروفورم والإثير. فطبيب الأسنان الأمريكي هوراس ويلز (ت ١٨٤٨ م) استخدم الغاز المضحك في تخدير مرضاه أثناء خلع أسنانهم. واستخدم الطبيب الألماني جوستس فون ليبج الكلوروفورم - وهو الذي اكتشفه عام ١٨٣١ م - في تخدير الملكة فيكتوريا (١٨١٩ - ١٩٠١ م) ملكة بريطانيا أثناء ولادتها للأمير ليوبولد والأميرة بياتريس عام ١٨٥٣ م. أما الطبيب الأمريكي وليام مورتون المتوفى ١٨٦٨ م فقد استخدم الإثير النقي - أهم عقار تخديري عرفته الجراحة الحديثة - في التخدير العام (٥). ولكنهم بدلاً من الاعتراف بفضل أطباء الحضارة الإسلامية في اكتشاف التخدير بالاستنشاق بواسطة الإسفنجة المخدرة، منذ القرن الثاني عشر الميلادي، نسبوا هذا الاكتشاف المهم إلى أنفسهم!

### هل اكتشف العرب الإثير؟!

يعد الإثير ETHER أكثر العقاقير الحديثة نجاحاً وشيوعاً في التخدير الجراحي، ولقد استخدمه لأول مرة في التخدير الطبيب كروفورد لونغ (ت ١٨٧٨ م) عام ١٨٤٢ م، وتبعه الدكتور وليام مورتون عام ١٨٤٦ م. وفتح الإثير في عالم التخدير والطب فتحاً جديداً، وانتشر التخدير بوساطته انتشاراً سريعاً في غرف العمليات في العالم. وتذكر بعض المراجع (٦) أن الذي اكتشف الإثير على الأرجح شاب ألماني يدعى (فاليريوس كوردس) حوالي عام ١٥٥٥ م فقد كتب كوردس في مذكراته يقول إنه اكتشف بخاراً جديداً بإضافة زيت الزاج إلى (الإيثانول) المقطر، وسمى المادة الجديدة (زيت الزاج المحلول) وقرر أنها تسبب الدوار.

وفي الحقيقة، فإن هناك بعض القرائن تشير إلى إمكان أن يكون العرب هم الذين اكتشفوا مادة الإثير. ففي كتابه «الطب عند العرب والمسلمين» (٧) يقول د. محمود الحاج قاسم محمد إن هذه القرائن هي:

أ. العرب هم الذين اكتشفوا مادة (الغول) (٨).

ب. العرب هم الذين اكتشفوا مادة الزاج الأخضر (حمض الكبريت) (٩).

ج. هناك ما يدل على أن العرب أجروا تفاعلاً وعملية تقطير بين هاتين المادتين (الغول وحمض الكبريت). وإذا علمنا أن الإثير ينتج من تعامل الإيثانول بحمض الكبريت بالتقطير واستخلاص قدر من الماء منه؛ لأدركنا أنه من المحتمل جداً أن العرب، إن لم يكونوا هم أول من اكتشف هذه المادة المهمة في التخدير، فهم توصلوا - على أقل تقدير - للقواعد الأولى في طريق اكتشاف الإثير ووضع أسس تركيب هذه المادة الرئيسية في التخدير (١٠).

### والكمادات .. ابتكار إسلامي

ابتكر الأطباء المسلمون التخدير بالبرودة، فكانوا أول من أوصوا باستعمال الماء البارد (المثلج) في علاج الحميات (FEVERS). واكتشفوا بذلك الكمادات أو الكمادات (COLD COMPRESS)، ولازنا حتى وقتنا الحالي ننصح باستخدام كمادات الماء البارد في تخفيض درجة الحرارة العالية قبل بدء العلاج الدوائي. يقول ابن سينا في كتابه (القانون في الطب): «ماء الثلج يسكن وجع الأسنان الحارة» (١١). ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة؛ فقد وردت أحاديث كثيرة عنه في وجوب تبريد الحمى بالماء، منها ما رواه البخاري في صحيحه عن رافع بن خديج قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «الحمى من فور جهنم فأبردوها عنكم بالماء». وما رواه عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء». وكذلك ما رواه مسلم في صحيحه بهذا المعنى عن ابن عمر، وعائشة، وهشام، وأسماء بنت أبي بكر، ورافع بن خديج عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [المجلة].

### التخدير الموضعي

ومن المآثر التي تضاف إلى الرصيد الطبي للمسلمين، استعمالهم التخدير الموضعي أثناء العمليات الجراحية الصغرى وبخاصة التي لا تحتاج إلى تخدير كلي. ولقد استخدموا الكثير من الأعشاب والنباتات المخدرة، مثل البيروج والأفيون وست الحسن ودهن البنفسج ودهن اللوز المحلول ودهن البنج وغيرها، على هيئة دهانات أو طلاعات أو قطرات، في تسكين الآلام الموضعية مثل آلام الأسنان والأذن والعين وباقي أعضاء الجسم. كما استعملوا هذه النباتات



تدفن ابن عمك حياً، فوالله ما مات، فأطلق لي الدخول عليه وحدي والنظر إليه، وهتف بهذا القول مرات، فأذن له الرشيد بالدخول على إبراهيم وحده. وأتى صالح بمنفخة من الخزنة ونفخ في أنف إبراهيم مقدار ثلث الساعة، اضطرب بعدها بدنه وعطس وجلس أمام الرشيد. ولقد عاش إبراهيم بعد ذلك دهراً، ثم تزوج العباسية بنت المهدي وولي مصر وفلسطين وتوفي بمصر وقبره بها». (١٦)

#### وبعد

نختم هذه الصفحة من تاريخنا الطبي الزاهر بهذه الشهادة الرائعة للمستشرق الألمانية المنصفة (زيغريد هونكه)، التي وقفت - بحق - في صف المسلمين واعترفت بفضل أطبائهم في وضع الأعمدة الأساسية التي قام عليها علم التخدير الحديث، فنقول في كتابها القيم «شمس العرب تسطع على الغرب»: «وللعرب على علم الطب فضل آخر كبير في غاية الأهمية ونعني به استخدام المرقد (التخدير) العام في العمليات الجراحية. وكم كان التخدير العربي فريداً في نوعه، صادقاً في مفعوله، رحيماً بمن تناوله. وهو يختلف كل الاختلاف عن المشروبات المسكرة التي كان الهنود واليونان والرومان يجبرون مرضاهم على تناولها كلما أرادوا تخفيف آلامهم، والتاريخ يشهد أن استعمال الإسفنجة المخدرة فن عربي بحث لم يعرف من قبلهم، وكانت توضع على أنف المريض، فتمتص الأنسجة المخاطية المواد المخدرة، ويركن المريض إلى نوم عميق يحرره من أوجاع العملية الجراحية». (١٧)

#### الهوامش:

- (١) لمزيد من التفاصيل انظر مقالنا (التخدير عبر التاريخ) المنشور بمجلة العربي، العدد رقم ٤٠٢، مايو ١٩٩٢م، ص ١٣٩-١٤١.
- (٢) الطب عند العرب، حنيفة الخطيب ص ٣٧.
- (٣) مجلة العربي، العدد رقم ٣٧٧، أبريل ١٩٩٠م، ص ٢٧.
- (٤) الطب الإسلامي عبر القرون، د. الفاضل عبيد عمر، ص ٢٠٠.
- (٥) انظر مقالنا (التخدير عبر التاريخ)، مجلة العربي، عدد رقم ٤٠٢، مايو ١٩٩٢م.
- (٦) قصة العقاقير، د. محمود سلامة، سلسلة أقرأ، العدد ١٢٤، دار المعارف بمصر، ص ٤٠.
- (٧) ص ١٥٣-١٥٢.
- (٨) هناك قرآن تشير إلى أن علماء الطب الإسلامي هم الذين اكتشفوا

لإدخال الهواء إلى الرئتين.

ورغم أن بعض المصادر الغربية ترجع استعمال المنفاخ إلى (جمعية إنعاش الأشخاص الغرقى) في أمستردام عام ١٧٦٧م أولاً، ثم استعماله في (الجمعية الإنسانية الملكية) في إنجلترا عام ١٧٧١م، والبعض يذهب إلى أبعد من ذلك قليلاً ليرد الفضل في إدخال استعمال المنفاخ في الإنعاش التنفسي إلى باراسيلوس (ت ١٥٤١م)؛ إلا أن هذه الواقعة المختصرة المأخوذة من كتاب «طبقات الأطباء» لابن أبي أصيبعة تشير إلى أن الأطباء المسلمين لهم الريادة في استعمال المنفاخ، وأن الطبيب صالح بن بهلة الهندي - الذي عاش في بغداد أواخر القرن الثامن الميلادي وأوائل القرن التاسع الميلادي - كان أول من استعمل المنفاخ في الإنعاش التنفسي من طريق دفع كميات من الهواء عبر الرئتين بالضغط المتناوب. ولقد استخدمه في إنعاش إبراهيم بن صالح ابن عم الخليفة هارون الرشيد في مدينة بغداد.

يقول ابن أبي أصيبعة: «جاء في سيرة صالح بن بهلة الهندي أن الرشيد كان لا يأكل إلا بحضور طبيبه جبرائيل بن بختيشوع، وقد قدمت يوماً الموائل بين يديه وجبرائيل غائب فبحث عنه فلم يعثر له على أثر، مما أثار غضب الرشيد. وبينما كان الأمر كذلك حضر جبرائيل وقال للرشيد معتذراً بأنه كان يعالج ابن عمه إبراهيم وبه رفق ينقضي وقت صلاة العتمة. وهنا تدخل جعفر بن يحيى وقال: يا أمير المؤمنين إن صالح بن بهلة عالم بطريفة أهل الهند في الطب ويحسن إحضاره، فأمر الرشيد بإحضار صالح وتوجيهه والمسير به إليه ورده بعد منصرفه من عند ابن عمه، ففعل ذلك جعفر، وقد التمس صالح بن بهلة أن يقابل الرشيد بالذات ليخبره عن حال ابن عمه إبراهيم. فقال صالح للرشيد: أنا أشهدك يا أمير المؤمنين، وأشهد على نفسي من حضرك أن إبراهيم إن توفي في هذه الليلة فإن كل دابة لي فحيس في سبيل الله، وكل مال لي فصدقة على المساكين، وكل امرأة لي فطالق ثلاثاً بقات. فقال له الرشيد: حلفت ويحك يا صالح على غيب. فقال صالح: كلا يا أمير المؤمنين، لم أقل ما قلت إلا بعلم واضح ودلائل بينة. فلما كان وقت صلاة العتمة ورد كتاب صاحب البريد بخبر وفاة إبراهيم بن صالح، فأخذ الرشيد يكيل اللوم لجعفر بن يحيى ولصالح بن بهلة، فلم ينطلقه إلى أن سطعت روائح الجمار، فصاح عند ذلك صالح بن بهلة: الله الله يا أمير المؤمنين أن

المخدرة من طريق الشرج لتسكين حصوات المجاري البولية. ومن ذلك ما قاله العشاب الأندلسي الشهير ابن البيطار (ت ١٢٤٨م) في كتابه «الجامع لمفردات الأدوية والأغذية» في دهن البنج: «يدهن به الصدغان، فيجلب نوماً معتدلاً، وينفع في وجع الأذن قطوراً، أي بالتقطير في الأذن» (١٢).

#### علي بن عيسى الكحال يستخدم التخدير الموضعي قبل كولر

يرجع الفضل في استخدام التخدير الموضعي أثناء العمليات الجراحية في العين إلى علي بن عيسى الكحال (ت ١٠٣٩م)، أعظم أطباء العيون في القرون الوسطى، وذلك قبل طبيب العيون النمساوي الشهير كارل كولر، الذي كان أول من استعمل عقار (الكوكاين) في تخدير العيون، وذلك عام ١٨٨٤م، أي بعد أكثر من ثمانية قرون من استخدام علي بن عيسى الكحال التخدير الموضعي في عملياته الجراحية التي كان يجريها في العين.

ففي كتابه «تذكرة الكحالين» (١٣)، يستعمل علي بن عيسى الكحال كلمة التخدير قائلاً في علاج قروح العين: «... فيجب أن تستعمل ما يمنع ويخدر»، ونصح في علاج بثور القرنية «باستعمال الأدوية المانعة والمخدرة». ونجده في نصوص أخرى يستعاض عن لفظة التخدير بكلمة «التنويم» فيقول: «وأما التشمير - أي قلب الجفن - فإنه إذا كان الشعر كثير العدد فليس له غير التشمير... وينبغي أن تنوم العليل بين يديك، وتقلب الجفن بأن تمسك شعر الجفن بالسبابة والإبهام من اليد اليسرى، وتغمز بالمل في وسط الجفن حتى ينقلب، ثم يشق الجفن من الماق إلى الماق». ويقول في إزالة الظفرة من العين (PTE-RYGIUM): «... فإن كانت قد كبرت وصلبت ومضى عليها أزمان فعالجها بالحديد» (١٤). تنوم العليل وتأمّر إنساناً بفتح الجفنين ثم تعلقها في وسطها بصنارة وتغدها إلى فوق... وتسلخها... ولاتدع من الظفرة شيئاً» (١٥).

#### الإنعاش التنفسي

هناك قرآن من مصادر موثوقة تثبت أن الأطباء المسلمين عرفوا مبدأ الإنعاش التنفسي من طريق دفع كميات من الهواء عبر الرئتين بالضغط المتناوب، وذلك باستعمال المنفاخ - وهو الشكل البدائي لجهاز أمبو AMBU المستعمل حالياً في الإنعاش التنفسي - وسيلة





# أَفَاقُ لُغَوِيَّةٍ عَدَّةٌ .. واعتبر

د. صالح بن سليمان الوهسي

١. يكثر في كلام المتعلمين وكتاباتهم استعمال (اعتبر)، فيقول المتكلم لزميله: «اعتبرك صديقي». وعلى الرغم من كثرة هذا الاستعمال فإنه غير معهود في هذا الفعل الإحديثا. والفعل الصحيح في هذا السياق هو (عَدَّ) فتقول: «أعَدُّكَ صديقي». وهذا الفعل ينصب مفعولين أصلهما المبتدأ والخبر، ولذا تعدّه كتب النحو من أخوات (ظنّ). ومن شواهد قول النعمان بن بشير الأنصاري:

فلا تعدّد المولى شريكك في الغنى

ولكنما المولى شريكك في العدم

أما الفعل (اعتبر) فمن معانيه: أتعظ وتذكر، كما في قوله تعالى في الآية الثانية من سورة الحشر: ﴿... فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾. جاء في المعجم الوسيط (مادة عبر): ... واعتبر فلانا عالما: عدّه عالما وعامله معاملة العالم. وأشاروا إلى أنها مؤلدة. وأحسب هذا المعنى جاءت به الترجمة من اللغات الأوروبية، ففي الإنجليزية يجيء الفعل (CONSIDER) بمعنى الفعلين: اتعظ، وعدّ.

ولاشك أن الأفضل هو استعمال الفعل الذي لاخلاف حوله وهو (عدّ)، فقل: أعدّ الموضوع سهلاً، ولا تقل: اعتبر الموضوع سهلاً.

وللفعل (عدّ) معنى آخر مشهور؛ فهو يجيء بمعنى (حَسَبَ) كما في قوله تعالى في الآية ٣٤ من سورة إبراهيم: ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾، وقوله في الآية ٩٤ من سورة مريم: ﴿لقد أحصاهم وعدّهم عدا﴾. وهذا الأخير متعدّ إلى مفعول به واحد... والله تعالى أعلم.

٢. وأسمع بعض المتحدثين يقول: حصل فلان على كذا (بضم الصاد)؛ والصراب حصل (بفتح الصاد).. ولست أعلم للضم في حصل وجهاً، لكن ورد الكسر (حصل) يقال: حصلت الدابة/تحصل حصلاً، إذا أكلت تراباً مع العشب فقتلها (انظر لسان العرب، لابن منظور - مادة حصل).

ويقولون: شعر فلان بالخطر، (بضم عين شعر) بمعنى أحسّ به، والمشهور في (شعر) أن معناها صار شاعراً، ولكن ورد (شعر) بمعنى أحسّ قليلاً، أما شعر بالفتح فمعناه أحس، وهو المشهور في الاستعمال قديماً وحديثاً. ومن ثمّ لا نستطيع ردّ (شعر) رداً كاملاً لكننا تعدّه مرجوحاً.

ولعل ضم الماضي سرى إلى الألسنة من ضم الوسط في مضارع هذين الفعلين، إذ نقول: حصل/ يحصل، وشعر/ يشعر، وكلاهما - وفقاً لمصطلحات الصرفين - من باب نصر، فوزن الماضي منهما والمضارع مطابق لوزن نصر/ ينصر. أما شعر/ يشعر (أي صار شاعراً) فمن باب (شرف) فهو مثل جمل/ يجمل، وظرف/ يظرف، وحسن/ يحسن. وهذه الأفعال تختص أكثر شيء بالصفات كالحسن والجمال والظرف والقيح...

والقاعدة في حركة وسط الفعل الثلاثي أنها سماعية، أي أننا نستعملها كما وردت عن العرب، ولا نستطيع ضبطها كلها بقاعدة تؤلّل إليها. وقد حاول بعض العلماء ضبط ذلك بقاعدة فقال: إن ما لم يسمع عن العرب فحق مضارعه الفتح إن كان وسطه أو آخره حرفاً حلقياً، والضم أو الكسراً فيما عدا ذلك.

الغول (الكحول)، ومن الغمّل أيضاً أنهم - وبصورة عفوية - اكتشفوا جذر الإثير (هـ - ٥)، وهو الجذر الأساس لمجموعة من المواد الخدرة الاستشاقية التي تستعمل اليوم مثل (الإثير، ميثوكسي فلورين، انفلورين، فلوروكسين، فلورين). ولما مصادر موثوقة تؤكد أن الكندي (ت ٨٧٨م) قد استقطر الغول من النبيذ. ومع أن كلمة الكحول عربية وهي تحريف للكلمة الأصل (الغول) من (الاغتبال) والتي تعني: القضاء على الشيء خلسة، وهي الخاصية التي وصفت بها الخمر، كما وردت في بعض أشعار العرب حتى قبل الإسلام؛ فقد وصفها العرب بأنها تغال العقل، كما أنها وردت في القرآن الكريم الذي يصف خمر الجنة بأنها خالية من الغول ولا تسبب في صدام لمن يتناولها وذلك في الآية الكريمة: ﴿لا فيها غولٌ ولا هم عنها يزنون﴾ (الصافات: ٤٦). نقول بالرغم من كل ذلك كانت هنالك محاولات لرد فضل هذه التسمية إلى مؤلفين من الغرب. (المراجع: الطب الإسلامي، أبحاث وأعمال المؤتمر العالمي الثالث عن الطب الإسلامي، العدد الثالث ص ١٤٨-١٤٩).

(٩) كان الطبيب العربي الفذ أبو بكر الرازي (ت ٩٢٤م) أول من اكتشف حمض الكبريتيك وحضره من كبريتات الحديد المائية وأسماه زيت الزاج الأخضر، كما حضر الغول (الكحول) من مواد نشوية وسكرية متخمرة، واستعمله في الصيدليات لاستخراج الأدوية والعلاج.

(١٠) اعتاد أطباء الإسلام تقطير الكحول بإجراء تفاعل بينه وبين حمض الكبريتيك على النحو التالي:

حمض الكبريتيك + الكحول → ماء + إثير + حمض الكبريتيك.

$$H_2SO_4 + C_2H_5-O-C_2H_5 + H_2O \rightarrow 2 C_2H_5OH + H_2SO_4$$

(١١) القانون في الطب، ابن سينا، الجزء الأول ص ٤٥.

(١٢) الطب عند العرب، حيفة الخطيب، ص ٣٩.

(١٣) أهم كتب علي بن عيسى الكحال، وأول موسوعة طبية لأفراض العين، جمعت الأغراض والتشخيص والمعالجة في آن واحد، وأصبح هذا الكتاب هو المصدر الوافر الذي اعتمدت عليه أجيال من أطباء العين في الشرق والغرب لبضع مئات من السنين.

(١٤) كان العرب يسمون إجراء العمليات الجراحية في العين باسم (معالجة العين بالحديد).

(١٥) الطب عند العرب، حيفة الخطيب، ص ٣٧-٣٨.

(١٦) طبقات الأطباء، ابن أبي أصيبعة، ص ٤٧٧-٤٧٥.

(١٧) شمس العرب تنطق على الغرب، زيفريد هونكه، ص ٢٧٩-٢٨٠.

## المراجع:

- (١) الطب عند العرب والمسلمين.. تاريخ ومساهمات، د. محمود الحاج قاسم محمد، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ١٩٨٧م.
- (٢) الطب الإسلامي عبر القرون، د. الفاضل العبيد عمر، دار الشواف للطباعة والنشر، الرياض، ١٩٨٩م.
- (٣) الطب الإسلامي، أبحاث وأعمال المؤتمر العالمي الثالث عن الطب الإسلامي، العدد الثالث، الكويت ٧-٣ محرم ١٤٠٥هـ، ٢٨ سبتمبر ٢٠ أكتوبر ١٩٨٤م.
- (٤) الطب عند العرب، د. حيفة الخطيب، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٨م.
- (٥) عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ابن أبي أصيبعة، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٥م.
- (٦) شمس العرب تنطق على الغرب، زيفريد هونكه، ترجمة فاروق بيشون وكمال دسوقي، دار الأفاق الجديدة، بيروت، الطبعة التاسعة، ١٩٩١م.
- (٧) الطب الإسلامي، د. أحمد طه، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٧٧م.
- (٨) التخدير عبر التاريخ، د. محمد مصطفى السمر، مجلة العربي الكويتية، العدد رقم ٤٠٢، مايو ١٩٩٢م.



# وسائل الاتصال والإعلام الجديدة

أحمد بيوض

شهد العالم في السنوات الأخيرة تطوراً مذهلاً في وسائل الاتصال والإعلام حتى أصبح من المتعذر على رجل الإعلام متابعة مخترعات الإنسان في هذا الحقل. فمن الاتصال بالأقمار الصناعية للاتصالات إلى الاتصال بالكابل، إلى استعمال الألياف البصرية وصولاً إلى التفاعلية. ومن التلفزة العادية، إلى التليتل أو ما يعرف بالفيزيوفون، ومن التلكس إلى التليتكس، ثم من الفيديو إلى الفيديو تكس، دخلت وسائل ومصطلحات جديدة الحقل الإعلامي مما جعل من الضروري الخوض فيها وتعرّفها من زواياها المختلفة دعماً للطرح وتعميقاً للبحث وتعميماً للفائدة، فماذا عنها؟

## وسائل الاتصال الجديدة

شهدت وسائل الاتصال ثورة تقنية عارمة جعلتها تنبؤاً المكانة المرموقة في اهتمام الإنسان الساعي إلى تحرر وإسراع أكثر في حياته. ومن هذه الوسائل الاتصالية:

### (١) الاتصال بالأقمار الصناعية للاتصالات

هذا النوع من الاتصال عبر الأقمار الصناعية للاتصالات (الساتيليت) أصبح تقليدياً بعد مضي أكثر من ٣٠ عاماً على أول نقل تلفازي عالمي شهده العالم للألعاب الأولمبية التي تم نقلها عام ١٩٦٤م من طوكيو عبر القمر الصناعي المسمى تليستار-١ TELESTAR. ومنذ هذا التاريخ اكتظت المدار بالأقمار الصناعية للاتصالات الموضوعة على بعد ٣٦ ألف كلم من الأرض.

وهذه الأقمار الصناعية أحدثت ثورة في وسائل الإعلام والاتصال بتقديمها خدمات جليلة لم يشهدها الإنسان من قبل، ومنها:

- تغطية عاجلة وكاملة لمناطق جغرافية واسعة، على عكس الأجهزة الأرضية التقليدية البطيئة من حيث التركيب، والعاجزة عن تغطية مجموع المناطق المرغوب فيها.

- إمكان القضاء على المسافات البعيدة، واختراق الحواجز الطبيعية كالجبال والمحيطات.

- مرونة استعمال ووضع محطات ربط أرضية

حسب الحاجة بما فيها المحطات المتنقلة والمنقولة.

- تحقيق كلفة تنافسية وفق المسافة والحاجة، مع الكفاءة التامة عبر سنوات من الاستغلال.

والمهام التي تقوم بها الأقمار الصناعية للاتصالات تغطي مجموع الخدمات التقليدية للاتصالات، تضاف إليها خدمات خاصة بالارتباط بهذه الأقمار، منها: استخدام الهاتف والتلكس، نقل المعطيات، القيام بالاستنساخ من بعد، استخدام التلفزة - الطابعة، استخدام الفيديو تكس، توزيع قنوات الاذاعة والتلفاز، النقل المباشر لبرامج التلفاز، والربط بين المحطات المتحركة.

والوضعية الممتازة للقمر الصناعي في مداره الثابت تسمح لكل المحطات الواقعة في منطقة تغطيته بالاستفادة من خدماته. هذه الخدمة المتعددة الجوانب هي من صميم نظام الاتصالات بالأقمار الصناعية، بالإضافة إلى أن هذه الوضعية الممتازة للقمر تجعل منه وسيلة ناجحة للاتصالات فيما بين مختلف المستعملين المشتتين، وغير المرتبطين بالشبكات التقليدية؛ كالنقل المباشر لبرامج التلفاز أو الهاتف الريفي مثلاً.. بالإضافة إلى الاتصالات مع الأهداف المتحركة؛ كالبواخر والطائرات ومختلف الأهداف الأرضية المتحركة.

(١) عناصر نظام الاتصال بالأقمار الصناعية: إن وضع نظام اتصال بالأقمار الصناعية للاتصالات

يستلزم توفير العناصر التالية:

القمر: ويشكل النقطة المركزية في الشبكة، ومن مهامه ربط الاتصالات بين مختلف نقاط الأرض لضمان فعالية جيدة، وعادة ما يتم وضع قمرين في المدار، واحد يشتغل والآخر للنجدة.

المحطات الأرضية: وهي الرابط فيما بين الشبكة الأرضية المستعملة للنظام والقمر، حيث إن هذا النظام نفسه يسمح بالقيام باتصال فيما بين عشرات أو مئات المحطات، وحتى الآلاف إذا تعلق الأمر بالث مباشر لبرامج التلفاز.

مركز المراقبة: ويسمح انطلاقاً من الأرض بتسيير القمر الصناعي الموضوع في المدار بواسطة اتصالات تلفازية تخص القياس والإدارة والتمركز.

المُرسلون: وهي الجهات التي تضمن وضع الأقمار في مدارها سواء كانت دولاً أو شركات.

(ب) نقل المعلومات: تتميز المعلومات المنقولة بواسطة القمر الصناعي بتنوعها الكبير، إذ إن طبيعة الإشارة الأصلية يمكن أن تكون قياسية (تغير مستمر للإشارة) أو رقمية (تغير متقطع للإشارة المنقولة في شكل رقمي). هذا إلى جانب أن كمية المعلومات المراد نقلها هي أيضاً متغيرة. فهي تتميز في شكلها القياسي بعرض شريط الذبذبات المستعمل والمعبر عنه بالهيرتز، والذي يتغير ببضعة آلاف من الهيرتز (كما في المكالمات الهاتفية)، أو ببضعة ملايين من الهيرتز



المركبة المكونة من مجموع الأصوات الهاتفية تغير الموجة الحاملة المرسله نحو القمر الصناعي (وفي الواقع، فإنه عادة ما يقوم المضاعف بتغيير الذبذبة الوسيطة التي هي بدورها تغير الموجة الحاملة النهائية).

(هـ) الاتصال بالقمر الصناعي: من الضروري إذا تعلق الأمر بعدة محطات لها إمكان الاتصال بالقمر الصناعي في آن واحد، أن يتم تعريف النظام المتبع في الاتصالات الآتية من مختلف المحطات حتى لا تختلط، إذ إن هناك عدة إمكانات للاتصال بالقمر الصناعي تم تطويرها ومن ضمنها الطريقتان الأكثر اتباعاً، وهما:

١- الاتصال المتعدد بتوزيع الذبذبات ويقابله باللغة الفرنسية اصطلاح AMRF (١) وبالإنجليزية: FDMA.

٢- الاتصال المتعدد بالتوزيع الزمني ويقابله باللغة الفرنسية اصطلاح AMRT (٢) وبالإنجليزية: TDMA.

الاتصال المتعدد بتوزيع الذبذبات: إن الاتصال المتعدد بتوزيع الذبذبات (AMRF) يسمح بتمييز مختلف الاتصالات بوساطة أشرطة الذبذبات التي تحتلها. وللحصول على ذلك، فإن كل محطة ترسل رسالتها باتجاه القمر على ذبذبة خاصة بها، وتستقبل انطلاقا من القمر مجموع الذبذبات المرسله من طرف المحطات الأخرى. ويقوم القمر هنا بتضخيم

وبالتماثل، فإن الجانب الصوتي يمثل الارتفاع (صوت خفيض أو حاد)، والجانب التضخمي يمثل الكثافة (صوت قوي أو ضعيف). والتغير هنا يتعلق بتنوع هذه أو تلك من الخاصيتين حسب وتيرة المعلومات المراد نقلها.

(د) التضاعف: من المعروف أنه بالإمكان تغيير الموجة الحاملة المرسله للقمر مباشرة بوساطة معلومات ضعيفة (صوت هاتفي مثلاً..). فيكون من الأفضل غالباً جمع عدة معلومات أولية في مجموعة أكثر أهمية تغير الموجة الحاملة المرسله نحو القمر. هذا التجميع يعرف باسم «التضاعف»، ويمكن أن يتم بوساطة تجاوز ذبذبات المعلومات الأولية أو بطريقة زمنية من طريق النقل المتتابع للمعلومات. ولتأخذ على سبيل المثال التضاعف بتكرار ذبذبات مجموعة من الأصوات الهاتفية: كل صوت هاتفي يحتل نفس ذبذبة الشريط الواقعة بين ٣٠٠ و ٣٤٠٠ هيرتز.

فالتضاعف لا يعني أن نضيف كل هذه الأصوات بعضها مع بعض لأنها تختلط، ولكن التضاعف بتوزيع الذبذبات يتم برحزحة كل صوت ب ٤ كيلو هيرتز عن الآخر حتى تحتل مختلف الأصوات ذبذبات متجاورة. ويمكننا من هذا المنظور تجاوز عدة مئات من الأصوات الهاتفية التي تحتل من حيث شريط الذبذبات الذي تحتله داخل المضاعف. وبعد إجراء عملية تضاعف، فإن الإشارة

كما في الإشارة التلفزيونية). وهي تتميز في شكلها الرقمي بوحدة القياس الإلكترونية (BIT) التي تتغير ببضع العشرات (في التليكس) وببضعة الملايين (كما في الإشارة التلفزيونية الرقمية).

(ج) تسيير المعلومات: إن نقل المعلومات بالأقمار الصناعية يتم - كما في الاتصالات الإذاعية الأرضية - بوساطة موصل مكون من موجة إليكترو مغنطيسية تسمى الموجة الحاملة. وإن اختيار تواتر الموجة الحاملة يستجيب لعدة متطلبات منها:

- توافر شريط كاف من حيث العرض، وبشكل استثنائي، بهدف تفادي التداخل مع أجهزة أخرى. تخفيض ضعيف للموجات أثناء عبورها الجو. تخفيض التشويش الناجم عن البيئة الطبيعية أو الصناعية أو عن ظروف الاستقبال. محدودية التجهيزات التقنية.

هذه العوائق تحد من الاتصالات بوساطة الأقمار الصناعية على الموجات الواقعة بين ١ و ٣٠ هيرتز، وهذه أشرطة الموجات المستعملة بكثرة بين القمر والأرض:

شريط (L): وهو في حدود ١.٥ جيجاهيرتز، وتستخدمه الأهداف البحرية المتحركة كالبواخر (عرض الشريط المتوافر ١٤ ميجاهيرتز).

شريط (S): وهو في حدود ٢.٥ جيجاهيرتز، ويستخدم للنقل الجماهيري لبرامج التلفاز (عرض الشريط ١٩٠ ميجاهيرتز).

شريط (C): وهو في حدود ٤ جيجاهيرتز، ويستخدم لكل الاتصالات التقليدية (عرض الشريط ١١٠٠ ميجاهيرتز).

شريط (X): وهو في حدود ٨ جيجاهيرتز، ويستخدم للاتصالات العسكرية (عرض الشريط ٥٠٠ ميجاهيرتز).

شريط (KU): وهو في حدود ١١ إلى ١٢ جيجاهيرتز، ويستخدم للاتصالات التقليدية والبلث المباشر لبرامج التلفاز (عرض الأشرطة بين ٨٠٠ و ١٢٥٠ ميجاهيرتز).

ويلاحظ أنه كلما ارتفعنا في الذبذبة كان عرض الأشرطة المتوافرة مهماً، وهو ما يدفع إلى استعمال شريط (K) الذي هو في حدود الـ ٢٠ جيجاهيرتز، والذي يسمح بتوفير شريط عرضه ٣٥٠٠ ميجاهيرتز (من بينها ٥٠٠ ميجاهيرتز توفر خصيصاً للاتصال بالأقمار الصناعية) التي بالرغم من هذه المضاعف التقنية التي تتعرض لها، وبالرغم من الضعف الذي تتعرض له إشارات هذه الموجات أثناء عبورها الجو، فإن الموجة الحاملة يمكن أن تتميز بخاصيتين أساسيتين، هما: ذبذبتها وضخامتها.







في الغالب بنية يمكن موازنتها ببعض الإنجازات البصرية REALISATIONS OPTIQUES (مثل مصباح السيارة الذي يحول الطاقة الكهربائية إلى أشعة ضوئية).

هذا عن الاتصال بالقمر الصناعي ، فماذا عن الاتصال بالكابل؟

## (٢) الاتصال بالكابل

إن الصور التي تعرض على الشاشات الصغيرة العادية أصبحت تأتي اليوم من مصدر تأكد في العديد من الدول المتطورة أنه حقق ازدهاراً واسعاً في ميدان الاتصال والإعلام، إنه كابل التلفاز. هذا الكابل يتكون من موصل قطره صغير من الداخل، وموصل قطره كبير من الخارج، ويوفر مجالاً كهربائياً بينهما.

كما أنه مغطى من الخارج بغلاف خارجي لوقايتها من أي مؤثر غير مرغوب فيه.

ويمكن لهذا الكابل أن ينقل إشارات كهربائية ذبذبتها صفر (التيار المباشر) كما يمكنه أن ينقل إشارات تصل ذبذبتها إلى بضعة ملايين في الثانية، وبذلك فهو يستخدم لنقل إشارات التلفاز التي تتراوح ذبذبتها ما بين ٤٠ و ٢٠٠ مليون ذبذبة في الثانية. ولما كانت الإشارة التلفازية تتطلب حزمة عرضها ٦ ملايين سيكل في الثانية، فإن الكابل يستطيع أن ينقل ٤٠ قناة تلفازية، وإن كانت ثمة اعتبارات تجعل السعة ٢٠ قناة فقط.

ولما كان الكابل هو الذي يقوم بكل المهمة، وهي نقل الإشارة من مصدرها إلى الجهاز الذي يستقبلها، فلا بد من وجود اتصال مادي بين مصدر الإرسال، وهو مركز الشبكة، وكل مستقبل أو مشترك فيها. فيمتد الخط الرئيس من الشبكة الأم التي تتفرع عنها خطوط تغذية على مسافات تتراوح ما بين ٧٥ و ١٥٠ قدماً. ثم تخرج الفروع التي ترتبط بمناسب متصلة بأجهزة الاستقبال المنزلي حيث يتم استقبال كل إشارة ترسلها المحطة للمشارك في شبكات الكابل.

والجدير بالذكر أن شبكات كابل - التلفاز هذه ستمكن من توزيع الكوابل على البيوت، وهذا لتمكينها من التقاط قنوات التلفاز والبرامج الخاصة ومعطيات بنوك المعلومات وكذا الهاتف المرئي أو الفيديوفون، وباختصار تمكن المشتركين من استخدام - ومن طريق الشبكة نفسها - الخطوط الهاتفية المختلفة والموجات الهيرتزية لالتقاط البرامج الإذاعية

مثلاً..) بالخطيطات الضرورية لنجاح المهمة. والبنية هذه خفيفة جداً تركز أساساً على مواد مركبة مثل: ليفة الكربون.

رقابة حرارية للقمر موجهة لحماية كل التجهيزات الموجودة داخل المجموعة الحرارية الضرورية لتشغيله الجيد. وتستدعي الرقابة الحرارية اختيارات صائبة للتغليف الخارجي للقمر الصناعي (طلاء، عاكسات الأشعة الشمسية، أجهزة العزل الكافي وغير ذلك..). وكذا توزيع ومراقبة الطاقات المشتتة على متن القمر.

تغذية كهربائية: يغذى القمر الصناعي ليل نهار بالطاقة الكهربائية الضرورية بوساطة مولد يشتغل بالطاقة الشمسية وبطاريات خاصة.

استقرار: ويعني التكفل بضمان رقابة ارتفاع القمر بالنسبة للأرض والشمس بتصويب الهوائيات نحو الأرض وتوجيه المولد الخاص بتوليد الطاقة الكهربائية نحو الشمس.

والاستقرار يتطلب أجهزة حساسة لاكتشاف ارتفاع القمر (وأجهزة تعمل بالأشعة فوق الحمراء وأخرى بالطاقة الشمسية وثالثة تعمل بالطاقة الراديو - كهربائية)، بالإضافة إلى أجهزة أخرى لتصحيح هذا الارتفاع، ويتم كل ذلك بوساطة رقابة إلكترونية بفضل:

١- جهاز دفع: يقوم على خراطيم تتكفل بتصحيح ارتفاع القمر ووضع في مداره الثابت.

٢- مجموعة من الأجهزة الخاصة بالقياس والإدارة والتمركز مكلفة بمد الأرض بالمعلومات المتعلقة بوضع القمر الصناعي واستقبال الأوامر الخاصة به، والتي تسمح بتمركزه في الفضاء. هذا النظام مشكل من تجهيزات رقمية ومن أجهزة إرسال واستقبال.

الحمولة الأساسية للقمر: إن الحمولة الأساسية للقمر الصناعي تتضمن مجموع العناصر المكلفة باستقبال ومعالجة وإعادة إرسال المعلومات. فهي تتضمن مجموعة من الهوائيات المكلفة بالتقاط الإشارات الآتية من الأرض وإعادة توزيعها نحو الأرض بعد تضخيمها بوساطة مضخمات مكلفة بمعالجة وتضخيم الإشارات.

الهوائيات : إن هوائي الاستقبال يحول الموجة الكهرومغناطيسية التي يستقبلها من الأرض إلى إشارة كهربائية مرسله قصد التضخيم من طرف مضخم. أما هوائي الإرسال فيضمن القيام بعملية معاكسة؛ أي تحويل الإشارة الكهربائية الآتية من المضخم إلى موجة كهرو - مغناطيسية موجهة نحو الأرض.

والجدير بالذكر أن هوائيات القمر الصناعي لها

عدة موجات حاملة في آن واحد تتقاسم شريط الذبذبات نفسه، والقوة المتوافرة على متن القمر الصناعي. هذه الطريقة هي الأقدم والأكثر استعمالاً لكنها للأسف ليست الأكثر فعالية لأن استعمال المضخم بالقوة نفسها من طرف عدة موجات حاملة على متن القمر يسبب انخفاضاً في مردودية الاتصالات.

الاتصال المتعدد بالتوزيع الزمني: وعكس الاتصال المتعدد بتوزيع الذبذبات الذي يستعمل عدة موجات حاملة، فإن الاتصال المتعدد بالتوزيع الزمني لا يستعمل إلا واحدة، ولكن بتخصيص أجزاء متتابعة من الوقت لختلف المحطات التي لها اتصال بالقمر الصناعي. وكل محطة ترسل أثناء زمن محدد وبطريقة دورية حزمة من المعلومات الرقمية. ولابد هنا من أن يكون النظام متزامناً بطريقة جيدة، بحيث يسمح بتفادي تداخل مختلف حزمات المعلومات.

إن كل محطة تستقبل انطلاقاً من القمر موجة حاملة تنقل الحزم المتتابعة المتعلقة بمختلف المحطات، وتقوم بعملية الفرز بحثاً عن الحزم الآتية من المحطات التي هي على اتصال معها.

والواقع أن هذه التقنية الأكثر حداثة، والتي تستدعي تجهيزات أكثر تعقيداً تسمح باستعمال كل قوة القمر الصناعي، وتسمح أيضاً بالاستعانة بجهاز للتركيز الرقمي من المحادثات، على أساس أن المكالمات الهاتفية لا تكون نشطة في آن واحد. ويمكن في هذه الحالة نقل المكالمات الهاتفية المأخوذة؛ بل حتى البرامج التلفازية.

وفي هذه الحالة، فإن كمية المعلومات المراد نقلها تكون دائماً بمثابة صورة تلفازية وصوت معاً، وتحمل على العموم مجموع المضخم، فمشكلات التضاعف أو الاتصال المتعدد لا تطرح هنا أبداً، كما أن مجموع المعلومات ينقل على موجة حاملة واحدة متغيرة الذبذبة.

(و) القمر: إن القمر الصناعي للاتصالات مكون أساساً من مجموعة من الأجهزة خاصة باستقبال المعلومات وإرسالها وتجهيزات أخرى خاصة بالخدمة الاتصالية. وتتكون تجهيزات الإرسال من هوائيات ومضخمات تشكل الحمولة الأساسية للقمر الصناعي. ولضمان كل الخدمات الضرورية للتشغيل الجيد لحمولة القمر الصناعي لعدة سنوات بالرغم من قساوة البيئة الفضائية، فإن القمر عليه أن يحتوي على ما يأتي:

- بنية مكلفة بتحمل مجموع التجهيزات وخاصة أثناء المرحلة الحرجة للإطلاق، وهي مكلفة أيضاً بالاحتفاظ مع تجهيزات أخرى (كالهوائيات



والتلفازية، وكذا معطيات العقول الإلكترونية. وعموماً، يُمكن هذا النظام البيوت من استعمال أربعة أنواع من الخدمات، وهي:

توزيع جميع قنوات التلفاز الموجودة والمستقبلية: لقد انتهت غابة الهوائيات الفردية المنتشرة فوق السطوح والاستقبال المتقطع من الشبكات المشوشة التي تحتوي على هوائي جماعي، وتم الاستغناء عنها في بعض الدول المتطورة بنوعين من شبكات - الكابل، وهما: شبكات في شكل شجرة، وشبكات في شكل نجمة.

ففي الأولى: هناك كابل مركزي ينطلق من محطة الإرسال ويعطي تشعبات لكل البيوت. أما في الثانية فإن كل بيت مرتبط بمحطة توزيع مركزية تكون متصلة بجهاز إرسال أو تكون واقعة بمكان الإرسال؛ والفرق بينهما هو أن شبكات الكابل في شكل نجمة تحتوي على اتصال بين البيت المشترك ومحطة التوزيع ذهاباً وإياباً والعكس، أي ما يسمى بالتفاعلية، وتعني التفاعل بين المشترك ومحطة التوزيع؛ حيث يمكنه قبول الخدمات المقدمة إليه وفق رغبته وأهوائه أو رفضها. كما أن استخدام شبكات الكابل في شكل نجمة لا يتعارض مع شبكات الكابل العاملة بالألياف البصرية؛ إلا أن الفرق بينهما هو أن كوابل الألياف البصرية ثقيلة من جهة ومكلفة من جهة ثانية.

بث برامج محددة: في هذه الحالة لا يستقبل المشترك برامج عامة من الهواء إنما برامج خاصة وفق رغبته وأهوائه سواء كانت أفلاماً أو حفلات أو غير ذلك حيث يوجد ٣٠ إلى ٤٠ برنامجاً مختلفاً، فما على المشترك سوى أن يكون مالكا لجهاز استقبال متعدد القنوات. إلا أن هذه الخدمات تقدم له مقابل رسم يدفعه لهذا الغرض.

التفاعلية: إن مشاهد البرامج التلفازية المشترك في هذه الشبكات يصبح متفاعلاً وحرّكياً، حيث يتفاعل مع البرامج المقدمة له، فيقدم اقتراحاته واحتجاجاته في الوقت ذاته، وهذا بواسطة جهاز إرسال واستقبال خاص يربطه بمحطة التوزيع، ويعطي لكل مشترك «كناجوات» عن البرمجة التي يشارك فيها هو شخصياً، كما يمكنه من استقبال خدمات الفيديو تيكس، أي يمكنه فحص (بنوك) المعطيات كمواقيت إقلاع الطائرات وإبحار السفن وانطلاق القطارات والحافلات، وكذا تحويلات الأوراق المالية والنتائج الرياضية، أو حتى طبع صفحات من الجرائد أو الكتب المختلفة، علاوة على الاتصال بتلفزة الإنذار التي تبث إشارات إشعار إلى محطة التوزيع المركزية، فتلفزة البيع التي تعطي قوائم

الأسعار وعناوين المحلات التي تباع بأثمان باهظة والتي تباع بأثمان رخيصة؛ أي نقل المعلومات كافة إلى المشترك في بيته.

الهاتف المرئي أو الفيديو: وهو أن يقرأ المشترك المكالمات الهاتفية أو يرى مُكَلِّمه على شاشة خاصة والعكس حيث إن هذه الشبكات التفاعلية هي التي تؤمن له مثل هذه الخدمات.

### استراتيجية شبكات الكابل المحوري المتعدد الخدمات

تعد صناعة هذه الوسائل السمعية البصرية مظهرًا ثقافيًا واقتصاديًا وسياسيًا، إذ بعد أن أصبح الفيديو مادة السوق الجماهيرية في الدول المتطورة، جاء دور الاشتراك في شبكات الكابل التي لقيت إقبالاً مدهلاً، فليس هناك مجال للارتباط بالتلفزة المجتمعية المتعددة الأذواق والبرامج بعد ثبوت نجاعة الاتصال بالكابل. إن شبكات الكابل هذه، تكون موضوعاً لمسؤولية حقيقية من طرف المشتركين أفراداً كانوا أم جماعات، وهيئات كانت أم مؤسسات.. وتتابع من طرف هيئة علمية تتكون من عدد من الباحثين لكل موضع شبكة للإشراف والبحث والإثراء، فالرهان الخاص بالكابل تم



الآن ربحه باستعمال الألياف البصرية التي تسمح بتشخيص التفاعل بين البرامج السمعية - البصرية والمستخدمين. ولسنا هنا بصدد الحديث عن الهاتف المرئي أو الفيديو الذي هو قيمة مضافة إلى الهاتف العادي، وإنما بصدد الحديث عن شبكات من الألياف البصرية تقام في مركز الشبكة، وما بين المدن في صورة شبكات كهربائية وهاتفية، فتنتقل أولاً البرامج السمعية - البصرية وتكون مجهزة بكابل محوري، لكن سريعاً وبمجرد إجراء درجة في اتجاه الليفة البصرية، يتم نقل - وعلى الكابل نفسه - المكالمات الهاتفية والبرامج التلفازية المنقولة بواسطة الكابل أو القمر الصناعي سواء كانت تفاعلية أم لا. وهو ما يسمى في البريد والمواصلات بـ «تعدد الخدمات». بالإضافة إلى ذلك، فإن لهذه الشبكات الكثير من التطبيقات المهنية كالحاضرة البصرية. وعليه فإن أي تطور فوضوي للكوابل والهوائيات من شأنه أن يعرقل سير شبكات الكابل. من هنا لابد من حجم واحد وخط واحد، بالإضافة إلى منشعب واحد أيضاً، وما يبقى سوى المناطق ذات الظلال الدائم، فقط بالنسبة لاستغلال الشبكات.

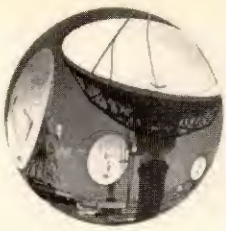
فالبحت إذن عن الليفة البصرية وأفانق استعمالها، أما نظام الاتصال بالكابل فقد جرت إقامته في العديد من الدول الأوربية التي تحاول ألا تبتعد كثيراً من الولايات المتحدة واليابان، إضافة إلى أن سياسة التصنيع في الدول المتطورة لانهتم فقط بصنع وسائل الاتصال والإعلام الجديدة، وإنما أيضاً بإقامة صناعات للبرامج الخاصة بهذه الأنماط الجديدة في حقول الإعلام.

فماذا نعرف عن الليفة البصرية؟ وكيف يتم استخدامها في ميدان الاتصال؟

### (٣) الاتصال بالألياف البصرية

عرف هذا النوع من الاتصال تطوراً سريعاً، فقد اقترح استعمال الألياف البصرية في الاتصالات أول مرة في عام ١٩٦٦م. وكانت أول ليقة استعملت في عملية الاتصال من صنع شركة «كورنينج» الأمريكية للزجاج، وذلك في عام ١٩٧٠م. وكانت هذه المبادرة إيذاناً بميلاد صناعة متطورة في كل من الولايات المتحدة الأمريكية، واليابان، وبريطانيا، وألمانيا الغربية، وفرنسا التي قفز بها طلب قطاع البريد والمواصلات من هذه الألياف من ١٠٠٠ كلم في عام ١٩٨١م إلى ٥٠٠٠ كلم في عام ١٩٨٢م، فسجلت بذلك زيادة قدرها خمسة أضعاف خلال سنة واحدة، في الوقت الذي سجلت فيه الدول المتطورة الأخرى النسبة نفسها أو أكثر. وتعد سنة ١٩٧١م فترة التجارب الأولى للاتصال بالألياف





البصرية على مسافة طويلة. فماذا نعرف عن هذه الألياف؟

تعريف الألياف البصرية: الألياف البصرية هي خيوط من (السيليس) الرقيقة الشبيهة بالشعيرات، تستخدم كحوامل لموجات كهرو مغناطيسية تطبق قوانين الانتشار الضوئية المكتشفة من طرف ماكسويل في القرن التاسع عشر. هذه القوانين تبين بأنه تبعاً لهذه الأحجام، تظهر تعددية أنماط الانتشار للطاقة في الحامل.

أنواع الألياف البصرية: يوجد نوعان من الألياف البصرية: الألياف الوحيدة الاستعمال، والألياف المتعددة الاستعمالات، هذه الأخيرة هي الأكثر استعمالاً، ولها قطر يتراوح طوله ما بين ٣٠ و ٨٠ ميكرونا، وهي أكبر من طول الموجة الضوئية المستعملة، والأخرى طولها ميكرون واحد. والنظرية تقول إن الضوء يمكنه الانتشار بأشكال متعددة، وإن سرعة الانتشار ليست متساوية. وهذا تبعاً لاختلاف الأشكال مما ينتج منه تشويش متزايد للإشارات التي تحد من كمية المعلومات المراد نقلها. هذه المعلومات مرمزة تبعاً للاندفاعات الضوئية التي يجب أن تكون قصيرة ومتقاربة لكي تكون كميات المعلومات المنقولة كبيرة، ويمكن تفادي هذا التشويش الإعلامي باستعمال الألياف الرقيقة جداً والتي لاتقبل سوى نمط واحد من الاتصال.

وظائف الألياف البصرية: إن الألياف البصرية تسمح - وبطريقة مختلفة - بنقل الصور المتحركة والمعطيات المعلوماتية والبرامج الصوتية من المرسل إلى المستقبل والعكس، فكمية المعلومات المنقولة تضمن من الآن فصاعداً، إضافة إلى الفائدة الاقتصادية، نمطاً جديداً من الاتصال.

فقد تم تجهيز الكثير من المراكز الهاتفية في الدول المتطورة بهذا النمط من الاتصال، كما استفادت شركات صنع كابل التلفاز من اختراع الألياف البصرية، فهي تقوم بوضع الليفة داخل الكابل العازل. وهناك الكثير من المظاهر الجديدة التي تستدعي استخدام الألياف البصرية على نطاق واسع.

فالألياف البصرية هي العامل الذي لا بد منه لإقامة نظام الاتصالات الهاتفية المرئية. فمن دونها لن يكون ممكناً لشخص ما أن يتكلم مع آخر في الهاتف ويراه عند التحدث إليه، ومن دونها أيضاً لن يكون ممكناً التقاط محطات البث التلفازي التي لاتعتمد على نظام اتصالات فضائية تغطي المنطقة التي يقيم فيها المشترك.

والألياف البصرية من الدقة والمرونة بحيث

لا يمكن مدها داخل كوابل الهاتف العادي، ومن ثم فإنها تستلزم تمديدات جديدة، مما سيخفف تكاليف الاشتراك في الهاتف المرئي.

خدمات الألياف البصرية: إن الخدمات التي يقدمها نظام الاتصال بالألياف البصرية كثيرة ومتعددة، مما يجعل جهاز الهاتف المرئي أو الفيزيوفون شبه عقل إلكتروني، أي إنه يصبح هاتفاً مستظوراً يملك ذاكرة يمكن ملؤها بأرقام كثيرة تهتم المشترك، إضافة إلى ذلك تقوم شاشة الهاتف المرئي مقام جهاز المعلومات، وبوساطة لوحة الأزرار التي زودت بها الشاشة يمكن الاتصال بالبنوك لمعرفة كشف الحساب المصرفي وإجراء حجوزات السفر التي تستخدم العقول الإلكترونية، إضافة إلى بنوك المعلومات المتعددة الوظائف والاستخدامات. ويتيح نظام الاتصال بالألياف البصرية ربط المشترك بعدد كبير من المحطات التلفازية، ويتوقف عدد هذه المحطات على رغبة المشترك نفسه. فهو الذي يحدد المحطات التي له رغبة الاشتراك فيها. وتستطيع خيوط الألياف البصرية بفضل دقتها نقل ١٥ قناة تلفازية في آن واحد، وفي إمكان المشترك بالطبع اختيار واحدة من القنوات لمشاهدة برنامج دون آخر، كما تتيح الشبكة للمشارك الاشتراك في قنوات البث الإذاعي يصل عددها إلى ١٢ قناة.

الألياف البصرية وكابل التلفاز: إن الألياف البصرية بما تقدمه من خدمات جليلة للاتصال الهاتفي والتلفاز التفاعلي تسمح بإقامة نمط جديد من الإعلام والاتصال، قائم على تفاعل المشاهدين مع البرامج، إضافة إلى نقل مئات الأصوات والمعطيات المعلوماتية التي يطلبها المشترك من شبكات الهاتف أو التلفاز، كما تمنحه حرية القبول والرفض والاتصال على نطاق واسع بينوك المعطيات المرتبطة بالعقول الإلكترونية.

وقد أعطت الألياف البصرية نفساً جديداً لكوابل التلفاز؛ بحيث سمحت للمشاهدين المشتركين بالمساهمة الفعالة في البرامج التلفازية المقدمة لهم.

### وسائل الإعلام الجديدة

إن وسائل الإعلام الجديدة في نمو مطرد وتنوع متواصل، فمن التلفزة العادية، إلى تلفزة الهوائي المقعر، إلى تلفزة الكابل التفاعلي، ومن التليكس إلى التلتيكس ثم من الفيديو إلى الفيديو كاسيت فالفيديو دسك والفيديو تكس. والقائمة مازالت مفتوحة أمام الاختراعات والإنجازات المعلوماتية في هذا الميدان، وفيما يلي نتعرض لهذه الوسائل الإعلامية الجديدة بقليل من التفصيل:

من تلفزة القمر الصناعي إلى تلفزة الكابل التفاعلي: تجري في السنوات الأخيرة بالبلدان المتطورة عملية مزاجية الاتصال بالقمر الصناعي مع الاتصال بالكابل التفاعلي العامل بالألياف البصرية، إذ يمكن، كما هو معروف، التقاط برامج التلفاز المرسله بالقمر الصناعي بوساطة هوائيات مقعرة موضوعة على السطح. هذه الهوائيات المختلفة الأحجام يجري تصغيرها أكثر فأكثر حتى يتسنى للمشاهد وضعها فوق جهازه التلفازي في داخل بيته.

والواقع أن المدار الآن مكتظ بالعديد من الأقمار الصناعية للاتصالات نذكر منها اتلسات -INTEL SAT وأوتلسات EUTELSAT وقمر الاتصال الأوروبي U.E.R (UNION EUROPEENNE RADIO) الذي يضم ١٢ قناة تستعمل شريط موجات تتراوح ذبذباته ما بين ١١ و ١٤ جيجاهيرتز بالإضافة إلى ١٢٠٠ خط هاتفي، وتستفيد من خدماته قناة التلفاز الأوروبية (أورفيزيون)، هذا إلى جانب القمر الصناعي الأمريكي تليستار (1) -TELE STAR والسوفييتي انتر سبوتنيك -INTER SPOUT الذي يقدم خدماته لـ ١٣ دولة شرقية وشرق -أوسطية، والقائمة طويلة فيما يخص توسع استعمال هذه الأقمار الصناعية للاتصالات تماماً كما هو الحال بالنسبة لاستعمال تلفزة الكابل - التفاعلي الذي توسع استعماله في الولايات المتحدة الأمريكية أكثر منه في أوروبا، حيث بلغ عدد البيوت الأمريكية التي تستعمل الكابل عام ١٩٩٣م، ٦٠ مليون بيت يستفيد من ٥٠٠ برنامج.

لقد استثمرت شركة الاتصال التليفزيوني (T.C.I) - TELE COMMUNICATION INC. أحد عشر مليار فرنك فرنسي في الألياف البصرية في أربع السنوات الواقعة بين ١٩٩٣م و ١٩٩٦م. وتعد شركة تايم - وورنر TIME - WARNER ثاني شركة في الولايات المتحدة من حيث الاستثمار في شبكات الكابل - التفاعلي العامل بالألياف البصرية، كما أن هناك شركة الهاتف لغرب الولايات المتحدة US WEST التي استثمرت ١٣,٥ مليار دولار في شركة تايم - وورنر، وهي شركة تابعة لمجموعة شركات تلفزة - الكابل لجعل الكوابل تشتغل بالألياف البصرية أي تطبيق «التفاعلية» بين المشاهد والبرنامج المقدم له.

وهذه البرامج المقدمة للمشاهد تتم نظير رسم







يدفعه المشترك في شبكات الكابل - التفاعلي مقابل الخدمة المقدمة له.

من التليكس إلى التليتكس: إن استعمال التليكس كألة اليكترو - ميكانيكية يعود إلى الحرب العالمية الأولى.

هذه الآلة - كما هو معروف - تعمل بجهازين، واحد للإرسال والآخر للاستقبال محدودة القدرة، أي إنها ترسل ٦ إلى ٧ حروف في الثانية (٥٠ بود)، ومع ذلك فقد استجابت لمطالبات مرحلة معينة لم يكن الإليكترونيك فيها متطورا، أي إنه كان يرسل النص باستعمال شريط الورق سواء كان المشقوب أو العادي لأنه كان النوع الوحيد المستعمل آنذاك، ولما تطور الإليكترونيك، أصبح الإرسال يتم من ذاكرة إلى ذاكرة، أي من تليتكس مرسل إلى تليتكس مستقبل مع إمكان طبعها على الورق العادي، ورقة، ورقة؛ حيث يتم نقل ٢٤٠٠ وحدة (بيتز) في الثانية أي ٥٠ مرة نظريا و ٢٠ مرة عمليا أسرع من التليكس. الأمر الذي سهل من عملية نقل النصوص بالورقة؛ بل وحتى عملية استنساخها من بعد، كما يمكن للتليتكس أن يقدم خدمات أخرى حيث يقول جيرار إيمي وأنطون شوارتران: إن إمكانات استخدام التليتكس تكمن في ثلاثة اتجاهات مختلفة تتعلق بخدمات متممة للتلفاز أو بخدمات مستقلة تخص الجمهور أو حتى بخدمات نوعية:

الخدمات المتممة للتلفاز: إن هذه الخدمات بقدر ما هي متممة للتلفاز، هي موجهة أيضا للمشاهد نفسه لتحسين نوعية الخدمات التي تقدمها له البرامج وسمعتها. فالكثافات التي ترافق الصور المباشرة يمكن أن تغير كليا نشاط التلفاز بالنسبة للمشاهدين الذين يعانون من معوقات لغوية أو مرضية كالصمم، فإمكانية اختيار حجم الحروف التي تظهر مع الصور، يمكن أن يهتم أيضا بعض المسنين بحيث يسمح بتكبيرها، كما يسمح بمتابعة برنامج كان قد بدأ، ذلك لأنه يستطيع أن يعطي ملخصا دائما للأحداث التي سبقت. هذا إلى جانب استطاعته تقديم ملخصات للأخبار أو للنتائج الرياضية.

الخدمات المستقلة: يقوم التليتكس في هذا الشأن بتقديم العديد من الخدمات سواء على المستوى الوطني أو الإقليمي، وهذا في ميدان

التجارة أو الصحة، أو الزراعة أو غيرها، حيث يمكن التجار مثلا من معرفة الأسعار والبرصات والعقارات، كما يمكن المستهلكين من الانتهاء إلى المعلومات التي تهمهم كالأسعار الرخيصة وعناوين المحلات التي تروج لها وغير ذلك من المعلومات.

وفي ميدان الصحة، يمكن المهتمين بالبحث عن دواء نادر أو الحصول على نصائح وإرشادات طبية أو معرفة الصيدليات المناوبة وغيرها من الخدمات، وما ينطبق على الصحة ينطبق على ميادين أخرى كالترفيه والنقل والسفرات والخدمات الاجتماعية وغيرها...

الخدمات النوعية: يستطيع التليتكس تقديم خدمات نوعية لشريحة اجتماعية معينة أيضا مثل: تقديم فرص الشغل في سوق العمل لشريحة المتعطلين، أو المساهمة في تطوير برامج ثقافية خاصة تستخدم النص والصورة والمخطط... إلى غير ذلك من الخدمات الخصوصية.

من الفيديو إلى الفيديو توكس: حين دخل الفيديو مجال الاستعمال في السبعينيات، لم يعرف تطورا كبيرا سوى ابتداء من عام ١٩٧٥ م بعد ظهور جهاز المانيتوسكوب. والواقع أن الفيديو هو جهاز متمم للتلفاز من طريق استعمال أشطرة الفيديو كاسيت التي تحمل أفلاما ومواد إعلامية أخرى. ولم يتوقف تطور هذه الأجهزة عند هذا الحد؛ بل تعداه بظهور الفيديو دسك في تشرين الثاني نوفمبر من عام ١٩٧٨ م الذي يتمتع بميزات الفيديو كاسيت عدا ما يتعلق بالتسجيل، إلا أنه ينافس من حيث السعر إذ يقل عنه بخمس مرات، ومن حيث سهولة إبطاء ووقف الصورة. وما إن مرت سنوات قليلة حتى ظهر الفيديو توكس الذي ينقل بشكل رقمي النصوص على شاشة التلفاز. ويمكن لهذا الجهاز الاتصال بينوك الصور وكذا الفيديو والاسطوانات الاليكترونية في إطار شبكات الاتصال بالفيديو.

إن الفيديو توكس جاء ليكرس إلى جانب التليتكس عملية الاتصال ونقل النصوص فيما بين المرسل والمستقبل. وقد أعطى استعماله نتائج مشجعة تنبئ بمستقبل زاهر لحقل الإعلام والاتصال.

### الشبكة المتعددة الخدمات

إن طموح المشتغلين في الحقل المعلوماتي هو تطوير شبكة متعددة الخدمات تجمع جميع الشبكات في شبكة واحدة، مع إدماج كل الخدمات المسيرة بشكل مخالف سواء منها الصور الثابتة أو المتحركة، وكذا الأصوات سواء منها

الهاتفية أو البرامج الصوتية، علاوة على المعطيات كتبادل المعلومات بين الحاسبات أو التليكس أو حتى الفيديو توكس. هذه الاستراتيجية تسمح بالجمع بين التقنية البصرية والإليكترونيك، وكذا تقنيات النقل الرقمي للإعلام. هذه الشبكة تدمج الهاتف بالمعطيات المعلوماتية لتمنح المشتركين خدمات جديدة بواسطة التليماتيك - TELEMA TIQUE.

### نحو تكنولوجيا متطورة

إن الاتجاه الآن في ميدان المعلوماتية هو تطوير العمل على مستوى الدارات المتكاملة CIRCUITS INTEGRES وكذا الإليكترونيك - البصري OPTO ELECTRONIQUE باستعمال الألياف البصرية وأشعة الليزر في عملية التضخيم لطول الموجة، هذا إلى جانب العمل على تطوير مضخات تعمل بالألياف البصرية REPETEURS - OPTIQUES. كما أن الأبحاث مركزة الآن حول أجهزة الاتصال الإليكترو - بصرية الصغيرة MICRO OPTO ELECTRONIQUE - ومن جهة أخرى، يجري العمل على تطوير الشاشة المسطحة بحذف الأنبوب الاليكتروني وتطوير التلفاز الكثيف أو ما يسمى بالفرنسية T.V - HAUTE DEFINITION وبالإجليزية T.V. HIGH TECHNOLOGY وباختصار نحن مقبلون على تطور عظيم في ميدان الإعلام والاتصال بفضل المعلوماتية الزاحفة على جل مجالات حياتنا.

### الهوامش:

1- AMRF: ACCES MULTIPLE PAR REPARTITION EN FREQUENCE.

2- ARMT: ACCES MULTIPLE PAR REPARTITION DONS TEMPS.

### المراجع:

١- وسائل الإعلام والدول المتطورة: تأليف فرنسيس بال، ترجمة حسين العودات، المنظمة العربية للترية والثقافة والعلوم ١٩٨٣ م

٢- الإعلام الإذاعي والتلفزيوني: تأليف د. إبراهيم إمام، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٧٩ م.

٣- وسائل الإعلام والجمع الحديث: تأليف تيودور بيترسون، وليام ريجرز، و. جونسون، ترجمة د. إبراهيم إمام.

٤- مقدمة إلى وسائل الاتصال: تأليف أودوين واكين، ترجمة وديع فلسطين، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة ١٩٨١ م.

5- SCIENCE ET OVENIR: NUMERO SPECIAL. N2: 44

6- SCIENCE ET OVENIR: No 420 - JANVIER 1982.

7- SCIENCE ET VIE : NUMERO SPECIAL - HORS SERIE. No148 - SEPTEMBRE 1984.

8- SCIENCE ET VIE : No 779 - AOUT 1982

9- SCIENCE ET VIE : No 789 - JUIN 1983

10- SCIENCE ET VIE: No 911- AOUT 1993

11- LE MONDE: No 11730 -11731 ET 11748.







## عبد العزيز التويجري:

### سوق خوارطري

# هي سوق البسطاء أمثالهم

حاوره في تجربته: محمود رداوي

ميلو الشباب الصغار، وهي ميلو ذكرياتي فيها لو يسر لي أن أكتبها على ضوء علم النفس لكونت من تلك الذكريات مدرسة عن نشء ظل متعلقاً حول مذياع يث في حماسة مثيرة لكل ساكن وراكذ في أعماق المستمع إليه جدلاً وخلاقاً في الميول فيما بين إذاعة لندن وإذاعة برلين، وقد تأرجح فيما بيننا نحن الشباب الولاء لهما، وانقسمنا إلى حد التطرف في الجدل ومناصرة كل مذيع، إلى فريقين. وهذا شيء طبيعي لشباب لاتصل أعمارهم إلى العشرين، نعم أشعر الآن أننا، آنذاك، سلينا حريتنا ووجهنا وجهة لا حرية لنا معها، وهذا فيه نوع من التبعية اللا إرادة عند شباب طري عوده، وفكره فكر مرهق. ولربما أن ما كان معنا بالأمس نحن الشباب من المراهقة الذهنية لا يزال مصدر أسي وأسف اليوم لشباب كثيراً ما رأيناهم ضحايا غسل الرؤوس، وتدمير الإرادة وتحويل الإنسان إلى قذيفة مسلوكة الحربة، غير واعية ولا متسائلة إلى أين هي ذاهبة، وفي سبيل ماذا؟

أسف على الإنسان، الظاهرة الوحيدة في هذا الكون المكرمة والمسؤولة والمكلفة والعاقلة، أن يرخض ويهبط به الأشرار إلى أدنى المستويات، وهو المخلوق الذي أكرمه الله سبحانه وكلفه وأعطاه الخلافة في الأرض. أقول: ليتصور شاب اليوم وأستاذه ومنقذه إلى أي حد بلغ بنا تفكيرنا وتعصينا وانفعالنا واختلافنا إلى حد أن صرنا إمعات. أوشك بنا التعصب لإذاعة لندن أو برلين في بعض الحالات إلى أن نتضارب بالأيدي، ونبتادل الشتائم بعد أن كنا إخوة وأصدقاء.

خرجت من هذه التجربة إلى أن الإنسان فيه ما يشبه القطيع من الأنعام، سلس القيادة لمن يحدو له ويضله، ويطره صوت غناؤه وفلسفته ودهائه، وصياغة هذا كله في إعلام عارف بالطبائع البشرية، وهذا ما أخذ الكثيرين من شباب أمتنا إليه، خدعهم به، فناه وراءه أناس طيبون حسنو

عبد العزيز بن عبد المحسن التويجري، أديب من ذوي الكلمة المشرقة، التي تبعث الأمل والتفاؤل في مستقبل الإبداع العربي، والنتاج الفكري، والتصور الحضاري المعاصر. نقرأ كتبه فنتلمع، في الحال، شخصية متميزة في عوالم الكلمة، والنفس، والإنسان، والكون، والصحراء، والطهارة، والفطرة. تتضافر في شخصيته الأدبية عوامل نادرة قلما نجد لها لدى كثير من أدباء العرب. لأنه مجبول على حب الأرض، وحب الوطن، وحب العرب والمسلمين، والعالم بأسره. كما أنه، حين يعبر عن همومه العربية والإسلامية والإنسانية، يعبر عنها بقلب متفتح للحياة، وبفكر مستنير يستوعب معالم الحضارة البشرية، ويأسي على ما آل إليه حال العرب والمسلمين اليوم.

والجوع إلى المعرفة؟

فشاب مثلي نشأ في قرية نائية في قلب الصحراء ماذا لديه من تجربة يكتب عنها؟ في أيامي الأولى كانت بلادتي قفراً، لا مدارس سوى كُتّاب نتعلم فيه مبادئ القراءة. معزولون في حدود صحرائنا، نظرنا إلى الحياة، وإلى الكون، وإلى الإنسان، نظرة فيها شيء من الكساح في قدم الوعي. فلما جاءت الحرب العالمية الثانية ودخل قريتنا مذياع واحد دهلنا وتبدلت في نفوسنا أشياء كثيرة. وقامت تساؤلات: ماذا؟ وما الذي مقبل علينا؟ نداعت الحواطر الطفولية البسيطة كالقطرات الشحيحة، وحين ملأت القدرح النفسي عندي ضقت بها، وكل مضيق لا بد له من معبر، ففكرت آنذاك أن المعبر هو أن يلتقي الأصدقاء من الشباب في دائرة على هذا المذيع ليلاً ونهاراً؛ لنسمع صدى الأحداث فيما بين الألمان والحلفاء، ثم نثير الجدل بيننا وفق

حين حاورته في تجربته كانت إجاباته تمثل شخصيته الأدبية والفكرية المبدعة، وهو الرجل الذي لم يتلق العلم في المدارس العصرية، وإنما تعلم ذلك كله من مدرسة الحياة. - نود أن نعرف شيئاً عن تجربتكم مع الكتابة والتأليف، منذ البدايات الأولى، وهل ثمة ما يمكن أن نخذه من صعوبات، مما تعترض البدايات الأولى لكثير من الأدباء الأفاضل؟

مثل هذا السؤال يشير في نفسي ذكريات ومعاناة، كلما درجت بي الحياة، وأرتني ما فيها من متحولات ومتغيرات علمية وثقافية واقتصادية واجتماعية وسلوكية وسياسية. شكلت هذه كلها في نفسي وفي هواجسي وأفكاري أشكالاً من الصور، تلقى بظلالها على نفسي. تساؤلات ثقيلة عن الماضي البعيد، وعن الواقع القائم. فلو عاد بي السؤال إلى الوراء، فإماذا أجد غير اليأس الفكري



النِّية، وفي آخر المطاف ما وجدوا غير الفراغ والشقاء.

هذه الذكرى، ذكرى الحرب هي أول ما وجهني إلى بدء التعامل مع الحرف والكتابة البسيطة، فصرت أتدرب على كتابة رسائل إلى بعض الإخوة في الرياض عن صدق الحرب في نفوسنا - نحن أبناء القرية -، وشيئاً فشيئاً لازمنا كتابة الرسائل فيما بيننا إلى أن انتهت الحرب. وفي تقديري لو رآها منقذ اليوم وكتاب اليوم لأضحكته.

أما من حيث الصعوبات التي قد تقابل البدايات الأولى لكثير من الأدباء الأفاضل فهذه الصعوبات لا أمكك الجواب عنها؛ لأنني لست منهم. ولو تطلعت وأعماني السؤال عن معرفة نفسي، وتوهمت أنني من هؤلاء الكتاب لأزريت بنفسي. أنا لست كاتباً ولا أدبياً، أنا رجل تضايقتني في بعض الحالات خاطرة أو زائرة، آية أو ذاهية، في فضاء النفس، فأفتح لها طريقاً إلى أوراقي، وأقول لها: تخلّصت منك فاذهبي حيث شئت، ولكل بضاعة مشتربها. ولا أتصور أن مفكراً أو مثقفاً يشتري بضائعي. السوق التي قد تدخلها خواطري هي سوق البسطاء أمثالي، من أتراح إليهم ويرتاحون إلي، أما من هم فوق مستواي لا أحسدكم، بل أعلم منهم.

لأقت كتبكم، وبخاصة «في أثر المتنبي بين اليمامة والدهناء»، و«رسائل إلى ولدي»، و«حاطب ليل ضجره»، استحسنائاً وإعجاباً من معظم الأدباء العرب ونقادهم، وكُتب عنها الكثير... كما لاقت إقبالاً من القراء المثقفين. ماذا يمكن أن تقولوا فيما كُتب عنها أولاً؟ وماذا يمكن أن تقولوا أنتم عنها ثانياً؟ أي عن الأفكار الأساسية التي كانت هاجسكم الأول وأنتم تكتبون وتؤلفون؟ وهل حققتم شيئاً من تلك الهواجس؟...

السؤال أدخل على نفسي نوعاً من السعادة والثقة بهذه النفس. فشكراً لسائلي.

قصصتي مع أبي الطيب المتنبي ومع اليمامة والدهناء وحاطب الليل الضجر قصة طويلة، فيها الجزء الأكبر من حياتي، فيها تداخلت ذكريات جميلة وعميقة الأثر في سيري مع الحياة. فأول من قابلني في قلب الصحراء مرفلاً به جملة هو أبو الطيب المتنبي، سمعته يغني ويردد قوله:

نحن أدرى وقد سألنا بنجد

أقصير طريقنا أم يطول

وكثير من السؤال اشتياق

وكثير من رده تعليل

أصغيتُ إليه، ثم تابعتُ خطاه على درب القلق والتبدلات في خواطره وفي سره ميمماً مغرب الشمس مرة وأخرى مطلعها، يجادل الأحداث جدلاً رهيباً، يضع ميسمه على جبين كل خاطرة، ثم يسلمها للزمن، وهكذا إلى أن علمته الحياة الكثير الكثير عن الطبائع الإنسانية، فصاغتُها الموهبة العظيمة عنده عبراً ناطقة بالحكمة، ثم أسلمها للزمن، وما هي ذي اليوم في عصر التحولات باقية يتجدد شبابها، تدفئ المتعبين وتبديد هموم الحائرين. ذلك يوم بعيد لي مع فلسفته ورؤيته للحياة والإنسان. وحالي معه حال من قال:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى

فصادف قلباً خالياً فتمكنا

ما كتبت في «أثر المتنبي بين اليمامة والدهناء» ليس إلا تجديداً للذكرياتي معه فيما بين اليمامة والدهناء، وهي منازل أهلي وقومي، ما أكثر ما ضربت خيمتي فيها وساءلت الجبل عن جدتنا زرقاء اليمامة ماذا رأت وماذا قالت لقومها وقالوا لها؟ فأغياها الجواب، ومثلما أغيا الجبل الجواب أغيتني فلسفة القوة عند شيخ العشيرة من قال:

لنا الدنيا ومن أضحي عليها

ونبتش حين نبتش قادرينا

ملأنا البر حتى ضاق عنا

وظهر البحر غلغله سفينا

إذا بلغ القطام لنا صبي

تخبره الجبابر ساجدينا

ونشرب، إن وردنا الماء، صفراً

ويشرب غيرنا كدراً وطنينا

ولا أدري ألسفة القوة (وسوبرمان) نبتشة قد تتلأ في هذا اليدوي الجذ؟ فجعل من جبال اليمامة وشمونها سيوفا مصلة على رقاب الضعفاء والبسطاء من الناس؟ أتساءل من تحت جلله وأصغني إليه وهو يقول:

فأعرضت اليمامة واشمخرت

كأسيا فبأيدي مصليتنا

عجيب هو الإنسان عندما يمتلئ بدنه بالصحة والعافية والغنى يطغى مصداقاً لقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّا كَافٍ﴾ (العلق: ٦، ٧)

وما كان معي والمتنبي واليمامة والدهناء وزرقاء اليمامة وشيخ العشيرة من ذكريات وتساؤلات كتبتها على الورق، لا أحسبها على فكر ولا على رحلة مع الفكر، ولكنها ذكريات لأيام خلت عشنا فيما بين اليمامة والدهناء.

أما «رسائل إلى ولدي»، فهي رسائل لاتعني أكثر من عاطفة أب شحها إلى أولاده، قدر أن في تجربته ما يفيدهم، وهو تقديري غير ملزم لهم بتجربتي، فأنا من جيل وهم من جيل، وأقصى الآباء من يحاول أن يصوغ أبناءه ويلزمهم أن يكونوا نسخة منه، هذا الإلزام فيه شيء من المغالاة وفيه أقصى القيود على حريتهم، وهذا ما لا أفعله مع أولادي.

ولأنني أرى في أبناء قومي وأهلي، مثلما أراه في أبنائي خرجت بها إلى الشارع العام وعلى استحياء.

أما «حاطب ليل ضجره» الذي نقده كل من الأستاذين الدكتور زكي نجيب محمود والدكتور حسن ظاظا، فهو من فلسفة الصحراء ومن تجربتي مع الاحتطاب في ليل مظلم من واد موحش. أخذت هذه الصورة من واقعي الشخصي مع الطبيعة والحاجة إلى الاحتطاب من وحشة الوادي، ومن الظلام، ومن الخوف من السباع والهوم، وهكذا مثلما في الطبيعة أودية ووحوش وضباع وظلمة، ففي الوادي النفسي ما هو أكثر وحشة ووحشية وظلمة. وفي لحظتي مع القلم والورق ضجّر في كل شيء من الخوف، فتداعت الحاضرات خائفة، أكثرها مبرقع لم يكشف عن وجهه، تستر بستر الله.

ولا أعرف في يومي هذا شيئاً أقوله لصاحب السؤال غير أنني قليل الثقة بنفسي وبصحة تفكيري وبسلامة الطريق التي أتوي أن أمشي عليها، أحسب لكل خطوة حسابها

لأنني أحترم الناس.

أما ما يمكن أن أقوله فيما كُتب عنها، وماذا يمكن أن أقوله حولها: لاشيء أقوله أبغ من أنني محتاج إلى من يزكيني ويؤمنني في طريقي إلى أوراقي لأقول لها ما قالته لي أعوامي الطوال، وما أوحث به إلي وعلق بذهني وذاكرتي، فيأني غير تلميذ الجامعة، من يدره أستاذة ويأخذ بيده، ويقول له: انطلق، فما أنا إلا تلميذ من تلاميذ الحياة، والناس ممن تعاملت معهم أو أقرأني عنهم التاريخ.

أما هاجسي الأول مع القلم والأوراق فمفسر على رجل مثلي أن يلحق به، وهو بعيد عنه الآن في أعماق الزمن، ولكن يمكن لي أن أتصور هاجساً غيباً غير مكلف لي ولا مشيراً عندي شيئاً من هواجس اليوم مع القلم والورق، فهو هاجس الأمس الأول طفولية، ربما فرحة بتدريها على الخطو فوق صدر الورق - كما تدرب الأم طفلها -.. هكذا تراءت لي هواجس الأمس وهواجس اليوم. لذلك تراني تهيبت الطريق التي تمشي عليها أقلام المفكرين والأدباء والمثقفين فترة طويلة من عمري، خائفاً ومستحيّاً أن أحمل قلماً أو يكون لي ورق. فكلمنا ملأت الحياة قدحي بالهموم والمتناقضات أفرغتها في أحلام الليل أو أحلام القطة. فلغة الأحلام هي لغة الكبت الذاتي والنفسي، لكن هذا الإفراغ لم يخفف عني شيئاً مما عانيت، فاستشرت أحد الأصدقاء ممن لديهم شيء من علم النفس، فأشار بقوله: أفرغ شيئاً من قدحك على ورقك، قلت له: أتريد مني أن أعرض نفسي وأن أفرغ شيئاً من قدحها على الطريق العامة؟ إنني أستحي وأعرف نواقصي ونواقص ذهني وفكري، فقال لي: إذا لم تفعل ذلك ستعقد مشكلتك مع هواجسك وأحاسيسك وتحول إلى علق قد لا تحتملها.

قلت له يا صديقي: كيف تريد مني أن أطرح شيئاً من تفكيري في آخر العمر؟

فقال لي: جادل نفسك على ورقك وأسرع إلى ذلك، فالهواجس وقلق الذات وسأمها فيض، إذا لم تفتح له معبراً غرقت فيه، فاتحه.

وهذا ما سألتني عنه.

أما ماذا حققت من تلك الهواجس؟ ما أصعب أن يقول الإنسان عن نفسه إنني حققت شيئاً. نعم لقد أثار هذا السؤال في نفسي تساؤلات لا أبعاد لها في تاريخ البشرية، وليتني أعرف ما هو هذا الشيء الذي إذا حققه الإنسان أوصله إلى أعلى مراتب السعادة والعمل الإنساني. لقد وضعني هذا السؤال على طريق مغلفة كلما أردت أن أخطو عليها خطوة واحدة اصطدمت إرادتي به فوقفت حائرًا. يمكن لغبري أن يفرح بهذا السؤال ليحكي لك ماذا حقق وفعل، فوجهه إلى مثل هذا الإنسان يا أستاذي فعالمي الخاص عالم الأمنية، عالم البداوة والصحراء!!

- في بعض لقاءاتي بكم والجلوس معكم، كنت أجد في حديثكم رؤية خاصة عن الأمة العربية والإسلامية، ولا سيما وأنتم تعيشون آلامها وهمومها، وكانت تلك الهموم والآلام لاتفارق حسكم ووجدانكم، حتى إنني سمعتكم: ونحن نعزيكم في ابتكم، تذكر لي أيضاً عزاء شخصية سياسية يمنية كبيرة لك بهذا المصاب. وقد كان



لا أعرف كيف تم اختياركم لي، فالأسئلة التي أكرمتوني بها أفتنى أن أستجيب لها، وإذا استجبت لها أن تروني فيها واحداً من سكان السفح في الأدب العربي. فالذين أخذتهم مهنة الأدب إلى القمم صعب على رجل مثلي لم يدخل غير مدرسة الحياة أن يحسب نفسه عليهم.

ولكن ما لم أستطعه أخذ بقول القائل:  
وتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم

إن التشبه بالرجال فلاح

أبعث برفق هذه الرسالة الأجوبة المتراضعة، أملاً أن تصل إليكم. وإن كان السفر بعيداً ومضنياً لا أترجع عن طلب إخوة أعزاء، وإن كانت الوحشة عندي من الشارع العام قد لازمتني في كل حياتي، فأنا رجل أضعت أحلامي في متاهات الصحراء، ومشيت إلى ورقي وإلى عالمي الخاص دون أحلام. فالأحلام الجميلة غفت الذاكرة عنها، ولو كانت قد رافقتني لأمدتني بشيء من جمال الذكريات التي غابت عني الآن، ولكبت لكم منها ملامح لأيام بعيدة مني الآن تركتها في قفار مربعة نسيمها الليل صباً نجداً، ولأيامي معها: الصبا والشباب، أحلام كانت تلازمني وتقض مضجعي، أطوف في أسواق قريتي، أبحث لي عن معلم فلا أجده. تسكعت وراء المعرفة، ولكن من يشي إليها متسكعاً هو غير من مشى إليه اليوم في الأرض وفي الفضاء.

لا أسف على شيء إلا على أحلام ضائعة في متاهات الجهل. أعترف لكم بذلك، ولو صح لي أن أزحف على كيدي اليوم إلى إحدى المدارس أو الجامعات؛ أقبِلوني تلميذاً صغيراً ناشئاً وبادئاً؟ لا أتصور، ولكن أخاف ألا أعلموني شيئاً مفيداً!...

ما أكثر ما وقفت على أبواب الجامعة أسألها: أيمكن أن تقبلني؟ ما أكثر ما حاولت أن أشم روائحها، ولكن ياليت - وليت غير مجدية - أقول ياليت ابني وابن قومي وأهلي يدخلونها بوحي العصر وحساباته ونفوذه بسلطان الله إلى أبعاد كونية!! ليت تلميذ الجامعة لا يدخلها ناعساً ويخرج منها مثائباً لا يفكر إلا في لقمة العيش والكساء. لا أطيل عليكم، ولو سمحت لنفسي أن أتجاوز في آخر هذه الرسالة نفسي إلى خارجها لضللت الطريق التي عبدتها لهذه النفس بالصبر والاحتمال وضعت في متاهات الأمانى والأحلام. ولكم صادق تحياتي.....

أخوكم  
عبد العزيز بن عبد المحسن التويجري

حاملاً معه الهداية الإنسانية إلى ثلاث قارات، فتبدأ أمتنا المسير في عصر الرحلات الكونية، لينها تحديق في ذلك وتعيه، وتعني المبدأ العظيم الذي كان لها، لتستعيد ما فقدته. أما القومية فهي غامضة في ذهني لا أرى فيها سعة ولا روحاً إذا لم تكن العقيدة الإسلامية وروحها ومحتواها.

أقول ذلك وإن كانت أسرتني هي الأمة العربية التي لا أتعالى بها على قومية رجل مسلم من قومية أخرى، بل أتأخي معه وتتسع له مشاعري وأحاسيسي، وإن كان في أقصى الأرض ومن أي لون وجنس.

أما تجاربي، فليس لي تجارب أو مواقف من تلك الشؤون التي أشرت إليها، فأنا رجل عادي، ما في ذاكرتي شيء أقوله لك. ولعلي بهذا أصبح مفهومك عني.

أما قضية تعليم المرأة وما لحق بها من صعاب، فهذا شيء ألتساؤل عنه يلامس تبايناً في الاجتهادات، ولربما أن في ذاكرتي شيئاً من هذا التباين: في بعض القرى أو المدن النائية من سعى لفتح مدارس لتعليم المرأة، وفي الجانب الآخر من لم يستسغ ذلك، مما دعا الدولة في عهد الملك فيصل - رحمه الله - إلى التدخل في فتح المدارس وتوجيه الناس إليها في توعية شرعية وتحفظات. في النهاية تراجع من لا يريد فتح مدارس عن رأيهم بعد أن رأوا إقبال الناس عليها ولمسوا مصلحتها. وفي ذاكرتي أن الحرس الوطني أرسل جنوداً إلى بعض الجهات وبقيت فترة من الزمن ثم عادت دون أن يحدث ما يوجب تدخلها.

ومئات الملايين، فينشط ذاكرته ويوقظها ليرى عالمه هو، عربياً وإسلامياً، ويرى خرائب قرطبة والحمرات، ويرى مساجده المهجورة التي تراجع وتركها في أقاصي آسيا وأفريقيا.. هذا هو عالمه، وهذا هو معتقده وهو تاريخه وحضارته.. أقول هذا وأحمد الله أنني لست مواطناً لقرية من قرى شبه الجزيرة العربية، أقول ذلك وأقول رحم الله الملك عبدالعزيز: ماذا لو رضي بقصرية من قرى هذه الدولة الحديثة وقال: هذه تكفيني؟؟.. رحمك الله وغفر لك فقد عانيت أشد المعاناة وجمعتنا على وحدة وتآخ ومحبة، فجزاك الله عنا خيراً.

يقودنا السؤال السابق إلى القول: إن الحديث معكم كان ذا طابع وطني وقومي، ولكم دوماً رؤية صائبة وصادقة في كثير من شؤون البلاد الوطنية والعربية، نود أن نذكروا لنا بعض تجاربكم أو مواقفكم من تلك الشؤون مثل قضية تعليم المرأة وما لحقها من صعاب حتى استقر أمرها بما عليه اليوم.

ربما أختلف معكم، أو بالأصح أصبح مفهومك عني: جاء في سؤالكم: (الحديث معكم ذو طابع وطني وقومي النخ...) والوطنية أفتنى أن أكون في مستواها ومفهومها الشرعي: (حب الوطن من الإيمان)، (إمساطة الأذى عن الطريق صدقة). ووطني هو وطن كل عربي ومسلم، وطريقه هي الطريق التي إزالة الأذى عنها صدقة، فبنا يرتفع بنا مفهومنا التاريخي والحضاري إلى أن نرى تلك الطريق الطويلة التي مشى عليها راكب الجمل من شبه الجزيرة العربية

جوابكم له بأن العزاء الحقيقي لنا هو في مصابنا بأحداث اليمن وانقسام قادتها وتقاتلهم، فهي المصيبة التي تعلق على مصابنا الخاصة. فهل ترون أن تلك الهموم العربية قد استطاع الأدباء العرب عامة أن يحتووها ويعبروا عنها أحسن تعبير ويشاركوا فيها خير مشاركة؟

سؤال أشكره عليه وعلى حسن ظنك بي، إلا أنني شعرت في مثل هذا السؤال الكبير ما يثقل كاهلي الجواب عنه؛ فقد أوقفني سؤالك حائراً أمام نفسي: أصبح أن الأخ رأي هكذا؟ أم أن رأيي خدعته؟ أسأله ومرأتي هذه التي أرى نفسي فيها الآن تقول لي: هذا شيء كبير عليك، ما أنت (إلا من غزية إن غوت غويت، وإن ترشد رشدت). علمك وعالمي العربي وأهلك وأهلي ادع الله سبحانه لهم ولي بالهداية والتوفيق إلى السبيل على المحجة البيضاء التي فيها عزتهم وكرامتهم وأمنهم عرباً ومسلمين.

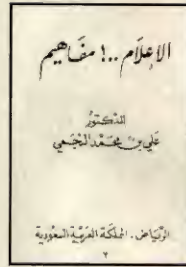
أما ما أشرت إليه عن الأخ الكبير والصديق المحترم الذي عزاني في وفاة ابنتي - رحمه الله - فقد بادلتني تعزية بتعزية: فمصابي بابتي مصاب الرضا به والتسليم شيء واجب، أما أن يقاتل الأخ أخاه في الوطن العربي والإسلامي أجمع، ويغلب الغضب والانفعال على الحكمة والحوار فهذا شيء مؤلم ومناف لمصلحة الأمة ووحدة كلمتها، ولا يرضى به أخ لأخيه. لاسيما في عالم يتجه إلى وحدة المصالح والوصول إليها من طريق فلسفة الحوار، عالم يستهدف ضعفاء الوعي السياسي.

من هذا المنطلق يوم أن عزاني أخي وصديقي الشيخ عبدالله بن الأحمر كنت مهموماً ومتألماً لما يجري، لا من أجل أن تكرر الفرقة في اليمن السعيد. أبداً، ولكن لأني مواطن من أبناء شبه الجزيرة العربية تحركت عاطفتي ومجتي لليمن واليمنيين كعبري من العرب والمسلمين فصارت إلى تعزية.

أما تسألكم: هل أن تلك الهموم العربية استطاع الأدباء العرب بعلمهم أن يحتووها ويعبروا عنها أحسن تعبير ويشاركوا فيها خير مشاركة، أقول: إنكم بهذا السؤال تضعوني على حيط دقيق أرى فيه من الخطورة ما يشير إليّ ألا أتعبج بالسير عليه، بل أزد السؤال إليكم يا أستاذ متسائلاً بدوري: أمشكلتنا هذه هي المشكلة الوحيدة التي تسألني عنها وعنهم؟ من الأفضل أن أعفك من الجواب مثلما تعفني أنت، فالمصائب في عالمنا العربي والإسلامي لماذا نحملها الأديب والمفكر ورؤيته حبيسة في ذهنه؟؟ وما كان حبيساً في كل تاريخ البشرية رأينا اليوم ينطلق بسلطان الله إلى الفضاء ذاهباً به هذا السلطان إلى بعد لا يعلم مداه غير الله.

وأمة محمد - صلى الله عليه وسلم - فاجأها هذا العصر بما لم يكن في ذاكرتها التاريخية فيها الأمر فوقت حائرة على طريق الرحلة الكونية البكر تسائل الماضي وتراجعه: ماذا كان لها في التاريخ وماذا فقدت؟ فإذا ما فقدته شيء كبير وعظيم. وإذا أكثر ما معها ومؤثر فيها موارث تاريخية من الخلافات والمعارك والمذاهب والتبديد والتوزع!! وهذا ولاشك عارض زائل إن شاء الله، وإن كان على درجة كبيرة من اتساع دائرة الخلافات مما أفقده تبيين طريقه إلى مصادر قوته التي بها يرى نفسه ويرى عالم التكتلات وعالم الألف مليون





د. علي النجعي

العنوان: الإعلام .. مفاهيم.

المؤلف: د. علي بن محمد النجعي.

الناشر: دار صبري للنشر والتوزيع، ط ١

١٤١٦هـ / ١٩٩٥م (٢١٥ ص).

المصدر الإعلامي في النموذج الإسلامي، ولله المثل الأعلى، فوجد أن المؤسسة الإعلامية، بمفهومها الحالي، هي القاعدة والأساس في نجاحنا الإعلامي، وأن الاهتمام بها ودعمها بأحدث الأجهزة والمعدات الفنية واختيار أبرز الكفاءات الوطنية للعمل بها هو أمر مرغوب ومطلوب في نموذج الإعلام الإسلامي.

كما نظر إلى «القناة» أو اللغة بأنها لا تعني مجرد لغة الخطاب أو الكتاب فحسب، وإنما تعدى ذلك إلى الإبداع والمهارة في اللغة والتي تصل إلى درجة الإعجاز. ولهذا يتحتم علينا، نحن المسلمين، اليوم ألا ننظر أو نهتم فقط بإيصال الصوت أو الصورة أو المادة المكتوبة إلى المتلقي أو الجمهور، ونترك الجانب الفني أو التقني الذي هو روح الأداء الإعلامي. والشئ المهم هو ملكة استخدام الوسيلة وفنيتها، وليست الوسيلة وحدها، كما يتحتم علينا أيضاً أن نفهم أن لكل وسيلة من وسائل إعلامنا طبيعتها وإمكاناتها الخاصة التي تتميز بها، موازنة بالوسائل الإعلامية الأخرى.

وفي رؤية النجعي للمتلقي، في ضوء الآية السابقة، يجده «المستقبل» وهم «قريش» قوم الرسول عليه الصلاة والسلام، أو هم الأمة الإسلامية بأسرها، أو هم الناس كافة كما جاء في الحديث الشريف: «وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصة ويُبعث إلى الناس عامة». ويستمر النجعي في منهجه التحليلي لتلك العناصر بإسقاط تلك الدلالات الإسلامية على المفهوم الإعلامي المعاصر فيقول:

«أما بمفهومنا الإعلامي المعاصر، فالمتلقي أو الجمهور يعني مشاهد التلفاز أو مستمع الإذاعة أو قارئ الكتاب أو المجلة أو الجريدة.. أي إنه المحور الأساسي الذي تدور حوله كل عمليات النماذج الإعلامية ومفاهيمها».

ويبدو أن النجعي لم يكتف بتلك الموازنة، لأن لفكرة بقية، ولا تكتمل إلا بالموازنة الأخرى؛ بين المتلقي في الماضي، والمتلقي في الحاضر.. ومن خلال تلك الموازنة يضعنا أمام فكرته الأساسية وغايته الكبرى، وهي أنه يجب «على المؤسسات الإعلامية، وخاصة الإسلامية منها أن تعرف هوية أو لغة أو انتماء من تتخاطب إليهم من فئات المجتمع، وتحديد نوع الاحتياجات أو الرغبات التي يريدون إشباعها ضمن الإطار الإسلامي العام، وضمن مفاهيم العادات والتقاليد الاجتماعية المتبعة».

ومفاهيمه. ولكي تتضح لنا رؤية النجعي وشخصيته الإعلامية، علينا أن نلتقي ببعض رؤاه، ولتكن رؤيته عن «منهج الإعلام الإسلامي»، وقد تناوله من خلال الآية الرابعة من سورة (إبراهيم)، وقد أسقطها على تقنية (تكنولوجيا) الاتصالات الحديثة.. ليؤكد المفهوم الجديد الواقعي لنموذج الإعلام الإسلامي، والمطابق أو المنسجم مع معظم التعريفات أو النماذج الإعلامية التي جاءت بها الدراسات الغربية حتى الآن.

والآية هي: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِيَ مَنْ يَشَاءُ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

فنموذج الإعلام الإسلامي يتكون من ست مراحل أو عناصر، هي: المصدر، والرسالة، والقناة، والمتلقي، والغاية، وأخيراً: رد الفعل.. فضلاً عن عنصر التشويش أو الإغواء.

فالمصدر: هو الله، والرسالة: هي الإسلام، والقناة: اللغة العربية، والمتلقي: الفرد، الإنسان، الأمة بأسرها. أما الغاية أو الهدف - كما يقول النجعي - فيمكن أن تنحصر في إيصال الحقيقة إلى المتلقي واضحة صريحة كما جاءت من عند الله، وأما المرحلة النهائية فهي مرحلة القبول أو الرفض، مرحلة: رد الفعل، وهذه المرحلة، في هذا المنهج الرباني للإعلام، هي من تقدير العزيز الحكيم، ﴿فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم﴾.

ويرى النجعي أن مصدر التشويش في هذا النموذج، هو أي قول أو فعل أو عمل لا ينسجم مع مقتضيات الدعوة الإسلامية.. إنه بعبارة أخرى «الشیطان» وما يدعو إليه من غواية البشر، وما يهيؤ لهم من أسباب الضلال.

ويضيف النجعي رؤى صائبة وهو يناقش تلك العناصر الإعلامية مناقشة عامة، فقد نظر إلى مكانة

مؤلف كتاب «الإعلام .. مفاهيم» رجل إعلامي، هو د. علي النجعي، وقد تناول الإعلام من جانبه العملي الميداني، والنظري العلمي. ومن منظور إسلامي، يمنح رؤاه تصوراً وفكراً أصيلاً، يتفق وبيئة المملكة العربية السعودية ديناً، وسياسة، وعرفاً.. رغم أنها تعيش حضارة العصر بكل أبعادها ومفاهيمها.

ولقد اشتمل مفهوم الإعلام عند النجعي، حين قدمه في هذا الكتاب، على إحاطة بأنواع الخمسة، وهي: الإعلام التابع أو الموجه من الدولة، والإعلام الحر حسب المفهوم الغربي، والإعلام المتلزم بمسؤوليته الاجتماعية، والإعلام صاحب الملكية الشاملة كما طبقته الشيوعية الروسية، ثم الإعلام بمفهوم الدول النامية.

وربما كانت هذه الأنواع الإعلامية مدخلاً إلى الإعلام الإسلامي: تعريفاً، ومشكلة، وحجماً، وتنمية، وتغطية، ومنهجاً. ثم اتساعاً ليشمل الإعلام الإسلامي والسياسة الوطنية في مجالات متعددة، وأخذاً بتجارب العالم في التلفاز، وانتهاءً بوجهة نظر المعارضين له أو المؤيدين. ولم تغب عن أفق النجعي تلك الضوابط الإعلامية؛ كالرقابة الإسلامية، والضوابط الدينية والسياسية والاجتماعية والأمنية.

ومن المفاهيم الإعلامية لدى النجعي ارتباط الإعلام العربي ببعضه بعضاً من خلال موائيق الشرف الإعلامية التلفازية والإذاعية، على المستويين العربي والإسلامي، والانتشاء إلى رؤية جديدة مشتركة.

كما أن النجعي لم ينس أكبر مؤثر إعلامي، وهيمنته على وسائل الإعلام؛ ألا وهو: الأقمار الصناعية والقنوات الفضائية، سواء أكانت حكومية أم تجارية، وما ينتج عن ذلك من غزو إعلامي، وما يمكن أن يواجهه بثقافة وطنية، ووسائل أخرى، ولا سيما فيما يركز عليه من إسهامات الخبراء، وحسن استخدام التقنية الحديثة. ويظل المشاهد أو المتلقي هو الركن الأساس في عملية وسائل الإعلام



كما أن النجعي يتخذ موازنة أخرى، حين يرى بعض القصور السلبي في تلك العملية الإعلامية، فيتملمسه ويجسده، كي يقودنا إلى الموقف الإيجابي، والاقتداء بكل ما هو صالح. وكل ذلك من خلال العودة إلى تلك الآية الكريمة، فيما يمكن له أن يوظفها في العملية الإعلامية. فيرى أنه رغم أن دولاً عديدة، ومعظمها من الدول الغربية، قد جعلت من بحوث المتلقين أو المشاهدين والمستمعين والقراء أساساً لسياساتها البرمجية، ومنطقاً لخدماتها الإعلامية؛ إلا أن معظم مؤسساتنا الإعلامية الإسلامية لاتزال تفتقر تماماً إلى هذا النوع من البحوث الإعلامية.. علماً بأننا ل نستطيع بلوغ أهدافنا الإعلامية ما لم نعرف طبيعة الجمهور الذي نتحدث إليه... وقد وردت في

الآية الكريمة عبارة: ﴿يُبين لهم﴾ والتي تشير بوضوح إلى الانسجام والترابط بين (الرسالة الدعوية) أو الإعلامية، وبين المتلقي، لما تحمله هذه العبارة من معاني التفاعل والإيضاح، مما يعني حتمية معرفة الجمهور عند إرادة بلوغ أي هدف من أهدافنا الاعلامية.

وأخيراً، فإن اتصال النجعي بالإعلام، والتصاقه بواقعه العملي والميداني، وتفهمه لمضامينه العلمية والفنية، وإدراكه لأهدافه القصوى، وأهميته الكبرى في مختلف الشؤون الداخلية والعالمية والحضارية.. جعله يتم بحته بأن يلحقه ببعض المواثيق الإعلامية التي تمخضت عن توصيات بعض الدول العربية والإسلامية وقراراتها في مؤتمرات سبعة متلاحقة.

ومنهجه، وعرض أفكاره، واستخلاصه لبعض القيم الفكرية والحضارية تصل به دوماً إلى قواعد متينة أشبه بالحكم التي لاتشوبها شائبة من الاعوجاج والميل والانحراف. وإن تكرر بعضها في موضوعات شتى. أو استمدت تلك القواعد الراسخة من فكر الآخرين ورؤاهم، فإن لطريقة عرضه، وتمازج الأفكار لديه وتلاقحها، تمنحنا صورة مثلى عن كتاباته. فهو قد يضعنا في مواجهة مع فكر الآخرين، ثم يسترسل بنا في تتابع الأخبار، وتواردها بتسلسل منطقي، بحيث يعرض ما يشاء عرضه وفق بدايات الآخرين الفكرية. وقد يمهّد للفكرة، ويؤكدها، ويجسد معالمها، فنبذو وكأنه ابتكرها، ثم يدعمها بفكر الآخرين أو نصوصهم. لتجيء الكتابة متوازنة متوازنة في معانيها ودلالاتها.

فأي موضوع من موضوعات هذا الكتاب، يسير في هذا الاتجاه، وذلك المنحى في عملية فكرية وتعبيرية، متحركة متجددة متنامية إلى السمو حتى النهاية؛ ليخرج القارئ بحصيلة ثرة من الفكر المتزن المتلاحق المنقح.

وإن في إحالة البليهي قارئه إلى الآخرين من الأجانب والعرب، قدامى ومعاصرين، بعرض نصوصهم وتحليل فكرهم بما هو في صده من آراء وأحكام ومواقف ورؤى. إن في ذلك لعدم ادعاء بإبداع تلك الأفكار أو ابتكارها، ويكفيه أن كتاباته أخذت تصطبغ بالعمق والوضوح والمنطق والمصادقية، كما أخذت تشد القارئ حتى نهاية المطاف إلى عالم الفكر، ذلك العالم الرائع، كي ينهل منه أطيب الرؤى، وأحسن الآراء والأحكام، عسى أن تتغير أمور العباد والناس، ولاسيما المثقفين إلى الأفضل والأروع.

ولقد كان البليهي، من حين لآخر - ولاسيما في الصفحات: ١٣-١٠٦-١١١-١٣٥-١٦٠- ينهل من الفكر الإسلامي ببعض آياته وأحاديثه؛ كاستشهاده بحديث شريف، وهو بصدد الانتهاء إلى أن أعظم المبادئ وأرفع التعاليم تبقى ظاهرة صوتية أو حبراً على ورق إذا لم تلامس شغاف القلوب، وتصبح هي الهوى المحرك للسلوك. بذلك نفهم قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به» ص ١٣. على أن تلك المناهل كانت قليلة، وبخاصة أن التصور الإسلامي كان ضرورة مقنعة ومخرجة من الارتباك أحياناً، حين تصبح الرؤى غائمة في مواقف الخلاص من الصراع والضياغ والخيرة. فكنا نتمنى



إبراهيم البليهي

**العنوان: بنية التخلف.**

**المؤلف: إبراهيم البليهي.**

**الناشر: مؤسسة اليمامة الصحفية، كتاب الرياض (١٦). ١٤١٥ هـ (٢١٨ ص).**

لجانب كبير في الإنسان، ألا وهو عقله، فتصبح أفكاره وآراؤه مترنة وصائبة، في مقدماتها ونتائجها، وتظل تتمحور وتدور في فلك العقل الموضوعي، والبحث عن الحقيقة في أغوار النفس الإنسانية، وتقضي العيوب التي تهدم البناء الفكري، مما يعيش في أعماق نفوس البشر. وربما كانت هذه هي طبيعة العباد التي فطروا عليها، ليبقى الصراع قائماً بين الخير والشر، والصالح والطالح.. وهو ما نراه في كل المجتمعات. وهذا ما كان مصدر كتابة البليهي، وباعته على صياغة أفكاره وآرائه. وربما كان ذلك دافعه إلى التأمل وإطالة التفكير والبحث في أوضاع المجتمعات البشرية، وفي معرفة وتفهم العوامل التي قد تدفع بمجتمع ما إلى الصدارة أو بقي مجتمعا آخر مستكيناً في مستنقع التخلف. ولهذا أصبح البليهي «مقتنعاً بأن كل مجتمع يعيش داخل بنية نفسية هي التي تتحكم في مساره صعوداً أو هبوطاً».

ولأن الجانب الفكري هو السائد في موضوعات البليهي، فإنه لا بد أن يتمتع بقسط وافر من الذكاء، وقد تبدى لنا ذكاؤه في طريقة كتابته،

تتابع جريدة «الرياض» طباعة المقالات المختارة لبعض كتابها، بشكل دوري وشهري. وجاء كتاب «الرياض» العدد السادس عشر، إبريل ١٩٩٥م، بعنوان «بنية التخلف» لإبراهيم البليهي، يجمع تسع وعشرين مقالة، نشرت معظمها في عام ١٤١٤ هـ، وتنصب في خضم العقل والفكر والعلم والمعرفة؛ أي يتجه الخطاب إلى الإنسان في هذه المجتمعات المعاصرة؛ صاحب العقل والفكر، وصانع العلم والمعرفة. وقد وجد الكاتب أن التخلف هو الأصل في تكوين أي مجتمع، أما الانفلات من قبضته وتحقيق الرقي أو النهوض، «فهو الاستثناء الذي لا يطرأ على حياة أي مجتمع إلا بإدراك ضرورته والاحتشاد له والإصرار عليه». لأن ثمة عوائق جذرية يقيّمها التخلف لحماية ذاته داخل بيئته القوية المغلقة، ولهذا فقد واكبت موضوعات البليهي العقلية والفكرية، موضوعات أخرى ترفدها، وقد تبدو أنها تعوقها، كالعواطف والأهواء، مما قد تقتل القيم الفكرية، وتقود إلى الانقياد الأعمى والتحييز ومجانبة الموضوعية.

ومن هنا جاءت كتابات البليهي لتعبر الاهتمام



بمفهوم «التقوى»، وهو الخوف من عذابه، وما يمكن لهم أن يصنعوه في دنياهم من وقاية تقيهم غضبه يوم الحساب الأكبر. فمحاولة انتشار العالم من فسادته وسقوطه وضياعه وحيرته، لا تكون إلا باللجوء إلى الدين وتعاليمه.

لو خاض الكاتب غمار العمق الإسلامي، وسبر غور النفس البشرية كما وردت في تعاليم السماء لأهل الأرض، لأن الله سبحانه وتعالى أعلم بخلقهم؛ إذ وضعهم أمام نفوسهم، وما اتصفت به من صراع بين الخير والشر، ثم وضعهم أمام تجربة ذلك الصراع، لينتهوا إلى قرار حكيم يتحقق

ماذا يقول الواصفون له  
وصافته جلّت عن الحصر  
هو حجة لله قاهرة

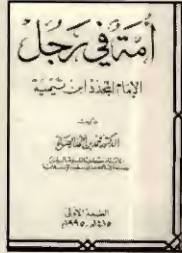
هو بيننا أعجوبة الدهر  
هو آية في الخلق ظاهرة  
أنوارها أربت على الفجر

والصورة التي رسمها المؤلف عن ابن تيمية بالغة الوضوح، سواء أكانت في الفقه أم في المواقف السياسية والحربية في مواجهة أعداء الإسلام من تزار وطوائف منحرفة، وقد أثار المؤلف سؤالاً حول المجتهد المطلق والمجتهد المقيد، وهو: «هل كان ابن تيمية فقيهاً منتسباً أو فقيهاً مطلقاً؟» وأجاب عنه من خلال تأكيد إجابته بنص للسيوطي؛ إذ إن شيخ الإسلام ابن تيمية كان مجتهداً مطلقاً، لأنه تخير أصولاً وقررها بالأدلة، واحتج لها، وبنى عليها أحكاماً اجتهادية، أو مرجحاً بين المذاهب. وقد أفتى بتلك الأصول في الفقه كله، وإن لم يكن قد أنشأها، ولهذا يقول السيوطي: «لهج كثير من الناس اليوم بأن المجتهد المطلق فقد من قديم، وأنه لم يوجد من دهر إلا المجتهد المقيد، وهذا غلط منهم، ماوقفوا على كلام العلماء ولا عرفوا الفرق بين المجتهد المطلق والمجتهد المستقل، ولا بين المجتهد المقيد ولا المجتهد المنتسب، وبين كل مما ذكر فرق».

ولكن كانت عقيدة ابن تيمية سلفية في فهم الإسلام من خلال دعائمي الكتاب والسنة، فإنه قد كل منهج لا يأخذ بتلك السلفية من فلاسفة، ومعتزلة، وماتريدية، وأشاعرة. فقد انتقد أولئك الذين قدموا العقل على الأدلة القرآنية بقوله: «إنهم جعلوا الحاكم - الشرع - محكوماً للعقل، فجعلوا من النبوة الحاكمة الهادية للعقول محكومة بها خاضعة لها».

ولهذا فإن ابن تيمية ناقش كل المذاهب الدخيلة على الإسلام والمسلمين، وكان يرى أن منهج السلف ليس واحداً من أي منها، بل غيرها جميعاً. فالعقيدة لا تؤخذ إلا بالنصوص، وكذلك أدلتها. فالسلفيون يؤمنون بالنصوص، ولا يعولون على العقل في مجال العقيدة، لأن العقل يضل.

إن كتاب د. محمد الصالح عن شيخ الإسلام ابن تيمية حافل بالمعلومات والأخبار والنصوص والمواقف والرؤى التي تزيد المسلم إعجاباً بتلك الشخصية الإسلامية الفذة.



د. محمد الصالح

العلماء أبو محمد عز الدين عبدالعزيز بن عبد السلام. ويذكر المؤلف آخرين في هذا القرن، ليقف عند ابن تيمية، الذي «هو المجدد في زمنه بلا منازع». وكانت ولادته سنة إحدى وستين وستمائة، ووفاته سنة ثمان وعشرين وسبعمائة هجرية.

وإذا كان المؤلف قد تحدث عن الجوانب السياسية والاجتماعية في عصر ابن تيمية، فإنه ركز كثيراً على الجانب الفكري والعلمي، حيث وجد أن عصره يتسم بالتقليد والاتباع لا الابتكار والإبداع، فقد وقف الفقهاء على ما رسمه لهم أئمة المذاهب الأربعة، وكانوا في هذا مقلدين للعلماء السابقين، الذين يقولون إن باب الاجتهاد قد انسد منذ القرن الرابع، وعلى طلاب العلم أن يحسنوا تقليد من سبقهم، فإن فعلوا ذلك فقد وصلوا إلى الغاية. كما أن عصر ابن تيمية يتسم بانتشار الصوفية والتصوف، واضطهاد الفلسفة والمشتغلين بها.

ولم يبلغ ابن تيمية مكانته العلمية والدينية والتاريخية إلا بشخصيته الفذة التي جمعت كل صفات العلماء الأجلاء من حافظة قوية واعية، وحضور بديهة، وقوة فراسة، واستقلال فكري، وهيبة ووقار، وصبر وقوة احتمال، وإخلاص في طلب الحق.. وتجلى هذا الإخلاص في زهده وإعراضه عن المناصب وزخرف الدنيا وزينتها، فلم يتول منصباً أو يسع إليه. يقول فيه الزمكاني رغم الاختلاف معه:

العنوان: أمة في رجل.. الإمام المجدد  
ابن تيمية.  
المؤلف: د. محمد بن أحمد الصالح.  
الناشر: ط ١، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.  
(٣٠٠ ص).

يضيف مؤلف كتاب «أمة في رجل.. الإمام المجدد ابن تيمية» رؤية جديدة عن شيخ الإسلام ابن تيمية، لمن كتب عنه من المؤلفين المحدثين، وما أكثرهم، ولا سيما أن ثمة حملة معاصرة تحاول تشويه فكره، فجاء هذا الكتاب ليضيء لنا جوانب عديدة من عصر ابن تيمية، وشخصيته العلمية والقتالية والتجديدية، فضلاً عن منهجه في التفسير والتوحيد وعلم الكلام وأصول الفقه، واجتهاداته وآرائه في الدولة، ومآلتي من محن. كما أضاف لنا المؤلف أخباراً ومواقف، تضيء معالم بارزة في حياته، والأحداث التي عاصرها، فأكمل لنا الصورة الناصعة لتلك الشخصية التاريخية والدينية الفذة.

والتجديد الذي نعت به المؤلف، يعد استمراراً لحركة التجديد والمجددين في تاريخ الإسلام الفكري والديني. مصداقاً للحديث الشريف: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها». والمقصود بهذا التجديد تنقية الإسلام من أي شائبة، والعمل على إحيائه بالاهتداء بكتاب الله وسنة رسوله. وأورد لنا المؤلف مجموعة من المجددين على رأس القرون السبعة الأولى، وأولهم: عمر بن عبدالعزيز، ثم الشافعي على رأس المائة الثانية، أما أبرز مجدددي القرن الثالث فكان أحمد بن حنبل، وفي القرن الرابع أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر وهو من فقهاء المالكية، وفي القرن الخامس الغزالي، والسادس ابن العربي، والسابع سلطان





## اليوم الوطني

بمناسبة ذكرى اليوم الوطني للمملكة العربية السعودية  
تتقدم أرامكو السعودية بأسمى آيات التهاني وأجمل الأمنيات إلى

خادم الحرمين الشريفين

الملك محمد بن عبد العزيز آل سعود

وصاحب السمو الملكي الأمير

عبد الله بن عبد العزيز آل سعود

ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني

وصاحب السمو الملكي الأمير

مطال بن عبد العزيز آل سعود

النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران والمفتش العام

وإلى حكومة المملكة العربية السعودية وإلى الشعب السعودي الكريم

أرامكو السعودية

شركة الزيت العربية السعودية





# المتحف الوطني للآثار

معزوز عبدالحق

يعدُّ المتحف الوطني للآثار من أقدم متاحف الجزائر وأكثرها أهمية، لما يتضمنه من تحف ومجموعات فنية نادرة تنتمي لختلف العصور التاريخية التي تعاقبت على الجزائر من القرن الثالث قبل الميلاد حتى القرن التاسع عشر الميلادي. ويحتلُّ هذا المتحف الغني مساحة واسعة من جانبي البوابة الرئيسة لحديقة الحرية الجميلة في شارع صالح بو عكوير قريباً من وسط العاصمة الجزائرية، ويشرف بناؤه على العاصمة لوقوعه على كتف هضبة الجزائر، ولا يبعد إلا ببضع مئات الأمتار من متحف (الباردو). وهو واحد من أهم مراكز الدراسات التاريخية والأثرية؛ حيث تنشط فيه مجموعة عمل لا تكلل ولا تمل عن إجراء البحوث الأثرية، وتصنيف القطع والتحف والمخطوطات، وتعريف الزوار بالمراحل والحقب التاريخية التي تعاقبت على البلاد، مع التركيز على إبراز الشخصية العربية الإسلامية المتميزة للشعب الجزائري من خلال الشواهد الأثرية الملموسة. يرجع تاريخ إنشاء المتحف إلى عام ١٨٩٧م، وفي عام ١٩٠١م جرى توسيعه بإضافات قاعات جديدة إلى القسم المخصص للتحف والقطع الأثرية الإسلامية؛ بسبب اكتشاف المزيد من هذه التحف وتقاطر الهبات الفنية الإسلامية من متاحف البلدان الأخرى، وأيضاً عقب إقامة معرض الفنون الإسلامية عام ١٩٠٥م؛ حيث تلقى المتحف العديد من القطع الأثرية المعروضة لغرض حفظها وترميمها وعرضها على الزوار. حمل المتحف اسم العالم الآثاري الفرنسي «ستيفان جازال» عقب وفاته عام ١٩٣٢م. واتخذ اسمه الجديد عقب استقلال الجزائر عام ١٩٦٢م.

## تقسيم المتحف

ويستشفّ مراحل التطور الذهني والفكري عبر العصور من خلال اطلاعه على تطوّر النحت والتصوير وصناعة الأدوات والقطع الفنية. ويقسم المتحف إلى ثلاثة أقسام رئيسة: قسم التاريخ القديم، وقسم الفترة المسيحية البيزنطية، وقسم التاريخ الإسلامي.

### قسم التاريخ القديم

يضمُّ قطعاً أثرية نادرة يعود تاريخها إلى الفترة النوميديّة والبنوية من القرن الثالث قبل الميلاد حتى القرن السابع الميلادي، الذي شهد سقوط الدولة البيزنطية ودخول الفاتحين العرب

يتميّز مبنى المتحف بمخطّطه المستوحى من مخطّط البيت الإسلامي المشرقي المتمثّل بصحن مكشوف تحيط به الغرف من جوانبه الأربعة. ويضمُّ اثنتي عشرة قاعة موزّعة توزيعاً تسلسلياً بحيث تحيط بالصحن وتسمح للزائر بالتنقل من قاعة إلى أخرى في دورة كاملة تنتهي عند نقطة البداية. وبهذا، يمكن للزائر أن يتنقل في قراءاته التاريخية للمعروضات وفق تدرّج زمني مضبوط وكأنه يطالع كتاباً متسلسل الحلقات والفصول، ويطلع على عناصر الترابط الحضاري



قارورة بارود من الخشب (الجزائر ق ١٩م) تتكون من بدن دائري ورقية مخروطية تزينها زخارف محلية تذكرنا بجن شمال أفريقيا القديم (ق ٥، ٤م)



# فيما الحاضر



خنجر مغربي (ق. ١٨٠٠ م) وهو  
خاص بمنطقة نديف أو إيدا  
بالمغرب الأقصى



صحن من الخزف (إيران) بتأثيرات صينية تزيه زخارف شكلت باللون الأزرق على أرضية بيضاء

الحضارة العريقة سوى بعض التماثيل والنقوش ذات العلاقة بالجانب الروحي والعقائدي مثل (إله بعل آمون)، و (الإله تانيت) إله الحصب والجمال، و (الإله الأعظم بعل) المنقوش على صينية برونزية محفوظة في خزانة زجاجية بقاعة الديانات الوثنية، ويظهر على هذه الصينية رأسا كبشين متجاهين. ونقع في القاعة نفسها على مجموعة من النقوش الحجرية تظهر عليها كتابات ليبية قديمة بالإضافة لمجموعة أخرى من الفخاريات البونية المعروضة في قاعة الوثنيات.

بناء صرح الحضارة الإنسانية. العصر البوني: امتزجت في هذه الحقبة حضارتان: الأولى ذات طابع مشرقى جاءت مع الفينيقيين الذين قدموا من «صور» على الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط عام ٨١٤ قبل الميلاد، والثانية ذات طابع محلي وتمثلت في مساهمات الليبيين القدماء والنوميديين الذين جاؤوا من بعدهم بدءاً من القرن الثالث قبل الميلاد. وعرفت هذه الحضارة، التي سادت شمال أفريقيا كله، بالحضارة البونية. ولم يبق لنا الزمن من آثار هذه

ينطلق أحياناً من العقائد والديانات التي كانت متبعة بحيث أفردت قاعة لعهد الديانات الوثنية، وأخرى لعهد الديانة المسيحية. على أن ما تعرضه هذه القاعات من شواهد أثرية مادية للحضارات التي تعاقبت على الجزائر، كالتماثيل، والمنحوتات بمختلف أشكالها، والكتابات المتنوعة، والأواني الفخارية، والحلي، واللوحات الفسيفسائية والأدوات الأخرى ذات الاستعمالات اليومية الواسعة، يعكس بحق جوانب عديدة من حياة تلك الأمم والمجتمعات وتبرز مدى مساهمة أرض الجزائر في

المسلمين إلى أرض الجزائر. وتشمل هذه الفترة المراحل التالية:

- ١- العصر البوني والليبي والنوميدي.
- ٢- العصر الروماني.
- ٣- العصر الوندالي.
- ٤- العصر البيزنطي.

ولقد وزعت آثار هذه العصور على خمس قاعات، بعد أن رُتبت ترتيباً زمنياً بالدرجة الأولى. ولم يكن بالإمكان اجتناب الترتيب وفق أنواع المواد المعروضة بحيث أفردت خزانات زجاجية خاصة للرخاميات وأخرى للبرونزيات وغيرها. وكان الترتيب





نقد فضي ليوبا الأول (ق ١٩ م.) حفيد ماسينسا، أصبح ملكا في عام ٦٠ ق.م.



قناع من الفخار المشوي كان يستعمل كتميمة

الزجاجية والأواني والأدوات، التي جلبت من مختلف المدن الرومانية المندثرة؛ كمديني شرشال (تبعد بنحو ٧٠ كيلو مترا إلى الغرب من عاصمة الجزائر)، وتيبازة (تبعد بنحو ٥٥ كيلو مترا إلى الغرب من عاصمة الجزائر) اللتين تعدان المورد الرئيس لممتلكات المتحف لاسيما من المنحوتات والفسيفساء. ومن أثنى القطع المعروضة في قاعة الوثنيات تابوت رخامي نحتت على جداره رسوم تحكي قصة (الإله ييلوروفون). وتوجد في قاعة أخرى خزانة تضم قطعاً برونزية يعود تاريخها للقرن الثاني الميلادي نقشت على إحداها صور تمثل الثالوث «سيرابيس» SERAPIS و«إيزيس» ISIS و«حورس» HORUS، وهم ينتمون لآلهة الديانة المصرية القديمة.

وتعد قاعة المنحوتات الرخامية واللوحات الفسيفسائية من أجمل قاعات الفترة القديمة. وتبرز فيها لوحة «غراميات جوبيتر» التي سبق

المعروضات التي يقع عليها الزائر من الناحيتين الكمية والنوعية. وتتمثل مخلفات ذلك العصر



وعلى من النحاس - مصر - ق ١٦ م

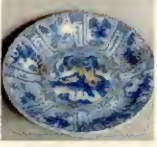
بخاصة بالمجموعة المهمة والنادرة من التماثيل الرخامية واللوحات الفسيفسائية والفخارية والقطع

وأغناها بالتراث الحضاري. وتعد المجموعات الأثرية التي يضمها المتحف لهذه العصور من أهم

العصر الروماني (١٤٦ ق.م - ٤٣٠ م): يعد العصر الروماني من أهم العصور القديمة في الجزائر



# المتحف الوطني للألمانية في الجزائر



بالحرير، وتمثل عقود بيع وجداول حسابية وجدت في ضواحي مدينة (تبسة) أقصى شرق الجمهورية الجزائرية.

## القسم البيزنطي

يتميز الطابع الديني القطع الأثرية التي يضمها المتحف لهذه الفترة الممتدة بين عامي (٥٣٤م - ٦٤٠م)؛ حيث تنتمي إلى العهد الذي شهد اعتراف الإمبراطور البيزنطي (جوستينيانوس) رسميا بالديانة المسيحية، وازدهرت فيه فنون بناء القطع الجدارية الخاصة بتزيين الكنائس والقبور والحصون والتروس.

البرونزية. ولعل من أجمل هذه القطع تمثال الطفل الذي يحمل نسراً، وتمثال فينوس وهي تستعد لدخول الحمام.

العصر الوندالي (٤٣٠م - ٥٣٤م): بالرغم من الحكم القصير للوندال في شمال أفريقيا إلا أنهم تركوا لنا من الآثار ما خلّد فترة حكمهم التي استمرت نحو قرن من الزمان. وتمثل الآثار الوندالية التي يضمها المتحف في خمس وأربعين لوحة خشبية تعرف باسم (لوحات ألبرتيني)، نسبة إلى العالم الآثاري الذي تمكّن من حل رموزها المكتوبة

اكتشافها في مدينة برج بوعرييج (٢٨٠ كيلومترا إلى الشرق من العاصمة الجزائرية). وتضم القاعة نفسها تماثيل بالحجم الطبيعي للآلهة (نبتون) NEPTUNE و(ديميتر) DEMETER و(فينوس) VENUS و(هيرمافروديت) HERMAPHRODIT.

وأما الأعمال الرومانية، التي اتجهت فيما بعد أكثر نحو الواقعية، فنذكر منها تماثيل: (أنطونيا مينورا) و(باخوس) و(المرأة الملتحفة)، بالإضافة إلى مجموعة مهمة من المصاييح الزيتية المختلفة والقطع

ويضم المتحف من آثار تلك الفترة جداريات فسيفسائية كبيرة وقطعا نحاسية كان يستعملها الرهبان بالإضافة لبعض المسكوكات النقدية القديمة.

## القسم الإسلامي

شهدت بداية القرن السابع الميلادي الحملات المتكررة والظافرة للفاطحيين المسلمين في شمال أفريقيا على معاقل الدولة البيزنطية وحصونها التي أخذت



حامل من البرونز  
ثلاثي الأرجل ينتهي  
كل رجل بتمثال  
لأوسيانوس يحمل  
نيرييد

شمعدان من  
البرونز (مصر ق  
١٣ م). تزيينه  
زخارف محززة  
ومرصع بالفضة  
قوامها عناصر  
نباتية وكتاية بخط  
الثلث الجميل







الجزائريين بضرورة إنشاء قسم خاص بالآثار والفنون العربية الإسلامية.

وعلى إثر انتهاء فعاليات معرض الفنون الإسلامية الذي أقيم في الجزائر عام ١٩٥٥م، عرف هذا القسم تطوراً كبيراً بفضل الهبات من القطع الأثرية التي ضُمَّت إليه حتى أصبح يستأثر بأكبر عدد من قاعات المتحف، وأضحى عدد قاعاته سبعة، بالإضافة إلى الصحن الذي يضم معظم مجموعات الكتابات العربية والعثمانية وبعض الكتابات العبرية اليهودية. وتجدر الإشارة إلى أن القيمين على المتحف قاموا بإثرائه بالتحف الإسلامية الآتية من مختلف الأقطار الإسلامية في إطار التعاون الثقافي وتبادل التحف الأثرية. يضم المتحف مجموعات فنية وأثرية لا تقدر بثمن، وتنتمي إلى مختلف المجموعات البشرية

تسقط تبعاً، حتى هوت آخرها عام ٦٤٠م. وبدأ المسلمون المنتصرون يرسم معالم الحضارة الجديدة التي وضعوا أسسها الراسخة في أصقاع شمال أفريقيا بعد أن استجاب أهلها كافة لدعوة الإسلام.

ولقد تركت هذه الحضارة لنا تراثاً أثرياً زاخراً يعبر بمجموعه أصدق تعبير عن تطور المجتمع وأسلوب عيشه والأدوات التي كان يستعملها ويطورها. ويضم القسم الإسلامي في المتحف آثاراً إسلامية تمتد تاريخها من القرن العاشر الميلادي حتى أواسط القرن التاسع عشر. ولعل من المفارقات أن يعود فضل تأسيس هذا القسم إلى العالم الآثاري الفرنسي ستيفان جازال الذي استجاب لإلحاح المثقفين



مصباح من البرونز بمقارن من العهد البيزنطي

التي حكمت الجزائر وبلدان المغرب العربي، ابتداء من القرن العاشر الميلادي كالدولة الرستمية والزيرية والمرابطية والحَمَّادية والموحدية والزَيَّانية والمرينية.

وهذه الشواهد المادية الحية التي يلمسها زائر المتحف لأول وهلة، تبرز مدى ما وصل إليه الفن الإسلامي من تطور رفيع، ومدى مساهمة شعوب شمال أفريقيا في تلك الفترة في بناء صرح هذه الحضارة التي بلغت أوج التقدم والرقي في العصور الوسطى.

ومن الشواهد الأثرية التي يضمها المتحف لتلك الفترة، مجموعة من اللوحات الجصية علقت في جدار إحدى القاعات تُشاهد فيها نقوش وزخارف لنباتات، وأشكال هندسية، وكتابات كوفية كانت تزين جدران البيوت القديمة. إلا أن أهم مجموعة من التحف الإسلامية التي يمتلكها المتحف هي تلك التي تعود في تاريخها إلى عهد الدولة الزيرية الحَمَّادية، والتي جلبت كلها من قلعة



مذبح بقايا القديسين (تقاوس ق. ٦٠٠م) مصنوع من الأباطر يمثل بيتاً على الطراز البربري



قدح من الفخار (فرداياء، ق. ٢ ق.م) تزينه زخارف محلية



بشطولة (الجزائر، ق. ١٨م) وهي عبارة عن سلاح ناري وسلاح أبيض في الوقت نفسه، مقبضها مطعم بالمرجان ومرصع بالفضة

بني حمّاد ومدينة أشير التاريخية وبجاية (الناصرية). كما توجد في المتحف آثار الدولة المرابطية التي ظهرت في منتصف القرن الحادي عشر الميلادي آتية من الصحراء، فتركت بصماتها الواضحة على نسق التطور وسير الحياة العامة في هذا الجزء من شمال أفريقيا.

وتمثلت القطع المثلثة للعهد الإسلامية كافة في المتحف باللوحات المنقوشة على الخزف، والرسوم والخطوط الرائعة المنقوشة على الأبواب، والمطرزات، والأسلحة المختلفة التي خصصت لعرضها وحفظها ثلاث خزائن، والأواني الفخارية والنحاسية والفضية التي احتلت حيزاً كبيراً من واجهات المتحف، والكتب والمخطوطات العربية الإسلامية النادرة.

ويحتوي قسم التحف الأثرية المجلوبة من أقطار العالم الإسلامي وأمصاره على مجموعة نادرة من القطع الخزفية الفارسية، والصناديق النحاسية المفضضة التي تعود إلى عصر الماليك في مصر، والزجاج الملون الذي اشتهرت به سورية، والكثير من التحف الأندلسية المزخرفة.

وخلاصة القول، إن المتحف الوطني للآثار في الجزائر يمثل بحق نافذة واسعة يطلُّ منها الزائر على التعاقب التاريخي للحضارات التي سادت الجزائر، وعلى الإنجازات الحضارية التي حققتها، وطريقة عيش شعوبها، وأسلوب تطورها عبر ما يزيد على سبعة وعشرين قرناً.



# البحر البحر يأكل أطراف

## اليابسة

تتردد، من وقت لآخر، صيحات الاستغاثة من طغيان البحر على اليابسة في كثير من السواحل المطلة على بحار العالم ومحيطاته؛ ففي ولاية كارولينا الشمالية - على سبيل المثال - كان ثمة (فنار) بساحل يسمى (رأس هاتيراس)، بني في عام ١٨٦٠م على ربوة متوسطة الارتفاع، تبعد من الشاطئ مسافة ثلاثة آلاف قدم، وقد تآكل الشاطئ، حتى إن ذلك الفنار أصبح الآن يقف في مياه البحر! كما تتآكل شواطئ مجموعة من الجزر تقع أمام ساحل الولاية نفسها، بمقدار ٦٠ قدماً في السنة.

رجب سعد السيد



أحد المراجز المكونة من وحدات خرسانية ذات أربع أرجل أقامته جزر المالديف لحماية سواحلها من التآكل.

وعلى مدى ١٧ سنة فقط، تسبب نحر الشاطئ في انكماش ولاية لويزيانا بمقدار ٣٠٠ ميل مربع. وفي كاليفورنيا، يتراجع الشاطئ أمام غزو المحيط، بمقدار يتراوح بين ست إلى أربع وعشرين بوصة سنوياً. أما الساحل الفرنسي المطل على المحيط الأطلنطي بطول ٥٣٠ ميلاً فإنه يفقد سنوياً ياردة كاملة، بفعل الأمواج. وفي بلجيكا وألمانيا يتحد النحر مع ارتفاع مستوى سطح البحر، في تهديد قرى ساحلية كاملة! وفي نيجيريا، بدأت ملاحظة ظاهرة تراجع خط الشاطئ، جنوب العاصمة لاجوس، نتيجة للنحر، منذ ما يقرب من نصف قرن، وبمتوسط فإنه يفقد سنوياً ياردة كاملة، بفعل الأمواج. وفي بلجيكا وألمانيا يتحد النحر مع ارتفاع مستوى سطح البحر، في تهديد قرى ساحلية كاملة! وفي نيجيريا، بدأت ملاحظة ظاهرة تراجع خط الشاطئ، جنوب العاصمة لاجوس، نتيجة للنحر، منذ ما يقرب من نصف قرن، وبمتوسط فإنه يفقد سنوياً ياردة كاملة، بفعل الأمواج. وفي البرازيل، وفي البرازيل، تهدد الظاهرة نفسها وجود الشاطئ السياحي الشهير (كوبا كابانا) ومستقبله. ويمكن رد هذه الظاهرة إلى مجموعتين من الأسباب، أولاً: أسباب طبيعية؛ مثل التيارات البحرية والأمواج وحركات المد والجزر؛

بالإضافة إلى احتمالات ارتفاع مستوى سطح البحر، نتيجة ذوبان كتل جليدية ضخمة من الأغنية القطبية، تحت تأثير ارتفاع درجة حرارة المناخ الأرضي الناتج من الظاهرة المسماة بالدفينة. أما المجموعة الثانية من الأسباب، فهي من صنع البشر. وإذا تدخل البشر



في الطبيعة فحدث ولا حرج!

إنهم يشاركون في تسهيل مهمة البحر لابتلاع أطراف من اليابسة، وتأخذ تلك المشاركة صوراً عديدة. إنهم يقيمون السدود على الأنهار لضرورات اقتصادية ذات صفة محلية يرونها. ولكنهم يتناسون، أمام تلك الضرورات، آثاراً جانبية خطيرة تربط بتخزين المياه وتنظيم سريانها في الأنهار. وأهم تلك الأخطار هو حرمان مناطق مصبات الأنهار من كميات ضخمة من الطين والمواد الرسوبية العالقة بمياه النهر، وكانت تلك الكميات من الطين تحقق لسواحل المصببات دفاعاً طبيعياً ضد الأمواج والتيارات البحرية المسببة للنحر. وبمرور الوقت، تفقد تلك السواحل دفاعاتها، وتأخذ في التعري، ولا يلبث البحر أن يأخذ في ابتلاعها، شبراً فشبراً، سنة بعد أخرى!

وقد تدعو الحاجة إلى إقامة موانئ بحرية جديدة في مواقع بعينها على الساحل. غير أن إنشاء ميناء جديدة يعني تغيير ملامح البيئة الساحلية وكسر النظام الطبيعي لحركة الكتل المائية في منطقة الميناء والمناطق المحيطة بها، فتضطرب مسارات التيارات البحرية، وتبدأ في نحر مناطق معينة من الشاطئ، ونقل الرسوبيات إلى مناطق أخرى.

وحتى عمليات إنشاء الاستحكامات وأنظمة مقاومة النحر، يمكن أن تحفز النحر في مناطق أخرى، لأنها - خصوصاً إذا كانت تنقصها الدراسة العلمية السليمة - قد توجه التيارات البحرية بشكل خاطئ يؤدي إلى زيادة معدلات النحر في مناطق مجاورة.

ولانريد أن نعرض للأجهزة

المسؤولة عن تخطيط المناطق غير المأهولة من السواحل وتعميرها، ولا نريد - أيضاً - أن نصدم أحلام المتطلعين إلى تملك كوخ أو مسكن صيفي في تلك المواقع الجميلة، غير أننا نؤكد على أن تعمير تلك السواحل يمكن أن تكون له آثاره غير السارة على المدى الطويل. إننا ندعو إلى الاهتمام بدراسات الجدوى البيئية قبل إضافة (أعباء) عمرانية جديدة إلى السواحل، وبخاصة السواحل المصرية الغربية للبحر المتوسط، وسواحل البحر الأحمر.

لقد لاحظ خبراء الشواطئ أن تعمير السواحل بمساكن الأحلام والفنادق الفاخرة المظة مباشرة على الشاطئ يكون مصحوباً - غالباً - بإزالة الروابي الرملية الشاطئية (لفتح)

مجال الرؤية المباشرة إلى مياه البحر. ويغيب عن بال من يقومون بهذا العمل المدمر - إذا افترضنا حسن النية - أن تلك الروابي كانت تمثل الاستحكامات وخطوط الدفاع الطبيعية ضد العواصف وضربات الأمواج. فماذا نتوقع - عند إزالتها - إلا أن يتجرد الشاطئ من وسائل دفاعه، ويصبح عرضة للأمواج والتيارات؛ فيبدأ التآكل، ويفجأ السكان بأن البحر يطغى على شاطئ الأحلام، بل ويقرب من مساكنهم. ويصل التهاون في حقل التوازن البيئي، ببعض الناس، إلى حد أنهم - سعياً وراء مزيد من مظاهر الترف والرفاهية - يقطعون مساحات من الشاطئ الرملي نفسه، لتحويلها إلى حمامات سباحة خاصة ملحقة

بمساكنهم أو بالفنادق. وقد تكون المناطق المقتطعة من شريط الشاطئ موطناً لنباتات برية، تضرب بجذورها في الأرض فتثبت الرمال. إنهم - للأسف - لن يستطيعوا أن ينعموا بما شيدته أياديهم من منشآت فاخرة؛ ذلك لأن العواصف ستعمل على تعرية الشاطئ؛ بعد أن فقدت الرمال أربطتها، ثم يتوالى عمل النحر، ويصبح الموقف محرّجاً في خلال سنوات أو عقود قليلة، وترتفع الصيحات: انقذونا.. البحر يتقدم في اتجاهنا!

إن الطبيعة تعمل. هذا صحيح. ولكننا، نحن البشر، ندفع بالمشكلات إلى حد الحرج، ثم نتبهِ إلى الأخطار المحدقة بنا، ونبدأ في البحث عن مخرج...



تجريد الشواطئ من الروابي الطبيعية لإقامة المساكن يجعل اليابسة عرضة لظاهرة النحر



# النهر البحر كل أطراف الاستراتيجية

القرن الثامن عشر (الميورازي) أو الحوايط البحرية، وأقاموها حول مدينتهم العجيبة، آملين أن توفر لها الحماية من الغرق. ولازالت حوايط البحر وسيلة مؤثرة في مناطق كثيرة من العالم؛ وأشهرها ذلك الذي يحيط إحاطة تامة بشواطئ شبه جزيرة (سوبا) في فيجي.

ولأنظمة الدفاع ضد النحر عيبان رئيسان، هما:

(١) أن العواصف تؤثر فيها، وتنال منها سنة بعد أخرى، مما يجعلها بحاجة إلى أعمال صيانة مستمرة تحفظ لها كفاءتها.

(٢) أن إنشاءها يكلف أموالاً كثيرة، وتزداد التكلفة بإضافة أعباء الصيانة.

فما الحل؟

ثمة حقيقة أساسية ينبغي ألا تغيب عن البال، وهي أن النحر أو تآكل الشواطئ - كظاهرة طبيعية - لا يتوقف، ولا يمكن منعه.

كل ما يمكننا عمله: ألا نستسلم، وأن نحاول تنييط همة البحر وإعاقته عن تفثيت شواطئنا وابتلاعها...

لقد أنتجت الخبرات البشرية، على مدى تاريخ حربها ضد النحر، تلك الأنظمة الدفاعية التي أشرنا إليها. ولكن، يبدو أنها غير كافية أو غير ملائمة أو لا تؤثر بما فيه الكفاية لحماية الشواطئ، بالإضافة إلى ارتفاع تكلفة إنشائها وصيانتها. وثمة محاولات جادة تجري حالياً للبحث عن بديل لهذه الأنظمة الدفاعية التقليدية. ومن الأفكار الجديدة في هذا المجال، دعوة إلى طلب العون من الطبيعة ذاتها.. ضد الطبيعة!

ظاهرة. وهي تُبنى، في العادة، من الصخور وركائز الصلب، أو من البراميل المعبأة بخليط الإسمنت والرمل. وقد تدعو الظروف إلى إقامة حواجز أمواج مؤقتة، دون تكاليف تذكر؛ فتستخدم لهذا الغرض أطر السيارات المهملّة وأشجار أعياد الميلاد القديمة، وأي مهملات يمكن أن تصمد، لبعض الوقت، أمام تدافع الأمواج وحرّة التيارات البحرية.

ومن أشهر حواجز الأمواج المعروفة، ذلك الذي يحمي الساحل الإيطالي على البحر الإديرياتيكي في منطقة ريميني السياحية، وحاجز أمواج شاطئ اليدو في البندقية، وحاجز الأمواج القوسي الذي يحمي الميناء الشرقية بالإسكندرية.

وقد عرف سكان البندقية، في نجاح في حماية الموقع المقام فيه؛ ولكنه - كما سبق أن أشرنا - ينقل تأثير التيارات إلى مكان آخر. ومن الإنشاءات المضادة للنحر، أيضاً، الأرصفة الشاطئية أو (المراطم) التي تقام لحماية شاطئ أو قناة ملاحية من تأثير التآكل والنحر بفعل التيارات البحرية. وفي مواقع عديدة، يفضل مهندسو حماية الشواطئ أن يقيموا دفاعاتهم بعيداً من خط الشاطئ، وموازية له، وذلك لامتصاص عنفوان الأمواج، قبل أن تصل إلى الشاطئ وتبطش به. وقد تكون هذه الدفاعات في صورة مصدات أو حواجز أمواج متقطعة أو متصلة، كما لا يشترط أن تكون بارزة فوق سطح الماء، بل قد تكون مغمورة غير

فما العمل مع هذا البحر المتربص بشواطئنا؟!

تحكي دفاتر التاريخ القديم، أن سكان سواحل البحار الشمالية واجهوا أخطار طغيان البحر، فأقاموا الاستحكامات الترابية والروابي العالية التي كانوا يلجؤون إليها في حالات المد العالي. أما الآن فإن مواجهة البحر تتم من خلف إنشاءات وسواتر ودروع تشيّد من الخشب والحديد والحجارة.

من هذه التركيبات، كاسر الأمواج، وهو عبارة عن بروز شبه عمودي على خط الشاطئ، ويعمل على كسر حدة الأمواج، ولتعطيل حركة نقل وترسيب الرمال من مكان إلى آخر على طول الشاطئ.

إنه يحل مشكلة النحر جزئياً؛ إذ



إقامة السدود على الأنهار يحرم مصبات الأنهار من الطين الذي يشكل دفاعاً طبيعياً ضد التيارات البحرية



كان ذلك مؤشراً على نجاح عملية التغذية الرئيسة.

والجدير بالذكر، أن بعض شواطئ مدينة الإسكندرية - مثل شاطئ الشاطبي - قد عولجت بهذه الطريقة. ويلاحظ الكاتب أن التغذية كانت سيئة، فقد تسربت الرمال الجديدة إلى البحر.

وتنقل إلينا بعض التقارير العلمية نجاح عمليات تغذية الشواطئ المطلّة على كل من المحيطين الأطلسي والهادي، في بعض الولايات الأمريكية. وعلى سبيل المثال، فقد تمت تغذية شاطئ ميامي الشهير بولاية فلوريدا، على امتداد ١٥ ميلاً، منها عشرة أميال، باتساع مائة ياردة، بتكلفة قدرها ٦٥ مليون دولار. وفي ولاية كارولينا الجنوبية، تمت تغذية شاطئ ميرتيل الذي يصل طوله إلى عشرة أميال، وتوسيعه من ياردة واحدة إلى ثلاثين ياردة، بتكلفة ٤,٥ مليون دولار. أما شاطئ روكاواي في مدينة نيويورك، فقد استغرقت عملية تغذيته ١٢ سنة، ووصلت كمية الرمال التي (قدمت) له إلى حوالي مليون ياردة مكعبة!

ويعتقد البعض أن صيانة الشواطئ بالتغذية عملية مكلفة. ولكن الحقيقة أنها أقل تكلفة من إقامة أي من المنشآت الصلدة التي عرضنا لها فيما سبق. وعلى أي حال، فمن الممكن تقليل تكاليف العملية إذا استخدمت مضخات لها القدرة على رفع الرمال المنقولة من مستقرها إلى الموقع المطلوب علاجه مباشرة. إن ذلك يقلل تكاليف النقل؛ وهي التكاليف الأساسية في العملية كلها. وترتفع أسهم هذه الطريقة، في دراسات الجدوى، إذا علمنا أنها أقل طرق حماية الشواطئ إضراراً بالبيئة.

الشواطئ، إذا تحققت لها بعض الاحتياطات والشروط. فأولاً: يجب اختيار الموقع الذي ستجلب منه رمال التغذية بعناية؛ فإذا كانت تلك الرمال ستؤخذ من قاع البحر أمام الموقع، فلا بد من توخي الحرص، لكي لا يؤثر ذلك في ملامح جيولوجية المنطقة. ولابد - ثانياً - من انتقاء مواد «الغذاء» لتكون مشابهة للرمال الموجودة أصلاً في الشاطبي، ولا بأس في أن تكون حبيبات الرمال المنقولة أكبر في الحجم قليلاً. وثالثاً: يشترط ألا يكون

وقد تم تجريب هذه المعوقات من الأعشاب الصناعية المرنّة في الدغارك وألمانيا وهولندا وفرنسا وبعض الولايات الأمريكية. ويقوم معهد سكرييس لعلوم البحار بالولايات المتحدة الأمريكية بدراسة هذه التجارب، وتأثير بعض المشكلات الفنية على كفاءة الأعشاب الصناعية في أداء عملها. وعلى أي حال، فقد أظهرت الأعشاب الصناعية فعالية واضحة في بعض المواقع المتفرقة. وتشتمل قائمة المقترحات، أيضاً،

من الثابت، مثلاً، أن مساحات النباتات المائية التي تنمو بالقرب من الشاطئ تعمل كمصدات للأمواج، وتقلل إلى حد كبير من تأثير النحر؛ فهذه الأعشاب والطحالب البحرية - خاصة عندما يكون نموها كثيفاً - تمتص طاقة الأمواج قبل أن تصل إلى الشاطئ. وتطبق الحقيقة نفسها - بدرجة أو بأخرى - على الشعاب



الأمواج البحرية  
تحت في الصخور  
على كمر الأعوام  
والصخور الشاطبية  
تتآكل

الشاطئ شديد الانحدار في اتجاه البحر، وإلا فإن الرمال التي يتم تكديسها فوقه سوف تتسرب بسرعة إلى المياه. وبشترط، أيضاً، ألا تؤدي إضافة رمال جديدة إلى تغيير درجة انحدار الشاطئ، بل يجب الاحتفاظ بالميل الأصلي. وأخيراً، يجب متابعة الشاطئ بعد تغذيته، وأن تتكرر هذه العملية من وقت لآخر.

ويمكن تقدير مدى نجاح هذه الطريقة في حماية الشاطئ، بمقدار الإضافة التالية للعملية الرئيسة؛ فكلما قلت كمية الرمال التي يحتاجها الشاطئ في عمليات الصيانة التالية،

على أفكار أخرى لحماية الشواطئ من خطر النحر، مثل إضافة الروابي الرملية الصناعية في الشواطئ المعرضة للنحر، وتشجيرها بالنباتات المثبتة لرمالها، فلا تجرفها الرياح العاصفة والأمواج الثائرة. ويرى البعض أنه قد يكون من المفيد إحاطة الشاطئ المعرض للنحر بحواجز وأسيجة من الخشب أو من الشجيرات.

وثمة طريقة، قديمة نسبياً، تعتمد على «تغذية» الشواطئ المنهارة، باستمرار. والغذاء، بالطبع، هو الرمل. ويقول المتحمسون لهذه الطريقة إنها قد تصلح في صون بعض

المرجانية. من هنا، كان الاقتراح بغرس (ستائر) من الأعشاب البحرية، وخصوصاً من النوع المسمى (الأميناريا)، في المياه الضحلة القريبة من الشاطئ. وقد سارع بعض رجال الصناعة في أوروبا وأمريكا إلى ابتكار أعشاب صناعية، يروجون لها، ويمتدحون صفاتها التي تتضمن قيامها بعمل الأعشاب الطبيعية نفسها، وقلة التكلفة، والمرونة، بالإضافة إلى سرعة الإنجاز، وتعدد الأشكال التي يمكن أن تضفي لمسات جمالية على المكان المقصود بالحماية، وبصفة خاصة الشواطئ والمزارات السياحية.



# الرسامون الرحالون إلى الشرق

فتنهم سحرها. وبهرتهم آفاقها المتسعة، وسماؤها الصافية. فاختر الكثيرون منهم أن يسبقوا فوق أرضها بضع سنوات من أجل الانتهاء من مشاريع فنية عظيمة.

وفي المكتبات العامة، تُعدّ الكتب التي تجمع بعض هذه اللوحات فاكهة الكتب، تجذب القراء، وتبدو أشبه بعروس في أبهى زينتها. ولعل أهم هذه الكتب وأكثرها جاذبية كتاب «الرحالة الرسامون» الذي أعدته لين تورنتون وضمت فيه كافة البيانات وأهم اللوحات عن كل الرحالين الذين جاؤوا إلى الشرق وقاموا برسم عوالمه.

والكتاب قسمان: الأول مقدمة ضخمة حول: ماذا يعني الرحالة الرسام، وتاريخ هذه الظاهرة في الشرق العربي، ثم قسم آخر عن هؤلاء الفنانين، مرتب هجائياً، يتضمن عمل الفنان، ومكانته، وأبرز لوحاته.

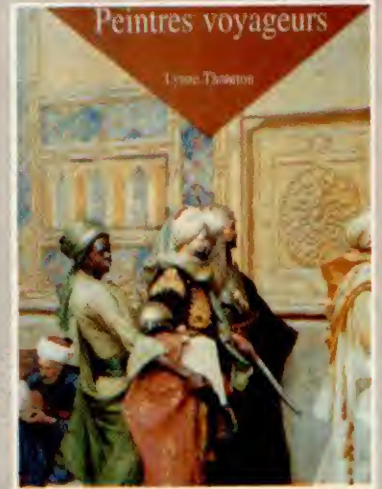
## تجار ودبلوماسيون في الشرق

وحسب المقدمة فإن الرحيل إلى الشرق كان إما بدافع المعرفة أو بدافع سياسي، وأيا كان السبب فإن الفن هو الأبقى، والفنان من

الرحالون أنواع، منهم من يعود ليكتب لك التفاصيل الدقيقة عن الأماكن التي زارها، والشعوب التي تعيش فيها؛ طبائعهم وعاداتهم، وبعض حكايته معهم. وتعيش الكلمات التي كتبها حسب صدقها وبلاغتها.

أما البعض الآخر فإنه يصورهم ويرسم تلك الأماكن، والأشخاص الذين قابلهم؛ ملابسهم، عاداتهم، وبصمات ابتساماتهم. ويترك هؤلاء آثارهم في لوحات رائعة تبقى شاهدة على روعة الرحلة وجاذبيتها.

وشرقنا العربي، كان دائماً مصدر جذب للرحالين، الكتاب منهم، والرسامين، الذين تركوا وراءهم ذلك الزخم الرائع من المشاعر الفياضة سواء في كلمة، أو صورة. وفي مكتبات الدنيا تتناثر الكتب المهمة عن رحيل هؤلاء إلى الشرق، وفي متاحف العالم، تتصدر لوحات الرسامين المغرمين بهذا الشرق الجدران، وتجذب إليها عيون عشاق الفنون الجميلة؛ حيث تثبت أن أبرع من رسم هذه البلاد هم هؤلاء الفنانون الأجانب الذين



تأليف: لين تورنتون  
عرض: محمود قاسم



وتأليف الروايات عنه، مثل توماس مور، وجوستاف فلووير، وفيكتور هيجو، والكسندر دوماس الذي استوحى روايته «الكونت دي مونت كريستو» من رحلته الشرقية، وأيضاً شعراء من طراز لامارتين.

ويبدو أن الأسباب قد تعددت وتكاثفت من أجل ازدهار هذه الفنون؛ فقد ساعد تطور الملاحة على سرعة الانتقال بين الشاطئين الشرقي والغربي. وفي البداية اقتصر الرحيل على الفرنسيين والانجليز، ثم جاء رحالون من بلاد أخرى مثل ألمانيا وهولندا. كما تعددت أسباب الرحيل، فرأينا فناناً مثل جيمس تيسو كان دافعه للسفر هو البحث عن ديكور وبناء تاريخي، ووجد هؤلاء في الأبنية الفرعونية تجسيدا

لإبداع الفنان العربي الذي رسم المقامات وقصص ألف ليلة وليلة، وبهر بالخط العربي الذي تحول في المساجد إلى شكل جمالي جذاب للغاية.

وسرعان ما جاء رحالون جدد، بعد أن شاهدوا إبداع زملائهم الذين عادوا من تلك الرحلات، وهنا تكونت ظاهرة جديدة. ولعل الكم الهائل من الفنانين الذين جاؤوا مع بونابرت في حملته على مصر يعكس ازدهار هذه الرحلات، ويبدو ذلك واضحاً من الرسومات الموجودة في كتاب «وصف مصر». وسرعان ما اهتم عشاق الفن من الأثرياء بشراء هذه اللوحات، مما أدى إلى انتعاش هذه الفنون، كما شجع أدباء كباراً على الحضور إلى الشرق

بالمستشرقين قد جمعتهم مدارس فكرية، فإن هذا لم يحدث بالنسبة للرسمين؛ فقد كان همّ الفنان في المقام الأول هو استخدام ألوان جديدة لتصوير انعكاسات الضوء على المساحات الواسعة. وتعرف عوالم أخرى تختلف عن أوروبا التي ألفوها.

تري الكاتبة أن الرحيل إلى الشرق لم ينقطع أبداً من قبل الفنانين مادامت هناك علاقات تجارية ودبلوماسية وفنية بين العالمين. وقد قامت روابط قوية بين سكان مدينة البندقية (فينيسيا) وتركيا، وأيضاً بين بريطانيا والهند. وقد وجد الفنانون أنفسهم يقيمون في مدن هذا الشرق، ويبدون دهشتهم لأنساق الملابس والعمارة. وأيضاً

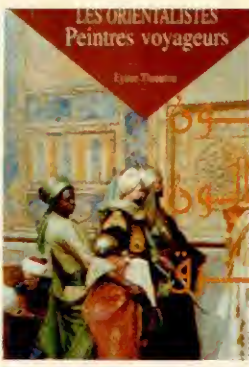
هذا الطراز لا يميل إلى أن يتحول إلى بوق دعائي وإلا تحول مايرسمه إلى مسخ أجوف لا معنى له. والذي يتطلع الآن إلى إحدى تلك اللوحات يجد نفسه شاردًا في تأمل كيف كان هذا العالم البالغ الصفاء والبساطة، دون أن يأخذ في حسابه فكر هذا الفنان. وقد جاء هؤلاء الرحالون أولاً إلى مصر، ليس من أجل تاريخها القديم فقط؛ بل من أجل التوغل في واقعها المعاصر، ثم امتدت الرحلات إلى مدن وقرى سورية ولبنانية وفلسطينية، وفي شمال أفريقيا والجزيرة العربية وراحت إلى الأندلس وإسطنبول وفارس وإلى الهند أيضاً.

وإذا كان الكتاب الذين جاؤوا إلى الشرق وعرفوا



فرسان عرب  
بجوار مربط  
(جوليو  
روساتي -  
المدرسة  
الإيطالية)





## الرسالة الرحالة إلى الشرق

الابن (مؤلف رواية الكاميليا) بلوحتة «مدخل جزارة ثلاثية الأبواب» فاشترها. وقد تنقل الفنان بين تونس والجزائر وتركيا، وعرضت لوحاته في مدن عديدة مثل ميونخ ومريد وبرلين وموسكو والقاهرة وشيكاغو وبيونس أيرس.

### صيد الصقور

### والحصان العربي

أما بنجامين كونستان (١٨٤٥ - ١٩٠٢م) فقد رحل إلى إسبانيا والمغرب وبُهر بصناعة

ودولا كروا، ودينية. وأويليه الذي عاش في مدينة باريس (١٨٥١ - ١٩٣٨م) كان مشغوقاً بالمشاهد التاريخية والدينية، وأيضاً (بالديكور) الداخلي، وكان يأسره النساء الجميلات. وقد ساعدته إقامته في تونس على التوغل في أحيائها الشعبية، وبدأ مبهوراً بالحمامات. وقد تنبه إليه الناقد إدمون أبو منذ أن أقام معرضه الأول عام ١٨٧٣م. وفي هذا المعرض دُهِش الأديب الكسندر دوماس

كانوا مصابين بداء العودة إلى الشرق، وقد أقام هؤلاء مراكزهم الفنية في المدن العربية، واتخذوها مستقراً ومنطلقاً للانتقال إلى أماكن التصوير ثم العودة مرة أخرى. كما أن هذه المراكز قد تحولت على مرور الزمن إلى مزارات فنية بتزييناتها (ديكوراتها) العربية. وقد بدأ أن هؤلاء الفنانين لا يأتون برسوم جديدة بل يستلهمون الفن العربي لاستحداث منظورات فنية مختلفة.

وأهم ما في هذا التراث أنه لم يكن جامداً؛ بل راح يجدد نفسه باعتبار أن الرحيل عملية سيارة، فتجددت الأسماء. وقد جذبت هذه الأجواء الجديدة مريدين جُددًا من كل المدارس التي تولدت في الفنون التشكيلية مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. وزاد عدد الدارسين للفنون الإسلامية، وبرزت فنون المنمنمات والسيراميك والمخطوطات لتصبح محط أنظار المهتمين. وبدت مدى سطوة هذا الفن بجماله على المدارس الأخرى كافة. وكان سبباً في ظهور التجريد الذي انتشر طوال نصف قرن من عام ١٨٩٠ إلى ١٩٤٠م.

وفي الكتاب الذي نحن بصدد تقديمه، جمعت المؤلفات لـ تورنتون هؤلاء الرحالين الرسامين وأغلبهم من المدرسة الفرنسية. ويهمنا هنا إلقاء الضوء على بعض هؤلاء الفنانين حسب مدرسة كل منهم. فمن المدرسة الفرنسية: البير أويليه، وبنجامين كونستان، ونارسييس برشير،

لما جاء في الكتب المقدسة. كما حاول الكثيرون تعرّف الدين الإسلامي الذي بدا لهم مجهولاً بسبب حاجز الحروب الصليبية. وبُهرَ الفنان الرحالة بالعمارة الإسلامية في داخلها وخارجها. كما ساعد على ذلك أيضاً بعض المشاريع الكبرى مثل حفر قناة السويس؛ حيث جاء الفنانون يرسمون الحياة اليومية للناس، وكانت هذه اللوحات من أروع ما أنتج في هذا الفن. وبدأ رجل الشارع العادي الشخصية الرئيسة في هذه اللوحات، وحاز أهل النوبة على - سبيل المثال - على مركز الصدارة في الاهتمام بملامحهم المألوفة. وتتبعهم الفنانون في هواياتهم وحيواتهم حين يطلعون لصيد الصقور. وأيضاً النساء وهن يقمن بأداء واجباتهم المنزلية.

ومالبث أن جذب هؤلاء الفنانون أنظار العالم؛ مما دفع الأكاديميات الفنية في باريس ولندن إلى أن تدعوهم للانضمام إليها. وتكونت الأبهاء التي تصمم هذه اللوحات. واستطاع الرحالون من الفنانين أن يصنعوا مدرسة فنية تنافس كل المدارس السائدة في أواخر القرن التاسع عشر.

### داء العودة إلى الشرق

وقد اختلف أمر هؤلاء الرحالين من خلال علاقتهم بالشرق. فبعضهم مثل «دولاكروا» كان يرى أن زيارة واحدة للشرق تكفي للاستلهام حتى آخر العمر. باعتبار أن الذكريات تظل حية ماثلة في الذهن، لكن أغلب الرحالين



عند بوابة المدينة (فيكتور بير هوجيه - المدرسة الفرنسية)



ليرون ودانتي وشكسبير ليحولها إلى لوحات، ولكن هذا لم يجعله يتوقف عن رسم اللوحات التي استوحاها من التراث الإسلامي. أما عن المدرسة الإنجليزية فهناك روبرت كييلي، وتشارلز روبرتسون، وفرانك ديلون، وأوجست أوسبورن، وإدوارد لير.

وقد استخف دومًا بالأشياء الغربية، ووجد في الشرق كل ماهو غير مألوف لعينه. وقد كان صديقًا للشاعر بودلير. وعُدَّ رائد الحركة الرومانتيكية. ومن أهم لوحاته «مذابح السيد» و«ممر إلى المغرب» و«مملوك على الحصان». وعرف عنه استلهامه قصائد

ولا شك أن أوجين دولاكروا (١٧٩٨ - ١٨٦٣م) هو أشهر هؤلاء الفنانين على الإطلاق، وذلك رغم رحلته القصيرة إلى كل من الجزائر والمغرب. وقد انتمى دولاكروا إلى عائلة عملت بحكم وظائفها في أماكن عديدة فسافر أيضا إلى إيطاليا وتركيا.

السجاد العربية والتطريز على الوسائد والملاءات. وقد درس الفنون الجميلة في باريس. ولكنه لم يستكمل دراسته وفضل الرحيل إلى العديد من المدن من أجل دراسة الناس. أقام معرضه الأول عام ١٨٧٠م، ثم أقام الثاني بعد ثلاثة أعوام. ومن أهم لوحاته «دخول محمد الثاني إلى إسطنبول في ٢٩ مايو ١٤٥٣م» و«آخر الثوار»، و«عدالة الشريف» وقد كانت الرحلة الشرقية جزءا من تاريخ الفنان، فما لبث أن رحل إلى الولايات المتحدة. وغير من اتجاهه الفني. وعمل في أواخر حياته في تصميم (ديكورات) الأبنية الكبرى بباريس.

أما جان ليوجيرون (١٨٢٢ - ١٩٠٤م) فقد كان أحد أهم الفنانين طوال النصف الثاني من القرن التاسع عشر. درس اللغات اللاتينية واليونانية والتاريخ والفنون الجميلة. وبعد الدراسة رحل إلى إيطاليا. وعاد ليقيم معرضه الأول. ثم قام برحلة فوق نهر النيل طوال أربعة أشهر. ثم أمضى أربعة أشهر في القاهرة حيث أقام في منزل أعاره له سليمان باشا. وراح يرسم صورا من الحياة المصرية. وجاءت أهمية أعماله من المزيج الحافل بالألوان الجذابة ورسم دقائق الحياة في حقبته، وفي حقب تاريخية سابقة أيضا. ويعترف جيرون أن وجوده في القاهرة كان سببا في تدفق كل هذه الموهبة التي برزت في لوحاته «صيد الصقور». ويعد من أهم من رسموا الحصان العربي في لوحات فنية.



خارج المسجد (رودولف إيرنست - المدرسة السماوية)





## الرسالة الرسالة إلى القارئ

التحق بمدرسة الهندسة في أكاديمية سان لوقا عام ١٨٨٩م بروما التي ولد فيها، كما درس الفن التشكيلي على يد أبرز أساتذة عصره، وأبدى إعجابه بالرسامين من المستشرقين الإسبان مثل ماريا نونورتوني وارنست ميسونير؛ وقد تخصص في البداية في رسم الأشخاص (البورتريهات) ثم اكتشف المغرب والشرق الأوسط في ثمانينيات القرن التاسع عشر. وراح يقرأ عن الثقافة الإسلامية، واهتم بالنسيج العربي. وهو لم يعيش طويلاً في المنطقة العربية، ولكنه استجمع من ذاكرته أغلب لوحاته مثل «المحارب ذو القبعة الحمراء»، و«السوق»، و«مشهد من سوق قاهري»، وكان يرسم بالزيت وأغلب لوحاته موجودة في متاحف روما.

الآن بعد هذا الجليل المعطاء من الرسامين، فإن هناك ظاهرة تتعلق بانكماش هذا النوع من الرحيل إلى الشرق العربي. ومن ثم قلّت أسماء الفنانين الجدد الذين يرسمون هذا النوع من اللوحات، وبدت هذه الظاهرة كأنها مرحلة تاريخية توقفت عن عطائها. وجاءت مدارس جديدة لم تعد تهتم كثيراً بتفاصيل المكان وملامح الأشخاص قدر الاهتمام بالجو النفسي والمشاغرة الداخلية.

وشارك في خلق نموذج فني تشكيلي جديد. درس في أكاديمية نورمبرج وعرف بمنمنماته. وفي عام ١٨٤٦م قرر الرحيل إلى بلاد العالم بحثاً عن اكتشاف جديد، فأقام في بلجيكا وبريطانيا وعرف عنه حبه للألوان الطبيعية واستخدام اللون في خلق الضوء. سافر في عام ١٨٥٨م إلى القاهرة في رحلة قصيرة ثم عاد إليها بعد عدة أشهر وقام باستئجار منزل في الحي القبضي مع زميله جودال واستقبلا فيه الفنانين السائحين العابرين، وراح يرسم «قبة الصخرة» بتكليف من السلطان عبد الحميد. كما رسم مسجد عمرو، والحرم الشريف والأماكن المقدسة في المدينة ومكة. وبعد من أهم من قاموا برسم المجموعات. وقد أقام «هاج» فترة طويلة بين القدس والجليل ودمشق، ورسم القبائل في الصحراء، وكان دائم العودة إلى القاهرة لينظم المعارض للوحاته. وفي عام ١٨٧٣م حصل على الميدالية الكبرى عن لوحته «خطر في الصحراء».

وتضم مدرسة الرحالين الرسامين عدداً قليلاً من الإيطاليين من أشهرهم جوليوروساتي (١٨٥٨ - ١٩١٧م)، وجوزيه سينيوريني (١٨٥٧ - ١٩٣٢م) الذي

ومنها على سبيل المثال «خان في دمشق» و«مثلها في طنجة»، و«كل أشجار الزيتون في القدس»، و«أحذية المصلين».

### في منزل المفتي

وفرانك ديلون عاش بين عامي ١٨٢٣ و ١٩٠٩م، وكان تلميذاً لفنانين بهرتهم الطبيعة ومساحاتها الشاسعة. وقبل أن يصل إلى القاهرة عام ١٨٥٨م كان قد سافر إلى إسبانيا والنرويج واليابان، وأقام في القاهرة خمس سنوات ثم لم يتوقف عن الحضور إليها. وكان همه إعادة تركيب الحجارة الساقطة من الآثار، ووقف ضد بناء خزان أسوان باعتباره سيخنق جزيرة فيلة، واهتم بإقامة العديد من المعارض الدولية بين عامي ١٨٦٢ و ١٨٧٨م عرض فيها لوحاته المتجددة عن الآثار الفرعونية مثل «عواميد ممنون»، و«أبو الهول في منتصف الليل». ومن لوحاته العربية «منزل المفتي الشيخ المهدي» و«منظر من صالة استقبال صيفي».

ومن أشهر الرحالين الرسامين الألمان هناك جوستاف بورنفيد الذي مات في مدينة القدس عام ١٩٠٤م، وكارل هاج وفرديك جودال وأدولف شيرر وكارل فرنر.

ومن المدرسة النمساوية هناك لودفيج دويتش (١٨٥٥ - ١٩٣٥م)، ورودلف ارنست (١٨٥٤ - ١٩٣٢م)، وليوبولد كارل مولر وشارلز فيلدا.

ولد كارل هاج في مدينة إرلنجن عام ١٨٢٠م في بافاريا،

وروبرتسون (١٨٤٤ - ١٨٩١م) كان مبهوراً بأجواء ألف ليلة وليلة. لذا فبعد دراسته في لندن توجه إلى باريس لينضم إلى مأسماه بمدرسة الجزائر، ثم رحل إلى شمال أفريقيا عام ١٨٦٢م، وعاد في العام التالي ليقدم معرضه الأول في الأكاديمية الملكية. ثم عاود الرحيل إلى كل من إيطاليا وتركيا والحجاز ومصر وطنجة. وقد استغرقت بعض رحلاته شهوراً قليلة أما بعضها الآخر فاستمر لسنوات. وكان في نيته أن يقدم معرضه الضخم لكن كثرة سفراته لم تمهله. وقد غير روبرتسون من أدوات الرسم، فبعد أن أنهى علاقته بالرسم الزيتي استخدم أدوات أخرى، ولذا جاءت لوحاته ثرية بالألوان، وكذلك بالتفاصيل الدقيقة.



مغنيان في الشارع (أناتولي فابريز - المدرسة الإسبانية)



المنهل  
ALMANHAL

ثقافة .. فكر .. معارف  
علوم .. طب .. فنون

الأعداد  
السبوعية  
الخاصة  
إضافات  
جديدة  
في عالم  
الصحافة

صفحات المنهل منابر كبار  
الأدباء والعلماء والمفكرين

«السائح» و «هن»  
عطاء متميز

منهجية جديدة في  
الموضوعية والأداء

المنهل  
ALMANHAL

مجلة العرب الأدبية



تصدر عن دار المنهل للصحافة والنشر المحدودة

المركز الرئيسي / جدة ٢١٤٦١ / ت ٢٩٢٥ - فاكس / ٦٤٣٢١٢٤ - ٦٤٢٨٨٥٣

www.ahaltareekh.com



حفل التراث العربي بأنواع شتى من التأليف، فلم يدع المؤلفون موضوعاً لم يكتبوا فيه، فقد ألفوا في الموضوعات الجادة في دقائق العلوم والفنون، ولم يغفلوا الموضوعات الطريفة، كما خصوا كل موضوع بتأليف، وكل مسألة بمصنف، وكل فن بكتاب أو رسالة، في جد أو هزل.

## المعمرون

### كتاب

ألفه أبو حاتم السجستاني المتوفى سنة ٢٥٠هـ - ٨٦٤م ضمن مؤلفاته العديدة في الموضوعات المختلفة في اللغة وغيرها نحو: المقاطع والمبادئ، والنخلة، واللبن الحليب، وخلق الإنسان، والعشب، والأضداد، والخصب، والقحط، والنحل والعسل، والحشرات، وغيرها.

وكتاب المعمرين - كما يصفه محققه عبدالمعزم عامر - من أهم الكتب التي خلفها أبو حاتم السجستاني؛ فالكتاب في مادته الغنية لون غير معروف في أغراض الشعر الجاهلي، وهو جملة مختارة من الشعر العربي القديم قام بجمعها أبو حاتم بطون الكتب القديمة، المعروفة في زمانه، وقد صار أمرها إلينا مجهولاً، وتمثل هذه المجموعات الشعرية فناً من الشعر الجاهلي وصف فيه الطاعنون في السن ما يلقونه من طول حياتهم، فرسموا بين سطوره أجسامهم وقد شققها الكبير، وأحلامهم وقد ذهب بها الضعف، وهم ينظرون إلى ماوراءهم فيذكرون أيامهم الخوالي، ويندبون فتوتهم ونشاطهم وسيادتهم في قومهم،

كل هذا في تصوير رائع من الفن الواقعي والأسلوب الجميل. وأبو حاتم السجستاني كان جماعة للكتب يتجر فيها، وكان إماماً في علوم اللغة والأدب والقرآن والشعر، ونشأ تلميذاً على الأخفش إمام اللغة فقرأ عليه كتاب سيبويه مرتين وجلس إلى العلماء غيره وروى عنهم، أمثال أبي عبيدة وأبي زيد والأصمعي. ثم صار أستاذاً يحضر في حلقاته بالبصرة المتأديون أمثال أبي العباس المبرد العالم اللغوي المشهور.

وقد طبع كتاب المعمرين مع كتاب آخر هو كتاب الوصايا لأبي حاتم أيضاً.

ومن أخبار المعمرين:

١- قس بن ساعدة الإيادي، قالوا: عاش ثلاثمائة وثمانين سنة، وقد أدرك نبينا عليه السلام، وسمع النبي صلى الله عليه وسلم حكمته، وهو أول من آمن بالبعث من أهل الجاهلية، وأول من توكأ على عصا، وأول من قال: أما بعد في خطبته، وكان من حكماء العرب.

قال أبو حاتم: وذكروا أن وفد بكر بن وائل قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم فقال: هل فيكم أحد من إباد؟ قالوا: نعم.

قال: هل لكم علم بقس بن ساعدة؟ قالوا: مات يا رسول الله.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كأني أنظر إليه بسوق عكاظ يخطب الناس على جمل أحمر، وهو يقول: «أيها الناس، اجتمعوا واسمعوا وعوا، من عاش مات، ومن مات فأت، أما بعد، فإن في السماء خبراً، وإن في الأرض لعباً، نجوم تغور، وبحار تمور ولا تغور، وسقف مرفوع، ومهاد موضوع، أقسم قس قسماً بالله وما أتم، لتظلمن من الأمر شحطاً، ولئن كان بعض الأمر رضاً إن لله في بعضه سخطاً، وما بهذا لعباً، وإن من وراء هذا عجباً، أقسم قس بالله قسماً وما أثم، إن لله ديناً هو أَرْضَى من دين نحن عليه، ما بال الناس يذهبون فلا يرجعون، أنعموا فأقاموا، أو تركوا فناموا؟».

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضاً: وسمعت لفظ بشعر ولساني لا ينطق به، فقال بعضهم: أنا أحفظه يا رسول الله، فهل ترى عليّ فيه شيئاً؟ قال: لا، الشعر كلام فحسنه حسن وبيحه قبيح، فهاته.

٢- وعاش تيم الله بن ثعلبة خمسمائة سنة حتى أخلق أربعة لُجَم حديد، وكان من دهاة

العرب في زمانه، قال أبو حاتم: فبلغنا أنه بعث بنيه ذات يوم في طلب إبل له ضلت، فهبت ريح بعد ما خرجوا من عنده شديدة، وذلك في الشتاء، فقال لامرأته أم بنيه: انظري من أين هبت الريح؟ فنظرت ثم قالت: من مكان كذا وكذا، فقال لها: أختنيتي في بني أم لا؟ فقالت: لا والله ما خنتك فيهم، فقال: ويحك، والله إنني لأعلم أنها ريح تدهدي البعر، وتعفو الأثر، فلا يعرفون منطلقاً، وإنها لتسوق مطراً فلا يعرفون أثراً، فإن رجعوا فإنهم بني، وإياي أشبهوا، وإن مضوا فلن تريهم أبداً، وقد خنتيني فيهم، والله لأقتلنك إذن قبل أن يرجعوا. ثم لم يزل ليله أجمع ما ينام وما تنام امرأته، حتى إذا كان عند طلوع الفجر رجع أحدهم، فقال له أبوه تيم الله: ما ردك؟ قال: هبت ريح تدهدي البعر، وتعفو الأثر وتسوق المطر، فلم أر منطلقاً.

فتابعوا على مثل مقالته كلهم، ورجعوا إلى أبيهم، فسر بذلك، وقال: أنتم بني حقا، وإياي أشبهتم.

فلما حضره الموت أمر بنيه أن يحفروا قبره بمكان يقال له:

«حُضَن» وقال في ذلك:

هاذاك تيم الله يبنى بيته

بحضن حياته وموته



# الحوار

## احتياج ونشأته

لؤلؤه حمد العليان

طرفي الحوار بفكرة الآخر، ولكننا في الواقع لانخوض حواراً من أجل إنتاج فكرة جديدة، بل يتم ذلك من أجل الإقناع أو الاقتناع بفكرة موجودة أصلاً.

ويقوم الحوار على مبدأ (تعدد الأفكار) الذي ينتج من تشعب التفكير. والحوار المثمر يؤدي إلى تلاشي الأفكار الخاطئة وبقاء الأفكار الصحيحة، ومعيار صحة الرأي أو الفكرة هو مقدار توافقها مع فكر الجماعة وعقليتها ومقدار تحقيقها لمصالحهم.

وللحوار أهمية في كونه ميدان فحص الفكرة، حيث يتم تحليلها إلى جزئياتها واعتبارها كياناً منفصلاً عن البنية الفكرية للفرد، ومن ثم قبول الفكرة أو رفضها، فإن قبلت أضيفت إلى فكر المحاور، أي إن النتائج الإيجابية للحوار يصب في شخصية أطرافه، وهكذا يشكل الحوار أسلوباً من أساليب اكتساب الفرد للخبرة التي تتضاعف تدريجياً باعتبار الإنسان تراكمي الخبرة، أو كما ذكر د. جلبي أن الإنسان في وضع صيرورة يتم بناءه كمياً ونوعياً خلال وحدة الزمن. وللأفكار المرفوضة أيضاً جانب إيجابي من حيث تعرف البدائل الفكرية المطروحة فيما يخص الموضوع وتعرف مسوغات ذلك الرفض، ويمكن أيضاً تعديل تلك البدائل والاستفادة منها، للوصول إلى فكرة جديدة مقبولة، كما يتحقق من الحوار اقتناع أحد الأطراف برأي الآخر أو اقتناع كل طرف بحق الآخر بالاحتفاظ برأيه في حالة عدم قبوله الرأي البديل. ومن خلال الحوار يكتسب المحاور مهارة الاستقصاء العقلي واستقراء الجزئيات للوصول إلى الكليات الجديدة وكذلك استنباط الجزئيات من الكليات السابقة، كما يساعد الحوار على تنمية التفكير الناقد البناء الهادف إلى تعديل نقاط الضعف وتعزيز نقاط القوة، وبالطبع هذا لا يشمل الثوابت أي ما يخص العقيدة، والتي لا يخضعها الحوار للتمحيص والنقد، بل للتوضيح والتفصيل.

ورغم أهمية الحوار لتحقيق تلك الأهداف؛ إلا أنه من الضروري على المحاور معرفة منطلقات الحوار ومحدداته. فامتلاك قضية أو فكرة يدافع عنها هي أساس الحوار المثمر، ولكن يجب أن يقتنع فعلاً بهذه الفكرة حتى يمكنه أن يدافع عنها

الحوار مختبر جودة الأفكار، وهو المجهر الذي يكشف من خلاله التركيبة النفسية لأطرافه وكذلك قدراتهم وأسلوب تعاملهم، وقد عرّفه د. الدجاني بأنه (حديث يتضمن طرح أفكار). ولكن الحوار لا يقتصر على طرح الأفكار؛ بل يتجاوز ذلك، فهو مناقشة تتم بين طرفين أو أكثر، يتم من خلالها عرض فكرة أو رأي وتحليلها وتقويمها، ومن ثم تعديلها أو تعزيزها.

كالبشر منهم الأسوياء والمنحرفون، ولكنهم في النهاية خلق الله.

والفكرة البشرية المفردة ينطبق عليها قانون الزوجية، فهي تحتاج إلى فكرة أخرى لتقويمها، ومن ثم تعديلها أو تعزيزها أو ما يسمى بـ (تلاقح الأفكار) الذي عبر عنه د. جلبي بهذه المعادلة: فكرة (أ) + فكرة (ب) = فكرة (ج).

وحيث إن التلاقح ينتج وليداً يحمل صفات والديه؛ فهذا يعني أن النتيجة يجب أن تحمل شيئاً من خصائص فكرتي المقدمة، ولكن في الواقع هذا لا يحدث بالضرورة، فقد ينتج الحوار فكرة جديدة مبتكرة تنتج كالمبيض من فكر المحاور، ولذا يمكن استخدام مصطلح (تفاعل الأفكار).

وقد ينتج من الحوار فكرة جديدة، وقد يؤدي إلى إلغاء إحدى الفكرتين في حالة اقتناع أحد

والحوار سلوك ومضمون يعتمد على بعض المسلمات منها:

١- أن البشر يتفاوتون في نظرهم للأمور المختلفة.

٢- أن الأفكار البشرية قابلة للخطأ والصواب.

٣- أن صحة الفكرة البشرية لاتعني أنها صحيحة بالنسبة لجميع الأشخاص، وفي كل الأحوال، فالآراء والحقائق نسبية وليست مطلقة.

والفكرة هي محور المناقشة، وقد عدها د.

خالص جلبي مخلوقة من مخلوقات الله تخضع لقاعدة الزوجية، وتفسير ذلك - كما أتصور - بأن الفكرة منزلة من الله سبحانه وتعالى، أو أنها من نتاج البشر وهم من خلق الله، وإن كانت هناك العديد من الأفكار البشرية الضالة والمنحرفة، فهي



بقوة، ويتقدم بثقة نحو الهدف، وهو إقناع الآخر برأيه، أو على الأقل إقناع الآخر بأهمية الفكرة المعروضة وقيمتها، كما أن المحاور يجب أن يكون مؤهلاً لخوض معركة الإقناع، ومعايير كفاءة المحاور يمكن تلخيصها فيما يلي:

١- القدرة اللغوية: التمكن من اختيار واستخدام المفردات والمصطلحات الملائمة للموضوع والمناسبة للمستوى اللغوي لأطراف الحوار.

٢- القدرة المعرفية: الإلمام العميق بالخلفية المعرفية لموضوع الحوار.

٣- الخصائص الشخصية: امتلاك بعض الخصائص اللازمة للاستمرار في حوار منتج، ومنها الصبر، سعة الصدر، ضبط النفس، القدرة على الإصغاء الجيد، الهدوء، الروية، النضج الانفعالي والاجتماعي، وكذلك الثقة بالنفس.

٤- القدرة العقلية والفكرية: القدرة على توليد الأفكار (ما يخص المحتوى)، وعرضها بطريقة منطقية متسلسلة (ما يخص الأسلوب).

وأخيراً يجب عدم خوض غمار مناقشة ما؛ إلا إذا كان الطرف الآخر كفواً لهذا الحوار، وإلا عدت المناقشة إهداراً للوقت والجهد وأحياناً الأعصاب.

وحيث إن جوانب الحوار هي:

مادة الحوار: وهي المعرفة الخاصة بالفكرة (موضوع الحوار).

آلية الحوار: آداب وسلوكياته.

نتاج الحوار: الحق والصواب.

فإن من الضروري توضيح بعض سلوكيات الحوار التي لا يمكن حصرها، ولكن يمكن التطرق لبعض المبادئ الأساسية التي تشكل آلية منتجة لهدف الحوار، وهي:

- تحديد المفاهيم المتعلقة بالفكرة موضوع الحوار منطلق ضروري للحوار المثمر، فاختلاف طرفي الحوار حول مفهوم ما يجعل كلاً منهما يناقش فكرته، وعدم الاتفاق على النتيجة ينشأ من اختلاف المقدمة.

- احترام الطرف الآخر، ويتضمن ذلك احترام رأيه وحقه في الدفاع عن هذا الرأي.

- التمييز بين الأفكار والأشخاص، أي النظر إلى الفكرة بتجرد، وعدم ترك آرائنا الشخصية

واتجاهاتنا السلبية والإيجابية، نحو أطراف الحوار، تؤثر في تقويمنا لأفكارهم.

- الموضوعية وتجاوز الذات والقدرة على التمييز بين قناعتنا بالفكرة وقبولنا لها، وبين صحتها. وألا يكون الهدف هو الانتصار على الآخر بل الانتصار للفكرة الصحيحة.

- الاعتراف بالخطأ والتأكيد على النقاط الإيجابية لدى الطرف الآخر، وكما قال حاتم الأصم «معي ثلاث خصال أظهر بها على خصمي، قالوا: وما هي، قال: أفرح إذا أصاب، وأحزن إذا أخطأ، وأحفظ نفسي لانتجاهل عليه».

- الصدق والأمانة في نقل الأدلة والبراهين على صحة الفكرة وعدم اختلافها.

- الابتعاد عن الآراء المسبقة، أي إصدار الأحكام قبل الحوار.

أما مفتاح الحوار فهو الكلمة الطيبة وحسن الخلق واستخدام الأسلوب اللين الحسن، عملاً بقول الله تعالى: ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ (النحل: ١٢٥)، فاطمئنان نفس المحاور للطرف الآخر يدفعه إلى الاستمرار في الحوار.

ومن الذكاء الاجتماعي استخدام أسلوب الصمت والإصغاء طريقة لفهم الطرف الآخر، ثم استخدام الأسلوب المناسب لاختراق فكره، ودفعه بسلسلة نحو الاقتناع بالفكرة المعروضة، ويجب ألا ننظر إلى الصمت كموقف سلبي في الحوار؛ بل هو مخاض لوليد قوي، أو كما قال بول فاليري: «كل ذرة من الصمت مناسبة لثمرة ناضجة».

ولكن إتقان تلك السلوكيات لا يأتي عرضاً؛ بل تدريجاً وتعليماً لإعداد المحاور الجيد الذي أصبح ضرورة أمام متطلبات الثورة المعرفية وظهور مذهبيات واتجاهات فكرية متنوعة ومتضاربة أحياناً، وذلك من أجل الاستفادة من تلك النظريات والمستجدات الثقافية لتطعيم فكرنا وثقافتنا بالنافع منها، وكذلك تحجيم آثارها السلبية والحد من تسربها إلى البناء الفكري للفرد المسلم، وهو نواة المجتمع الإسلامي. ويتم إعداد المحاور الجيد عبر القنوات التالية:

- وسائل الإعلام المرئية والمسموعة وما تقدمه من نماذج حوارية جيدة تشكل قدوة للأفراد، من

خلالها يتم استنباط سلوكيات الحوار المثمر.

- تقديم منهج تعليمي في المدرسة الثانوية والجامعية يتضمن (قضايا للحوار)، ويتم اختيار تلك القضايا تبعاً للاحتياجات الاجتماعية والفكرية للمجتمع والأمة، وهذا تعديل بسيط لما اقترحه د. عبدالله الحامد حين اقترح تقديم منهج يعرض لأدب الحوار والمناظرة، إذ إن تقديم السلوكيات بشكل مباشر لا يؤثر كثيراً بقدر ما يؤثر التدريب واستقراء آداب الحوار الجيد وميكانيكته من خلال النماذج التطبيقية الفعلية.

- مناقشة البحوث الجامعية المقدمة من الطلاب ونقدتها من خلال حوار جماعي يشري خلفية الطلاب حول مادة البحث، وكذلك أساليب النقد والحوار.

- اعتماد أسلوب الحوار والمناقشة في عرض المشكلات الأسرية، وتقبل وجهة نظر الأبناء مهما كانت بسيطة وغير ناضجة، فالحوار يبني شخصياتهم ويصبح إتقان هذا الفن سلوكاً ثابتاً لديهم.

وهذه الأساليب قد تسهم فعلاً في تنمية السلوك الصحيح للحوار الذي يعد احتياجاً وضرورة، فكما تحتاج أجسامنا إلى الغذاء والرياضة تحتاج عقولنا إلى المعلومة التي نبادلها عبر الحوار، وكذلك الرياضة الفكرية التي تتحقق من خلال تجاذب الآراء وتنافرها، تصادم الأفكار وتوافقها، إلغاء فكرة وإثارة أخرى جديدة. وهذا ما يحقق المتعة الفكرية ويشبع الاحتياج العقلي، وقد أحسن د. الدجاني بالتعبير عن الحوار بمنحى تصاعدي حين ذكر «أن الحوار يبدأ عسيراً ثم يتيسر تدريجياً حتى يصل إلى مرحلة التناغم التي تبلغ الذروة فتثمر نتائج محددة»، وفي ذلك التدرج قمة المتعة والإنتاجية الفكرية، لذا فالحوار احتياج ومتعة ونتاج.

#### المراجع:

- ١- ملف مجلة القيص (الحوار)، مجلة القيص، العدد ١٨٨، أغسطس ١٩٩٢م.
- ٢- د. خالد جلي، (فن الحوار)، مجلة القيص، العدد ٢٢٣، يونيو ١٩٩٥م.
- ٣- د. عبدالقادر الشيعلي، (أخلاقيات الحوار)، دار الشروق، عمان، ١٩٩٣م.
- ٤- د. طارق علي الحبيب، (كيف نحاور؟) دار المسلم، الرياض، ١٩٩٤م.





## من أوراق الخات

شعر :  
عبدالله سليم الرشيد

أناجيك، لو تنسى الغيوث انهمارها  
لما كان لي سلوى، واني لواجد  
أناجيك، والآمال توقد في دمي  
فقيم بقاء المعوزاتي إلى الهوى  
تغاديك أحلام الصبا مستفزة  
وما كنت فيها غير ماضغ حسرة  
وكم تدعي ما تدعي! أي صهوة  
تنازع نفسي الأمس واليوم ضلة  
وكيف إلى الدنيا ركوني بعدما  
تنورتها دهرًا، أخالس نظرة  
فمارف في كفي زهر ولا شدا  
وقيل: عليك المصطفى، إن دفئه  
فأحجمت عن ورد تداعي رعاؤه  
وظل علي الجمر ينفث غيظه  
ولكن لي نفسين: نفسا عصية  
تسامت، فأغناها السمو فأشرقت  
ونفسا لها في كل مسرى خميلة  
تهيم، وللأيام فتكة صائل  
تنازعتا، فالصدر يكدح، والمنى  
وكم من شقاء جر سعاد، وكم سمت  
أنا ذلك المرء الذي طمحت به  
معنى بصيد الحائمات مولع  
وقيل، ولم يغبأ بما قيل وانطوى  
أهذا الذي أصبو إليه؟ متى تفي  
وبالقرب مني موزد، لو وردته  
ولكنني أظمي ظمائي، وأرتدي  
وحتي أرى روعي مع الريح تنطوي  
إذا لم أكن للنار أول موقد

ولو مازج الليل البهيم نهارها  
سواك عيونا ما أبالي ازورارها  
مشاعل نور، ما ألد استعارها!  
وقد نحرت هدياً وألقت جمارها؟  
كواكب لم تبرح إليك مدارها  
تُمْنِك آمالاً، وتُبقِي خُمارها  
وأي الندامي السادري أدارها؟  
فأين الغد الزاهي ليدرك ثارها؟  
أماطت عن الوجه الشميم خمارها؟  
إليها، أراعي مدها وانحسارها  
هزار، وغيري كم تصبى هزارها؟  
دثار، وهل تسلو النفوس دثارها؟  
عليه، وجرعت الضلوع اضطبارها  
ولي ندحة، ما إن جهلت مسارها  
أبت أن ترى في العاثرين عثارها  
وأهوت على الشكوى وقضت جدارها  
تناغي زواهيها، وتجنّي ثمارها  
وتأمن ناراً، والهشيم جوارها!  
عروس على رغمي تجر إزارها  
نفوس به، حتى أطاب نجارها  
أساطيرهم، ما أطاق اختصارها  
فلما استقرت في يديه أطارها  
على رغبة، أفنت رؤاه انتظارها  
به مهجة، ما تستقر قرارها؟  
لعبت طيور القلب تطفئ سعارها  
أساي إلى أن تسفح النفس عارها  
وتدرك منها سرها وجهارها  
فلا كنت ممن يصطلون أوارها



# استقبال المولود فني واجه الفترات

محمد صالح اليساوي

بمكبرات الصوت بدعاء خاص لهذه المناسبة:  
«اللهم يافارج الفرج، ياعالي بلا درج، يامن بيده  
مفاتيح الفرج، يامن فرجه قريب، وقاصده لا  
يخيب، فرج لها ولكل مكروب»، يكرر هذا الدعاء  
عدة مرات.

فيذا أهل المولود قررة عين ذويه تعلو الزغاريد  
وتتوالى التهاني؛ فيسارع بعض الأطفال أو النساء  
أو القابلة إلى بشارة أهله من الرجال كوالده  
وأعمامه وأحواله ليحصلوا على البشارة.

تتفرغ القابلة للعناية بالمولود - بعد أن تنام الأم -  
فتغسل جسمه وتنظفه، ثم يدهن بسمن مذاب فيه  
ملح، وقد يدهن بالزيت، وخاصة تحت إبطه ووراء  
أذنه، أو يدهن بماء مملح واستبدل بذلك أخيراً  
«البودرة»، ثم يطمعون المولود «راحة» توضع بقطعة  
قماش يصبها المولود، أو يضعون في فمه قليلاً من  
الدبس والسمن، وقد يسقونه قليلاً من ماء الزهر أو  
(يانسوناً) إلى أن يدر لبن أمه، ولوحظ أخيراً أن  
كثيراً من الناس يحنكونه بتمر امتثالاً للسنة.

يلف الصبي عادة بقمط، يعلق عليه، أو على  
مهد الوليد خرزة زرقاء! أو أجزاء بعض الحيوانات  
مثل: سن الذئب (الذئب) محلى بقطعة ذهب  
لحمايته من عين الحاسدين - كما يزعمون -، وقد  
يضعون تحت وسادته مصحفاً أو سكيناً لحمايته من  
شر الشيطان - كما يزعمون -، وبعض الناس  
يأخذون الوليد إلى شيخ يكبر في أذنه. وبعد انتشار  
خبر الولادة ويسمع به أطفال الحي، وخاصة من  
عند الكتائب، يذهبون إلى بيت المولود، ليأخذوا  
هدية من أهله منشدين بعض الأهازيج مثل:

صباح الخير ياخير الأنام

يخص ابن الكريم ابن الكرام

فيأثم الصبي قومي اصرفنا

وأعطينا نقوط ابن الكرام (١).

تسمية المولود

غالباً ما يتم انتقاء الاسم بالمشاورة بين أهل  
الوليد، وقد تمضي عدة أيام قبل اختيار الاسم، هذا  
إذا لم يكن للوالد كنية يعرف بها، فإن كانت له  
كنية فيسمى ولده الأول بها مباشرة.

وقد يتم انتقاء الأسماء عند البدو من البيئة مثل:  
ذئب، سرحان، فهد. وقد يعطى الطفل اسماً قبيحاً  
اعتقاداً أن هذا يطيل عمره، مثل: جربوع،  
جحش... وقد يسمى باليوم الذي ولد فيه: جمعة،  
خميس، أو الشهر الذي ولد فيه مثلاً: رجب،

لتسهيل الدراسة قسمت البحث إلى الفقرات  
التالية: استقبال المولود أثناء الولادة - تسمية  
المولود - الختان - عادات أخرى.

استقبال المولود أثناء الولادة

الولادة بصورة عامة تحمل معها الفرح والسرور  
من خلال سلامة الأم وخلاصها من آلام الوضع،  
ومن خلال إطلالة المولود الميمونة. وجرت العادة  
أن تكون الولادة في بيت أهل الزوجة وخاصة  
الولادة الأولى للمرأة؛ حيث يحضر عدد من  
النساء من أهل الزوجة ومن عائلة الزوج يجتمعن  
في بداية المخاض حول المرأة لتشجيعها وشد أزرها  
وتقوية معنوياتها، فإذا تأخرت الولادة يطلب أهلها  
من بعض المؤذنين في المساجد أن يدعو لهذه المرأة،  
فيقوم المؤذن بالدعاء في المسجد على المأذن أو

إن أية دراسة لمنطقة وادي الفرات تُعد ذات  
قيمة، لما لهذه المنطقة من الأهمية في التاريخ؛  
حيث قامت فيها أشهر الحضارات وأقدمها،  
ولازالت تتكشف في هذا الوادي آثار ووثائق  
تساعد الباحث وتعين المحقق، كما أنها كانت  
معبراً من معابر طريق الحرير الذي كان يصل  
الشرق بالغرب.

إذن فدراستنا هذه عن استقبال المولود في  
التراث الشعبي في هذه المنطقة إنما هي امتداد  
لدراسة هذه الحضارة وتكملة لها عليها تضيف  
جديداً في دراسة تراث هذه المنطقة التي هي جزء  
من التراث العربي والإسلامي والعالمي.

فكيف كان الناس يستقبلون المولود الجديد في  
منطقة وادي الفرات؟



شعبان، رمضان،... أو حالة الجو: عجاج، مطر، رعد، أو يسمى بأسماء الأنبياء عليهم السلام: محمد، أحمد، موسى، عيسى،...

وفي أواخر العهد العثماني كان البعض يضيفون أسماء على الاسم الأول تقليداً للأتراك مثل: توفيق فكرت، مصطفى نوري، جهاد عزمي، حسن حسني، عبد الله جودت، جميل عزمي، علي صائب، إبراهيم أدهم، محمود شوكت، محمود شوقي، علي خلوصي،...

حتى يُخيل للسامع أن الاسم الثاني اسم أبي الاسم الأول، وصارت هذه الأسماء المركبة علماً لأصحابها، عرفوا بها دون حاجة إلى إضافة اسم الأب.

كذلك جرت العادة أخذاً من العثمانيين أيضاً أسلوب الأسماء المركبة مثل: محمد صالح، محمد رشيد، محمد سعيد، محمد أمين، وتسجل هكذا في القيود الرسمية، ولكن الناس لا يتمسكون بها، وأصحابها لا يعرفون غالباً إلا باسم مفرد هو الأصل: صالح، رشيد،... (٢).

### الختان

يُعد الختان فرصة يفرح الناس بها، كما يفرحون بالعرس، بل يكاد اهتمامهم به يكون أشد من اهتمامهم بالولادة، ولعل ذلك يرجع إلى أمر نفسي يتعلق بمحببتهم للذكور خاصة.

كان الفرح قبل عملية الختان يستمر أسبوعاً يعلن عنه الأهل، ويقرّع بالطبل بعد ظهر كل يوم من أيام الأسبوع الذي يسبق عملية الختان يستمر كل يوم إلى منتصف الليل! وتعقد الدبكات على صوت الطبل والمزمار. والدابكون من الرجال والنساء، ويكون باب الدار مفتوحاً على مصراعيه يستقبل راغب الاشتراك بالدبكة أو مشاهدتها، وفي اليوم السابع يولم الأب وليمة عشاء يدعو إليها الكثيرين؛ حيث يقدم الثريد مع اللحم والخبز في صحاف كبيرة.

وفي صباح اليوم التالي يلبس الصبي المراد ختنه، ثوباً جديداً وقد يشترك عدد من الصبيان من الأقارب والجيران، ويلبسون نوعاً واحداً من الثياب أعدوها لهذه الغاية، فيسير هؤلاء الصبية المراد ختنتهم في صف واحد وأمامهم جمع من الرجال بشكل موكب يمر بالشارع العام، وينثر بعض أصحاب الحوانيت عليهم السكر، وبعد ساعة من طواف هذا الموكب يعودون إلى البيت

قبل الظهر، حيث يجدون طعام الغداء. تجري عملية الختان قبل الغداء غالباً؛ فيحتضن شخص كبير يسمى (الجريف) الصبي ممسكاً برجليه، ويتقدم الخاتن لإجراء عملية الختان، عندها تنطلق زغاريد النساء، ثم تدار على الحاضرين (صينية) تجمع فيها النقود التي يجودون بها لتدس في جيب (المطهر)، وهذه النقود غير الأجر الذي يتقاضاه، وبعدها تتلقى أم الصبي الختونة هدايا تسمى (نقوطة) من قريباتها وصديقاتها.

أكثر ما يكون الختان في شهري تموز وآب/يوليو وأغسطس في الصيف للاعتقاد أنه الوقت المناسب لشفاء الجرح، وللختان غناء تغنيه النساء ساعة إجراء عملية الختان (الطهور):

### يامطهر الولاد ياياس

طهر طهوراً يعجب الناس

طهر (فلان) ولا توجه

طهوره من (فلان) ملا الطاس (٣). وليس للختان سن معينة؛ فبعض الأولاد يختنون في اليوم السابع من ولادتهم، غير أن البعض يؤثر تأخير ذلك حتى سن السادسة أو السابعة من العمر.

### عادات أخرى

يذبح بعض الناس ذبيحة عند الولادة يلطخون رأس الصبي من دمها، أو يلطخون باب الدار! عند أكثر الناس تدفن السرة في مكان له أهميته: مدرسة، جامعة، مسجد،... اعتقاداً منهم أن دفن السرة في هذا المكان يجعل قلب الطفل محباً لهذا المكان!

هناك اعتقاد عند بعض الناس أن عبور الوليد الجديد لسبعة جسور أو لجسر واحد سبع مرات يذهب الشر عنه ويسلم من إصابة العين.

ثمة اعتقادات قديمة بأن يأخذ الصبي سنّه اللبني عند سقوطه ويستقبل الشمس! ويقذف سنّه قائلاً: «يا عين الشمس خذي سن الحمار، واعطيني سن الغزال» (يقصد أن تكون الأسنان الدائمة صغيرة كسن الغزال بدلاً من السن اللبني التي قذفها غير مأسوف عليها، لأنها كسن الحمار).

ومن العادات القبيحة التي كانت في استقبال المولود التفرقة بين ولادة الذكر والأنثى، وهي - كما هو معلوم - عادة جاهلية أنكرها الشرع وذهمها القرآن الكريم في أكثر من موضع، فإذا ولدت المرأة ذكراً تفرح فرحاً شديداً، وتعز وتعلم أنها ستلقى

حظوة عند زوجها وأهله، وأنها أصبح لديها سند، ويبارك لها ولأهلها بقولهم «مبارك».

أما إذا ولدت أنثى فإنها تشعر بالخجل والانكسار وكأنها اقترفت جريمة، ويقولون لها ولأهلها «نعمة» بدل قولهم «مبارك». وقد نسي هؤلاء قول الله تعالى: ﴿يَهَبْ لِمَن يَشَاءُ إِنثَاءً وَيَهَبْ لِمَن يَشَاءُ الذَّكَورَ﴾ (الشورى: ٤٩).

اعتاد بعض الناس إذا تأخر مشي الصبي أن يأخذوه مربوط الساقين إلى باب أحد المساجد عند صلاة الجمعة؛ فيتقدم أحد المصلين من أهل الخير بعد الفراغ من الصلاة فيحمل رباطه، فيتفأل الأهل بذلك على قرب مشي الطفل!

عند بدء ظهور الأسنان اللبنيّة للطفل يضع أهله طعاماً يسمى «السليقة» (٤)، ويقومون بتوزيعه على الجيران والأقارب في أوان، وتعاد هذه الأواني إلى أهل الطفل مع نقود (نقوطة) هدية مقابل ماأهدى إليهم.

هذه هي أهم العادات والتقاليد في هذه المنطقة. ويلاحظ الآن اضمحلال الكثير من هذه العادات واندثارها، خاصة بعد الوعي الذي ازداد انتشاره في الفترة الأخيرة.

هذا في التراث الشعبي بمنطقة وادي الفرات. ولكن ماذا نلاحظ؟

من خلال دراسة هذه العادات نجد أن منها ما هو حضاري، منطقي تربوي، ومنها ما هو سيء لا يخضع لمنطق، ولا يقبله الشرع، وإنما هو تقليد للآباء والأجداد أو نتيجة الأهواء والشهوات وال رغبات.

لابد إذن من النقد الموضوعي، لاسيما ونحن أمام متغيرات عالمية أتاحت للباحثين والمفكرين أن يقوموا بواجبهم في البحث والتحقيق في مختلف المجالات. لابد إذن من النقد الذاتي لأنفسنا سواء في الاعتقاد أو السلوك أو العادات والتقاليد، فالتعصب مذموم والبكاء على الأطلال لا يُظهر حقاً، ولا يوضح فكراً.

من هذا المنطلق رأيت أن أبحث هذا الموضوع في الفقه الإسلامي لتتضح الموازنة، فيكون القارئ الكريم أمام نموذجين من السلوك والتفكير فيعمل رأيه ويوازن ليصل إلى الأفضل من تلك المفاهيم التربوية والسلوكية.

أولاً: عند إطلالة الوليد يستحب أن يؤذّن في أذنه اليمنى مباشرة وأن يقام في اليسرى ذكراً كان



# استقبال المولود فِي وَادِةِ الفـرات

مأْسْتَحَبٌ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَمَا يَكْرَهُ: مِمَّا لَا شَكَّ فِيهِ أَنَّ لِلْأَسْمَاءِ الْقَبِيحِ أَثْرًا فِي نَفْسِيَةِ صَاحِبِهِ، فَعَلَى الْآبَاءِ أَنْ يَسْمُوا أَبْنَاءَهُمْ بِأَحْسَنِ الْأَسْمَاءِ، وَأَنْ يَجْنِبُوهُمْ الْأَسْمَاءَ الَّتِي تَمَسُّ كِرَامَتَهُمْ، وَيَعْدُوهُمْ مِنَ الْأَسْمَاءِ الَّتِي تَحُطُّ مِنْ أَقْدَارِهِمْ وَتَهْدِدُ مَعْنَوِيَاتِهِمْ؛ وَقَدْ حَدَدَ الْإِسْلَامُ قَوَاعِدَ لاختيار الاسم الحسن، فقررت السنة أن أفضل الاسماء وأحبها إلى الله: عبد الله، عبد الرحمن. فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنْ أَحَبَّ أَسْمَاكُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: عَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ» رواه مسلم.

ثُمَّ يَسْمَى بَعْدَ ذَلِكَ بِمَا شَاءَ، وَلَكِنْ يَجْتَنِبُ الْقَبِيحَ شَرْعًا حَسَبَ الْمَبَادِئِ التَّالِيَةِ:

يَحْرُمُ الشَّرْعُ التَّسْمِيَةَ بِكُلِّ اسْمٍ مَعْدٍ لِغَيْرِ اللَّهِ، مِثْلُ: عَبْدُ هَبْلٍ، عَبْدُ الْكَعْبَةِ وَمَأْشَبِهِ ذَلِكَ. كَمَا يَحْرُمُ التَّسْمِيَةُ (بِمَلِكِ الْمُلُوكِ، سُلْطَانِ السُّلَاطِينِ، شَاهِنشَاهٍ).

يَكْرَهُ مِنَ الْأَسْمَاءِ الَّتِي لَهَا اشْتِقَاقٌ مِنْ كَلِمَاتٍ تَكْرَهُهَا النَّفُوسُ مِثْلُ: حَيَّةٌ، كَلْبٌ، مَرَّةٌ وَأَشْبَاهُهَا. تَكْنِيَةُ الْمَوْلُودِ: مِنَ السَّنَةِ تَكْنِيَةُ الْمَوْلُودِ بِأَبِي فَلَانٍ، أَوْ أُمِّ فَلَانٍ فَإِنْ ذَلِكَ نَوْعٌ مِنَ التَّكْرِيمِ لَهُ.

قال الشاعر:

أَكْنِيهِ حِينَ أَنْادِيهِ لِأَكْرَمِهِ

وَلَا أَقْبَهُ، وَالسُّوءَةُ اللَّقَبُ

سادساً: الْخِتَانُ (١٣): الْخِتَانُ مِنْ سَنَةِ الْفِطْرَةِ وَهُوَ وَاجِبٌ، وَالْأَفْضَلُ أَنْ تَكُونَ عَمَلِيَّةُ الْخِتَانِ فِي الْأَيَّامِ الْأُولَى مِنَ الْوِلَادَةِ، أَيْ ابْتِدَاءً مِنَ الْيَوْمِ السَّابِعِ إِنْ كَانَ الطِّفْلُ يَقْوَى عَلَيْهِ، وَإِلَّا فِيمَا بَعْدَ وَيَمْتَدُّ إِلَى قَبِيلِ الْبُلُوغِ.

وَيُسَنُّ أَنْ تَذِيحَ ذَبِيحَةً عِنْدَ الْخِتَانِ وَتَسْمَى (الْغَدِيرَةَ)، وَلَمْ يَجْعَلِ الْإِسْلَامُ شَكْلِيَّاتٍ خَاصَّةً، وَإِنَّمَا يَبْسُرُهُ وَسَهْلَتُهُ طَلَبٌ مِنْ أَهْلِ الْوِلْدَةِ الْخِتَانِ وَدُونَ شَكْلِيَّاتٍ.

سابعاً: الْعَقِيقَةُ (١٤): هِيَ الذَّبِيحَةُ عَنِ الْمَوْلُودِ، وَتَسْمَى أَيْضاً: نَسِيكَةً، أَوْ ذَبِيحَةً، وَفِي بَعْضِ الْبِلَادِ تَسْمَى: التَّمِيمَةُ.

حَكْمُهَا: لِلْعُلَمَاءِ فِي حَكْمِ الْعَقِيقَةِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ: الْقَوْلُ الْأَوَّلُ: إِنَّهَا سَنَةٌ، وَبِهَذَا قَالَ الْجُمْهُورُ مِنَ الشَّافِعِيَّةِ وَالْمَالِكِيَّةِ وَالْحَنَابِلَةِ.

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهِ، فَسَمَاهُ إِبْرَاهِيمُ وَحَنَكُهُ بِتَمْرَةٍ. وَزَادَ الْبَخَارِيُّ: «وَدَعَا لَهُ بِالرَّكَّةِ، وَدَفَعَهُ إِلَيَّ»، وَكَانَ أَكْبَرَ وَلَدِ أَبِي مُوسَى (٩).

رابعاً: حَلَقُ شَعْرِ الْمَوْلُودِ: يُسْتَحَبُّ حَلَقُ شَعْرِ الْمَوْلُودِ كُلِّهِ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ مِنْ وَلَادَتِهِ بَعْدَ ذَبْحِ الْعَقِيقَةِ، وَلَا يَكْفِي حَلَقُ بَعْضِ الشَّعْرِ أَوْ تَقْصِيرُهُ، ثُمَّ يَأْخُذُ هَذَا الشَّعْرَ وَزَنَهُ، وَيَتَصَدَّقُ بِوزْنِهِ فَضَّةً أَوْ ذَهَباً عَلَى الْفُقَرَاءِ، وَفِي هَذَا فَوَائِدُ اجْتِمَاعِيَّةٍ بِمُسَاعَدَةِ الْفُقَرَاءِ وَالْمُحْتَاجِينَ. عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: عَقَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الْحَسَنِ بَشَاءَةً وَقَالَ: «يَا فَاطِمَةُ احْلِقِي رَأْسَهُ، وَتَصَدَّقِي بِزَنَةِ شَعْرِهِ فَضَّةً» (١٠). قَالَ: فَوَزَنَتْهُ فَكَانَ وَزَنُهُ دَرَاهِمًا أَوْ بَعْضُ دَرَاهِمٍ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.

هَلْ يَحْلِقُ شَعْرَ الْأُنْثَى كَالذَّكَرِ؟

لِلْعُلَمَاءِ قَوْلَانِ (١١):

الْقَوْلُ الْأَوَّلُ: نَعَمْ يَحْلِقُ شَعْرَ الْأُنْثَى كَالذَّكَرِ، وَإِلَى هَذَا ذَهَبَ الشَّافِعِيَّةُ وَالْمَالِكِيَّةُ. فَقَدْ رَوَى الْإِمَامُ مَالِكٌ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ قَالَ: «وَزَنَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَعْرَ حَسَنِ وَحُسَيْنَ، وَزَيْنَبَ، وَأُمِّ كَلْثُومَ، فَتَصَدَّقَتْ بِزَنَةِ ذَلِكَ فَضَّةً».

الْقَوْلُ الثَّانِي: لَا يَحْلِقُ شَعْرَ الْأُنْثَى - وَإِنَّمَا الْحَلْقُ يَتَعَلَّقُ بِالذَّكَرِ فَقَطْ -، وَذَهَبَ إِلَى ذَلِكَ الْحَنَابِلَةُ.

خامساً: تَسْمِيَةُ الْمَوْلُودِ (١٢): اعْتَادَ النَّاسُ مِنْ الْقَدَمِ إِذَا وَلَدَ لَهُمْ مَوْلُودٌ، أَنْ يَخْتَارُوا لَهُ اسْمًا يَتَمَيَّزُ بِهِ مِنْ غَيْرِهِ، وَيَعْرِفُ بِهِ، وَقَدْ أَقْرَأَ الْإِسْلَامُ هَذِهِ الظَّاهِرَةَ الْجَمَاعِيَّةَ، وَوَضَعَ لَهَا أَحْكَامًا تَشْعُرُ بِأَهْمِيَّتِهَا.

## متى يسمي المولود؟

لَوْ تَتَبَعْنَا أَقْوَالَ الْعُلَمَاءِ فِي وَقْتِ تَسْمِيَةِ الْمَوْلُودِ لَوَجَدْنَا عِدَّةً مِنَ الْأَقْوَالِ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: يَسْمَى فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ يَوْمَ وَلَادَتِهِ، وَمَنْ خَالَفَ هَذِهِ الْأَقْوَالَ نَجَدَ فَسْحَةً، فَيَجُوزُ تَسْمِيَتُهُ فِي الْيَوْمِ الْأَوَّلِ، وَيَمْتَدُّ إِلَى ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ بَلْ إِلَى الْيَوْمِ السَّابِعِ، وَيَجُوزُ قَبْلَ ذَلِكَ وَبَعْدَهُ.

التَّسْمِيَةُ حَقُّ الْأَبِّ: إِذَا لَمْ يَتَّفَقِ الْوَالِدَانِ عَلَى تَسْمِيَةِ الْمَوْلُودِ، فَالتَّسْمِيَةُ مِنْ حَقِّ الْأَبِّ. وَالْقُرْآنُ الْكَرِيمُ صَرَحَ بِأَنْ يَنْسَبَ الْوَلَدُ إِلَى أَبِيهِ يَقَالُ: فَلَانُ بْنُ فَلَانٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ (الْأَحْزَابُ: ٥).

المولود أم أنثى. فعن أبي رافع قال: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَذُنَ فِي أُذُنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ حِينَ وَلَدَتْهُ فَاطِمَةُ بِالصَّلَاةِ» (٥) «أَيَّ كَأَذَانِ الصَّلَاةِ». وَفَائِدَةُ التَّأْذِينَ أَنْ يَكُونَ أَوَّلُ مَا يَقْرَعُ سَمِعَ الْإِنْسَانَ كَلِمَاتِ الْأَذَانِ الْمُتَضَمِّنَةِ لِكِبْرِيَاءِ اللَّهِ وَعَظَمَتِهِ. وَغَيْرُ مُسْتَنَكِرٍ وَصُولُ أَثَرِ التَّأْذِينَ إِلَى قَلْبِهِ وَتَأْثِيرُهُ فِيهِ وَإِنْ لَمْ يَشْعُرْ (٦)، وَقَدْ أُثْبِتَتِ الدِّرَاسَاتُ التَّرْبَوِيَّةُ الْحَدِيثَةُ أَنَّ التَّرْبِيَةَ تَبْدَأُ مِنْذُ اللَّحْظَاتِ الْأُولَى لِلْوِلَادَةِ، بَلْ وَقَبْلَ الْوِلَادَةِ.

ثَانِيًا: تُسْتَحَبُّ الْبِشَارَةُ وَالتَّهْنِئَةُ عِنْدَ الْوِلَادَةِ:

فَالْبِشَارَةُ: الْإِعْلَامُ بِمَا يَسُرُّ.

وَالْتَّهْنِئَةُ: دَعَاءٌ لَهُ بِالْخَيْرِ بَعْدَ أَنْ عُلِمَ بِهِ.

وَلَمَّا كَانَتِ الْبِشَارَةُ تَسُرُّ الْإِنْسَانَ وَتَفْرَحُهُ اسْتَحَبَّ لِمَنْ عُلِمَ بَوْلَادَتُهُ أَنْ يِيَادِرَ إِلَى مَسْرَةِ أَخِيهِ وَإِعْلَامِهِ بِمَا يَفْرَحُهُ، ذَلِكَ بِيَشَارَتِهِ وَإِدْخَالِ السُّرُورِ عَلَيْهِ، وَفِي ذَلِكَ تَقْوِيَةٌ لِلْأَوَاصِرِ وَتَمَتُّنٌ لِلرَّوَاطِبِ الْجَمَاعِيَّةِ وَنَشْرُ الْأَلْفَةِ وَالحُبِّ بَيْنَ الْعَوَائِلِ.

وَفِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي قِصَّةِ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ (مَرْيَمُ: ٧). وَيَنْدُبُ أَنْ يَهْنَأَ فَيَقَالَ لَهُ: «بَارَكَ اللَّهُ فِي الْمَوْحُوبِ لَكَ، وَشَكَرْتَ الْوَاهِبَ، وَبَلَغَ أَشَدَّهُ وَبَلَغَ بَرَّهُ».

وَأَنْ يَرِدَ عَلَى الْمُهْنِيِّ، فَيَقُولُ: «بَارَكَ اللَّهُ لَكَ، وَبَارَكَ عَلَيْكَ» أَوْ: «أَجْزَلَ اللَّهُ ثَوَابَكَ». وَهَذِهِ الْبِشَارَةُ يَنْبَغِي أَنْ تَشْمَلَ كُلَّ مَوْلُودٍ سِوَا أَكْثَرِ ذَكَرٍ أَمْ أَنْثَى دُونَ تَفْرِيقٍ، لِأَنَّ التَّفْرِيقَ فِي التَّهْنِئَةِ مِنْ صِفَاتِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَإِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ كَانُوا يَهْنِئُونَ بِالْإِنِّ فَقَطْ، وَبِوَفَاةِ الْبَنَتِ دُونَ وَلَادَتِهَا (٧).

ثَالِثًا: تَحْنِيكُ الْمَوْلُودِ: وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يُحْنَكُ الْمَوْلُودُ بِتَمْرٍ عَقِبَ الْوِلَادَةِ ذَكَرًا أَوْ أَنْثَى، وَذَلِكَ بِأَنْ تُمَضَّغَ الثَّمَرَةُ وَنَحْوُهَا حَتَّى يَصِيرَ مَائِعًا، ثُمَّ يَوْضَعُ جِزْءٌ مِنْهُ عَلَى الْإِصْبَعِ، وَتَدْخُلُ الْإِصْبَعُ فِي فَمِ الْمَوْلُودِ بِلُطْفٍ، وَيَفْتَحُ فَمَهُ حَتَّى يَنْزِلَ إِلَى جَوْفِهِ شَيْءٌ مِنْهُ، فَإِنْ لَمْ يَتِمَّسَّ الثَّمَرُ فَلْيَكُنِ التَّحْنِيكُ بِأَيِّ مَادَّةٍ حَلْوَةٍ طَبِيعِيًّا لِلسَّنَةِ، وَلَعَلَّ الْحِكْمَةَ مِنَ التَّحْنِيكِ تَقْوِيَةُ عَضَلَاتِ الْفَمِ بِحَرَكَةِ اللِّسَانِ وَالْحَنَكِ مَعَ الْفَكِّينِ بِالتَّلْمِظِ، حَتَّى يَهْيَأَ الْمَوْلُودَ لِلْقَمِّ الثَّدِيِّ وَامْتِصَاصِ اللَّبَنِ بِشَكْلِ قَوِيٍّ وَحَالَةٍ طَبِيعِيَّةٍ.

فَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: «وُلِدَ لِي غُلَامٌ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ



القول الثاني: ليست فرضاً، ولا سنة، وأنكروا مشروعيتها، وبهذا قال الحنفية. وقالوا: كانت في الجاهلية، ثم فعلها المسلمون في أول الإسلام فنسخها ذبح الأضحية، فمن شاء فعل، ومن شاء لم يفعل.

القول الثالث: إن العقيقة واجبة، بهذا قال الحسن، وداد. ولكل من الأقوال أدلة مبسطة في مظانها لا داعي لذكرها ومناقشتها خوفاً من الإطالة. ولكن الراجح عندي هي أنها سنة حسب رأي الجمهور.

قال الإمام الشافعي: «أفرط في العقيقة رجلان: الحسن قال: بدعة، والليث قال إنها واجبة».

قلت: فمن استطاع أن يعق عن ولده فليفعل ففيها خير كثير وبركة، ولأنها ذبيحة أمر النبي صلى الله عليه وسلم بها. فكانت أولى من الوليمة.

قال الإمام أحمد: «إذا لم يكن عنده ما يعق فاستقرض رجوت أن يخلف الله عليه إحياء سنة. قال ابن المنذر: صدق أحمد، إحياء السنن واتباعها أفضل».

وأما من كان فقيراً لا يستطيع ذلك فإن في الأمر فسحة.

## هل عقيقة الأنثى مثل الذكر؟

العقيقة سنة عن الأنثى كما هي عن الذكر، إلا أن العلماء اختلفوا كم يذبح عن الأنثى، وكم عن الذكر إلى قولين:

القول الأول: إن المشروع في العقيقة شاتان عن الذكر وشاة عن الأنثى، وهو قول الشافعية والحنابلة. واستدلوا بأحاديث منها: ما روته السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عن الغلام شاتان مكافئتان، وعن الجارية شاة» (نيل الأوطار ١٤٩/٥).

القول الثاني: إن المشروع في العقيقة شاة عن الذكر والأنثى سواء. وبهذا قال المالكية، واستدلوا أيضاً بأحاديث منها: حديث ابن عباس «أن النبي صلى الله عليه وسلم عَقَّ عن

الحسين والحسن كبشاً كبشاً» رواه أبو داود والنسائي (نيل الأوطار ١٥٢/٥).

الراجح: القول الأول هو الراجح، وأجابوا عن حديث ابن عباس أن ذلك محمول على الجواز. وقت ذبح العقيقة: ذهب جمهور الفقهاء أن السنة في العقيقة أن تذبح في اليوم السابع من الولادة، صدر النهار.

لما روى سمرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «كل غلام رهينة بعقيقته تذبح عنه يوم سابعه، ويسمى، ويحلق رأسه» رواه الخمسة وصححه الترمذي (٢٨٧/١).

وقالوا: يحسب اليوم الذي ولد فيه من السبعة، فإن ولد ليلاً حُسِبَ اليوم الذي يليه.

وذهب المالكية: إلى أنَّ اليوم الذي ولد فيه لا يحسب من السبعة إلا أن يولد قبل الفجر.

لوفات اليوم السابع، ولم يعق عن المولود فمتى يعق؟

لوفات اليوم السابع، ولم يعق عن المولود ففي أربعة عشر، فإن فات، ينتظر حتى الحادي والعشرين، وإن تجاوز الحادي والعشرين ولم يعق، احتمل أن يستحب في كل سابع... قياساً على ما قبله. واحتمل أنه يجوز في كل وقت لأن هذا قضاء. وإذا بلغ ولم يعق عنه أبواه، فهو مخير في العقيقة عن نفسه.

وقال الحنابلة: لا تختص العقيقة بالصغير، فيعق الأب عن المولود، ولو بعد بلوغه لأنه لا آخر لوقتها.

حكم لو اجتمع أضحية وعقيقة: نص الحنابلة أنه لو اجتمع أضحية وعقيقة ونوى الذبيحة عنهما أجزأت، كما لو صلى ركعتين ينوي بهما تحية المسجد وسنة المكتوبة.

ونص المالكية أنه لا تجزئ لأن المقصود إراقة الدم، وإراقة الدم لا تجزئ عن إراقتين.

أيهما أفضل أن يجعلها وليمة يدعو إليها أم يوزع اللحم المطبوخ؟

قال الشافعية: التصدق بلحمها ومرقها على المساكين بالبعث لهم أفضل من الدعوة إليها.

ولكنهم أضافوا أنه لو دعا إليها قوماً جاز. ولو فرق بعضها ودعا ناساً إلى بعضها جاز.

وقال المالكية: يكره عملها وليمة يدعو الناس إليها لمخالفتها سنة السلف، وخوف المباهاة والمفاخرة.

ذهب الحنابلة: إلى أنه لو طبخها، ودعا إليها فأكلوا فحسن.

إذن من خلال هذه الأقوال نجد أن في الأمر فسحة، وهكذا نكون قد أتينا إلى نهاية المطاف. وختاماً: فمما لا شك فيه أن الإسلام نظام عام وشامل يعالج مختلف نواحي الحياة. لذلك فقد تنوعت مواضعه، وتعددت بحوثه.

في هذا البحث تتجلى لنا دقة هذا النظام وشموله؛ فهو يعالج ما يحتاج إليه الإنسان منذ ولادته؛ بل وقبل ولادته، سواء من الناحية الروحية أو الصحية أو النفسية أو الاجتماعية.

ففي رفع نداء "الله أكبر" في أذن الوليد منذ أول إطلالة على الدنيا، دلالة على غرس العزة والكرامة والتوحيد في نفسه.

وفي تحنيكه لتقوية عضلات فمه دلالة على اهتمام الإسلام بالناحية الصحية.

وفي حسن تسميته تتجلى سلامة الذوق واستقامته.

وفي ذبح العقيقة وتوزيعها دلالة على تعاون المجتمع وتكامله وتعويد البذل والسخاء والكرم. فما أحوجنا إلى تلکم المثل والقيم والمفاهيم لضمان سعادة الفرد والمجتمع بانسجام مع الفطرة الإنسانية ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها﴾ (الروم: ٣٠).

## الهوامش:

- ١- نقوط: هدية، يقال: نقط العروس ونحوها: قدم إليها هدية عند الزواج (المعجم الوسيط، مادة نقط).
- ٢- انظر تسمية الأشخاص في الأنثوغرافيا الدورية رقم ٢٥ بلا تاريخ.
- ٣- الوليد: الأولاد. ياسي: الطبيب الحاذق. ملا الطاس: ملاء الإناء.
- ٤- السليقة: طعام مطبوخ مكون من أنواع البقول والحبوب: من قمح، وذرة، وحصى، وفول، ولوبيا، وقليل من الكمأة، والأفط.
- ٥- رواه الترمذي، باب الأذان في أذن المولود، وقال حديث حسن صحيح.
- ٦- تحفة المودود، لابن القيم ص ٢٢.
- ٧- مغني المحتاج، ٢٩٦/٤.
- ٨- لا يشترط أن يكون المصغ بالقم.
- ٩- رواه البخاري، باب تسمية المولود غداً يولد، ومسلم، باب تحنيك المولود عند ولادته.
- ١٠- رواه الترمذي، باب ما جاء في العقيقة بشاة وقال: حديث حسن غريب.
- ١١- شرح الموطأ للزرقاني ١٢٨/٣، وكشاف القناع: منصور البهوني ٢٩٣/٣.
- ١٢- زاد المعاد لابن القيم، والمجموع للنووي ٤٣٦/٨، وتحفة المودود ص ٨٠.
- ١٣- تحفة المودود ص ١٠٠، والمجموع ٣٠١/١.
- ١٤- مغني المحتاج للشريني ٢٩٣/٤، وكشاف القناع ٢٤٣/٣، وبدائع الصنائع للكباسي ٦٩/٥. وبداية المجتهد لابن رشد ٧٩٥/١.



## رسالة مفتوحة إلى الأمهات والجيدات

د. قماضر حسن

في البيت أو العمل، أو من خلال مسيرة حياتهم في المجتمع، فوقفوا عاجزين تماماً أمامها، وفقدوا القدرة على الصمود والمواجهة، وبدلاً من الاحتماء بالعقل والمنطق والتحليل، انهاروا طالبين الأمن والحماية من دجال مشعوذ.

كذلك تبين الأثر الكبير الذي تركه قصص وحكايات وروايات الأمهات والجيدات اللواتي يحكين عن قوة السحرة ومهارتهم في تسخير الجن والعفاريت لتحقيق رغباتهم، فكل الأشخاص الذين قابلناهم كانت طفولتهم الأولى مشبعة بهذا اللون من الحكايات، وأثرت في شخصياتهم تأثيراً كبيراً.

ولو رجعنا إلى تراثنا الشعبي، وإلى حكايات الأمهات والجيدات - التي كنا نتوق لسماعها ونحن صغار، والتي مازالت تروى للصغار - لوجدنا معظم أحداثها يدور حول كائنات خيالية كالغولة، والعفاريت، والسحرة، والمسحورين، ومصباح علاء الدين، وخاتم سليمان... الخ. إن الحكايات والروايات تعد من أهم وسائل التنشئة الاجتماعية والنفسية للطفل، من خلالها ينقل الكبار للصغار القيم والأخلاق والعادات والتقاليد وأسلوب الحياة، وطريقة التفكير، ومن ثم تسهم في تشكيل ثقافة الطفل وسلوكه وأسلوب حياته وطريقة تفكيره وتستمر معه طيلة الحياة. وهنا يكمن الخطر في قصص الأمهات والجيدات وحكاياتهم ورواياتهم.

كلمة أخيرة أتوجه بها لكل من يطرق أبواب السحرة والمشعوذين، ولا أجد في هذا المجال أفضل مما أتى به المفكر الإسلامي المعروف الدكتور محمد عماره، حيث قال: إن الإنسان المسلم مطالب في قضاء حوائجه وحل مشكلاته إلى الرجوع للأسباب التي علمنا الله سبحانه وتعالى أنها السنن والقوانين في الكون المادي والاجتماع البشري، وليس لها تبديل أو تحويل. ومن أراد تحقيق المقاصد والغايات فعليه الأخذ بهذه الأسباب، وإذا بذل جهده وغايته ولم تتحقق مقاصده فعليه أن يلجأ إلى الله القادر وحده، وليس إلى الجن والعفاريت والسحرة. وانتشار ظاهرة اللجوء للسحرة والمشعوذين في مجتمع ما، تعني أن الانسان في هذا المجتمع قد أصبح عاجزاً عن مواجهة مشكلاته.

لفت انتباهي دراسة ميدانية قامت بها الدكتور سامية ساعاتي أستاذة علم الاجتماع بجامعة عين شمس، تدور حول السحر والسحرة، وما يهمننا في هذا المقام، النتائج التي خلصت إليها هذه الدراسة. ونجملها في الآتي:

١- يزداد إقبال المرأة بشكل عام على السحرة والمشعوذين، نظراً لما تعانيه من ضغوط وإرهاصات نفسية واجتماعية عنيفة تفرزها المصاعب والمشكلات التي تعترض مسيرة حياتها اليومية سواء قبل الزواج أو بعده.

٢- إن (٩٨٪) من المترددين والمترددات على السحرة والمشعوذين يرون في السحر علاجاً لمعاناتهم من المشكلات التي فشلت الوسائل المادية في علاجها.

٣- إن غالبية السحرة والمشعوذين تتراوح أعمارهم بين الأربعين والخمسين سواء كانوا ذكوراً أم إناثاً.

٤- إن مانسبته (٦٣٪) من السحرة والمشعوذين من الأميين، و(٣٣٪) منهم يقرؤون ويكتبون، و(٦٪) جامعيون.

٥- إن ما نسبته (٤٧٪) من الدجالين والمشعوذين والسحرة ورثوا المهنة عن آبائهم، و(٥٣٪) مارسوا المهنة بدافع الهواية.

٦- إن ما نسبته (٥٥٪) من المترددين والمترددات على السحرة والدجالين من المتعلمين، و(٣٠٪) فقط من الأميين.

٧- إن مانسبته (٥١٪) من المترددين والمترددات متزوجون، و(٢٨٪) من العزاب.

٨- إن (٧٢٪) من المترددين والمترددات من الموظفين، و(٢٢٪) من العمال، و(٥٪) من التجار.

٩- إن (٥٧٪) من المترددين والمترددات أفادوا بأنهم لم يلمسوا أي تقدم، بينما أجاب (٤٢٪) بأنهم قد استفادوا.

دفعني تلك الدراسة لإجراء عدة مقابلات تجاوزت الـ (٢٥) مقابلة مع رجال وسيدات ترددوا أكثر من مرة على هؤلاء المشعوذين والسحرة، لمعرفة الأسباب العميقة التي دفعت بمثل هؤلاء إلى بيوت السحرة والمشعوذين، فتبين أنهم جميعاً يعانون من إحباطات واضطرابات نفسية شديدة نتيجة أزمات ومشكلات حادة نبتت من البيئة المحيطة بهم سواء



# لماذا تفقد الوظيفة في أعصابك؟

د. بشار عبد الرازق جعفر

لماذا ينجح بعضنا في التغلب على الوظيفة وتجاوز آثارها، بينما يفشل آخرون فيصابون بالقلق والكآبة؟ قد لا يصبح الجواب واضحاً إلا بعد أن نفهم الكيمياء الحيوية الكامنة وراء ما يسمى بعملية بناء قوة الإرادة، أو قوة التحمل!!

يتفق كثيرون، أو أغلب الناس، على أن أحداثاً معينة في حياتهم، كفقدان شخص أو شيء عزيز، أو تبديل مكان العمل، أو الإخفاق في الامتحانات، أو حتى السفر في ساعات الازدحام في المدن الكبرى يومياً، تؤدي إلى معاناتهم من الوظيفة Stress. وكلنا نحاول تجنب الوظيفة، ولكننا نعود إلى التكيف معها إن لم نستطع تجنبها. وكثيراً ما يشار إلى هذا التكيف بتعبير «قوة الإرادة أو قوة التحمل». ومع أنه يصعب تحديد ماهية الوظيفة؛ فإننا نعرف جيداً أن تجنبها أو مجابهتها بقوة الإرادة يشكّلان - على حد سواء - طريقتين أساسيتين للتعامل معها وتجاوزها إن أمكن.

وعندما لا نستطيع تجاوز الوظيفة فإنه يمكن لها أن تؤدي بنا إلى سرعة الانفعال والغضب وإلى الإجهاد، أو اضطرابات أكثر جدية وحدة؛ مثل القرحة المعدية والأمراض القلبية الوعائية والقلق والكآبة. ولكن، ليس كل من يتعرض للوظيفة يصاب بالسكتة القلبية أو بموجة من الكآبة، فبعض الأشخاص أكثر عرضة للتأثر من غيرهم في مواجهة هذه الأمور. ويعتقد بعض علماء الأعصاب اليوم أن الفارق في القدرة على تجاوز الوظيفة قد يكمن في التغيرات الحيوية الكيماوية (البيوكيماوية) التي تحصل في الدماغ والمتعلقة بعملية التكيف مع الوظيفة. هذا وتؤدي الوظيفة إلى أن تقوم الغدة الكظرية، الموجودة فوق الكلية، بإطلاق هرمون الأدرينالين. ولكن هرمونات عديدة أخرى - ومنها واحد على علاقة بالأدرينالين هو النورادرينالين - تتجول مع الدورة الدموية كذلك، ويعمل الهرمون المذكوران بطريقة متشابهة. إذ هما يؤديان إلى تغيرات طبيعية (فيزيولوجية) في الجسم تعبر عنها حتى اللغة اليومية لوصف تجارب مجهدة؛ إذ تحدث

عن «وقوف شعر الرأس»، و «ارتجاف الركبتين»، و «تصبب العرق البارد»، وغيرها من الأوصاف. وربما كانت هذه التغيرات تعدّنا للتعامل مع الوظيفة بمنطق «اضرب أو اهرب» وهي شبيهة إلى حد كبير بالعلام الطبيعية (الفيزيولوجية) المتعلقة بالخوف والقلق. والواقع أن باستطاعة الأدوية التي تخفف من عمل الأدرينالين والنورادرينالين أن تقلل من القلق.

ومن ناحية أخرى فإن الخلايا العصبية، أو العصبونات (النيورونات)، تفرز هي أيضاً الأدرينالين والنورادرينالين؛ حيث تعمل هذه المركبات كمرسلات عصبية ومراسلات كيماوية تمكن كل عصبون من الاتصال بالآخر ونقل الرسالة إليه، وتوجد العصبونات التي تستخدم النورادرينالين كمرسل عصبي في كل أجهزة الجسم تقريباً، من قريحة العين وحتى الأحشاء والأمعاء.

ويمكن لإطلاق هذه المركبات أن يفسر بعض الاضطرابات الصحية التي تسببها الوظيفة، وعلى سبيل المثال، فنحن نعرف أن التركيز العالي للنورادرينالين في الدم، والذي يحصل عند المصابين بأورام في الغدة الكظرية، يمكنه أن يتلف عضلة القلب إلى حد قاتل، وكذلك فإن الوظيفة تزيد من هذه الهرمونات - المرسلات العصبية في الدورة الدموية، وقد يكون لها تأثير مماثل في القلب. ولكن من المرجح أن تكمن أسباب الاضطرابات النفسية في الدماغ، ولهذا فقد حاول علماء الأدوية النفسية أن يفهموا كيف تغير الوظيفة طريقة عمل الدماغ.

لقد بحثت معظم دراسات تأثيرات الوظيفة في الدماغ والحبل الشوكي (الجهاز العصبي المركزي) عن تغيرات في الجهاز الحرفي Limbic System (الحافسة الداخلية للقشرة الخفية في المنطقة المتوسطة والصدغية من نصفي الكرة الخفية)، الذي هو عبارة عن مجموعة من مناطق الدماغ لها علاقة بالسيطرة على العواطف والدوافع. وهناك شبكة من الألياف العصبية التي تربط بين مختلف أجزاء الجهاز الحرفي، وتصل المناطق التي تضبط إفراز الهرمونات - مثلاً -



بمناطق أخرى تتعلق بعمليات اتخاذ القرار والتعلم.

### جهاز الإنذار

تعتمد عصبونات الجهاز الحرفي على الكثير من الرسائل العصبية، بما فيها الأدرينالين والنورادرينالين. ولم تكتشف العصبونات التي تطلق الأدرينالين إلا مؤخراً، ومازلنا لانعرف إلا القليل عن كيفية عملها، ولكننا نعرف أكثر بقليل عن العصبونات التي تطلق النورادرينالين.

ويقول أحد الاقتراحات الشائعة إن هذه العصبونات تعمل كجهاز إنذار يحذر الشخص من خطر داهم، وتأكيداً لهذه الفكرة أظهر الباحثون أن أنواعاً مختلفة من الوطأة تزيد من نشاط هذه العصبونات، وكلما ازداد نشاط هذه العصبونات أطلقت مزيداً من النورادرينالين.

وعندما تتكرر الوطأة، كما يحصل بكثرة في حياتنا اليومية، يحصل مزيد من التغيرات، فتنتج العصبونات - مثلاً - مزيداً من جزئيات الأنزيمات اللازمة لتركيب النورادرينالين، مما يمكن الخلايا من صنع المزيد من هذه الرسائل العصبية وإطلاقها. ويمكن لأمثال هذه التغيرات، التي تبين أن العصبونات عبارة عن خلايا قابلة للتكيف، أن تكمن وراء إمكان تجاوز الوطأة.

لقد حاول الباحثون أخيراً أن يعرفوا كيف يمكن للوطأة أن تغير الطريقة التي تقيم فيها عصبونات الجهاز الحرفي الاتصال. وبشكل عام فإن العصبونات لا تكون متصلة مادياً بعضها ببعض، بل هي تعتمد على المرسل العصبي لكي يعمل مراسلاً ويقوم ببث النبضة العصبية من خلية إلى أخرى. وتطلق العصبونات، أثناء نشاطها، جزئيات من مرسلها العصبي، الذي ينتشر عبر الثغرة بين الخليتين والتي تفصل إحداها عن الأخرى، وهي الثغرة المسماة بالتشابك العصبي. ولإثارة انتباه العصبون التالي في السلسلة يكون على الرسائل العصبية في التشابك العصبي أن ترتبط بالمستقبلات، وهي بروتينات توجد في أغشية الخلايا العصبية. ويقول التشبيه الشائع بأن هذه

المستقبلات تعمل كأقفال (بيوكيميائية) تفتحها أو (تغلقها) «مفاتيح» الرسائل العصبية. ولكل مرسل عصبي مجموعته الخاصة به من المستقبلات، ويسيطر كل مستقبل على مجموعة مختلفة من التفاعلات داخل الخلية المستهدفة، وعلى سبيل المثال، فإن بعض المستقبلات يضبط نشاط العصبونات المستهدفة، أو معدل إطلاقها، بينما تتزاوج مستقبلات أخرى مع أنزيمات تسيطر على تركيب أو إطلاق المرسل العصبي.

وهناك نوعان رئيسان من مستقبلات النورادرينالين يسميان مستقبل الأدرينالين ألفا وبيتا (A and B Adren-oceptors)، وينشط النورادرينالين نوعي المستقبلات على حد سواء. ولكن هناك عقاقير كثيرة لانتشط إلا أحدهما من دون أن يكون لها تأثير في الآخر، وهو مايوحي بوجود «عقاقير أساسية»، أو «عقاقير مفاتيح» تلائم القفل «ألفا» ولاتلائم القفل «بيتا»، والعكس بالعكس.

هذا، وإن الوطأة تؤثر في عدد مستقبل الأدرينالين «ألفا» و«بيتا»، كليهما. ويُنتج التعرض لمرة واحدة للوطأة تغيرات غير متوقعة في مستقبلات الأدرينالين، ربما كانت تعتمد على سلسلة من العوامل، مثل مدى استمرارية الوطأة وحدتها، وخبرة الحيوان السابقة بهذا النوع من الوطأة. وعندما تتكرر الوطأة تظهر تغيرات أكثر ثباتاً أو اتساقاً. وبشكل خاص، ينخفض عدد مستقبلات الأدرينالين «بيتا» في الدماغ، وهو ما يحصل للفئران غير المروضة حتى بعد وطأة خفيفة جداً كمجرد الإمساك بالفأر لمدة دقيقة واحدة في اليوم.

المظهر الأكثر انتباهاً في هذا التغير هو أنه يبدو وكأنه يحتاج إلى دورات يومية متعددة. وتحتاج عملية «الترويض» (إذا ما حكمنا عليها من خلال المظاهر الخارجية لوطأة الإمساك بالفأر كالارتعاش ومحاولة عض أي إصبع تقترب كثيراً من نظام «الدفاع السني») إلى أيام عدة من الإمساك المتكرر بالفأر. ويمكن، لخفض عدد

مستقبلات النورادرينالين، أن يكمن وراء عملية الترويض هذه، بمعنى أنه يمكن للتغيرات التي تطرأ على المستقبلات أن تشكل عنصراً مكوناً من عناصر التكيف مع الوطأة.

### تكرار الوطأة يقلل من تأثيرها

نحن نعلم كيف يمكن لهذا أن يحصل. فعندما يرتبط النورادرينالين مع مستقبلات الأدرينالين «بيتا» في عصبون ما تنتج الخلية مزيداً من حمض الأدينليك الدوري - Cy clic AMP، وهو مركب مهم يضبط سلسلة طويلة من التفاعلات (البيو كيميائية) داخل الخلايا، بما فيها تركيب الرسائل العصبية وإطلاقها. وعلى العموم، فبعد وطأت متكررة يصبح النورادرينالين أقل قدرة على تحريض الخلية على إنتاج الحمض المذكور سابقاً، ومن خلال الارتباط بمستقبلات الأدرينالين «بيتا» وتعدّي إنتاج حمض الأدينليك الدوري، يكون النورادرينالين قد أقام «خطأ ساخناً» ضمن العمليات (البيو كيميائية) التي تضبط عمل العصبونات المستهدفة. وهكذا فإن الوطأة لا تقتصر على زيادة إطلاق النورادرينالين؛ بل هي تؤثر أيضاً في الخلايا المستهدفة من خلال جعل مستقبلات الأدرينالين «بيتا» لديها أقل حساسية تجاه النورادرينالين.

إن قدرة الوطأت المتكررة على تخفيف تركيب حمض الأدينليك الدوري مسألة مثيرة للاهتمام بشكل خاص؛ لأن دراسات مستويات النشاط الإشعاعي تظهر تغيراً مشابهاً في خلايا أدمغة الحيوانات التي تعطى أدوية مضادة للكآبة لعدة أيام.

ولقد شكل هذا الاكتشاف منعطفاً مهماً بالنسبة للأبحاث الخاصة بالأدوية المضادة للاكتئاب. وكان إيريك ستون من جامعة ولاية نيويورك، قد قال بأنه يمكن للأدوية المضادة للاكتئاب أن تساعد في خفض الكآبة تحديداً؛ لأنها تنتج تغيرات في مستقبلات الأدرينالين «بيتا» تقلد التكيف مع الوطأة. وينتج من هذا أن الكآبة قد تنجم عن فشل الآليات المسؤولة عن التكيف مع



الوطأة، ويمكن لهذه النظرية أن تفسر العلاقة بين الوطأة والكآبة، وأن تفسر الحساسية الخاصة لبعض الناس تجاه الوطأة.

### أسئلة من دون أجوبة

وهنا، علينا أن نواجه مشكلة كبيرة أخرى هي: ما الذي يفعله النورادرينالين عمليا بالدماع؟ هل زيادة إطلاق هذا المرسل العصبي هي المسؤولة عن الانعكاسات غير السارة للوطأة؟ أم هل هذه الزيادة تساعدنا على تجاوز الوطأة؟ الواقع أن الإجابات عن هذه الأسئلة مازالت غير واضحة، والرأي العلمي مازال منقسما بعمق حولها.

تقول إحدى مدارس التفكير في الموضوع بأن إطلاق النورادرينالين في الدماغ هو المسؤول مباشرة عن التأثيرات العاطفية المؤذية للوطأة، ويستند هذا الاستنتاج بشكل رئيس إلى دلائل جمعت من تجارب أجريت على الحيوانات، وقام الباحثون فيها بتحريض العصبونات كهربائيا على إطلاق النورادرينالين. ويسبب هذا الإجراء تغيرا في العواطف والسلوك يشبه القلق والاستجابة للوطأة بقوة. واستنادا إلى هذه النظرية فإن انخفاض عدد مستقبلات الأدرينالين «بيتا» بعد وطات متكررة يساعد على مواجهة التأثيرات الضارة للنورادرينالين.

وإذا كان النورادرينالين هو مايسبب التأثيرات السيئة للوطأة فإن لنا أن نتمكن من إزالة هذه التأثيرات من طريق منع إطلاق النورادرينالين. وهناك طرق عدة للقيام بذلك، ولكن أسهلها هو استخدام دواء مثل «6-هيدروكسيديوبامين» الذي إذا ماحقن في الدماغ يدمر، انتقائيا، العصبونات التي تستخدم النورادرينالين كمرسل عصبي. وعندما فعل ذلك (فيليب سويري) من المعهد الوطني للصحة والبحث الطبي في باريس، وجد أن الحيوانات بقيت حساسة تجاه الوطأة. ووجدت دراسات أخرى أن حقن

النورادرينالين في مناطق معينة من الدماغ يمكنه أن يمنع الحيوانات من أن تظهر عليها أعراض الوطأة. وكان لاكتشافات كهذه أن توحى بأن إطلاق النورادرينالين ليس مسؤولا بحد ذاته عن التأثيرات المؤذية للوطأة؛ بل هو عبارة عن استجابة طبيعية (فيزيولوجية) مصممة لمواجهة هذه التأثيرات وتجاوزها، وبذلك فإن إطلاق النورادرينالين قد يكون أمرا أساسيا بالنسبة لعملية بناء «قوة الإرادة أو التحمل».

وحتى الأدوية المضادة للكآبة لاتعمل في أدمغة خالية من النورادرينالين. ولقد عرف الباحثون منذ مدة أن إزالة النورادرينالين من الدماغ يمنع الأدوية المضادة للكآبة من خفض عدد مستقبلات الأدرينالين «بيتا». وهكذا تتكاثر الدلائل التي تشير إلى أن النورادرينالين يساعد في التخفيف من عواقب الوطأة، ربما عن طريق خفض مستقبلات الأدرينالين «بيتا». والأمر المؤكد هو أن النورادرينالين ليس العامل الوحيد الضابط لعدد مستقبلات الأدرينالين «بيتا»، فهناك هرمونات أخرى ربما كانت على علاقة بهذه العملية، وهي تشمل الفلوكوكورتيكويدات (المعروفة أيضا باسم هرمونات الوطأة) التي تنتجها غدة الكظر، مثلها مثل الأدرينالين والنورادرينالين.

### دور المرسلات الأخرى

ويبدو كذلك أن هناك مرسلات عصبية أخرى داخل الجهاز الحرفي تؤثر في عدد مستقبلات الأدرينالين «بيتا» في الدماغ، وربما كان لاثنتين من هذه المرسلات أهمية خاصة، وهما: ٥-هيدروكسيترينامين (أو HT-٥ اختصارا) وحمض ٧-أمينو الزبد (أو «غابا» GABA اختصارا). وإذا أزيل HT-٥ من الدماغ فإن مضادات الكآبة لاتعود تخفض عدد مستقبلات الأدرينالين «بيتا»، ربما لأن المستقبلات تصبح أقل قابلية للاستجابة إلى النورادرينالين. ولأحد يعرف حتى اليوم لماذا تغير إزالة HT-٥ الطريقة التي تستجيب بها المستقبلات للوطأة، ولكن لهذا أن يؤمن مفتاح لغز مهم آخر للعلاقة بين

الوطأة والقلق والكآبة. وقد بدأت شركة الأدوية «بريستول - ميرز» تنتج أخيرا دواء يبدو أنه يخفض إطلاق HT-٥ كشكل جديد من أشكال علاج القلق.

ويمكن لـ «غابا» أيضا أن يؤثر في عدد مستقبلات الأدرينالين، مثله مثل HT-٥. وكانت الأدوية التي تعزز عمل «غابا» (وهو مرسل عصبي يكبح العصبونات التي تحمل مستقبلات له) معروفة منذ زمن بفاعليتها في معالجة القلق، وتشمل هذه الأدوية كلا من الفاليوم والليبريوم، اللذين ينتميان إلى مجموعة من المركبات تعرف باسم البنزوديازيبينات، وظهرت أخيرا دلائل توحى بأن الأدوية التي تكبح الـ «غابا» - المسماة المشاركات العكسية للبنزوديازيبينات - تزيد عدد مستقبلات الأدرينالين «بيتا» في الدماغ. ويقول الأشخاص الذين تناولوا المشاركات العكسية أنهم شعروا بقلق شديد جدا، وأنهم أظهروا تغيرات فيزيولوجية تشابه تلك التي تلاحظ على الأشخاص الذين يعانون من الوطأة، وهكذا، فإن لهذه الأدوية أن تقلد تأثيرات الوطأة.

وتوحى الدراسات المماثلة بأن كل التغيرات التي تطرأ على المرسلات العصبية ومستقبلاتها نتيجة للوطأة قد تكون مترابطة بعضها ببعض. وهكذا، فإن الأدوية التي تؤثر في مجموعة من العصبونات قد تكون لها تأثيرات بعيدة المدى في الدماغ، والواقع أن ذلك يمكن أن يفسر السبب في أن الأدوية المضادة للقلق وللكآبة على حد سواء تبدو وكأنها تزيل القلق أو الكآبة سواء عدلت من عمل النورادرينالين أو عمل HT-٥ أو «غابا».

وإذا كان الأمر هكذا فعلا، فإن أي خلل في عمل المرسلات العصبية المختلفة، وليس اضطراب عمل أي واحد معين منها، يمكنه أن يؤدي إلى اضطرابات متعلقة بالوطأة، ولن نستطيع تفسير سبب تمكن بعض الناس في تجاوز الوطأة وتأثيراتها، وفشل آخرين في ذلك، إلا عندما نفهم كيفية سير كل هذه العمليات.





## من عيوب النطق عند العرب

إعداد:

الشيخ محمد فتحي راشد  
الحريري

(أ)

### أفازيا Aphasia

وهي كلمة يونانية، وتعني مجموعة العيوب المتصلة بفقد القدرة على التعبير بالكلام أو الكتابة، أو عدم القدرة على فهم معنى الكلمات المنطوق بها، أو إيجاد الأسماء لبعض الأشياء والمرثيات، أو مراعاة القواعد النحوية المستعملة في الحديث والكتابة، وهي أنواع: حركية Verbal A. وحسية Sensory A. ونسيانية Am- nestic A. وكلية شاملة Total A. ونوع يتعلق بفقد القدرة على التعبير بالكتابة Agraphia. ويقابل مصطلح Aphasia عند العرب مصطلح "عيوب النطق السليم".

(ب)

### البطبة، التبطين Monotisation

الإغفاء، أصلها اللغوي تجارة البط أو صوته. ويقصد بها في "علم الأصوات": حذف عنصر التنغيم من السلسلة الصوتية الملفوظة فيقال عن صاحب هذا العيب، في كلامه تبطين، وبطبة.

البقبة

هي حكاية صوت الكوز في الماء ونحوه، والبقباق الغم، ويُقال بقبب علينا الكلام، أي فرقه بصورة غير مستحبة، وتقول العرب (رجل لُق بَق) و(لِقلاق بقباق) ومِيق، أي مكثار.

(ت)

### التأثأة

مصدر الفعل تأثأ، أي تردد في حرف

التاء، إذا تكلم، وفي الأثر: "لا تجوز خطبة التأثأ ولا الفأثأ".

التعته

مصدر الفعل (تعت)، وتعتع في الكلام تردد من حصر أو عي. ورجل تعتع أي فأثأ، وتطلق التعانع على الأراجيف والتخليط. وجاء في الحديث: "والذي يقرأ القرآن ويتعتع فيه، وهو عليه شاق فله أجران".

التهته

ويقصد بها اللكنة. تهته أي ردد، وأكثر ما يطلق على التردد بالباطل. ويقال في لسانه تهته أي لكنة.

(ث)

### الثأثأة

لكنة حرف السين، وهي من أكثر عيوب النطق انتشارا عند الأطفال، ولا سيما بين الخامسة والسابعة من العمر، وغالبا ما تكون مؤقتة، إذ يعود نطق الحروف الصفرية جميعها Sibilant بعد إبدال الأسنان. ومن الثأثأة ماله منشأ عضوي وتشريحي، ومنها ماله منشأ نفسياني Neurotic-Lisping وهي أسوأ أنواع الثأثأة.

(ج)

### الحُكْلة

وتعني العجمة، يقال في لسانه حُكْلة أي عجمة فلا يبين، والحُكْل مالا يُسمع صوته من دواب الأرض وهوامها كالنمل وأمثاله، وأطلق الاسم على سيدنا سليمان عليه السلام لأنه علّم منطق الطير والحشرات، قال الشاعر:

لو كنتُ قد أُوتيتُ علِمَ الحُكْلِ

علِمَ سليمان كلام النمل.



(خ)

### الخَمْخَمَة والخَنْخَنَة

يقال خمخم أو خنخن بمعنى لم يبين كلامه، فيبدي خنة (أي غنة) في خياشيمه.

### الخَنْف

الخَنْفُ في الأصل التواء أنف البعير من الزمام، ومنه أطلق على الرجل الذي في كلامه خنخنة ناتجة من الخَنْف، ومنه لقب أبي مِخْنَف "مؤرخ وضاع". إلا أن علماء الصوت يطلقون الخَمْخَمَة Rhinolalia كعيب من عيوب النطق يستهدف له الأطفال والبالغون على حد سواء، حيث يجد المصاب صعوبة في إحداث جميع الأصوات الكلامية (المتحرك منها والساكن) فيما عدا حرفي النون والميم؛ فيخرجهما بطريقة مشوهة، وتبدو الحروف المتحركة كأن بها غنة، أما الحروف الساكنة فتأخذ أشكالاً متباينة من التشخير أو الخنن أو الإبدال، وسبب هذه العلة تشريحي غالباً، إذ يرجع إلى وجود فجوة في سقف الحلق منذ الولادة.

(د)

### الدَّرْد

هو تساقط الأسنان، يقال رجل أدرَد وامرأة درْدَاء، أي بلا أسنان، ومصرغه دُرِيد، وفي الحديث: "لزمت السواك حتى خشيت أن يُدردني". ويصنّف الدَّرْد في عيوب النطق عند العرب نظراً لأهمية الأسنان في تشكيل الأصوات بنوياً.

(ر)

### الرَّتْ

رَتْ يَرَتْ رَتّاً ورَّتةً، من باب (علم) أي في لسانه رَّتةً، وهي العجمة، والحكمة في اللسان، واسم الفاعل (أرت) وهي رَتَاء،

ومنه اسم الصحابي الجليل خباب بن الأرت رضي الله عنه.

### الرَّتَج

رَتَجَ المتكلم يرتج رتجاً: استغلق عليه الكلام فلم يقدر على البيان، كأنه قد أطبق عليه كما يرتج الباب. وعكسه عند العرب الخطيب المفوّه.

(ص)

### الصفير

أحرف الصفير عند العرب ثلاثة (ز-س-ص)، ومن كان في منطقهِ عيب في لفظ أحد هذه الحروف، قالوا عنه (في كلامه صُفَار)، وهو صافر وصفّار، ومكّاء. قال تعالى: ﴿وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكّاء وتصدية﴾ (الأنفال: ٣٥)؛ أي صفيرا وتصفيقا.

(ط)

### الطعْطعة

حكاية صوت اللاطع والناطع، وهو أن يلصق المتحدث لسانه بالغار الأعلى ثم ينطع من طيب شيء أكله، فيسمعك من بين الغار واللسان صوتاً، يسمى "طعْطعة". وتسميه العامة تمطيق، وهو يتمطّق، وهو تعبير فصيح.

(ظ)

### الظَّأْطَاءَة

من الفعل ظأطأ أي تكلم بكلام لا يفهم وفيه غنة، وغالباً ما يستخدم الفعل لحكاية صوت الأعم والأهتم.

(ع)

### العَقْلَة

اعتقل لسانه أي حُبس عن الكلام ومُنِع

فلم يقدر عليه لسبب نفسي ذاتي أو عضوي، فهو أعقل، ومعقول اللسان، وهي عقلاء.

### العلم

تطلق العرب اسم "الأعلم" على مشقوق الشفة عموماً، وهذا يعوق إصدار الحروف الشفوية كالميم والباء.

### العِيَّ

عي وعي في المنطق عيّا (بكسر العين) أي حَصِرَ فهو عي وعيّي، وفي الحديث: "إنما شفاء العيِّ السُّؤال". وعكس العيِّ (المِصْقَع). تقول العرب: رجل مِصْقَع أي بليغ، أو عالي الصوت، فهو من لا يرتج عليه في الحديث ولا يتتبع.

(غ)

### الغنة

صوت يخرج من الخيشوم، أو من اللهاة والأنف (النون في كلمة "عنك") مثلاً. والأغنّ هو الذي يجري كلامه في لهاته، والأخنّ هو السادّ الخياشيم. والغنة أيضاً ما يعترى الغلام عند بلوغه إذا غلظ صوته. فالمقصود بالغنة بوصفها عيباً من عيوب النطق، يختلف عن المقصود بها في علم التجويد. ففي التجويد هي صوت يصدر من الخيشوم بإزاء حروف الإدغام الناقص (ي و م ن) و حروف الإخفاء، بعد النون الساكنة أو التنوين.

(ف)

### الفأفأة

ترديد حرف الفاء، أو الإكثار منه في الكلام فهو فأفاء.

### الفلَح

الأفلح هو شقوق الشفة السفلى،



# كُنْزُ الْمُعَافَاتِ

"لخلخانية"، و"لخلخاني" غير فصيح.

## اللطع والتلطيح Protraction

وهو تمدد الشفاه للأمام في شكل مستدير، قصد إعطاء الصوت جرساً ثخيناً وجهورياً. فهو أَلْطَع وهي لَطْعَاء، والجمع لُطْع. وعليه قول الراجز:

عُجِيزٌ لَطْعَاءُ دَرْدِيسُ

أحسن منها منظراً إبليسُ

ويطلق اللطع على بياض باطن الشفة عند السودان خاصة أو رقة الشفة، أو تحت الأسنان إلا أنساخها، فهو قريب من الأدرد، إلا أن الأخير يعني زوال الأسنان بالكامل.

## اللعاة

رجل لعاعة، يتكلف الألحان من غير صواب.

## لغلة

في كلامه لغلة أي عجمة ولخلخة، ولعلها من "اللغو" أي مالا يعتد به من الكلام، ولا معنى له في ثبوت الحكم.

## اللغظ

الصوت والجلبة والأصوات المبهمة التي لا تفهم، أو كلام فيه جلبة واختلاط فلا يكاد يبين. والجمع أَلْغَاط، ويقاربه القعقعة؛ رجل قُعَاقِعٍ وقَعَقَاعٍ أي كثير الصوت أو من يتكلم بصوت صاخب مرتفع، وهو مالا تمدحه العرب، أما صفة المدح في هذا المقام فهي لِلصَّيِّتِ أي عالي الصوت مع وضوح فيه، وشهر بها العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه.

## اللقلة

صوت اللقلاق، وكل صوت في اضطراب وحركة، وهي نظير "القلقلة" في علم التجويد، وحروفها (الباء والجيم والذال والطاء والقاف) إلا أن اللقلقة سلبية.

وتسمى الشفة الفلحاء، إذ تعوق صاحبها في نطق الأحرف الشفوية كالأعلم، إلا أن الأفلح خاص بمشقوق الشفة السفلى. والفلح لغة (الشق) ومنه مهنة الفلاح، أي شق الأرض لزراعتها، وكان عنترة العبسي يلقب بالفلحاء، لفلحة في شفته (على التأنيث) حملاً على تأنيث اسمه (عنترة) أو على إرادة الشفة الفلحاء.

## (ل)

### اللثع (بالعين)

من اللثعة، وهي ما لازق الأسناخ من الشفة، والألثع من يرجع لسانه إلى الشاء والعين، والأثنى لثعاء، والجمع لُثْع.

### اللثغ (بالغين المعجمة)

يلثغ لثغا، فهو أَلْثَغ، وبلسانه لثغة، أي تحوّل من السين إلى الشاء، أو من الراء إلى الغين أو اللام أو الياء، فيقول عن شجرة مثلاً (شجغة أو شجلة أو شجية) واللثغ عموماً هو التحول من حرف إلى حرف، أو أن لا يتم رفع لسانه، ففيه ثقل أو حبسة في بعض الأحرف، وقد يقال له مربوط. والمؤنث لثغاء، وأشهر من أصيب باللثغ شيخ المعتزلة واصل بن عطاء (ت: ١٣١)، لكنه كان يتحاشى النطق بالراء فلا يظهر هذا العيب لأحد.

### الجلجة

والتلجلج في الكلام هو التردد فيه، وفي الحديث "الكلمة من الحكمة تكون في صدر المتناقض، فتلجلج حتى تخرج إلى صاحبها". وفي علم الأصوات، تعتبر اللجلجة باباً عريضاً يندرج تحته كثير من عيوب النطق مثل اللكنة والفأفة والعقلة وغيرها....

### الخلخة

هي العجمة في المنطق، ويقال عنها

## الكن

لكن الرجل يلكن لکناً ولكنةً ولكونة: عيً وثقل لسانه، أو كان لا يقيم العربية لعجمة لسانه فهو أَلْكَن، وهي لکناء، والجمع لُكْن.

## (م)

### المأمة

في الأصل حكاية صوت الشاة والخروف والظبية، حين تواصل صوتها مياء مياء. وربما أطلقت على مردد حرف الميم قياساً على تأناة وفأفة وشأشأة.... إلخ.

## (هـ)

### الهتم

يقال هَتَمَ فاه يهتمه، ألقى مقدّم أسنانه، فهو أهتم، وهي هتماء. وبه لُقِبَ سنان بن خالد، إذ هتمت ثنيته يوم كُلاب. وقد يُستدرك علينا في باب الهاء (هاهاً) أي فقهه فهو هاهاً وهاهاً أي ضحكاً، ولكن لا علاقة له بالأمر.

## (و)

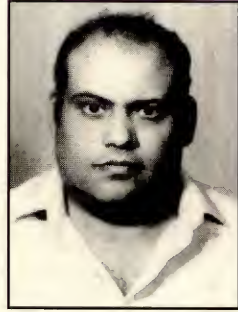
### الوآء

عيب من عيوب النطق يضارع (المحطات الكلامية) عند الباحثين في أمراض الكلام، والبنية الصوتية للكلمة، وفي الأصل الوآء صياح ابن آوى، وبه لُقِبَ الشاعر المشهور الوآء الدمشقي.





# العناية بالتراث



عبد الملك عبد الرحيم

اليونانيين، وقد حفل بحضارات أبرزها حضارة الجزيرة العربية، ومصر، والعراق. أما العصر الثاني الذي تم تجاهله، فهو عصر الحضارة الإسلامية، الذي يقابل العصور الوسطى بالمفهوم الغربي الأوربي، فهم يتجاهلون هاتين الحقيقتين الرئيسيتين من التاريخ، حتى ينسبوا الحضارة الإنسانية إلى اليونانيين، ثم إلى الحضارة الغربية الحديثة.

وإذا كانت المخطوطات تمثل عنصراً أساسياً من عناصر تراثنا العلمي، فإن الأمر يتطلب مزيداً من الجهود، لتسليط الضوء على هذه الكنوز الثمينة المتفرقة في أرجاء العالم الواسعة، وهذا يقتضي حصراً دقيقاً لأماكن وجودها في العالم المعاصر، فهي تكاد توزع على جميع قارات العالم، ويقدرها العلماء بنحو مليوني مخطوط، وبعد الحصر تأتي مرحلة فهرسة هذه المخطوطات فهرسة علمية دقيقة، في ضوء قواعد موحدة في مجال فهرسة المخطوطات العربية، ثم تأتي مرحلة أخرى، تتمثل في نشر هذه المخطوطات نشرًا علمياً محققاً، طبقاً لقواعد محددة، تجمع بين الدقة والأمانة العلمية، وخدمة المخطوط خدمة تجعله أقرب إلى النص الأصلي الذي تركه المؤلف، وتحليل نصه تحليلًا كافيًا يبرز محتوياته، ثم خدمة العلوم والمعارف، من طريق دراسة النصوص نفسها، دراسة تبين ما تشتمل عليه هذه المخطوطات من المبادئ والأسس التي تصور حضارة الأمة.

ويلاحظ أن الجهود المبذولة في سبيل جمع المخطوطات والعناية بها في تزايد مستمر، إلا أنها غير كافية بما يتناسب مع حجم هذه المخطوطات المبعثرة في قارات العالم المعاصر، وهي جهود تضطلع بها الجامعات، والمعاهد والمراكز المتخصصة، مثل معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية، ومركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية التابع لمؤسسة الملك فيصل الخيرية، بالإضافة إلى بعض الجهود الفردية، ولكنها كلها جهود دون القدر المأمول، كما أنها في معظمها تفتقد التنسيق، الذي يترتب على غيابه كثير من مظاهر الازدواجية. وهذا في الواقع، يدعونا إلى التطلع إلى مزيد من تنسيق الجهود في هذا المضمار، والإفادة من معطيات التقنية الحديثة، في إنشاء مزيد من الأجهزة والمراكز والمؤسسات العلمية المتخصصة، محلياً وإقليمياً، وتقديم الدعم الكافي لها، مادياً ومعنوياً، في سبيل الإفادة المثلى من تراثنا العلمي الأصيل.

تمثل العناية بالتراث مظهرًا إيجابيًا من مظاهر الاهتمام بهوية الأمة، ونتاجها الحضاري وعطائها الروحي، والحفاظة على ذاكرتها حية نابضة بفكرها وقيمها ومبادئها، فتقف على قاعدة صلبة، يتكسد فيها الزمن بأبعاده الثلاثة: الماضي والحاضر والمستقبل، حيث يرتبط فيها حاضرها بماضيها، وتخطط لمستقبلها على هدى من نور هذا الماضي، وما يحفل به من قيم ومثل وهدايات، وما خطه السلف الصالح والأبطال والعظماء من صفحات مشرقة، تعد علامات مضيئة على الطريق، وهذا ما ينطبق تحديداً على أمتنا العربية الإسلامية، ذات الميراث الحضاري والروحي العميق، على العكس من بعض الأمم، التي لا يعينها سوى الجانب المادي من الحياة.

وهذا لا يعني أن الحضارة المادية شرٌ كلها، ففيها ما يخدم الناس في معاشهم، ويرتقي بحياتهم الاجتماعية، وهذه الجوانب الإيجابية، لا غنى عنها لأمة تنشد الارتقاء بحياتها في مختلف المناحي، ولكن في إطار من الضوابط والقيم السليمة.

وتكمن أهمية دراسة التراث في أنه يربط شخصية الأمة بماضيها، ويجعل لها شخصية متميزة بين الأمم، ويعينها على ابتكار أشياء جديدة، تستمد أصولها من هذا التراث، بما يناسب واقع الأمة. كما أن التراث يمدها بأسباب الحصانة الذاتية في مواجهة تيارات الغزو الفكري والثقافي التي تنوشها من كل جانب. ومن هنا، تتوافر للأمة في حاضرها أجواء من الاستقرار، والعيش الحضاري المتوازن، فلا تنفلت من ماضيها، ولكنها تقيم حضارتها

الحديثة، على أساس متين من حضارتها الماضية، بما يتناسب مع الحضارة المعاصرة، وما يمكن أن يجيء به المستقبل.

وعلى الرغم مما يحفل به تراثنا من كنوز غالية، خلفها علماءنا ومفكرون البارزون، فإن الشائع بين الباحثين والدارسين في مجال التراث، وفي مجال العلوم العربية والإسلامية، أن كثيراً من جوانب هذا التراث، وهذه العلوم، لم يكتب بعد الكتابة الأصلية الرصينة، التي تبين إسهام العرب والمسلمين في الحضارة الإنسانية، لأن من تصدوا لتأريخ العلوم بصفة عامة، على مستوى الحضارة الإنسانية، هم من الأجانب، وهم يجهلون، أو يتجاهلون، عصرين في غاية الأهمية، هما: العصر الذي سبق



# رجل عازلة البرق

تأليف: هيرمان ملفيل  
ترجمة: د. أحمد رامز قطرية

- هل حظيت ياسيدي بشرف زيارة الإله الإغريقي المشهور جوبيتر تونانسي؟ فالإغريقون يصورون هذا الإله في تماثيلهم القديمة ممسكاً بصاعقة برق بيده. فإن كنت أنت هو أو نائبه فأنا أريد أن أشكرك على هذه العاصفة النبيلة التي أثرتنا في جبالنا.

- انصت.

- هذا كان صوتاً نبيلاً... آه! فأني شخص يحب الأشياء النبيلة مثلي لسعيد أن يكون صاحب الرعد نفسه في كوخه. فالرعد يزداد جودة بوجوده. ولكن أرجوك تفضل واجلس. هذا الكرسي يساعدي ووسادته الموشاة بالقصب لايفي بالغرض كبديل لعرشك دائم الخضرة في جبل أولمبس، ولكن تفضل واجلس. رغم أنني تكلمت بهذه اللطافة بقي الغريب ينظر إليّ بمزيج من العجب والخوف الغريب. لكنه لم يحرك أي جزء من جسمه.

- نعم ياسيدي اجلس فيجب عليك أن تجف قبل أن تذهب من هنا.

وضعت الكرسي بطريقة جذابة على أرض الكوخ الفسيحة، وكانت نار صغيرة قد أوقدت في عصر ذلك اليوم لإبعاد الرطوبة لاجلب الدفء للمكان فالوقت كان أوائل شهر أيلول.

ودون أن يعير دعوتي له بالجلوس أي اهتمام، نظر الغريب إليّ متوعداً وهو لايزال في مكانه واقفاً في منتصف الكوخ، وتكلم فقال:

- سيدي اعذرني ولكن بدلاً من أن أقبل دعوتك لكي أجلس هناك على الأرض أود أن أحذرك بشدة، وأدعوك لتقف معي هنا في منتصف الغرفة.. يارحمة السماء! صاح مندهشاً. هذه واحدة أخرى من ضربات البرق. أحذرك ياسيدي.. اترك أرض الغرفة الحجرية.

- السيد جوبيتر تونانس.. قلت وأنا أتحرك على الأرض الحجرية.. مكاني هذا مريح جداً.

فصاح:

- هل أنت بهذه الدرجة من الجهل حتى إنك لاتعرف أن أخطر مكان في المنزل أثناء عاصفة كهذه هو الموقد؟

- كلا لم أعرف ذلك..

ودون شعور بخطوت نحو أول جزء من الأرض الخشبية قرب الجزء الحجري.

وعلت وجه الغريب نظرة بشعة بعد نجاحه في بث الخوف فيّ، مما دفعني مرة أخرى - ودون وعي - لأن أعود لأقف على الأرض الحجرية متحدياً، جاعلاً جسمي يوضح كبريائي، ولكنني لم أقل شيئاً.

- من أجل السماء.. صاح بلهجة يختلط فيها الخوف والفرح.. من أجل السماء ابتعد عن الجمر! ألا تعرف أن الهواء الحار والشجار ينقلان الكهرباء، وكذلك ذاك الكلاب الحديدي؟ اترك تلك البقعة.. أرجوك، بل أمرك.

- ياسيد جوبيتر تونانس أنا غير معتاد أن يأمرني أحد في منزلي، من فضلك أن تقول لي ماتريده هنا؟ إذا كنت تريد ملجأ من العاصفة فأنا أرحب بك طالما بقيت مهذباً، ولكن إذا أتيت لسبب آخر فقله لي.. من أنت؟

- أنا تاجر عازلة الصواعق.. رد علي بلهجة أطف.. أما تجارتي.. يارحمة السماء، يالها من ضربة! هل أصابتك.. أعني هل أصابت بيتك؟ كلا.. لكن من الأفضل أن تكون مستعداً. قال جملة وهو يحرك عصاه النحاسية.. ليست هناك

كنت أقف إلى جانب الموقد في بيتي الواقع وسط الجبال الأكروسيرونية، وبدأت أحدث نفسي عن الرعد الضخم الذي يتواتر، وصوته يدوي فوق رأسي، ويفرق بين الوديان. كل برقة تتبعها انبهارات متشعبة، ومطر سريع مائل يصل إلى كل ركن، وتسمع صوت ارتطامه وكأنها رماح تهجم على سقف بيتي الواطئ. فالجبال في هذه المنطقة تتناقل أصوات الرعد، وتزيدها بإرسالها وردّها بينها، فيصبح صوت الرعد أكثر ضخامة منه في السهول. أسمع صوتاً. هناك أحد على الباب. من يختار وقتاً مرعداً ليأتي للزيارة؟ ولم لا يستعمل مطرقة الباب كبقية الناس، بدل أن يستعمل يده ليدق بها دقة الحانوتي الحزينة على لوح خشب فارغ؟ لكن ليدخل. هاهو..

- نهارك سعيد ياسيدي.

رجل غريب تماماً.

- تفضل بالدخول.

ماهذه العصا الغريبة التي يحملها؟

- عاصفة رعدية جيدة ياسيدي.

- جيدة؟... إنها شنيعة. أنت مبتل. تعال وقف هنا بجانب الموقد.

- لا، ولو أعطيتني العالم كله.

بقي الغريب واقفاً وسط الكوخ تماماً حيث وقف عند دخوله. وجعل وضعه الغريب أمر فحصره عن كتب شيئاً ضرورياً، جسمه نحيف كئيب. شعره غامق اللون غير مجعد ومرصوف على جبينه. عينا غارقتان في حفرتين في وجهه تحيطهما دوائر حمراء بنفسجية، ويشع منهما نوع من البرق غير المؤذي، كأنه ضوء دون شرارة. كان الرجل مبتلاً تماماً. وقف داخل بقعة من الماء على أرض الكوخ السندانية. وأسند عصا المشي الغريبة إلى جانبه (وهي عصا مكونة من أربعة أقدام من النحاس اللامع مثبتة على طول عصا خشبية كما كان على العصا كريات من الزجاج الأخضر عليها إطارات نحاسية، وعلى ذروة العصا ثلاثة امتدادات نحاسية على شكل شوكة بثلاثة أصابع ثابتة مطلية لامعة. وكان الرجل يمسك هذا «الشيء» من قسمه الخشبي).

قلت له وأنا أومئ نحوه بلطافة:



حصون تحمي الإنسان من الطبيعة خلال العواصف الرعدية .. ولكن إذا أردت سأحول هذا الكوخ شيئاً منيعاً كجبل طارق بواسطة هذه العصا. اسمع .. يالها من ضربات كبيرة كأنها جبال الهمالايا تتكسر؟

- لقد قاطعت نفسك فما هي تجارتك التي تود أن تحدثني عنها؟

- تجارتني هي الترحال في البلاد لأجمع طلبات لعصا البرق. وهذه العصا نموذج، وطرق عصاه بالأرض.. ولدي أفضل الشهادات من عملائي.. وبدأت يدها تعبان في جيوبه.. في بلدة كريجان في الشهر الماضي وضعت اثنتين وعشرين عصا على خمسة أبنية فقط.

- بالمناسبة هل كنت في كريجان الأسبوع الماضي، حوالي منتصف الليل من يوم السبت حيث ضربت الصواعق بناء الكنيسة العالي وشجرة الإلم الكبيرة وقبة غرفة الاجتماعات؟ هل كانت توجد هناك أي من عصيك؟

- ليس على الشجرة أو القبة ولكن كانت هناك واحدة على الكنيسة.

- وما نفع عصاك إذن؟

- الفرق بين الموت والحياة. فعاملي لم يكن متنبها فوضع العصا في أعلى الكنيسة لكنه سمح لجزء من المعدن بالتماس مع السطح القصديري وهذا سبب الحادث. وماحدث ناتج من خطئه لا من خطئي. اسمع!

- لا تهرأي اهتمام لهذا، هذه الرعدة عالية الصوت بحيث لا تحتاج أن تشير بإصبعك إلى مكانها. هل سمعت عما حدث في مونترال في العام الماضي؟ أصيبت خادمة وهي على طرف سريرها ومسبحتها بيدها. ربما لأن مسبحتها كانت من المعدن. هل يأخذك ترحالك إلى كندا؟

- كلا. وقد سمعت أن العوازل هناك حديدية. عليهم أن يستعملوا العوازل التي أبيعها فهي من النحاس، فالحديد يمكن أن ينصهر بسرعة، كما أن العوازل هناك رقيقة جداً فلا توجد فيها كثافة كافية لنقل الشحنة الكهربائية. فالمعدن ينصهر ومن ثم البناء، ولكن عوازلي المصنوعة من النحاس لا تنصهر. الكنديون مخطئون. بعضهم يضع كتلة على أعلى العازلة مما يزيد احتمال حدوث انفجار كبير بدلاً من نقل شحنة الكهرباء إلى الأرض دون أن تشعر بذلك. عازلتي فقط هي العازلة الأصلية. انظر إليها. وتكلفتها دولاراً واحداً لكل قدم من طولها.

- هذه التصرفات السيئة من بعض أهل مهنتك تجعل الإنسان يشك في شخصك.

- اسمع .. صوت الرعد لم يعد يدوم طويلاً إنه يقترب منا. ويقترب من الأرض أيضاً، اسمع .. صوت ضاغط متفرقع! الهزات السابقة أصبحت واحدة بسبب قربها. ومضة أخرى. انصت.

- ماذا تفعل؟.. قلت وأنا أراه يترك عصاه ويتجه نحو النافذة وهو يضع إصبعين من يده اليمنى على رسغه الأيسر.

ولكن قبل أن أتفوه بشيء قال متعجباً:

- ضربة! ثلاث نبضات فقط .. لا تبعد أكثر من ثلث ميل عنا .. هناك في تلك الغابة. لقد مررت بثلاث سنديانات قد أصيبت بالصواعق. ترى خشب الشجرة مكسوراً يلعب. شجر السنديان يجذب الصواعق أكثر من أي نوع من الشجر لأن شيئاً من الحديد يسري في عروقها. يبدو أن خشب أرض منزلك هذا من السنديان. - نعم، من قلب السنديان. هل لي أن أخمن من الوقت الغريب الذي اخترته لزيارتي بأنك تتعمد أن تختار الطقس العاصف لرحلاتك؟ وأنت عندما يدوي صوت الرعد تجد أنه حان الوقت لترويج تجارتك.

- انصت .. إنها فظيعة.

- تبدو مرتعداً بما لا يليق بك خاصة إنك إنسان يسلم الآخرين ضد الخوف. الرجال العاديون يختارون الطقس الحسن ليسافروا، أما أنت فتختار أوقات العواصف الرعدية، ولكن..

- وأوافقك إنني أرحل أثناء العواصف الرعدية، لكنني لأفعل هذا دون اتخاذ إجراءات احتياطية. وهي إجراءات لايلم بها إلا بائع لعوازل الصواعق. انصت .. أسرع .. انظر إلى هذا النموذج، يكلفك دولاراً واحداً لكل قدم.

- لا بد أن أقول إنها عصا جيدة، لكن ماهذه الإجراءات الاحتياطية التي تعرفها؟ دعني أغلق الشباك الخارجي فالملطر ينهمر ويدخل عبر النافذة.. لا بد أن أغلق الشباك وأن أضغ المزلاج الحديدي.

- هل أنت مجنون؟ ألا تعرف أن هذا القضيب الحديدي يجذب البرق؟ توقف.

- سأغلق الشباك الخارجي وأطلب من خادمي أن يأتيني بقضيب خشبي. أرجوك .. اسحب شريط الجرس

- هل فقدت صوابك؟.. هذا الشريط قد ينقل الصاعقة. عليك ألا تلمس شريط الجرس أثناء الرعد؛ بل عليك ألا تفرع أي جرس كان.

- ولأجراس الكنيسة؟ أرجوك.. هل يمكنك أن تخبرني أين وكيف يمكن لشخص أن يكون آمناً في وقت كهذا؟ هل هناك أي جزء من منزلي يمكنني أن أألمسه دون أن أخطر بحياتي؟

- نعم ولكن ليس في المكان الذي تقف فيه. ابتعد عن الحائط فالتيار يمر أحياناً عبر الحائط، ولأن جسم الإنسان يمر الكهرباء بسهولة تفوق مروره في الحائط يترك التيار الحائط ويمر في جسم الإنسان.. بالسرعة!.. تلك سقطت بالقرب من هنا ولا بد أنه كان قريباً كروياً.

- على الأرجح. قل لي ماهو أسلم مكان في هذا البيت في رأيك؟

- هذه الغرفة. وهذه البقعة التي أقف عليها بالذات. تعال هنا.

- أعطني أسبابك أولاً.

- اسمع! .. بعد لمعة البرق هبت الريح - لقد بدأ غطاء النافذة بالارتعاش.

البيت! البيت! تعال إلي هنا.

- أسبابك إذا تفضلت.

- تعال إلى هنا!

- أشكرك مرة أخرى لكنني أريد أن أبقى في مكاني، في الفسحة قرب المدفأة. والآن يارجل عازلة البرق في هذا الوقت ماين الصاعقة والأخرى، هلا تفضلت بإخباري بالأسباب التي تجعلك تعتقد أن هذه الغرفة أسلم الغرف في المنزل ولماذا تعتقد أن البقعة التي تقف عليها آمنة؟

كانت العاصفة تهدأ قليلاً وبدأ على رجل عازلة البرق بعض الراحة فأجاب:

- بيتك ذو طابق واحد وهناك سقيفة وقبو وهذه الغرفة في الوسط بينهما ولذلك ففيها أمان نسبي. فالبرق يمر من الغيوم إلى الأرض ويمر مرة أخرى من الأرض إلى الغيوم. هل تفهم هذا؟.. اخترت منتصف الغرفة لأن البرق لا يضرب كل المنزل في آن واحد، فقد ينزل عبر المدفأة أو الحائط وهكذا فكلما ابتعدت منها كان أفضل لك. هلا أتيت إلى جانبي الآن؟

- بعد قليل. لكن بعض مافلتة الآن طمأنني وأعطاني نوعاً من الثقة بدل أن يزعجني



- قلت إن البرق يمر من الأرض إلى الغيوم.

- نعم هذه هي الضربة المعاكسة كما يسمونها. عندما تكون الأرض مشبعة تبعث فائضها إلى فوق.

- الضربة المعاكسة من الأرض إلى السماء.. أفضل وأفضل.. ولكن تعال هنا قرب المدفأة وجفف نفسك.

- المكان هنا يناسبني وأفضل أن أبقى مبتلاً.

- لماذا؟

- إن أفضل شيء يمكن أن تفعله.. اسمع مرة أخرى!.. هو أن تجعل نفسك مبتلاً تماماً أثناء العاصفة الرعدية، فضربة البرق يمكن أن تمر عبر الملابس المبتلة وتترك الجسم.. العاصفة تشتد مرة أخرى. هل لديك سجادة في المنزل؟ السجادة لا ينقل التيار. اعطني سجادة حتى أفس عليها هنا.. وأنت أيضاً. السماء تدكن. إنها تبدو كأول الليل ونحن في الظهيرة. اسمع!، السجادة السجادة.

أعطيت واحدة بينما كانت الجبال المغطاة بالغيوم تبدو كأنها تقترب وتتدحرج نحو الكوخ.

- الآن ربما.. إن غباءنا لن ينفعنا.. قلت وأنا أعود إلى مكاني السابق.. دعني أسمع تحذيراتك حول السفر أثناء العواصف الرعدية.

- انتظر حتى تمر هذه العاصفة.

- كلا استمر في تحذيراتك فأنت تقف في المكان الآمن حسب تقديراتك. امض فيما كنت تقول.

- باختصار: ابتعد من شجر الصنوبر والبيوت العالية والخطائر الخالية والمراعي العالية، والماء الجاري، وحشود البقر والخرفان، وجماعات البشر. وإن كنت تمشي كما أفعل اليوم فلا تمش بسرعة. أما إن كنت في عربة فلا تمش سقفها أو جدرانها. وأما إن كنت على ظهر حصان فانزل وقُد الحصان. ولكن في كل الأحوال ابتعد من الرجال الطوال.

- ماذا تقصد؟ الإنسان يتحاشى الإنسان؟ وفي وقت الخطر؟

- تحاش الرجل الطويل أثناء العواصف. هل أنت من الجهل بحيث إنك لاتعرف أن الرجل الذي يبلغ من الطول ستة أقدام يمكن أن يجذب الشحنة الكهربائية من غيمة؟ ألا يصعق رجال ولاية كنتكي الطوال وهم يفلحون الأرض وقبل أن يفلحوا وقبل أن ينتهوا من فلاحه صف واحدا؟ يجب أن تعرف أن رجلاً بطول ستة أقدام يقف قرب ماء جار سيكون الذي تختاره غيمة ليمرر شحنتها الكهربائية إلى الماء. اسمع! لا بد أن الصخرة السوداء العالية قد تشقت. نعم فالإنسان ممر جيد للتيار الكهربائي. كما أن البرق يعبر جسم الرجل كله بينما يقشر بعض الأشجار. لكن ياسيدي أبقيتني طويلاً وأنا أجيب عن أسئلتك بحيث لم تتح لي مجال الحديث عما أريد. هل تريد أن توصي بشراء واحدة من عصي. انظر إلى هذا النموذج. انظر. إنها من أفضل أنواع النحاس وهو أفضل أنواع المعادن لتمرير التيار الكهربائي. بيتك منخفض ولكن بما أنه في الجبال فانخفاضه لا ينفعه كثيراً. أتمم يأهل الجبال أكثر عرضة من غيركم للصواعق وبيتك أنت مكشوف. في البلاد الجبلية يكون لبائع عصي البرق أفضل سوق. انظر إلى هذا النموذج. انظر إلى هذه التوصيات. ثمن العصا الواحدة عشرون دولاراً. اسمع! لا بد أن كل جبال التاكونيك والهوسيكس قد اصطدمت ببعضها وأصبحت كالحصى الصغيرة. ومن هذا الصوت أحكم أن البرق قد أصاب شيئاً.

ارتفاع العصي خمسة أقدام فوق سقف البيت سيحمي مساحة قطرها عشرون قدماً. فقط عشرون دولاراً.. دولار لكل قدم. اسمع! كانت هذه شنيعة! هل تريد أن تطلب عصاً؟ هل ستشتري؟ هل لي أن أكتب اسمك؟ فكر في أنك قد تصبح كومة من الفحم المحروق كحصان محروق في حظيرته لأنه كان مربوطاً.. وكل هذا بلمحة بصر؟

- أيها المدعي العجيب ووزير قوى مختلفة من والي جويستر تونانس.. ثم ضحكت.. أيها الرجل الذي أتى إلى هذا المكان لتضع نفسك وعصاك بين الثرى والسماء.. هل تظن لأنك تستطيع أن تضرب شيئاً من الضوء الأخضر الآتي من «طبق السماء» أن باستطاعتك أن تمنع الصاعقة الكبرى؟.. عصاك ستصدى أو ستكسر وأين ستكون؟ من أعطاك القوة يا «تنزل» لتحاول بيع أوراق غفران من الأوامر الإلهية؟ إن شعر رؤوسنا له عدده وكذا أيام حياتنا. في أوقات الرعد أو أوقات الصحو أقف براحة بين يدي الله. اذهب أيها البائع المزيف! انظر كيف ذهبت أصوات العاصفة، والبيت لم يؤذ.. بدأ لون السماء يتحول إلى الأزرق.. أقرأ في ألوان قوس قزح أن الله لن يقوم بحرب على أرض الناس.

- أيها التمس.. غير النقي؟ بدأ فم الغريب يمتلئ بالزبد واكفهر وجهه في الوقت نفسه الذي ازداد ضوء قوس قزح.

- سأقول للناس عن أفكارك الملمحة.. اذهب! تحرك بسرعة! إن كان بإمكانك.. أيها الشخص الذي يظهر لعبون الناس في الأوقات المبللة كالديدان! ازداد وجهه اكفهراراً وكبرت الدوائر الحمراء حول عينيه كدوائر العاصفة حول القمر في منتصف الليل، وقفز نحوي موجهاً شوكتة الثلاثية نحو قلبي. فقبضت عليها وكسرتها ورميتها ثم دهستها، وسحبت ملك عازلة البرق خارج بابي ورميت صولجانه النحاسي المكسور خلفه.

لكن رغم معاملي و رغم كلامي الجيراني ضده، بقي رجل عازلة البرق يعيش في الأرض راحلاً أثناء العواصف متاجراً بمخاوف الناس.

### هيرمان ملفيل (١٨١٩-١٨٩١م):

من أعظم أدباء أمريكا في القرن ١٩. أفاد من مغامراته البحرية في خلق الجوا الملائم لرواياته وكتبه، التي تدور حول حياة البحار، وتصف الأقطار النائية. أعظم مؤلفاته «موبي ديك» ١٨٥١م، وقد شغلت رمزية هذه القصة وفلسفتها الحزينة القراء عن مزايا مؤلفاته الأخيرة: «بيير» ١٨٥٢م، و «حكايات بياتزا» ١٨٥٦م وتشمل قصة «بنيتو سيرينو» التي وصفت بأنها أعظم قصة قصيرة باللغة الإنجليزية. ترجمت بعض قصصه إلى العربية.





الأمير خالد الفيصل بن عبد العزيز

جوائز قيمتها ثلاثون ألف ريال في كل مجال من هذه المجالات الإبداعية. أما مجالات الشعر الشعبي والفنون فهي: الشعر الشعبي، والفن التشكيلي، والتصوير الضوئي، حيث تمنح ثلاث جوائز قيمتها

أي عمل أدبي أو فني، وأن يكون مطبوعاً بالآلة الكاتبة من أصل وصورتين.

أما الشروط الخاصة بالمسابقة العامة للتأليف المسرحي للشباب فتتضمن على أن تكون المسرحية من فصل واحد أو ثلاثة فصول، وأن يكتب الحوار باللغة العربية الفصحى الميسرة أو اللهجة المحلية، ولا يقل عدد الصفحات عن ٢٥ صفحة (فلوسكاب).

ومن الشروط كذلك أن تكون المادة المسرحية مستمدة من التراث الإسلامي والتجارب التاريخية والاجتماعية التي تعالج القضايا الإنسانية..

وتتضمن مسابقة التأليف المسرحي للأطفال أن تكون مؤلفة خصيصاً للأطفال، ومن فصل واحد، وأن تعالج قضايا الطفل مع استلهاً بعض مواقف الشخصيات الإسلامية.

وقد رصدت جوائز مالية لأصحاب الأعمال الفائزة بالمراكز الثلاثة الأولى في كل مسابقة، على أن تكون المسرحيات الفائزة من حق الرئاسة العامة لرعاية الشباب.

#### صدر دورية «البلد الأمين»

صدر - مؤخراً - عن نادي مكة الشقافي الأدبي

#### مشاركات

#### جائزة أبها الثقافية لعام ١٤١٦هـ

أعلنت أمانة جائزة أبها الثقافية عن البدء في تلقي مشاركات المتسابقين، وتحدد يوم ٢٩ رمضان ١٤١٦هـ آخر موعد لاستلامها، حيث تعلن النتيجة خلال ملتقى أبها الثقافي القادم الذي يرعاه صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل أمير منطقة عسير.

وتبلغ قيمة الجوائز التشجيعية السنوية التي تقدم للباحثين والمبدعين ثلاثمئة ألف ريال، تمنح في ثلاثة مجالات، هي: الإنتاج الأدبي، الشعر الشعبي والفنون، البحوث والدراسات. ويضم الإنتاج الأدبي المجموعات الشعرية، والمجموعات القصصية والروايات، والنصوص المسرحية، حيث تقدم ثلاث

#### معرض في أبها للحياة الفطرية

أقيم في قرية المفتاحة التشكيلية في مركز الملك فهد الثقافي بأبها المعرض المتنقل للهيئة الوطنية السعودية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها.

قسم المعرض إلى عدة أجنحة، حيث خصص أولها للبيئات البحرية، والثاني للبيئات الجبلية الوعرة، فيما احتضن الجناح الثالث بالتنوع الأحيائي في البيئات الصحراوية.

#### مسابقة الرئاسة العامة لرعاية الشباب للتأليف المسرحي

حددت الإدارة العامة للنشاطات الثقافية بالرئاسة العامة لرعاية الشباب نهاية شهر جمادى الأولى الجاري آخر موعد لقبول الأعمال المشاركة في مسابقة التأليف المسرحي للشباب والأطفال لعام ١٤١٦/١٤١٥هـ.

وتتضمن الشروط العامة ألا يقل عمر المشارك عن ٢٠ عاماً من الجنسين من أبناء المملكة، ولا يجوز للمشاركة الاشتراك بأكثر من نص في المسابقة الواحدة، وأن يكون الإنتاج حديثاً لم يسبق تقديمه في



#### افتتاح أكاديمية الملك فهد في بون

#### ندوة دولية عن تاريخ الطباعة العربية

#### مكتبة إسلامية ضخمة في معقل الفراعنة

#### حظر تداول ترجمة ماليزية محرفة لمعاني القرآن الكريم

#### مسجد خادم الحرمين

#### الشريفين : منارة للإسلام ترتفع في جبل طارق





الأمير محمد بن سعود بن عبدالعزيز

## افتتاح النادي الأدبي في الباحة

افتتح صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سعود بن عبدالعزيز أمير منطقة الباحة، النادي الأدبي بالمنطقة بحضور وكيل الإمارة صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن محمد بن سعود، وعدد من كبار المسؤولين ونخبة من المهتمين بالفكر والأدب والثقافة. وقال سموه في كلمة ألقاها بهذه المناسبة: إن عمر الشعوب لا يقاس بالزمن ولا بالمكاسب المادية؛ بل بما تورثه الشعوب من ثقافة وفنون وإبداع. وتوجه سموه بالشكر والتقدير لصاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن فهد بن عبدالعزيز الرئيس العام لرعاية الشباب وسمو نائبه، لما يوليانه من اهتمام بالحرارة الأدبية في المملكة.

أول مجلة علمية باللغة العربية في مجال الطب الرياضي باسم «الدورية السعودية للطب الرياضي». ينتظر أن يترأس تحرير الدورية د. عبدالجليل عبدالقادر، الأستاذ في كلية الطب.

### كتب جديدة

ديوان زكي فيصل.. الأعمال الشعرية الكاملة، ٣ مجلدات. البهاء زهير.. شاعر حجازي، تأليف محمد

المقدمة في كل منهما خمسة وأربعون ألف ريال، على ألا تزيد الدراسة المقدمة على مائة صفحة. ووضعت أمانة الجائزة عدداً من الشروط، إذ قررت أن تقبل النصوص المطبوعة التي لم يمر على طبعها الأولى أكثر من خمس سنوات، وتتساوى معها في التقييم الفني النصوص المخطوطة، ولاتقبل الأعمال التي فازت بجوائز أخرى، أو قدمت لنيل ترقية أو شهادة علمية، أو فازت سابقاً بهذه الجائزة، ولا يتكرر فوز الشخص إلا بعد مرور خمس سنوات كاملة على فوزه السابق، ماعداً الفن التشكيلي بعد سنتين، وتتاح المشاركة للجنسين من السعوديين وأبناء دول مجلس التعاون والمقيمين العرب، ولاتقبل الأعمال المترجمة أو المقتبسة، وترفق ثلاث نسخ من العمل المشارك مطبوعة بالآلة الكاتبة بما فيها الأصل، على أن يرفق المشارك نبذة عن حياته وأعماله.

أما ندوة الكتاب السعودي فستناقش المشكلات التي تهدد الكتاب السعودي، والعمل على حلها وتذليل العقبات، وستجري مداوالات الندوة على ثلاثة محاور: «التأليف، النشر، التوزيع»، لدراسة كل محور على حدة، وطرح المراتب وصولاً إلى التحليل، ومن ثم الحلول. ومن المتوقع أن تتم إقامة المعرض والندوة في أوائل الفصل الدراسي الذي بدأ الأسبوع الماضي.

### مسابقة في التأليف المسرحي

ينظم نادي الباحة الأدبي مسابقة في التأليف المسرحي يدور موضوعها حول معالجة بعض المشكلات الاجتماعية السائدة؛ ولا سيما السلوكيات المرفوضة لبعض الشباب.

حدد النادي نهاية شهر جمادى الآخرة المقبل موعداً نهائياً لاستقبال المشاركات على أن تكون من أصل وصورتين.

ترسل المشاركات إلى النادي ص.ب (٩٠١) الباحة.

### أول مجلة للطب الرياضي

يعتزم الاتحاد السعودي للطب الرياضي بالتعاون مع كلية الطب في جامعة الملك سعود بالرياض إصدار

ثلاثون ألف ريال في كل منها.

وبالنسبة للفن التشكيلي، فإنه يشترط تقديم ثلاث لوحات على الأقل، ولا تزيد مساحة اللوحة على ٨٠×١٢٠ سم مؤطرة قابلة للعرض، أما في مجال التصوير الفوتوغرافي، فيقدم المشارك خمس صور ضوئية أصلية قابلة للعرض لا تزيد مساحتها عن ٨٠×٦٠ سم، ويستحسن إرفاق الموصفات الفنية للصورة وشريحة الفيلم.

أما البحوث والدراسات فتتضمن مجالي الدراسات الأدبية والإنسانية، والدراسات العلمية والتطبيقية، وتحدد موضوع «التحولات الاجتماعية بمنطقة عسير في ضوء الخطط التنموية السابقة» محورا للمجال الأول، بينما خصص المجال الثاني للدراسات البيئية، موضوعها «التلوث البيئي: أضراره وطرق معالجته». وتبلغ قيمة الجوائز الثلاث

العدد الأول من دورية «البلد الأمين».

تضمن العدد الأول كلمة لصاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن فهد بن عبدالعزيز نائب الرئيس العام لرعاية الشباب، وافتتاحية لرئيس النادي د. راشد الراجح الشريف، و«نظرات في كتاب» لعلامة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر، ومجموعة من المقالات والدراسات بأقلام نخبة من الكتاب والمفكرين، فضلاً عن أخبار النادي ونشاطاته المختلفة.

### معرض وندوة لمكتبة الملك عبد العزيز

تعترم مكتبة الملك عبد العزيز العامة إقامة ندوة بعنوان «الكتاب السعودي ومشكلات النشر والتوزيع»، كما تعد لتنظيم معرض عن المؤلفات النادرة المتعلقة بالملكة العربية السعودية والجزيرة العربية. وستشمل فعاليات المعرض إصدار دليل عن الكتب النادرة التي تحدثت عن المملكة والجزيرة العربية، وإصدار كتاب عن موضوع الكتب النادرة من خلال الباحثين المهتمين بهذا الجانب، وعقد لقاءات علمية متخصصة في موضوع المعرض، عبر وسائل الإعلام.



إبراهيم جدع.

صدر الكتابان السابقان عن منشورات  
عبدالمقصود خوجة في جدة.

التطورات السياسية والحضارية في الدولة السعودية  
المعاصرة ١٣٤٤-١٣٥١هـ، تأليف لطيفة عبدالعزيز  
السلوم، صدر عن مكتبة العبيكان في الرياض.

أصول التنوير الفكري: دراسة في منهج  
عبدالله عبدالجبار، تأليف د. نبيل راغب، صدر عن  
دار انتصار للنشر.

نقوش إسلامية من حمدانه بوادي عليب، تأليف د.  
أحمد عمر الزيلعي، صدر عن مكتبة الملك فهد الوطنية.  
صفوة البيان في علاج السحر والحسد ومس  
الجان، تأليف د. محمد محمود عبدالله، صدر عن  
دار الشواف للنشر.

للحقيقة فقط (جزءان) تأليف منذر الأسعد،  
صدر عن دار المعراج الدولية للنشر.

مأزق في المعادلة، تأليف د. خيرية السقاف،  
صدر ضمن سلسلة «كتاب الرياض» عن مؤسسة  
اليمامة الصحفية.

دليل الكتاب والكاتبات، ط٣، صدر عن الجمعية  
العربية السعودية للثقافة والفنون.

مدخل إلى التحليل النبوي للقصص، تأليف  
رولان بارت، ترجمة د. منذر عياشي، صدر عن  
نادي جيزان الأدبي.

## الإمارات

### ندوة دولية عن تاريخ الطباعة العربية

ينظم مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث في دبي  
يومي ٢٧، ٢٨ جمادى الأولى الجاري (٢٢-٢٣  
أكتوبر ١٩٩٥م) ندوة علمية عن تاريخ الطباعة  
بالحرف العربي منذ نشأتها وإلى نهاية القرن التاسع  
عشر الميلادي،

تشارك في الندوة مجموعة من الباحثين العرب  
والمسلمين والأجانب، وتتناول أحد عشر محوراً  
مختلفاً حول موضوعها. وتكمن أهمية الندوة في أنها  
توثق لبدایات الطباعة العربية، وتلقي ضوءاً على  
الظروف التي رافقت نشأتها.

الفصل العدد (٢٢٧) ص ١٢٠

## قطر

### معرض تشكيلي ومسابقة للتصوير الضوئي

تستضيف الدوحة المعرض العاشر للفنون  
التشكيلية ومسابقة التصوير الضوئي لأبناء دول  
مجلس التعاون لدول الخليج العربية خلال الفترة من  
٢٤ إلى ٣٠ جمادى الآخرة المقبل (١٧-٢٣ نوفمبر  
١٩٩٥م).

تنظم المعرض والمسابقة الأمانة العامة للمجلس.

### كتب جديدة

رؤية إسلامية في قضايا معاصرة، تأليف د.  
عماد الدين خليل، صدر ضمن سلسلة كتاب الأمة  
عن مركز البحوث والدراسات في وزارة الأوقاف  
والشؤون الإسلامية.

## الكويت

### معرض للكتاب العربي

تجرى حالياً في المجلس الوطني للثقافة والفنون  
والآداب استعدادات لإقامة الدورة العشرين لمعرض  
الكويت للكتاب العربي، المقرر افتتاحه في نهاية شهر  
جمادى الآخرة المقبل (٢٢ نوفمبر ١٩٩٥م).

ينتظر أن يضم المعرض نحو مائتي جناح مقامة  
على مساحة ١٤ ألف متر مربع، تمثل دور النشر  
الكويتية والعربية، ويركز هذا العام على كتاب الطفل  
من خلال إقامة أجنحة متخصصة في كتب الأطفال.

### مهرجان الشعر والقصة

### لشباب مجلس التعاون

تستضيف الكويت حالياً مهرجان الشعر والقصة  
لشباب دول مجلس التعاون.  
تنظم المهرجان الأمانة العامة لمجلس التعاون،  
ويشارك فيه ممثلون للدول الست الأعضاء.

### كتب جديدة

الفكر الشرقي القديم، تأليف جون كولر،  
ترجمة كامل يوسف حسين.  
الزلازل: حقيقتها وآثارها، تأليف د. شاهر  
جمال أغا.

صدر الكتابان السابقان ضمن سلسلة عالم  
المعرفة عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.  
طموحات خادمة، مجموعة قصصية لفوزية  
السويلم، صدرت عن شركة الربيعان للنشر والتوزيع.

## مصر

### مكتبة إسلامية ضخمة في أسوان

تقرر إنشاء مكتبة إسلامية ضخمة على مساحة  
ألف متر مربع في مدينة أسوان المشهورة بآثارها  
الفرعونية في جنوب مصر

تعد المكتبة الجديدة أكبر مركز إسلامي في  
جنوب مصر، حيث تضم مركزاً متطوراً للحفاظ  
القرآن الكريم مزوداً بالأجهزة السمعية والبصرية،  
ومكتبة سمعية للمكفوفين، ومسجداً وداراً  
للمناسبات، وعيادة طبية، إلى جانب جناح كامل  
للسياح من زوار أسوان يضم مكتبة للدراسات  
الإسلامية باللغات الإنجليزية والفرنسية والتركية  
والإسبانية والألمانية.

تشاد المكتبة على الطراز المعماري الإسلامي، وقد  
تم اعتماد ثلاثة ملايين جنيه للإنشاءات.

### ألفية التوحيدي

تبدأ احتفالات ألفية الفيلسوف أبي حيان  
التوحيدي في الرابع عشر من شهر جمادى الأولى  
الجاري (٩ أكتوبر ١٩٩٥م).

ينظم الاحتفالات المجلس الأعلى للثقافة، ويشارك  
فيها مجموعة من المفكرين والمثقفين العرب  
ومستشرقون من أمريكا وفرنسا وبريطانيا وإسبانيا  
والأرجنتين. ويقام على هامش الاحتفال معرض للخط  
العربي استمده معده الفنان حامد العويضي من  
كتابات التوحيدي.

### الطهطاوي في مؤتمر دولي

تنظم كلية الآداب في سوهاج احتفالاً دولياً لرائد  
التنوير الثقافي رافعة الطهطاوي، يستمر ثلاثة أيام  
في شهر رجب المقبل (ديسمبر ١٩٩٥م).  
وشكلت الكلية لجنة للإعداد لإحتفال، الذي  
سيأخذ شكل مؤتمر بحثي، ضمت الدكاترة: نصار  
عبدالله، مصطفى رجب، فتح الله الشيخ.



تصدر «النداء» عن مجموعة من الكُتّاب والمثقفين يرأسها الناقد د. شكرى عياد، وتضم: بهاء طاهر، د. صلاح فضل، د. عبد المنعم تليمة، اعتدال عثمان، عدلي رزق الله، وحلمي التونسي.

### كتب جديدة

شعر تغلب في الجاهلية، جمع وتحقيق أيمن محمد ميدان، مراجعة د. صلاح الدين الهادي، صدر عن معهد المخطوطات العربية في القاهرة.

العبرات، تأليف مصطفى لطفى المنفلوطي. أروع ما كتب شاعر النيل حافظ إبراهيم (مختارات شعرية)، تصدير د. سمير سرحان.

صندوق الدنيا، تأليف إبراهيم عبدالقادر المازني. نائب عزرائيل، تأليف يوسف السباعي. بنت الشيطان، تأليف محمود تيمور.

العيب، تأليف د. يوسف إدريس. شجرة اللباب، تأليف محمد عبدالحليم عبدالله. يوميات نائب في الأرياف، تأليف توفيق الحكيم.

علموا أولادكم الشعر، (مختارات لمجموعة من الشعراء)، اختيار وتقديم أحمد عبدالمعطي حجازي. صدرت الكتب السابقة ضمن سلسلة روائع

الأدب العربي (الأعمال الإبداعية) عن الهيئة المصرية العامة للكتاب.

من وحي القلم، تأليف مصطفى صادق الرافعي. من زعماء الإصلاح، تأليف أحمد أمين. رؤية إسلامية، تأليف د. زكي نجيب محمود.

أيام لها تاريخ، تأليف أحمد بهاء الدين. هؤلاء علموني، تأليف سلامة موسى. حياتي في الشعر، تأليف صلاح عبدالصبور.

الدين والعلم والمال، تأليف فرح أنطون. حضارة مصر، تأليف د. سليمان حزين. الوعد الحق، تأليف د. طه حسين.

من أعلام التنوير، تأليف د. جابر عصفور.

## أبو الهول: لن يسترد ذقه

حسم وزير الثقافة المصري فاروق حسني الجدل الدائر حول مطالبة بريطانيا برد الجزء الخاص بـ «أبي الهول» إلى مصر حين قال في تصريحات صحفية إن الجزء الموجود حالياً في أحد متاحف لندن والجزء الآخر الموجود في مصر يمثلان اثنين من عشرة فقط من حجم الذن الأصلية.

وأكد الوزير أن عملية ترميم أبي الهول ستنتهي خلال العام الميلادي المقبل. يذكر أن هناك عدة تفسيرات غير مؤكدة لاختفاء ذفن أبي الهول، لم يتأكد بعد من صحة أي منها.

### وفاة أمينة السعيد

فقدت الصحافة المصرية بعامة والنسائية بخاصة واحدة من روادها ب وفاة الكاتبة الصحفية أمينة السعيد عن عمر ناهز ٨١ عاماً.

بدأت أمينة السعيد مشوارها الصحفي في العام ذاته الذي تخرجت فيه من قسم اللغة الإنجليزية بكلية الآداب في جامعة القاهرة عام ١٩٣٥م؛ حيث عملت في مجلة «آخر ساعة» ثم مجلة «المصور»، ثم تولت عام ١٩٥٤م رئاسة تحرير مجلة «حواء» الأسبوعية النسائية، وزادت مسؤولياتها عام ١٩٧٣م بتوليها رئاسة مجلس إدارة مؤسسة دار الهلال، ورئاسة تحرير مجلة «المصور» مع الصحفي الراحل صبري أبو الجعد، وظلت تتولى المنصبين حتى تقاعدها عام ١٩٨١م، حيث عينت مستشارة للمؤسسة.

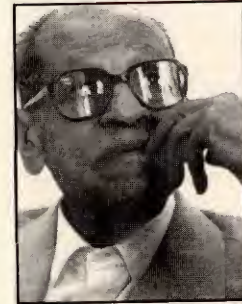
والى جانب العمل الصحفي مارست أمينة السعيد العمل النقابي والسياسي؛ حيث عملت وكيلة لنقابة الصحفيين، وعينت عضواً في مجلس الشورى لدورتين، وتولت منصب الأمين العام للاتحاد النسائي العربي، كما كانت عضواً في لجنة التضامن الأفروآسيوية، وكرمتها الدولة بوسام الجمهورية عام ١٩٧٥م ووسام الفنون ١٩٨٥م.

ولها إلى جانب كتاباتها الصحفية عدة مؤلفات منها: «من وحي العزلة»، «مشاهداتي في الهند»، «نساء صغيرات»، و«وجوه في الظلام».

### العدد الأول من «النداء»

يصدر خلال الشهر الجاري العدد الأول من مجلة «النداء» الثقافية الأسبوعية.

## الفائزون بجائزة نجيب محفوظ



نجيب محفوظ

أعلن المجلس الأعلى للثقافة أسماء الفائزين بجائزة مسابقة «نجيب محفوظ والرواية».

تقاسم المركز الأول الكاتبان محمد عبدالله عيسى، وجمال

زكي مقار، وتشارك في

المركز الثاني فؤاد قنديل وإدريس علي، فيما فازت صفاء البيلي بالجائزة الأولى في التأليف المسرحي.

### ميثاق شرف للناشرين العرب

أصدر اتحاد الناشرين العرب بعد تشكيله الجديد ميثاق شرف مكوناً من ستة بنود ليلتزمه الناشر كافة حفاظاً على المهنة ورفعاً لمستوى الكتاب.

تضمن الميثاق ضرورة التزام قضايا الأمة العربية وتراثها وقيمها الثقافية والحضارية، والعمل على رفع مستوى مهنة النشر، والحفاظ على آدابها وأصولها المهنية الرفيعة، واحترام حقوق النشر والتأليف والإبداع كافة وصيانتها من كل اعتداء عليها، والتعاون مع كل الزملاء وأية جهة تتصدى لهذا الاعتداء، وتوثيق العلاقة مع المؤلفين باحترام حقوقهم وتنظيم العلاقة معهم بموجب عقود وبيانات واضحة، وتوثيق العلاقات بين الناشرين وإشاعة روح التعاون والتضامن بينهم، والتزام القانون الأساسي وما يتخذه الاتحاد العام للناشرين من قرارات، واعتبار التضامن المهني وسيلة للارتقاء بمهنة النشر.

### مشروع لإنشاء

### متاحف خاصة للآثار

يعتزم الأمين العام للمجلس الأعلى للآثار د. عبدالحليم نور الدين التقدم بمشروع لإنشاء متاحف خاصة في مصر يتم تمويلها من التبرعات والمنح من أصحاب رؤوس الأموال والجمعيات الثقافية والآثارية، ويتولى إدارتها مجلس أمناء مستقل عن الحكومة.

سوغ د. نور الدين مشروعه بأن ميزانية المجلس الأعلى للآثار لا تكفى لمشروعات الترميم والتطوير وإنشاء متاحف جديدة.



شخصية مصر، تأليف د. جمال حمدان.

مصر من نافذة التاريخ، تأليف جمال بدوي.

صدرت الكتب السابقة ضمن سلسلة روائع الأدب العربي (الأعمال الثرية) عن الهيئة المصرية العامة للكتاب.

**حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني للهجرة،** تأليف د. يوسف خليف، صدر ضمن سلسلة «المكتبة العربية» عن المجلس الأعلى للثقافة.

حوار حول ابن رشد، كتاب يضم جملة الأبحاث التي قدمت في ندوة فلسفية عقدتها لجنة الفلسفة والاجتماع في المجلس الأعلى للثقافة في مصر، الذي صدر عنه الكتاب، وهو من تحرير د. مراد وهبة، ومشاركة كل من: مراد وهبة، أحمد أبو زيد، جابر عصفور، فتح الله خليف، حامد طاهر، محمود أمين العالم، حسن حنفي، فؤاد زكريا، عاطف العراقي، ومنى أبو سنة.

## السودان

**برامج لتنشيط الساحة الثقافية**

بدأت الهيئة القومية للثقافة والفنون في تنفيذ برامج لتنشيط الساحة الثقافية والفكرية عبر عدة لجان متخصصة.

تتضمن برنامج لجنة الآداب والعلوم الإنسانية الاستعداد لإقامة عدد من الندوات والمحاضرات لمناقشة القضايا الأدبية الحيوية، إضافة إلى برامج إذاعية وتلفازية، نفذ بعضها بالفعل مثل برنامج القصة القصيرة الذي تبثه إذاعة أم درمان.

وقامت لجنة النشر بتقويم العديد من المخطوطات وأصدرت توصيات بطبع بعضها.

وتواصل لجنة معجم الأدباء السودانيين جهودها لإصدار الجزء الثاني من المعجم، وهناك اتجاه يرى تضمين شعراء العامة ضمن الأدباء الذين يضم المعجم بياناتهم.

## لبنان

**مؤتمر الثقافة العربية**

ينظم المجمع الثقافي العربي مؤتمره الثقافي الثاني تحت شعار «الثقافة العربية في مواجهة المستقبل» خلال الفترة من ٢١ إلى ٢٣ رجب المقبل (١٤ - ١٦ ديسمبر ١٩٩٥م). بمشاركة مثقفين وباحثين من مختلف أنحاء الوطن العربي.

يتضمن المؤتمر ثمانية محاور، هي: دور الثقافة في بناء الوطن، دور الثقافة في التضامن العربي، دور الثقافة العربية والتحديات الإقليمية، المثقف العربي والسلطة، أزمة المثقف العربي، البعد العالمي للثقافة

العربية، دور الجامعات في حفر الثقافة، ومسؤولية الإعلام في نشر الثقافة.

**ندوة حول المحاكاة الحاسوبية**

نظمت في الجامعة الأمريكية في بيروت في بداية شهر سبتمبر/أيلول ندوة أكاديمية حول المحاكاة الحاسوبية - COMPUTER SIMULATION بحضور عدد كبير من الاختصاصيين العرب والأجانب الذين تدارسو أهمية تقنية المحاكاة الحاسوبية في تطوير مناهج البحث العلمي بوصفها وسيلة مبتكرة من وسائل الإيضاح.

ويذكر أن هذه التقنية سجلت نجاحا عظيما في ابتداء العديد من النماذج العلمية التي سمحت بتفسير الكثير من الظواهر الطبيعية، كما يذكر أن هذه الندوة هي الثانية في سلسلة ندوات حول التطبيقات العملية للحواسيب التي تشرف على إعادتها الجامعة الأمريكية في بيروت، حيث سبقتها ندوة حول التصميم بمساعدة الحاسوب نظمت قبلها بشهرين.

**صحيفة اقتصادية ومطبوعة أنثارية**

صدرت مؤخرا صحيفة أسبوعية باللغة الإنجليزية تحمل اسم «إيكو نيوز» موجهة لرجال الأعمال، ومطبوعة شهرية أنثارية تحت مسمى «آثار وتراث». تصدر «إيكو نيوز» عن شركة تحمل الاسم ذاته، ويرأس تحريرها محمد المشنوق، وتهتم بالقضايا

## محاضرات وندوات

**آليات النقد الإسلامي وخصوصيته»، عنوان محاضرة ألقاها د. حسن بن**

**فهد الهويمل.**

**«لغات في إعجاز سورة الأنفال»، عنوان محاضرة ألقاها د. حسن محمد باجودة.**

**ألقيت المحاضرتان السابقتان في النادي الأدبي بالباحة.**

**«ظواهر الإبداع الشعري والنقدي في أعمال الشاعر والناقد د. سعد دعبس»، عنوان ندوة نظمتها رابطة الأدب الحديث في القاهرة، شارك فيها الدكتور: محمد عبد المنعم خفاجي، ومحمد إبراهيم عبدالرحمن، وعبد المرحي زكريا خالد، وعدد من الشعراء والنقاد.**

**«مبادئ وتوجهات السياسة الخارجية لمصر»، عنوان محاضرة ألقاها في مخيم أبي بكر الصديق الكشفي بمدينة الاسكندرية، د. مفيد شهاب.**

**«الهوية المصرية»، عنوان ندوة أقيمت في نادي روتاري الإسكندرية، تحدث فيها د. فاروق الجوهري.**

**«قضايا أدب الطفل الأفريقي»، موضوع ندوة نظمها المركز القومي لثقافة الطفل في القاهرة، شارك فيها أحمد نجيب.**

**«الإعلام وتغير المفاهيم»، عنوان محاضرة ألقاها في نادي أبها الأدبي، محمد ناصر الأسمر.**

**«المخدرات وأضرارها» عنوان محاضرة جماعية ألقاها في مركز التدريب المهني ببيشه، كل من الملازم أول فلاح الشهري، ود. صالح الدماس.**

**«قضايا أخلاقية في الطب الإسلامي»، عنوان محاضرة ألقاها في مستشفى حراء العام، د. محمد علي البار.**

**«البدع وعواقبها الوخيمة والتحذير منها»، عنوان محاضرة ألقاها في جامع الإمام تركي بن عبدالله في الرياض، الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ.**



حياة وآلام حمد ابن سيلانة، رواية لنجوى بركات، صدرت عن دار الآداب.

نجيب محفوظ: قراءة ما بين السطور، تأليف رشيد العاني.

اختبار قياس ذكاء الأطفال المغاربة، تأليف د. علي أفرار، صدر عن دار الطليعة.

المجتمع القروي بين التقليدية والتحديث، تأليف د. مهى سهيل المقدم، صدر عن منشورات دار مجد.

معجم عين الفعل، تأليف جوزف إلياس وجرجس ناصيف، صدر عن دار العلم للملايين في بيروت.

## سورية

### بينالي المحبة الدولي الأول

شارك ١٤٧ فنانياً تشكيليًا يمثلون ١٤ دولة عربية في بينالي المحبة الأول باللاذقية.

وقدم المشاركون ٥١٩ عملاً للتنافس على جوائز البينالي؛ حيث نال الجائزة الكبرى (مناصفة) الفنان التشكيلي المصري طارق زيادي، والفنان السوري علي سليم خالد، وحصل المصور المصري مصطفى عبدالوهاب على جائزة نقابة الفنون الجميلة السورية.

نال باقي جوائز البينالي كل من: نزار صبور (سورية)، سامي محمد (الكويت)، عبد الرحمن

الاقتصادية والمالية والإثرائية ونشاطات رجال الأعمال. أما «آثار وتراث» فتصدر عن المديرية العامة للآثار بالتعاون مع منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو)، وتقدم رسداً للمكتشفات وتقارير علمية وبيانات، كما تلقي ضوءاً على المناطق الحافلة بالآثار. «إشارات» مجلة جديدة

أصدر اتحاد الكتاب اللبنانيين مؤخرًا مجلة جديدة تحمل عنوان «إشارات». وتضمن عددها الأول مجموعة كبيرة من الدراسات الثقافية والأدبية والفكرية والتربوية، وإبداعات شعرية ونثرية. كتب جديدة

صعود إبريل، مجموعة شعرية لنوري الجراح، صدرت عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت.

مسألة الهوية، تأليف د. محمد عابد الجابري، صدر عن مركز دراسات الوحدة العربية.

ألمانيا النازية وفلسطين (١٩٣٣ - ١٩٤٥م)، تأليف عبد الرحمن عبد الغني، صدر عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

هيجل وفويرباخ، تأليف حنا ديب، صدر عن دار أمواج للنشر.

صدر الإسلام والدولة الأموية، تأليف محمد عبد الحلي محمد شعبان، صدر عن الدار الأهلية للنشر والتوزيع.

شاركت فيها الشاعرة عليّة الجعار.

«القضاء والسياسة»، عنوان محاضرة ألقاها في نادي القضاة في القاهرة، د. مصطفى الفقي.

«روافد الأدب الإسلامي»، موضوع ندوة نظمته جمعية الشبان المسلمين في الإسكندرية بالتعاون مع المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية، شارك في الندوة نخبة من أساتذة الأدب والتاريخ وبعض الأدباء والمهتمين بالأدب الإسلامي.

«الإعلام العسكري»، عنوان محاضرة ألقاها في كلية القيادة والأركان بالقوات المسلحة السعودية، عبد الرحمن محمد القحطاني.

«الخطاب الثقافي لجيل الرواد: عبدالله عبدالحجّار نموذجاً»، عنوان محاضرة ألقاها في نادي الطائف الأدبي، حسن بافقيه.

«التحديات التي تواجه الأمم المتحدة بعد الحرب الباردة»، عنوان محاضرة ألقاها د. منى مكرم عبيد في مركز دعم الأمم المتحدة بمدينة جيفرو اليابانية.

«حتى لا ننسى»، عنوان أمسية شعرية نظمته جمعية الصحفيين الكويتية بمناسبة الذكرى الخامسة للعدوان العراقي على الكويت، شارك فيها عدد من الشعراء.

«مائيات السياب»، عنوان محاضرة ألقاها في قاعة الكوفة في لندن، د. صلاح نيازي. «قراءة في رواية أمين معلوف: ليون الأفريقي»، عنوان محاضرة ألقاها في مقر اتحاد الكتاب العرب في حلب، محمد قجّة.

«من صميم القلب»، عنوان محاضرة ألقاها في جامع فقيه بحي العزيزية بمكة المكرمة د. أحمد المورعي.

نظم نادي أبها الأدبي أمسية شعرية شارك فيها الشعراء: علي آل عمر عسيري، أحمد عبدالله عسيري، أحمد عبدالله بيهان، وعلي الحسن الحفظي.

«نظرة عابرة على البيئة وأثر بعض الأنظمة القديمة في حياتها»، عنوان محاضرة ألقاها في نادي أبها الأدبي، إبراهيم بن أحمد السيد.

«من أجل البوسنة»، عنوان أمسية شعرية نظمته نقابة المهن التعليمية في القاهرة،



## مسابقة أدبية يابانية

أعلنت إدارة جامعة حلب عن إجراء مسابقة أدبية في القصة القصيرة والمقالة والشعر للتعبير عن الآثار المدمرة التي خلفها انفجار القنبلتين الذريتين في مدينتي هيروشيما وناجازاكي اليابانيتين في نهاية الحرب العالمية الثانية. ويذكر أن هذه المسابقة نظمت بالتعاون بين المركز الياباني للتعاون الأكاديمي ومعهد التراث العلمي التابع لجامعة حلب، وتقرر أن يمنح الفائز مكافأة مالية خلال معرض ياباني للصور والأفلام التي يدور موضوعها حول آثار القنبلتين الذريتين، الذي تقرر تنظيمه لاحقاً في قاعة مبنى معهد التراث العلمي في حلب.

## كتب جديدة

مجلس من أمالي ابن الأباري، تأليف أبي بكر محمد بن القاسم الأباري، تحقيق إبراهيم صالح، صدر عن دار البشائر في دمشق.

مجنون البصرة، ديوان شعر، تأليف محمد محسن، صدر عن دار النافذة الدمشقية.

الاعتراف الأول، كتاب يضم مجموعة قصصية للكاتبة كوليت نعيم بهنا، صدر عن دار كنعان للدراسات والنشر والطباعة الجديدة.

## الأردن

### اكتشاف مستوطنة أثرية

اكتُشفت مستوطنة تبلغ مساحتها ثلاثين دونماً في موقع أبي النور بجنوب الأردن.

تضم المستوطنة عدة مباني وغرفاً دائرية ومربعة الشكل ذات دلالات دينية واجتماعية، كما عثر على مئات من الأدوات الصوانية التي كانت تستخدم آنذاك، ومجموعة من الأواني والمدقات الحجرية المتعددة الأشكال والأحجام.

يذكر أن الحفريات في الموقع المذكور قد كشفت قبلاً عن وجود حضارة تعود إلى القرن السادس الميلادي.

## كتب جديدة

المؤثرات الأجنبية في الشعر العربي، تأليف مجموعة من الباحثين، تقديم ليلى شرف وأكرم مصاورة، صدر عن مهرجان جرش.

النظم الإسلامية، تأليف د. منير حميد البياتي، صدر عن دار البشير في عمان.

كتاب الشين، ديوان شعر من تأليف علي الشاه، صدر عن دار الكرمل للنشر والتوزيع.

## فلسطين

### «مشارف»



إميل حبيبي

هذا هو اسم أول مجلة فلسطينية ثقافية شهرية تضم هيئة تحريرها كتاباً وفنانين فلسطينيين من داخل الأرض المحتلة والمناطق المعدة للدولة الفلسطينية.

يرأس تحرير «مشارف» -

التي صدر عددها الأول مؤخراً - الأديب إميل حبيبي، ويدير التحرير غسان زقطان وسهام داود.

### وثائق جديدة لمخطوطات البحر الميت

عثر في منطقة قمران شمال غربي البحر الميت على أربعة كهوف بالقرب من تلك الكهوف التي عثر عليها عرب التعمارة عام ١٩٤٧م.

تكمن أهمية الكشف في أن الكهوف التي سبق العثور عليها من قبل في المنطقة ضمت ما عُرِف فيما بعد بوثائق ومخطوطات البحر الميت، وهي وثائق ومخطوطات ذات أهمية كبرى لما تكشفه من أسرار الديانة اليهودية؛ مما حدا بسلطات الاحتلال - حين استولت على الضفة الغربية - إلى حجب الوثائق وعدم السماح لأحد بالاطلاع عليها.

وينتظر أن يقوم فريق أثاري إسرائيلي في شهر جمادى الآخرة المقبل بأعمال البحث الأثري في الكهوف الأربعة الجديدة بحثاً عن أية مخطوطات قد تكون مخبأة داخلها.

## تونس

مهرجان «الحرس» للفنون التشكيلية شاركت ٢٢ دولة عربية وأفريقية في أعمال

الدورة الثامنة للمهرجان الدولي للفنون التشكيلية في مدينة المحرس الذي اختتم أعماله مؤخراً.

ويعد مهرجان المحرس من أبرز المهرجانات التشكيلية في أفريقيا، وقد عبرت المشاركات المختلفة عن تأثر الفنانين ببيئاتهم المحلية.

### وفاة رئيس بيت الحكمة

توفي العلامة سعد غراب، رئيس المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون (بيت الحكمة) عن عمر ناهز ٥٥ عاماً.

ولد غراب في ديسمبر ١٩٤٠م في مدينة عمارش، ومارس العمل الوظيفي؛ حيث تقلد عدة مناصب من بينها عمادة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ورئاسة بيت الحكمة، ومنصب المدير العام المساعد للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. من مؤلفاته: «العامل الديني والهوية التونسية»، و«كيف نهتم بالتراث؟».

### كتب جديدة

نظرية الأجناس الأدبية، تأليف كارل فيكتور وآخرين، ترجمه إلى العربية د. عبد العزيز شليل، وصدر في تونس.

الصخور اللقيطة، مجموعة قصصية لعمر الغدامسي، صدرت عن الدار العربية للكتاب.

## المغرب

### مجلة «الإسلام اليوم»

صدر العدد الأول من مجلة «الإسلام اليوم» باللغات: العربية والإنجليزية والفرنسية.

و«الإسلام اليوم» مجلة تعنى بالدراسات والبحوث الثقافية والفكرية والتربوية، وتصدر عن المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو).

### وفاة الصحافية نادية براولي

فقدت الصحافية المغربية واحدة من رموزها بوفاة الصحافية والناشرة نادية براولي.

تعد براولي واحدة من المناضلات من أجل قضية فلسطين؛ حيث عملت مع الثورة الفلسطينية منذ عام ١٩٦٧م، واعتقلها الصهاينة في مطار الدمام



يأتي القرار في إطار حملة للتخلص من كل تعاليم  
محرفة للإسلام، حيث من شأن تلك الترجمة إثارة  
ارتباك القراء بخصوص النص الأصلي للقرآن الكريم.

## بريطانيا

### معرض عن شكسبير

أقيم - مؤخراً - معرض جديد في ستافورد أبون  
أفون مسقط رأس الكاتب المسرحي البريطاني وليام  
شكسبير لتأكيد عبقريته.

رمى المعرض إلى دحض أكذوبة أن شكسبير لم  
يكتب مسرحياته؛ لأنه لم يتلق قدراً من التعليم، من  
خلال تركيز المعرض على سنوات دراسة الكاتب  
الراحل، وما يؤكد ثقافته وسعة اطلاعه.

### أحدث الكتب

حرب ١٨٨٤م في اليمن، تأليف جمال  
السويدي، صدر عن دار الساقى في لندن.  
في أروقة الذاكرة، رواية لهيفاء زنكنة،  
صدرت عن دار الحكمة.

## رومانيا

### مدرسة للأقليات في بوخارست

افتتح في يوليو/تموز الماضي، مدرسة في  
بوخارست، تضم جميع مراحل التعليم: الابتدائي،  
والإعدادي، والثانوي، يتم التعليم فيها فقط باللغة  
التتارية والتركية. وتشمل قسمًا داخلياً، أقيم خصصاً  
للأقلية التركية والتتارية المسلمة في رومانيا. وقد حضر  
حفل الافتتاح وزير التعليم الروماني، والسفير التركي  
في بوخارست. أقيمت المدرسة بتمويل روماني تركي  
مشترك. ويرمي المشروع إلى تعليم هذه الأقليات علوم  
الدين الإسلامي.

### جوائز اتحاد الكتاب الروماني

لعام ١٩٩٤ - ١٩٩٥م  
منح اتحاد الكتاب الروماني هذا العام الجوائز  
التالية في مختلف فنون الأدب:  
منحت جائزة الشعر للشاعرة دان لاوتسو عن

١٩٧١م؛ حيث كانت تعد وشقيقتها غيثة لعملية  
فدائية، وحكم عليها باثنتي عشرة سنة سجنًا ثم أطلق  
سراحها فيما بعد إثر حملة تضامن معها. والتحقت  
بعد الإفراج عنها عام ١٩٧٥م بمنظمة التحرير  
الفلسطينية في بيروت، ثم عادت إلى المغرب عام  
١٩٨٢م حيث ترأست مجلة «لوميساج دو  
لأناسيون»، ثم أسست مجموعة «ليبرال» التي  
أصدرت مجلة بالفرنسية تحمل الاسم ذاته، توقفت  
قبل شهرين تقريباً، إضافة إلى مطبوعة عربية أسبوعية  
تحمل اسم «المتر الليبرالي».

### مسابقة للقصة القصيرة

أعلنت رابطة القصة القصيرة في مدينة القنيطرة  
عن مسابقة في مجال القصة للمواهب الواعدة.  
وحددت الرابطة نهاية شهر سبتمبر ١٩٩٥م (٥  
جمادى الأولى الجاري) موعداً نهائياً لاستقبال  
المشاركات.

### كتب جديدة

بنية الخطاب المسرحي عند توفيق الحكيم من  
خلال شهر زاد، تأليف مصطفى رمضان، صدر  
عن منشورات الشرق في وجدة.

شجر البياض، مجموعة شعرية لعبد الكريم  
الطبال، صدرت في طبعة خاصة في شفشاون.  
شجر الخلاطة، رواية لميلودي شغوم، صدرت  
عن مطبعة فضالة.

الخارب والأسلحة، مجموعة قصصية للقمري  
البشير، صدرت عن منشورات البوكيلي في القنيطرة.  
يهود ومسلمون في المغرب من ١٨٥٩ إلى  
١٩٤٨م، تأليف محمد كنيب، صدر عن مطابع  
جامعة محمد الخامس في الرباط.

## ماليزيا

حظر ترجمة لعاني القرآن بلغة الملايو  
حظرت الحكومة الماليزية ترجمة مثيرة للجدل  
لعاني القرآن الكريم باللغة الملايوية قام بإصدارها ناشر  
سغاغوري، مؤكدة أن من تُضبط عنده هذه الترجمة  
سيعد مخالفاً للقانون.

ديوانها «جبل الزيتون»، ومُنحت جائزة النثر للكاتبة  
ميرجا كرندرسكو عن كتابها «ترافستي: تقمص»،  
ومنحت جائزة الفلسفة للكاتب أندريه بليشو عن «لغة  
الطيور»، وجائزة الترجمة للمترجمة أنا بيده لفرجيلو  
عن «حي توهنانو»، وجائزة أدب الشباب والأطفال  
للكاتب يون بودوكو عن «الحرب غير مرئية»، وجائزة  
لأدباء الأقليات الاجتماعية، منحت لكل من اللغتين:  
العربية وحصل عليها تسلاموجيه شوبكن عن «كأس  
الحقيقة»، والهنگارية، ونالها دمتي بتر عن «صلاة  
إيكار».

## ألمانيا

### افتتاح أكاديمية الملك فهد

افتتح صاحب السمو الملكي الأمير عبد العزيز بن  
فهد بن عبد العزيز في العشرين من الشهر الماضي  
أكاديمية الملك فهد في بون التي تضم مدرسة وجامعاً  
وصالة محاضرات كبيرة وغرفاً أخرى.

وقد روعي في معمارها ربط العمارتين العربية  
الإسلامية والحديثة في شكل متناغم.

تكلف إنشاء الأكاديمية ٣٩ مليون مارك ألماني،  
تبرع بتقديمتها خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن  
عبد العزيز من ماله الخاص. وتستوعب الأكاديمية  
سبعمئة طالب وطالبة من مختلف المراحل، ويتم  
التدريس فيها بثلاث لغات، هي: العربية، والألمانية،  
والإنجليزية. (سوف يطالع القارئ الكريم تفاصيل  
أوسع عن الأكاديمية في العدد القادم إن شاء الله).

### معرض فرانكفورت الدولي للكتاب

تشارك ستة آلاف وأربعمئة دار نشر من مختلف  
أنحاء العالم في معرض فرانكفورت الدولي للكتاب،  
المقرر إقامته في منتصف الشهر الجاري (١١ أكتوبر  
١٩٩٥م).



ويلاحظ أن زيادة عدد دور النشر المشاركة لم يواكبه زيادة عدد الدول؛ بل على العكس فإن الدول المشاركة هذا العام تقل عن العام الماضي بثمانى دول.

يذكر أن المعرض يعد أضخم تظاهرة ثقافية للكتاب على مستوى العالم.

### أحدث الكتب

رفائيل بطي (١٩٥٦ - ١٩٥٦م) وريادة النقد الشعري في العراق، قدم له واختار نصوصه حاتم الصكر، وصدر عن منشورات الجمل.

راقصة روكو باروك، قصة الأديب الأندونيسي أحمد توهاري، صدرت ترجمتها الألمانية عن دار نشر هورلمان.

### فرنسا

#### معرض التراث الأندلسي

اختتم - مؤخرًا - في باريس معرض «التراث الأندلسي» الذي نظم بالتعاون بين منظمة اليونسكو ومؤسسة ميرانيغادا الثقافية.

رمى المعرض إلى إحياء التراث الحضاري والثقافي الأندلسي، الذي ازدهر خلال الفترة مابين القرنين

الثامن والخامس عشر الميلادي من خلال عرض مجموعة من الأعمال الفنية المعبرة عن تراث الأندلس وحضارتها.

### الشهاوي يمثل العرب في برنامج ديجراسي

اختير الشاعر المصري أحمد الشهاوي (٣٤ عامًا) ليكون واحدًا من عشرة شعراء منحوا منحة مالية وحق المشاركة في برنامج ديجراسي للكتابة الإبداعية الذي يتيح لصاحبة إلقاء قصائده في عدد من الجامعات الأمريكية.

وكان الشهاوي قد تقدم للمسابقة بكتابين شعريين يمثلان مختارات مترجمة من دواوينه الأربعة؛ حيث أسفرت المسابقة التي أشرفت عليها منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو)، وشارك فيها قرابة ١٦٠٠ شاعر عن اختياره ضمن الفائزين العشرة.

### معرض دولي متجول للفنانين التشكيليين

تمكنت جمعية الصحافيين الأجانب التي يوجد مقرها في باريس من تنفيذ فكرة طموحة في إطار سعيها لتحقيق شعار «عالمية الفن»؛ حيث نجحت في جمع عدد كبير من المعروضات التشكيلية التي تتنوع بين اللوحات المرسومة والقطع المنحوتة والمحفورة

لفنانين عالميين من بريطانيا وإيطاليا والأرجنتين وروسيا واليونان وبلجيكا وبلغاريا وكولومبيا وكوريا وسلوفاكيا ومصر ولبنان وسورية، وذلك بغية الطواف بها في معارض تنظم في مختلف بقاع العالم.

ويرى نائب رئيس الجمعية الأستاذ إلياس مصبجي أن هذه التظاهرة تعد فرصة نادرة للتواصل الثقافي العالمي، كما أنها مناسبة لتعريف العالم بمستوى الفن التشكيلي العربي. يذكر أن أول معرض لهذه التحف أقيم في باريس خلال شهر سبتمبر الماضي، على أن تنتقل فعالياته بعد ذلك إلى سورية ثم عمان ودبي وأبوظبي والصين.

### أحدث الكتب

أبطالى ومسوخنا ( عن بعض الزعامات العالمية والعربية التاريخية)، تأليف جين لاكوتير.

انقلاب العالم (عن التطورات العالمية الجديدة كسقوط حائط برلين وانهيار الشيوعية)، تأليف ماريول تورين.

صدر الكتابان السابقان عن دار نشر سول في باريس.

هذا هو بدوي الجبل، تأليف د. صالح عضيمة، صدر عن مركز الأبحاث العربية الإسلامية في فرنسا والدار العالمية في بيروت.

دكتوراه نوقشت في كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر، تقدم بها مصطفى عبدالرحمن.

«نظرية المواجهات عند ابن سينا وابن رشد»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآداب في طنطا بمصر، تقدمت بها عزة مظهر.

«قضية الوجود الصوفي في العصر الحديث»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، تقدم بها محمد السيد المليجي.

«الحلي وأدوات الزينة في عصور ما قبل التاريخ والعصر المبرك»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآثار بجامعة القاهرة، تقدم بها مصطفى عطالله محمد خليفة.

«تشنيف السمع في انسكاب الدمع، لمؤلفه صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بينها في مصر، تقدم بها أشرف أحمد البطاوي.

«توظيف التراث في مسرح توفيق الحكيم»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب في بنها بمصر، تقدم بها مطيع أحمد نشأت.

«الفن الروائي عند نجيب محفوظ بين عامي ١٩٧٣-١٩٨٨م»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية البنات بجامعة عين شمس، تقدمت بها نادية بدران.

## رسائل جامعية

«الإعلام الإسلامي ودوره في مكافحة الإرهاب»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في المعهد الأعلى للشريعة في الجامعة الزيتونية بتونس، تقدم بها صاحب السمو الملكي الأمير عبدالعزيز بن ناصر بن عبدالعزيز آل سعود.

«التخطيط المالي لتمويل مشروعات وبرامج حماية البيئة في مصر»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في مقر مركز الدراسات والبحوث البيئية بجامعة عين شمس، تقدم بها محمد طاهر فريد.

«الإقامة الدائمة والمؤقتة في تخطيط المدن الحديثة في العالم العربي... تجربة في مدينة ينبع الصناعية»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية العمارة بجامعة لوزان السويسرية، تقدم بها زياد أحمد زيدان.

«الفكر الأدبي والنقدي عند المفكر الإسلامي عبدالمتعال الصعيدي»، موضوع رسالة



الإسلامي المعاصر في المركز الإسلامي في مدريد خلال الفترة من ١٠ إلى ٢٥ جمادى الأولى الجاري (٥ - ٢٠ أكتوبر ١٩٩٥م).

ينتظر أن يضم المعرض خمسين لوحة فنية من أبرز أعمال التشكيليين العرب، وفي مقدمتهم صلاح طاهر وحسين الجبالي ومحمد السليم وعثمان الخزيم. يقام المعرض بالتنسيق مع الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون، ويرمي إلى التعريف بمدى تطور الفنان العربي في معالجاته للقضايا العربية والإسلامية من خلال الفن التشكيلي.

### أحدث الكتب

الأندلس وإسبانيا في الأدب العربي الحديث، تأليف د. بيدرو مارتينيث مونتانيث، صدر بالإسبانية عن دار مايفري بمدريد.

## روسيا

### معهد إسلامي في مسقط رأس لينين

افتتح - مؤخراً - في مدينة أوليانوفسك أول معهد للدراسات الدينية والإسلامية في روسيا، بمساهمة من مؤسسة إبراهيم بن عبد العزيز الإبراهيم الخيرية وجمعية الوقف الإسلامية.

يتبع المعهد جمعية «بيت الله»، وبعث افتتاحه في مدينة أوليانوفسك ليكسبه بعداً جديداً، حيث إن هذه المدينة شهدت ميلاد فلاديمير لينين، مؤسس الدولة الشيوعية.

## السويد

### جوائز نوبل تعلن الشهر الحالي

تعلن خلال الفترة من الرابع عشر إلى الثامن عشر من شهر جمادى الأولى الجاري أسماء الفائزين

الخط واستخدامه في الهندسة المعمارية، وآخر لأدوات الخطاط وأنواع التسجيلات، وثالث عن الجيش والديوان الملكي والإدارة العثمانية.

### وفاة سعيد رمضان

توفي الداعية الإسلامي الدكتور سعيد رمضان أحد مؤسسي حركة الدعوة الإسلامية في أوروبا، ومنشئ المركز الإسلامي في جنيف.

وقد شغل د. رمضان عدة مناصب مهمة، منها الأمين العام للمؤتمر الإسلامي العام لبيت المقدس عام ١٩٥٣م، كما أصدر مجلة «المسلمون»، ووضع عدة كتب في مجال القانون الإسلامي، وقد تم نقل جثمان الفقيد إلى مصر مسقط رأسه، حيث جرى دفنه.

## إسبانيا



د. عبد الحليم رضوي

### معرض تشكيلي للفن العربي الإسلامي

ينظم الفنان التشكيلي السعودي د. عبد الحليم رضوي معرضاً للفن العربي

الجزائر، تأليف باتريك إيفينو، صدر عن دار نشر لومون ديسيون.

ناتير الجزائر: أرض لمدن القصدير، تأليف عبد المالك الصياد وإليان دويوي، صدر بالفرنسية عن سلسلة اوترومان.

النسوية والسياسة في المغرب: ستون عاماً من النضال، تأليف زكية داود، صدر بالفرنسية عن منشورات لاميزونوف لاروز.

الموت الحميم، تأليف عالمة النفس ماري دو هينزيل، كتب مقدمة الكتاب الرئيس الفرنسي السابق فرانسوا ميتران، وصدر عن دار لافوف.

## سويسرا

### معرض للخط العربي

اختتم - مؤخراً - في متحف رات في جنيف معرض للخط العربي ضم ٢٥٠ قطعة من العهد العثماني اختيرت من مجموعة ناصر خليلي الشاملة للفن الإسلامي، من بينها ٣٠ نسخة من المصاحف. رعى المعرض إلى إظهار دور الخط في زخرفة الفنون الإسلامية المتنوعة بعامة، وإبراز فنون العثمانيين بخاصة. حيث ضم عدة أقسام، منها قسم يوضح فن

«الوعي الاجتماعي في السودان.. دراسة ميدانية»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآداب بجامعة القاهرة، تقدم بها شكري عبد المجيد صابر.

«أغلفة الحملات المصرية.. رؤية تشكيلية»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الفنون الجميلة بالقاهرة، تقدم بها عصام عليوة.

«تقوم دور الإحصائي الاجتماعي مع فريق العمل بمؤسسات تأهيل المكفوفين»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الخدمة الاجتماعية في الفيوم بمصر، تقدم بها جمال محمد موسى.

«العوامل المؤثرة في مشكلة الأمن الغذائي»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة، تقدمت بها علا محمد الخواجة.

«فعالية التنسيق بين الوحدات الحبلية وأثره على برامج التنمية بالتطبيق على منطقة عسير»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في جامعة الملك عبدالعزيز بجدة، تقدم بها منصور بن عوض القحطاني.

«تدريس مادة السولفيج (علم قراءة النوتة الموسيقية) عن طريق الكمبيوتر للأطفال»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في معهد الكونسرفتوار بأكاديمية الفنون المصرية، تقدمت بها أماني علي سعد.

«ثقب ماقولة العين» موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الطب بجامعة عين شمس، تقدم بها د. شريف حسن عميرة.



## جبل طارق

### وضع حجر الأساس لمسجد خادم الحرمين الشريفين

بحضور معالي وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد السعودي د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ومشاركة حاكم جبل طارق السير جون شاتل احتفل في منتصف شهر ربيع الأول الماضي بوضع حجر الأساس لمسجد خادم الحرمين الشريفين في جبل طارق.

أقيم المسجد على مساحة قدرها ٢٢٠٠ متر مربع، ويستوعب ألف مصلي، ويضم مدرسة لتدريس القرآن الكريم واللغة العربية تتكون من ستة فصول دراسية، وقاعة للمحاضرات، ومكتبة، ومنطقة خدمات، إضافة إلى مسكن للإمام المسجد. يستغرق بناء المسجد ٢٢ شهراً، وروعي أن يمزج معماره بين الطابع الإسلامي والبيئة المحلية المحيطة به.

## الولايات المتحدة

### معرض للحضارة الآشورية

استضاف متحف المتروبوليتان في نيويورك - مؤخراً - معرضاً ضخماً عن الحضارة الآشورية بمناسبة الذكرى السنوية الخامسة والعشرين بعد المائة لتأسيس المتحف. ووصف الإخصائيون المعرض بأنه الأهم من نوعه حتى الآن؛ حيث ضم مجموعة من أفضل الآثار الآشورية في العالم، أعيرت من المتحف البريطاني ومتحف الفنون الآشورية في برلين.

وضمنت المجموعة المعروضة عدداً كبيراً من الحلي والخزف وأدوات الزراعة والصناعة والأواني المنزلية المصنوعة من العاج والذهب والفضة والبرونز والفخار، إضافة إلى لوحات وصفائح صليزية تتناول جوانب من الحياة الإدارية والدينية والاحتفالية وعلوم الحساب والطب والفلك والأدب والتاريخ عند الآشوريين.

### وفاة الأديبة ماي سارتون

توفيت - مؤخراً - الكاتبة والشاعرة الأمريكية اليناور ماري عن عمر ناهز ٨٣ عاماً.

ويذكر أن ماري التي اشتهرت باسم «ماي سارتون» ولدت في بلجيكا ١٩١٢م، وهاجرت أسرتها إلى الولايات المتحدة الأمريكية خلال الحرب العالمية الأولى، وبدأت في الثلاثينيات الميلادية تنسج إلى كتابة المسرحيات والقصائد، بعدها كتبت في أشكال الأدب المختلفة، حيث أنتجت أكثر من خمس عشرة رواية، ومجموعة كبيرة من الدراسات الأدبية، وعدداً من كتب الأطفال.

### أحدث الكتب

صور من الصين، تأليف زيانينج هو، صدر عن دار نشر نيوبرس.

من أجل إنسان كامل، تأليف تري كاسيل، صدر عن دار نشر أوكسفورد.

متمرد من طراز خاص، طبعة جديدة، تأليف وليم فلتشر، صدر عن دار نشر دوتون.

المنفى، رواية للروائي الروماني أوجستين بوزورا، صدرت عن كولومبيا أنفرستي بيس، وتدور حول عصر الدكتاتورية الاشتراكية في رومانيا، إبان حكم شاوشيسكو.

## البرازيل

### اكتشاف مرصد فلكي

اكتشف مرصد فلكي في ولاية باهيا شمال شرقي البرازيل يعود بناؤه إلى أكثر من ألفي عام. ويعتقد أن المرصد ذا الشكل البيضي المرصع بالحجارة السوداء المنحوتة كان يستخدم لممارسة شعائر عبادة الشمس.

### جائزة «رولفو» لنيليدا بينون

منحت الروائية البرازيلية نيليدا بينون (٥٨ عاماً) جائزة خوان رولفو لآداب أمريكا اللاتينية والكاريري عن عام ١٩٩٥م.

تعد بينون أول امرأة تحصل على هذه الجائزة التي تبلغ قيمتها مائة ألف دولار، كما أنها المرة الأولى أيضاً التي تمنح الجائزة لعمل أدبي مكتوب باللغة البرتغالية.

من أشهر أعمال بينون: رواياتها «جمهورية الأحلام»، «أفكار من قلبي»، و«قوة القدر».

## البرتغال

### بيض متحجر

عمره ١٥٠ مليون عام

اكتشف في بايمونجو قرب لورنيا بوسط البرتغال قرابة سبعين بيضة متحجرة تعود إلى الحقبة الجوراسية القديمة أو ما قبل مائة وخمسين مليون سنة. يعود البيض المكتشف إلى ثلاث حاضنات مختلفة لديناصورات وحيوانات فقارية أخرى.


## النمسا

### جائزة الأدب الأوربية لأديب دانماركي

منح الأديب الدانماركي أنجز كريتشن جائزة الأدب الأوربية لعام ١٩٩٥م عن مجموعة من المؤلفات والقصائد الشعرية.

وتقوم بمنح الجائزة سنوياً الحكومة النمساوية خلال احتفال كبير في بيت الثقافة في فيينا.





# إبداع على صعيد

صباح كل سبت  
**أنتم على موعد مع**  
مجلة



نقلة صحفية في عالم المجلات الأسبوعية  
مقالات لأشهر الكتاب والمتخصصين  
الجديد والمفيد من الموضوعات التي تهتم كل أفراد الأسرة





# الجزيرة

# تكملة لك



**تثري  
مسارك**

**المسارعة**

تصدران يوميا عن مؤسسة الهيئة للطباعة والنشر. ص.ب: ٣٥٤ الرياض ١١٤١١ هاتف ٤٣٥٥٥٥. • فاكس ٤٠١٤٧٩ جراتي اس جي.



## جدلية العقل في الفكر والعبودية

كتاب يناقش قضية من قضايا الفكر، وهي جدلية العقل. كما يبحث مؤلفه الشيخ أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري قضية الغربة والاعتراب ومدلولها العرفي والاصطلاحي والأدبي والفكري في العصر الحديث. ويقول في ذلك: «هذا المدلول فيه كوة مظلمة وهوبة سائخة استمد منها بعض أدباء العصر أن يلف جمجمته ويحني أضلاعه على أفكار وأحاسيس وأنماط وافدة من خلف البحار والسهوب، والدوق الشرقي المسلم يرفضها، فالهيبية والخنفسة غربة واغتراب، ومسوخ الثوابت البنيية بمستعجم الفكر وهجين النمط غربة واغتراب، والانفتاح على كل تيسار فكري وأدبي، ولو بتزديد الكلمات التي يقذفها التيار - إن عدم الفهم - غربة واغتراب»، ويستطرد المؤلف شارحاً: أما تأسيس المنطق قبل تلقي الوافد فينقصه أدب الغربة والاعتراب.

ويطرح أبو عبد الرحمن، خلال معالجته موضوع الكتاب، تساؤلات يجيب عنها ضمن سياق تناول، مثل: هل أسلم جارودي؟، ماذا يعني الكتاب الإسلامي.. والفكر الإسلامي؟، ماذا يعني التفكير بلا منطق؟ وكذلك يعرض المؤلف لجوانب من فكر توفيق الحكيم وما يصفه المؤلف بالمعادلة «الروبنسونية». ويرد أبو عبد الرحمن عبر صفحات كتابه على بعض الأقلام التي تتناول على الإسلام، وقد قسم موضوع الكتاب إلى ثلاثة أقسام تحت عناوين: جدلية العقل المنطقي، جدلية العقل الرباني، جدلية بلا منطق أو منطق التزوير.

صدر الكتاب عن دار ابن حزم بالرياض، وهو يقع في ١١٣ صفحة من القطع المتوسط.

## في شرف العربية

كتاب يعرف بقدرة اللغة العربية وحيويتها وحياتها، وكيف أنها تتطلب اليوم العزيمة الصادقة، والإنتاج المقدر في المجال العلمي والعرفي، والإنساني، وتبسيط وسائل تعلمها وتعليمها. ناقش مؤلفه د. إبراهيم السامرائي مفهوم المعنى اللغوي، والمعنى الاصطلاحي، والمعنى الشرعي، وعرض مجتزعات من المعجم القرآني الذي أعده، ويحوي الأصل اللغوي لبعض الكلمات والعبارات ومصطلحها ومعناها القرآني.

يقول المؤلف في معرض تأكيده أهمية استيعاب دلالات الألفاظ: «لم يتبهاً لنا نحن أهل هذا العصر أن نضع معجماً للقرآن الكريم تأتي فيه على دلالات الألفاظ وتاريخها وتطورها، ولم نحط خبراً في أن في المادة الواحدة في القرآن أفنانين من الاستعمال، كما لم ينجز الأوائل ما كان ينبغي لهم أن ينجزوه في هذا الشأن، على عظيم ما كان لهم من نظر ثابت في كتاب الله العزيز».

قدم للكتاب الأستاذ عمر عبيد حسنة، معدداً قدرات العربية في استيعاب منجزات العصر، واستطرد مؤكداً: «أن التنزيل الذي كانت العربية وعاءه الخالد، هو الذي يجعلنا ندرك الطاقة التي تمتلكها اللغة العربية، والشرف الكبير بجعلها لغة التنزيل، ويجعلنا ندرك أيضاً التخاذل اللغوي والثقافي الذي يعاني منه المسلمون اليوم، وكيف أن المشكلة ليست في قدرة اللغة، وإنما في تخلف وعجز أهلها». وفي السياق ذاته يوضح: «أن أصحاب اللسان العربي من المبتعثين الذين يدرسون باللغات الأخرى، هم الأكثر تفوقاً في النطق بتلك اللغات كأهلها، وأنهم يختارون من بين سائر

أبناء اللغات الأخرى، بتميز نطقهم، لأن حروف اللغة الأم عندهم (العربية) لم تعطل من السلم الصوتي، أي جانب يعوق عن النطق بأي حرف، مهما كانت تعقيدات لفظه».

يقع الكتاب في ١٦٦ صفحة من القطع المتوسط، وهو صادر عن سلسلة كتاب «الامة» في دولة قطر.

## الماسونية والمرأة

كتاب يبحث في عدد من التساؤلات حول واقع المرأة ومستقبلها، ويحاول الباحث جمعان ابن عائض الزهراني الإجابة عن: لماذا أخرجت المرأة من بيتها؟ وهل ما يحدث اليوم في العالم في حق المرأة هو من صالحها؟ وهل كسبت المرأة أم خسرت؟ وماذا كسبت المرأة مقابل خروجها من بيتها؟ وماذا خسرت؟.

ويرمي الباحث إلى إيضاح دور الماسونية العالمية واليهود في الإيقاع بالمرأة، واستغلالها، ودفعها إلى هجر بيتها، والتخلي عن أمومتها، والاختلاط بالرجال. ويقول الباحث في تمهيدته للكتاب: «لقد غدا العالم اليوم يتخبط وكأنه لا عقل له، وخاصة فيما يتعلق بالحياة الاجتماعية، ووقع في تناقض خطير، فهو يرد الآلة إلى كتاب ضائعها، إذا تعطلت عن العمل، ويرفض أن يرد الإنسان إلى كتاب خالقه ليعيش كما خلقه، فقد خسر الإنسان الذي حاد عن شريعة ربه وخالقه أيما خسارة، ومن أكثر الخاسرين اليوم: المرأة التي خدعتها الماسونية بكلماتها البراقة: حريه، مساواة، إخاء».

قسم الباحث موضوع الكتاب إلى خمسة فصول، عناوينها على التوالي: «الماسونية: نبذة تعريفية وتاريخية، الماسونية في الوطن العربي، حكم الإسلام في الماسونية، قرارات قادة

اليهود للسيطرة على العالم، خطوات اليهود للسيطرة على العالم، كيف سخرت الماسونية المرأة لخدمتها».

يقع الكتاب في ١٧٢ صفحة من القطع المتوسط، وهو العدد (١٤٩) في سلسلة «دعوة الحق» الشهرية التي تصدر عن رابطة العالم الإسلامي.

## الواقع والظاهرة الفنية

### في القصة القصيرة

دراسة تعالج ظاهرة المواجهة مع الواقع من خلال القصة القصيرة، كما يطرح المؤلف أحمد المعلم رؤيته لظاهرة المكان وظاهرة العقم، وظاهرة النار بوصفها ظواهر استقطبت عدداً من الأعمال القصصية. وتتناول الدراسة مسألة الجنس في القصة القصيرة، ويسلط المؤلف الضوء على نماذج من أعمال الكاتبة السورية غادة السمان، التي عالجت فيها هذا الموضوع.

تبدأ الدراسة بطرح سؤالين محوريين: متى تنتهي القصة القصيرة من بناء عالمها الخاص بها؟، وكيف تؤسس لبناء مثل هذا العالم؟ ويسارع المؤلف بالإجابة: «اليوم الذي تنتهي فيه القصة القصيرة من بناء عالمها، هو اليوم ذاته الذي تفقد فيه خصوصيتها، فتصبح صورة منسوخة عن الواقع، لا حلم فيها ولا جمال، فينصرف الإنسان عنها، لأنه، ببساطة، لا يريد أن يعيش العمل المكرور ذاته مرتين».

ويقدم الدارس نماذج من أعمال لأدباء سورين موضحاً المواقف التي تتبدى في طروحاتهم إزاء الظواهر التي حددها الدارس كمحاور لدراسته.

يقع الكتاب في ١٧٤ صفحة من القطع المتوسط، وصدر عن دار الذاكرة في حمص، سورية.



## الفيصل

### ١- جوائز المسابقة :

جوائز عديدة تقدمها المجلة لأصحاب الحلول  
الفائزة على النحو التالي:

أ - ثلاث جوائز مالية تمنح لثلاثة فائزين (٥٠٠ ريال، ٣٥٠ ريالاً، ١٥٠ ريالاً)

ب - خمس جوائز اشترك مجاني في المجلة لمدة عامين (٢٤ عددًا).

ج - عشر جوائز اشترك مجاني في المجلة لمدة عام واحد (١٢ عددًا).

د - خمس جوائز عبارة عن مجموعات من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في الرياض، قيمة كل مجموعة في حدود مائة ريال.

### ٢- شروط المسابقة :

أ - الإجابة عن جميع الأسئلة، وإرفاق القسيمة الأصلية - وليس نسخة مصورة - للمسابقة مع ورقة الإجابات التي يوضح فيها الاسم ثلاثياً أو رباعياً - إن أمكن - وعنوان المراسلة.

ب - ترسل الإجابات على العنوان التالي:

### مسابقة «مجلة الفصل»

ص.ب. (٢) الرياض (١١٤١١)

### المملكة العربية السعودية

(مع ضرورة ذكر رقم المسابقة على المظروف)

ج - أية إجابات تصل بعد ٤٥ يوماً (حسب التقويم الهجري) من صدور العدد لن يلتفت إليها.

د - من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة شرط إرفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة.

تنبيه: نرجو من الإخوة المشاركين عدم لصق القسيمة على ورقة الإجابات أو قص أجزاء منها، وإنما يكفي وضعها مع ورقة الإجابات داخل المظروف.

## أجوبة مسابقة

(العدد ٢٢٤)

ج ١: مواضع السجود التي وردت في القرآن الكريم:

سورة الأعراف: الآية ٢٠٦، سورة الرعد: الآية ١٥، سورة النحل: الآية ٤٩، سورة الإسراء: الآية ١٠٧، سورة مريم: الآية ٥٨، سورة الحج: الآية ١٨، و الآية ٧٧، سورة الفرقان: الآية ٦٠، سورة النمل: الآية ٢٥، سورة السجدة: الآية ١٥، سورة ص: الآية ٢٤، سورة فصلت: الآية ٣٧، سورة النجم: الآية ٦٢، سورة الانشقاق: الآية ٢١، سورة العلق: الآية ١٩.

ج ٢: ذات السواري (أو الصواري): معركة بحرية وقعت عام ٦٣٥هـ/٦٥٥م، قرب ساحل ليسيه (ليقيه) في البحر المتوسط بين المسلمين بقيادة عبدالله بن سعد بن أبي سرح وبسر بن أرطاة، والبيزنطيين وعليهم قسطنطين الثاني ابن هرقل، وذلك في أيام ولاية معاوية بن أبي سفيان للشام. أسفرت عن انتصار بحري عظيم أحرزه المسلمون، وترتب عليه السيادة الإسلامية على الشواطئ الشرقية للبحر المتوسط.

ج ٣: صاحب كتاب «العوامل المائة» هو الإمام أبو بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن الجرجاني (٤٧١هـ/١٠٧٨م).

وصاحب كتابي «الوساطة بين المتنبئ وخصومه»، و «الوكالة» في الفقه، هو القاضي أبو الحسن علي بن عبدالعزيز بن الحسن الجرجاني (٣٩٢هـ/١٠٠٢م).

ج ٤: أطلق اسم حرب الوردتين على النزاع الذي نشب على عرش إنجلترا (١٤٥٥-١٤٨٤م)، بين أسرتي لانكستر (وكانت شارتها وردة حمراء)، ويورك (وشارتها وردة بيضاء). كان اللانكستريون قد احتفظوا بالعرش منذ خلع ريتشارد الثاني ١٣٩٩م. ووقع هنري الثاني تحت

سيطرة زوجته الملكة مرجريت انجو، ووليم دي لابلول دوق سفولك، وادموند بدفورت دوق سمرست. وكان من معارضيه ريتشارد دوق يورك، الذي اكتسب تأييداً نتيجة للقلق الشعبي على الخسائر في فرنسا والفساد في البلاط. نُفي سفولك وقُتل ١٤٥٠م، وعين يورك حامياً في أثناء احتلال عقل الملك (١٤٥٣-١٤٥٤م). وكسب آل يورك معركة سنت ألبانز الأولى ١٤٥٥م. وبعد فترة من الهدوء أسر آل يورك هنري في معركة نورثامبتون ١٤٦٠م، وعقدوا اتفاقاً يخلف ريتشارد بموجبه هنري. فجمعت الملكة - التي كان ابنها سيفقد الارث - جيشاً وقتلت يورك في معركة ويكفيلد ١٤٦٠م، فأصبح ريتشارد نيفيل إيرل وورويك الزعيم الحقيقي للفريق اليوركي. وهزمت مرجريت وورويك وأنقذت هنري ١٤٦١م. غير أن ابن ريتشارد كان في هذه الأثناء قد دخل لندن وتوج باسم ادوارد الرابع، وهُزم اللانكستريون مراراً، وهربت مرجريت إلى فرنسا وسُجن هنري ١٤٦٥م. وتنازع وورويك وادوارد حول زواج الملك ١٤٦٤م. وتآمر وورويك مع جورج دوق كلارنس وهربا إلى فرنسا. وصالح وورويك مرجريت، وعاد إلى إنجلترا، وأرجع هنري إلى العرش. وحصل ادوارد على مساعدة، واستعاد العرش ١٤٧١م، وقتل وورويك، وتوفي هنري بعده بقليل. وخلف ادوارد ١٤٨٣م ابنه البالغ اثني عشر سنة من العمر باسم ادوارد الخامس. وسيطر عم الولد ونصب نفسه ملكاً باسم ريتشارد الثالث. ودير مقتل ادوارد. وثار هنري ستافورد دوق بكنجهام ١٤٨٣م، ولكنه لم ينجح. فنزل المطالب بالعرش اللانكستري هنري ثيودور في إنجلترا وهزم ريتشارد في ميدان بوزورث ١٤٨٥م، وأصبح ملكاً باسم هنري السابع. ووحد الاسرتين بزواجه من ابنة ادوارد الرابع. وقد أنهت هذه الحروب الإقطاع في إنجلترا لأنها أضعفت النبلاء إلى حد عجزوا معه عن



## أسئلة مسابقة (العدد ٢٢٧)

### السؤال الأول:

قال الله تعالى: ﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام﴾ (البقرة: ٢٠٦). فيمن نزلت هذه الآية؟

### السؤال الثاني:

أنعم الله عز وجل على بني إسرائيل بنعم كثيرة؛ لكنهم كفروا وبغوا. اذكر ثلاثاً من هذه النعم.

### السؤال الثالث:

أحلّ الشارع الحكيم الزواج بين الرجل والمرأة. لكنه حرم زواج المتعة. لماذا؟

### السؤال الرابع:

كانت النازية من التيارات السياسية التي جلبت إلى العالم دماراً وخراباً في النصف الأول من هذا القرن. وقد اعتمدت على الدعاية الواسعة لبلوغ مآربها. من كان وزير الدعاية للنظام النازي؟

### السؤال الخامس:

يعد الإمام مالك بن أنس أحد أعلام الفقه الإسلامي العظام، كما أنه أحد أصحاب المذاهب الأربعة. من الذي تولى نشر مذهبه في بلاد المغرب؟

على الحج، ورحل إلى الكرك حيث أعلن فيها نزوله عن السلطنة، فنودي ببيبرس سلطاناً ١٣٠٨م. قصد ابن قلاوون دمشق، واستولى عليها، وزحف منها إلى مصر، وتغلب على بيبرس، وعاد إلى عرشه ١٣٠٩م، وخطب له بمصر وسورية وطرابلس الغرب والحجاز والعراق، وحكم حوالي ٣٢ سنة. خلف آثاراً رائعة، وأصلح عدة آثار أخرى.

الحيلولة دون نهضة الملكية في ظل آل ثيودور.  
ج٥: جرت واقعة مرج الصفر بين المماليك والمغول في عهد ملك مصر: الناصر محمد بن قلاوون (١٢٨٥ - ١٣٤١م)، من سلاطين المماليك بمصر وسورية. تولى السلطنة ١٢٩٤م وخلع منها لحدثه بعد قليل، ثم أعيد إليها (١٢٩٨-١٢٩٩م)، وكان الحكم في قبضة الأستادار بيبرس الجاشنكير. أظهر العزم

## نتائج مسابقة (العدد ٢٢٤)

- ٤- صلاح الدين عبداللطيف تكريتي، الدوحة - قطر.
- ٥- لولوة بنت عبدالرحمن إبراهيم الطاسان، مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية.
- ٦- أحمد شمس الدين بن عبدالله، المروج بن عروس - تونس.
- ٧- عبدالباسط المصطفى بن مصطفى، حلب - سورية.
- ٨- منيرة سند الدليم، المحرق - البحرين.
- ٩- سعد عبدالكريم شحاتة، القاهرة - مصر.
- ١٠- محمود قمرالدين إدريس عبدالرحمن، أم درمان - السودان.
- د - كما فاز بجائزة إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، كل من:
- ١- تغريد جبر أبوزايد، الزرقاء - الأردن.
- ٢- محمد حسين البهاوي، تطوان - المغرب.
- ٣- يوسف سالم الحشاش، السالمية - الكويت.
- ٤- محجوب موني فيرين، الخرطوم - السودان.
- ٥- محمد عبدالله أحمد البراهيم، الأحساء - المملكة العربية السعودية.

- أ- فاز بالجائزة المالية الأولى، وقدرها ٥٠٠ ريال سعودي، مصلح مضحي السبيعي، الظهران - المملكة العربية السعودية.
- وفازت بالجائزة المالية الثانية، وقدرها ٣٥٠ ريالاً سعودياً، صفات أمين مصطفى سلامة، كفر الشيخ - مصر.
- وفاز بالجائزة المالية الثالثة، وقدرها ١٥٠ ريالاً سعودياً، حافظ أحمد يار، لاهور - الباكستان.
- ب - فاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة لمدة عامين (٢٤ عدداً)، كل من:
- ١- مليكة محمد زيان، أصيلة - المغرب.
- ٢- رقية صالح طه، دمشق - سورية.
- ٣- عبد الكريم ويس، أبو ظبي - الإمارات العربية المتحدة.
- ٤- علي أحمد غرم الله الزهراني، الباحة - المملكة العربية السعودية.
- ٥- مختار حسن عبدالكريم، أم درمان - السودان.
- ج - وفاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة لمدة عام واحد (١٢ عدداً)، كل من:
- ١- عبدالعزيز سيف حسين محمد العلوي، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية.
- ٢- أحلام حسين محمد، صنعاء - اليمن.
- ٣- سيدي ولد محمد بن الخرش، نواكشوط - موريتانيا.



## ويأتيك بالأمال

### أَلْقَى الْكَلَامَ عَلَى رُسُلَاتِهِ

يُضْرَبُ بهذا مثلاً للرجل المهذار يتهاون بما يقول.  
ورُسُلَاتُ: جمع رُسْلَةٍ، وهي تصغير رُسْلَةٍ، يقال: ناقة رُسْلَةٌ؛ إذا كانت سَهْلَةً السَّيْرِ، تَمْشِي هَوْنًا، ويجوز أن يكون تصغير رُسْلَةٍ - بكسر الراء - يقال: في فلان رُسْلُهُ أي تَوَانٍ وكَسَلٍ، ومنه قولهم: عَلَى رُسْلِكَ.

### علامات الشقاوة

من علامات الشقاوة أن العبد كلما زيد في علمه، زيد في كبره وتيهه، وكلما زيد في عمله، زيد في فخره واحتقاره للناس وحسن ظنه بنفسه، وكلما زيد في عمره، زيد في حرصه، وكلما زيد في ماله، زيد في بخله وإمساكه، وكلما زيد في قدره وجاهه، زيد في كبره وتيهه، وهذه الأمور ابتلاء للعباد، وامتحان لهم، يُسَعِدُ الله بها أقوامًا، وَيُشْقِي بها آخرين.

### قيل .. وقال

قيل لبعض العرب: ما الخزم؟ قالوا: حفظ ما استرعت، ومجانبة ما كُفيت. قيل: فما العجز؟ قالوا: العجلة في الإمكان ومسألة الزمان، قيل: فما الخجد؟ قالوا: ابتناء المكارم، وحمل المغارم، والاضطلاع بالعظائم، ومنع النفس من ركوب الخارم.

### علامات السعادة

من علامات السعادة والفلاح أن العبد كلما

زيد في علمه، زيد في تواضعه ورحمته، وكلما زيد في عمله، زيد في خوفه وحذره، وكلما زيد في عمره، نقص من حرصه، وكلما زيد في ماله، زيد في سخائه وبذله، وكلما زيد في قدره وجاهه، زيد في قربه من الناس وتواضعه لهم.

### وصية

قال حكيم موصيًا ابنه: مَنْ نَقَلَ لَكَ، فَقَدْ نَقَلَ عَنْكَ، وَمَنْ شَهِدَ لَكَ، فَقَدْ شَهِدَ عَلَيْكَ، وَمَنْ تَجَرَّأَ لَكَ، فَقَدْ تَجَرَّأَ عَلَيْكَ. لا تقبل الخبر من كذاب ولو أتاك بحديث عجاب، وَمَنْ أَكْثَرَ مَقَالَهُ سُمْ، وَمَنْ أَكْثَرَ سُؤَالِهِ حُرْمَ، فَلَا تَقُولَنَّ مَرًّا، وَلَا تَفْعَلَنَّ شَرًّا.

### صلاح السريرة

قالت عائشة رضي الله عنها: مَنْ أَرْضَى النَّاسَ يَسْخَاطُ النَّاسَ، كَفَاهُ اللَّهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ، وَمَنْ أَرْضَى النَّاسَ يَسْخَاطُ اللَّهَ، وَكُلُّهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ، وَمَنْ أَصْلَحَ سَرِيرَتَهُ، أَصْلَحَ اللَّهُ عِلَانِيَتَهُ.

### المشورة

قال الجاحظ: المشورة لقاح العقول، ورائد الصواب، والمستشير على طرف النجاح، واستنارة المرء برأي أخيه من عزم الأمور وحزم التدبير.

### غضب وحزن

سئل ابن عباس رضي الله عنهما عن الغضب والحزن، أيهما أشد، فقال: مخرجهما واحد، واللفظ مختلف، فَمَنْ نَازَعَ مَنْ يَقْوَى عَلَيْهِ أَظْهَرَ غَضَبًا، وَمَنْ نَازَعَ مَنْ لَا يَقْوَى عَلَيْهِ كَتَمَهُ حُزْنًا.

### أصول الفضائل ومجموعها

أصول الفضائل ثلاثة: الحكمة، والشجاعة،

والعفة، ومجموعها: العدالة.

فالحكمة: الخلق الذي يصدر به الفعل المتوسط بين فعلي الحدة والغباوة.  
والشجاعة: الخلق الذي يصدر به الفعل المتوسط بين التهور والجبن.  
والعفة: الخلق الذي يصدر به الفعل المتوسط بين فعلي الفجور والخمود.

### مدح وذم

سئل أفلاطون عن تعريف دقيق للمدح والذم، فقال: مَنْ مَدَحَكَ بِمَا لَيْسَ فَيْكَ مِنَ الْجَمِيلِ وَهُوَ رَاضٍ عَنْكَ، ذَمَكَ بِمَا لَيْسَ فَيْكَ مِنَ الْقَبِيحِ وَهُوَ سَاخِطٌ عَلَيْكَ.

### منافسة

عندما اشتدت المنافسة بين شركات الطيران العالمية لجذب الركاب إليها، بوساطة إدخال خدمة عرض أفلام سينمائية وتلفازية وموسيقى في رحلاتها، واجهت شركة الخطوط المكسيكية هذه المنافسة بإعلانات تقول فيها بفخر: تتمتع بنعمة الصمت والهدوء في طائراتنا.

### كتب

عرض أحد كبار تجار الكتب الإنجليز مكافأة سخية لمن يروي أفضل مثل في منفعة الكتب. فنال الجائزة متسابق أورد قولاً مأثوراً عن الشاعر ملتون يقول: «مَنْ قَتَلَ كِتَابًا كَانَ كَمَنْ قَتَلَ رَجُلًا طَيِّبًا».

### ذكاء

قال رجل لرؤية: إن حدثتني بحديث لم أصدقك فيه فلك عندي جارية، فقال رؤية: أَبْقَ لي غلام يومًا فاشتريت بطيخة، فلما قطعتها وجدته فيها. قال الرجل: قد علمت. فقال



# استراحة العبد

## مناقون

مر أعرابي يوماً يقوم يعيون رجلاً من إخوانه فقال لهم غاضباً: أبطئوا عن عيب من لو كان حاضراً لسارعتم إلى مدحه.

رؤية: مرض لي فرس فعالجته بقشور الرمان، فبست على ظهره شجرة، قال الرجل: قد علمت، هنا قال رؤية: لما مات أبوك كان لي عليه ألف دينار، ودون أن يدري صرخ الرجل: بل كذبت.. فأخذ رؤية الجارية.

## ويبقى الحمق

قال الأصمعي لغلام حديث السن: أيسرك أن تكون لك مائة ألف درهم وتصير أحمق؟ قال الغلام: لا والله. قال الأصمعي: ولم؟ قال الغلام: أخاف أن يجني عليّ حمقي جناية تذهب بمالي ويبقى حمقي!

## أخى منه

قال معن بن زائدة: طلبني المنصور، فهربت منه متنكراً، فلقيني أسود وتعلق بي، وقال: أنت طلبت أمير المؤمنين؟ قلت: اتق الله فياني غريب! قال: دعني من هذا. قلت: إنك إن أتيت بي لانتفع منه بكثير نفع، فدونك هذه الجواهر، قيمتها ألوف الدنانير، فقال الأسود: دعني من ذا، أنت موصوف بالكرم والجود، فهل أعطيت مالك كله أو نصفه أو ثلثه؟ قلت: لا، فقال: أنا مشاهرتي كل شهر عشرون درهماً، وما لي على ظهر الأرض ما قيمته مائة درهم، وما أنذا قد وهبت لك هذه الجواهر، ووهبتك لنفسك، لتعلم أن لله عبداً أسخى منك.

## يفتقد الموهبة

استطاع الكاتب الإنجليزي المغمور تشارلز ويلسون نسخ كل مسرحيات شكسبير بيده، وعمل ويلسون عمله هذا بأنه يملك حافظاً قويا يدفعه إلى الكتابة، لكنه يفتقد الموهبة الأدبية.

## أطول مباراة شطرنج

ضرب الروسيان أناتولي كاربوف، وجاري كاسباروف، رقماً قياسياً لأطول مباراة شطرنج، حيث بدأت مباراتهما في ١٠/٩/١٩٨٤م، وانتهت في ١٥/٢/١٩٨٥م بعد ٤٨ جولة شملت ١٦٦٦ تحريكة، وفاز كاربوف بهذه المباراة بنتيجة ٣:٥.

## إحسان وإساءة

شكا يزيد بن أسيد يوماً إلى الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور أخاه العباس وإساءته إليه. فقال المنصور: اجمع إحساني إليك مع إساءة أخي، فإنهما يتعادلان. فرد يزيد: إذا كان إحسانكم إلينا جزءاً لإساءتكم كانت الطاعة منا تفضلاً!

## العلم

العلم مبلغ ذروة الشرف  
وصاحب العلم محفوظ من التلف  
يا صاحب العلم مهلاً لاتدنسه  
بالموبقات فما للعلم من خلف  
العلم يرفع بيتاً لاعمال له  
والجهل يهدم بيت العز والشرف

## من عجائب الخلق

يستطيع الكلب أن يعيش بلا طعام لمدة مئة وثلاثة أيام تقريباً، أما العنكبوت فيمكنه الصيام عن الطعام لثلاثمئة يوم، والسلاحفة الصحراوية ستة شهور، والضفدع عاماً كاملاً، أما التمساح فيمكنه الصوم ٧٤٠ يوماً أي ما يزيد على عامين.



الخيول معقود الخير بنواصيها إلى يوم القيامة، حديث شريف





يهدف الباب إلى تشجيع المواهب الناشئة التي تلمس لها سبيلاً إلى الإبداع الفني والكتابة الأدبية، ولذلك تقوم بتأشير باختيار عمل أدبي أو أكثر وفق معايير فنية محددة وحسب المساحة المتاحة، ومن ثم يُعرض على أحد النقاد المعروفين الذي يتناوله بالتابعة النقدية أو التعليق أو التوجيه لتكون خطوة ثابتة لهذه المواهب في طريق الإبداع. وهذه دعوة للمواهب الأدبية الناشئة للمشاركة في هذا الباب، علماً بأن هناك مكافأة رمزية تشجيعية للعمل الذي يحظى بالنشر.

## قصيدة

# مرحبا أمير البيان

شعر الطالب:

علي بن يوسف آل مهدي

[بمناسبة الألفية الشعرية التي أحيها

صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل

في القاهرة]

### التعليق:

قصيدة علي بن يوسف آل مهدي، صيغت في بحر الخفيف ورويّ التّون وقافية المتواتر. ومعلوم أنّ بحر الخفيف الذي وزنه:

فاعلاتن مستفعلة فاعلاتن

فاعلاتن مستفعلة فاعلاتن

بحر غنائي خفيف الإيقاع. وقد استلّ هذه الحفّة من الأسباب الخفيفة في تفعيلاته: فاعلاتن ومستفعلة، إذ فيها اثنا عشر سبباً خفيفاً في صدره وعجزه متواترات.

ومما أضفى على الأبيات عمقاً آخر روي التّون الذي نعلم أنه مُشربٌ بصوتٍ لذيذ في الغنة التي فيه. وقد استطاع شاعرنا أن يجمع بين طيفه الشعري الذي حلّق به عابراً من القاهرة إلى أبها ثم طار نحو نجد وضمّ جناحه الحجاز ثم كرّ عليّ عائداً إلى أرض الكنانة، مرحباً بسمو الأمير الشاعر خالد الفيصل. وقد شارك الشاعر الفرحة بكنان عظيماني في مصر، هما النيل والهرم. وقد جعل الأمير خالداً يمدّ الحزامي بالندي، والعرار بالنفح الطيّب في بيتيه الأخيرين.

ولا مأخذ على الشاعر غير تنقله السريع بين أرض الكنانة ونجد وأبها والحجاز. فلم يتأنّ كثيراً ولم يُطل التأمل. بل وجدته يعرض لوحات جذابة ولكنه لا يميل للتأمل كي يتابع الصور بتؤدة وترو.



# أختي في البوسنة

شعر:

هادية متولي

السيد سليمان

عُذْرًا فإلـه العالم من حولك  
والباطل في زهوٍ يضـحـك  
سَكَرَاتِ المَوْتِ وَقَدْ أَوْشَكَ  
بِهَوَانٍ فَيُـهِـمُّ وَتَفَكُّكُ  
حَقَّقَ مَا يَهْوَى وَتَمَلَّكَ  
مَذْبَحَهُ فِي لَيْلِ أَحْلَكَ  
أَنْ أَسْلَمَ.. يَوْمًا لَمْ يَشْرَكَ  
تَتَهَكَّ الأَعْرَاضُ وَتَسْفِكُ  
قَدْ شَلَّ وَلَا.. لَنْ يَتَحَرَّكَ  
لَنْ يَنْهَضَ يَوْمًا أَوْ يُدْرِكَ  
لَنْ يُقْبِذَ شَيْئًا مِنْ عَرْضِكَ  
جَسَدًا مَهْزُولًا قَدْ أَتَهَكَ  
أَلْمَا فَأَنَا أَنشَى مِثْلَكَ

أختي في البوسنة والهرسك  
ظَلَمْتُ قَدْ صَعَّرَ خَدَيْهِ  
والحقُ بقبضته عانى  
هو يرحل عَمَّنْ خَذَلُوهُ  
صَهْيُونَ يَرْقُصُ مِنْتَشِيًا  
وَالْغَرْبُ يُبَارِكُ فِي خَبَثِ  
وَلِشَّعْبِ كُلِّ جَرِيرَةٍ  
أَنْذَالَ الصُّرْبِ بِلَا رَدْعِ  
شَرَفٌ قَدْ دَيْسَ وَمُعْتَصِمٌ  
فَالنَّخْوَةُ مِنْهُ قَدْ انْسَلَخَتْ  
وَالْعَجْزُ لِبَاسٌ سَرَبَلُهُ  
لَا يَمْلِكُ إِلَّا أَدْمَعُهُ  
أَخْتَاهُ جِرَاحُكَ تَنْهَشُنِي

## التعليق:

قصيدة «أختي في البوسنة» نسجت في بحر المتدارك وقافية المتواتر وروي الكاف، وقد تناولت فيها الشاعرة مأساة البوسنة، هذه المأساة التي شغلت العالم الإسلامي واهتز لها ضميره، وذابت فيها مشاعر الإنسانية. وقد صورت ظلم العالم من حول أنشَى البوسنة والهرسك، وكيف بدا شرساً متممراً لا يأبه بما يجري من ظلم وفساد، وشاركه الباطل في هذا الموقف وبدأ الحق يعاني سكرات الموت. وصورت الصهاينة وهم يرقصون لأنهم حققوا آمانيهم. وقد بارك الغرب هذه المذابح الدائمة. وكل هذا ينزل بشعب مسلم يدافع عن إسلامه، وقد أفلحت حين تلمست هذه الأفعال الصربية القبيحة.

وقد استغاثت بمعصم للنصر، وهذا ربط وثيق وعودة إلى وتين التاريخ النابض بالحياة الكريمة، وهي تأمل أن ينهض المسلمون للنجدة والدفاع. وفي بيت القصيدة الأخير تقول:

أختاه جراحك تنهشني

أَلْمَا فَأَنَا أَنشَى مِثْلَكَ

وإني أقول لها إن هذه الجراح كذلك تؤلم الرجال وتهز ضمائرهم. فقد ألمتنا وقطعت أحشاءنا، والأبيات في جملتها محشوة بالألم ومترعة بالجراح. وقد استطاعت الشاعرة في هذه الأبيات أن تلمس عمق الجراح. ومما زادها اتصالاً بموضوعها روي الكاف الذي هو حرف مهموس. والمهموس كما قال الأزهري: حرف لأن في مخرجه وجرى معه النفس دون المجهور في رفع الصوت.

ولعلي ألاحظ في الأبيات عيياً من عيوب القوافي في الشعر وهو التضمين؛ حيث يتعلق معنى البيت في القصيدة بالبيت الذي بعده ليتم معناه وهذا واضح في قولها:

سكرات الموت وقد أوشك

هو يرحل عمن خذلوهُ

حيث أوشك رحيله في الثاني.

وعلى الشاعرة أن تتخلص من هذا النهج، وأن تكتمل معانيها التي تريد بها في البيت. وأن يكون اتصال البيت بالأبيات التي تليه اتصال الوحدة والسبك الذي لا يدع للتضمين باباً مفتوحاً ليلجبه.

د. محمد أحمد سليمان إدريس





# ردود خصة

إلا أننا نقديرًا لظروفكما، رأينا الرد عليكما، ونأمل منكما مراسلة الجهات ذات الاختصاص في مثل هذه الأمور الواردة في خطايكما، وهي - ولله الحمد - كثيرة.

الأخ خليل إبراهيم عبدالرحمن الربيع - العيون - الأحساء:

نشكركم على ثنائكم وإعجابكم بموضوع «من عجائب الإلهام» للدكتور فوزي الفيشاوي الذي تناول الصوم عند الحيوانات. نأمل أن تداوم على إرسال ملاحظاتك عن المقالات التي تنشرها المجلة، وهذا ما نأمل من جميع الأخوة القراء للإفادة منها في تطوير المجلة شكلاً ومضموناً.

الأخ عبدالعزيز مجذوب مصطفى الإمام - الخرطوم - السودان:

العدد الذي طلبته في طريقه إليكم، ونفيدكم أن الكميات المرسلة إلى السودان قد زادت، وسوف نحاول قدر الإمكان أن تصلكم المجلة مع بداية الشهر، شاكرين لكم هذا الحرص على مجلتكم. أما العنوان الذي طلبته، فهو ليس لدينا الآن، وترقب نشره في باب «عناوين» عند حصولنا عليه.

الأخ مبروكي بوداود - ولاية سكة - الجزائر:

يتم الحكم عليها من خلال معايير علمية وموضوعية لا تغيب عن فطنة الأخوة القراء، فمرحباً بك، وبإسهاماتك.

الأخ كمال فاطمي - برج بوعريج - الجزائر:

طلبكم أحيل إلى القسم المختص الذي سيتولى الرد عليكم بريدًا.

الأخت هدى فهد المعجل - الدمام:

كتاب الأديب الراحل د. علي شلش «الأدب المقارن بين التجربتين الأمريكية والعربية» قيمته خمسة عشر ريالاً، ترسل إلى قسم الاشتراكات بالمجلة، أما الكتب الأخرى التي تطلبونها فنأمل تحديد عناوينها حتى يمكن موافاتك بأسعارها، وليتكن تصلين أو تكتبين مباشرة إلى القسم المذكور ليتولى الرد على استفساراتك.

الأخوين أنور حسين عبدالحيد - القليوبية - مصر، سعودي الطيب - المسيلة - الجزائر:

قرأنا رسالتكما بإمعان كما طلبتما، ويؤسفنا كثيراً عجزنا عن تلبية طلباتكما. ومع أن هناك تنويهاً من المجلة تحت عنوان «إيضاحات» بالاعتذار من عدم الرد على مثل هذه الخطابات

الأخ هرموش عبدالكريم - ولاية سكيكدة - الجزائر:

العدد المرفق به القائمة البيوجرافية الخاصة بالبيئة في الطريق إليك، ونشكرك على ثنائك على هذا العدد، الذي نأمل أن يفيد منه القراء.

الأخ عبدالرحمن أحمد مهلب - صنعاء - اليمن:

نشكر لكم ملاحظاتكم، وحرصكم على مجلتكم، ونأمل أن تتواصل مرئياتكم حول ما تنشره المجلة، وهذا ما نأمل من جميع القراء الأعزاء.

الأخ عبدالواحد استيتو - طنجة - المغرب:

إدراج باب خاص بالكلمات المتقاطعة في المجلة اقتراح لا يزال في طور الدراسة، لنتكم ترسلون نماذج لتكون ضمن الاقتراحات محل النظر والدراسة.

الأخ إبراهيم بن إسماعيل كاخيا - دمشق - سورية:

ترحب المجلة بالإسهامات الكتابية لجميع قرائها، ولكن كما تعلمون لا يمكن الحكم على المواد من عناوينها، لذا لا بد من إرسال المادة حتى

## بين القارعة والقارعة

لدى أعداد مكررة وأعداد زائدة من الدوريات التالية: الفیصل، المجلة العربية، العربي، عالم المعرفة، الدوحة، الناقد، الكويت، المعرفة السورية، الوحدة. يمكنني مبادلة بعضها، وإهداء بعضها الآخر. فمن ينقصه أي عدد من أي سلسلة من تلك الدوريات، عليه مكاتبتني على العنوان الموضح:

سامي الجازي  
عين غراب - الميدة (٨٠٤٤) تونس.

أبحث عن مجموعة من الكتب الأدبية السعودية والأردنية، لهذا أطلب من كل شخص يملك بعضاً منها موافاتي به، وإنني على استعداد لإهدائه كتباً أخرى.

آيت داود أحمد  
دوار فغرض أكينان قيادة اقايغان إقليم طاطا - المغرب.

يوسف سعد  
دمشق - ص.ب. ١٠٣٣٦ سورية.

أرغب في الحصول على بعض أعداد سلسلة «عالم المعرفة» الكويتية التي فاتني شراؤها لسبب أو لآخر، وبخاصة الأعداد التالية: (١)، (٨)، (١١)، (١٨)، (٣٠)، (٣٢)، (٣٦)، (٣٧)، (٥٣)، (٥٨)، (٦٣)، (٧٧)، (٨٦)، (٩٠)، (١١٠)، (١١٣)، (١٦٥).



## عناوين

الأخ يحيى محمود العجلوني - إربد - الأردن:

جائزة الملك فيصل العالمية بفروعها الخمسة (خدمة الإسلام، والدراسات الإسلامية، والأدب العربي، والطب، والعلوم) لها عنوان واحد، هو: الأمانة العامة لجائزة الملك فيصل العالمية

ص.ب ٢٢٤٧٦ الرياض ١١٥٩٥

المملكة العربية السعودية

هاتف ٩٦٦٠١ - ٤٦٥٢٢٥٥

الأخ أبا عبد الرحمن علي محمد زينو - حماة - سورية:

نشرنا عنوان مجلة «المشكاة» المغربية في عدد مضى، أما عنوان مجلة «الأدب الإسلامي» الصادرة عن رابطة الأدب الإسلامي العالمية فهو:

عمان: ص.ب ٩٥٠٣٦١

الرياض: ١١٥٤٣ - ص.ب ٥٥٤٤٦

القاهرة: ٩٦ شارع رمسيس

الأخ فيصل كردي - تبسة - الجزائر:

الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة:

ص.ب ١٧٠

المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية

الأخ عبدالله راشد - أملج:

المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب مقره في الرياض، وعنوانه: ص.ب ٦٨٣٠ الرياض ١١٤٥٢

للدراستات العليا، وتقدم لهم الإرشاد أثناء دراساتهم (انظر زاوية «عناوين»). أما عن سؤال الأخ طارق عن جوائز مصطفى وعلي أمين الصحفية، فالأفضل أن يكتب مباشرة إلى دار «أخبار اليوم» في شارع الصحافة بالقاهرة للاستفسار، وسيجد - إن شاء الله - الإجابة الوافية.

الأخوة جادي جيلاني - المسيلة، زرفين حاج عبد الرحمن، الجلفة، أحمد بوسمينة - مسيلة، سردي محمد يوسف - غليزان، أمينة محمد، المدية - الجزائر:

نفيدكم أن قيمة الاشتراك السنوي للأفراد في المجلة هي ٢٥ دولاراً أمريكياً، وللمؤسسات ٥٠ دولاراً، أو ما يعادل هذا المبلغ، ترسل إلى قسم الاشتراكات في المجلة، ليوافيكم بالأعداد شهرياً خلال فترة الاشتراك. وسوف تصلكم الأعداد القديمة التي طلبتموها قريباً، كما تعتذر المجلة من عدم منح اشتراكات مجانية كما هو موضح في هذا الباب تحت عنوان «إيضاحات». الأخ محمد عدنان الخطيب - حلب - سورية:

حولنا خطابك إلى الجهة المختصة لتتولى الرد عليك، مع تمنياتنا لك بالتوفيق.

من الصعب إرسال كل ما تضمنته القائمة البيبلوجرافية المرفقة مع ملف اللغة العربية، لذا نأمل تحديد بعض العناوين التي ترغبونها، حتى يتسنى لنا إرسالها إليك.

الأخ أحمد محمد بن محمد ردمان - تعز - اليمن:

يسعدنا أن نرسل إليك بعض الأعداد التي طلبتها، كما يسعدنا تلقي مشاركاتكم؛ علماً بأن ما يرسل إلى المجلة يخضع للتقويم قبل النشر، ومن ثم يتم إخطار الكاتب برأينا حول مقالته سواء كانت تصلح للنشر أم لا.

الأخ محمد بوداود - ابن باديس - الجزائر: لم يسبق لنا إصدار قائمة بيبلوجرافية تاريخية، فالذي صدر حتى الآن قائمتان بيبلوجرافيتان، إحداها تختص باللغة العربية والأخرى تختص بالبيئة.

الأخوين غربي رباح - بومرداس - الجزائر، طارق عطا علي عبدالله - الخرطوم - السودان: الجهة التي يمكن أن تساعدكم أو تدلكم على ماتريدان هي المؤسسة العالمية لمساعدة الطلبة العرب التي تقدم منحاً دراسية وقروضاً للطلبة من دون فوائده، كما تساعد على الالتحاق بالجامعات المرموقة خارج العالم العربي

## إيضاحات

تعتذر المجلة سلفاً من عدم تقديم اشتراكات مجانية، ومن عدم التجاوب مع طلبات للحصول على إصدارات أخرى (كتب ومجلات) لاعلاقة لها بها. المسائل الشخصية كطلب وظائف أو مساعدات مالية أو إعانة على زواج، أو ماشابه ذلك والتعارف بين هواة المراسلة، ليست من اختصاصات المجلة ولا اهتماماتها، ومن حقها عدم الالتفات إلى رسائل تختص بهذه الأمور أو الرد عليها. يتعذر على المجلة الرد الشخصي البريدي على جميع القراء الذين يرسلونها وذلك لكثرة الرسائل، وتكفي بالرد عليهم من خلال «ردود خاصة»، أو بنشر مشاركاتهم في الصفحات المخصصة لذلك. الرسائل ذات العلاقة بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية أو بأي نوع من خدماته، يرجى توجيهها إليه مباشرة على عنوانه: ص.ب ٥١٠٤٩ الرياض ١١٥٤٣ المملكة العربية السعودية.

عند مراسلة الصفحات المخصصة للقراء (مناقشات وتعليقات، بريد، المسابقة، تبشير، ردود خاصة - بما في ذلك زواياها الجديدة: بين القارئ والقارئ، عناوين) يرجى ذكر اسم الباب أو الزاوية على الظروف، مع شكرنا للجميع.

لدى أعداد كثيرة من المجلات الآتية: الفيصل، العربي، المجلة العربية، الكويت، الجيل، المختار، ومجلات أخرى قديمة جداً، أتمنى من الأخوة القراء الراغبين في الحصول على بعض هذه المجلات مراسلتي على عنواني:

م. محمد محب الدين القصير - حمص  
ص.ب ١٤٦٨ حمص، ص.ب ٣ القصير سورية.

## ملحوظة:

تهدف هذه الزاوية «بين القارئ والقارئ» إلى إيجاد قناة مباشرة بين القراء أنفسهم لتبادل المعلومات عن الكتب النادرة أو المجلات التي توقفت عن الصدور أو نفذت أعدادها.





## التغريب خطر يهدد هويتنا

بالضرورة يصلح لمجتمع آخر. وهذا ينطبق على الحضارتين الغربية والإسلامية؛ إذ إن لكل حضارة خصائصها التي أوجدتها وأفرزتها عوامل خاصة بها، وظروف بعينها، ومن الخطأ الفاحش أن نحاول نقل خصائص حضارة أخرى، تختلف عن مكونات حضارتنا قلباً وقالباً، دون مراعاة تلك الفوارق الواضحة؛ وإلا لكان الأخذ هنا - كما يقول د. زيد - من قبل التقليد الأعمى والإعجاب بما عند الغرب، دون تمحيصه والتفكير فيه ملياً قبل إصدار الحكم بصلاحيته. وللأسف، فإن كثيراً من أبناء الأمة الإسلامية جرفهم تيار الاستغراب، وراحوا يمجّدون النمط الغربي في الحياة؛ فمن داع لفصل الدين عن الدولة، بزعم أن الدين يمثل حجر عثرة أمام التقدم، وأنه جامد لا يواكب روح العصر. ومن قائل بمساواة المرأة بالرجل على الطريقة الأوروبية، متجاهلاً أن الإسلام عندما أقرّ حقوق المرأة، وفصلها، ونظمها، لم تكن في الغرب حكومة تنظم حياة شعوبها. ومن داع إلى نبذ الحجاب، ومن قائل بعبودية الإسلام للمرأة، فصوروا الإسلام على أنه دين جامد لا يتطور، وهو ما أراد المستشرقون زرعته في أبناء الإسلام ليوجدوا أبواقاً لهم داخل الأمة ذاتها للتشكيك في الإسلام، وفي كل ما يتصل

اطلعت على إطلالة عدد «الفيصل» رقم (٢١٠) الصادر في يونيو ١٩٩٤م، وكانت بعنوان «اضطراب المفاهيم والأزمة الفكرية»، وقد اتسمت بالموضوعية، كما تعودنا دائماً من د. زيد الحسين في طرحه للقضايا المهمة كهذه القضية الجوهرية.

وأود أن أضيف تعليقاً بسيطاً إلى كلامه، وهو أن انجراف كثيرين من أبناء الأمة الإسلامية والعربية وراء الدعاوى الغربية ينبع في الأصل من عدم الإمام أو الإدراك الكافي، وعدم الثقة في المنهج الإسلامي؛ وذلك نابع من قلة الإيمان وضعفه لدى هؤلاء النفر، وكذلك يعود إلى قلة إعمال العقل بوعي لإدراك كنه التشريع الإسلامي. ولو أعطى هؤلاء أنفسهم الفرصة الكافية لسبر أغوار هذا التشريع والوقوف على حقائقه وتعاليمه، وحاولوا فهمه فهماً صحيحاً، لما افتتنوا بما يصوره لهم الغرب من أن الحضارة الغربية - التي تخلصت من سيطرة الكنيسة، وسلطة رجال الدين - هي المنهج الذي لو طبّق في شرقنا المسلم لَلَحِقَ بركب الحضارة، جاعلين جوهر التقدم هو إقصاء الدين وفصله عن الأمور الحياتية، ناسين أو متناسين الفوارق والظروف التي شكلت مجتمعنا ومجتمعهم، وأن النمط الذي يصلح لمجتمع ما ليس

بالدين، والتنفير منه. فكان انسلاخ هؤلاء عن الإسلام، وتنكرهم للدين شرخاً في نفس كل مسلم، ولا أقول في الإسلام، لأن الإسلام لا يتأثر بمروق المارقين أو بدعاوى الباطل، ولو كان كذلك لما أضاء أركان المعمورة، وأزال عنها حجب الظلام، وأشاع فيها روح العدالة والمساواة والمحبة. وعلى الرغم من كيد الأعداء فما زال نور الإسلام يشق دياجي الكفر بقوة ذاتية، ونفحة إلهية أوجدها الله فيه، فيهرع كل يوم إلى رحابه مؤمنون جدد أعملوا عقولهم، وميزوا بين الحق والباطل؛ فرأوا في الإسلام ما لم يتبينه أولئك المخدوعون الذين غشيتهم سحب الضلال، فأعمت أبصارهم وبصائرهم.

لقد أوجد لنا الغرب الكثير من القضايا التي تلهينا، من طريق غزوه الثقافي المتعدد الوجوه والطرق، ليصرف الأمة عن التفكير في كيفية الحاق بركب التطور والتقدم. وذلك لإعاقة نمونا؛ لنظل ندور في فلكه ولنبتعد من حضارتنا الممتدة الجذور في أعماق التاريخ، ومن ثم تتحقق له الهيمنة، لا على مواردنا فحسب؛ بل على عقولنا، وبذلك يتم له استلابنا فكرياً وثقافياً، وزحزحتنا عن هويتنا، والنَّيل من تراثنا، واقتلاعنا من جذورنا، فيما لا يزال لإعلامه وأقلامه القدح المعلن في رفع لواء العداء ضد الإسلام، وإثارة الشبهات حوله، وإظهار المسلم دوماً على هيئة الإرهابي والخراب والدموي. والهدف من ذلك هو تنفير غير المسلمين من الإسلام وجعل المسلم نفسه يصدق هذه الدعاوى، والاعتقاد بأن الإسلام



لا يواكب روح العصر، هذا من جهة. ومن جهة أخرى، إبراز النمط الغربي في صورة داعية السلام والنموذج الأمثل.

إن المؤامرة التي تحاك ضد الإسلام والمسلمين سرًا وعلانية ينبغي أن يفتن لها كل مسلم، وهي ليست بالخفاء الذي يحتاج إلى تفكير طويل. فالعداء للإسلام من الغرب أظهر وأوضح من أن يشار إليه بالبنان. بقى بعد ذلك كيفية الوقوف في وجه هذه المكائد، وأول ما يجب عمله هو عدم الانخداع بقشور الحضارة الغربية، والتمسك بحضارتنا الإسلامية وفهمها، فهما يحول دون حدوث أي استلاب فكري، أو غزو ثقافي. فإن معظم مصائبنا تنبع من عدم فهمنا للإسلام، مما يسهل على الآخرين التشكيك، وخلق البلبلة في أوساط المسلمين.

وسيطل الإسلام دين سلام وإخاء، وهو الذي ضرب نموذجًا لا يضاهاى في التعايش السلمي في جو من الحرية؛ إذ جمع بين

مختلف الأجناس والثقافات والألوان والألسنة والمشارب، ووَحَّدَها تحت راية «لا إله إلا الله محمد رسول الله». ولنعلم أن حملات الغرب ضدنا لن تقف، فكلما أوصدنا بابًا، اتخذوا بابًا آخر غيره للتغلغل داخل كيان الأمة الإسلامية، ولكن الله كاشف كيدهم.. ولا يسعنا إلا أن نأمل في رؤية أبناء الإسلام قد نفضوا عنهم غبار الكسل والتواكل، ونهضوا للدفاع عن هويتهم وحضارتهم، ونأمل أن يدركوا أن هوان أمتنا كامنٌ في تخاذل أبنائها عن نصره بعضهم بعضًا، وفي تشرذمهم وعدم تبصرهم في عواقب الأمور، وتقديمهم مصالحهم الشخصية الفردية، ناسين أن الإسلام فوق كل شيء، وأن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، ولينصرونَّ الله من ينصره.

خالد علي يوسف  
السودان - طاب

فأحسن تأديبي». والمقال طيب ومفيد. لكن هناك نظرًا في صحة هذا الحديث، كما حكم بذلك أئمة الحديث، وإن كان معنى الحديث صحيحًا في ذاته، وكما هو معلوم فقد يصح الحديث معنى ولا يصح سندًا. وهذا هو حكم جهابذة الحديث على هذا الحديث:

- ضَعَّفَهُ شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه «مجموعة الرسائل الكبرى»، حيث قال: «معناه صحيح، ولكن لأُعرف له إسناد ثابت».

- ذكره ابن الجوزي في الأحاديث الواهية، وقال: لا يصح، ففي إسناده ضعفاء لا مجاهيل.

- ذهب كل من السخاوي والسيوطي مذهب ابن تيمية بصدد الحديث، من حيث صحة معناه، وعدم معرفة إسناد ثابت له.

- ذكره العجلوني في كتابه «كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس»، حيث أطال النفس وأيد ما ذهب إليه السابقون في حكمهم على الحديث.

- ذكره الألباني في كتابه «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة» المجلد الأول. وقد ذهب مذهب السابقين أيضًا بصدد الحكم على الحديث؛ حيث ذكر الحديث، وأورد آراءهم وأحكامهم وأقرهم على ذلك. ولا أريد أن استقصي حكم كل من تناول الحديث، ولكن ذكرت طرْفًا لعله يعطينا ما نبتغيه من الحكم على الحديث المذكور.



## متابعات حديثة

في أثناء اطلاعي على العدد ٢٢٢ من مجلة الفيصل الغراء لفت نظري ما يلي: أولاً- في مقال «بيان محمد صلى الله

عليه وسلم من أمارات تفرد»، وهو مقال طيب، نسب كاتبه الفاضل إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - حديث: «أدبني ربي



ترجمة موسى بن عطاء وهو كذاب». انظر السلسلة المجلد الثاني حديث رقم ٥٩٣. وكان يُعني عن هذا الحديث نصوص من الكثرة بمكان من الكتاب والسنة صحيحة بما لا يدع مجالاً لأدنى شك. بقيت كلمة أخيرة، وهي أن الحديثين السابقين مما يشتهر جداً على ألسنة الناس، ويظن كثير من الناس صحتهما، ولكن الذي ينبغي أن يُعلم، أن شهرة الحديث ليست دليلاً على صحته سنداً وشرعاً وكذلك صحة معناه ليست دليلاً أيضاً على صحة سنده.

محمد نجيب لطفي  
العدوة - الفيوم - مصر

يفتني قراءة هذه الزاوية قط حسبما أذكر - ذكر الكاتب حديثاً أكد نسبته إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وهو كسابقه صحيح من حيث المعنى، ولكنه لم يصح سنداً. والحديث هو «الجنة تحت أقدام الأمهات»، الحديث ذكره العلامة الألباني في سلسلته «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة» ثم أعقبه بما نصه: موضوع. رواه ابن عدي والعقيلي في الضعفاء عن موسى بن محمد بن عطاء: ثنا أبو المليح ثنا ميمون عن ابن عباس مرفوعاً. وقال العقيلي: «هذا منكر نقله الحافظ في

ولكم وددت لو أن أخي الكاتب تحرى الدقة بصدد تخريج الحديث، ثم تحقيقه، وهو الذي بذل جهداً طيباً في المقال ولكن...! ولعل إخواني كتاب الفيصل خاصة والكتاب عامة يتحرون الدقة بصدد ما يذكرون من أحاديث نبوية شريفة، حيث ينبغي أولاً إسناد الحديث وعزوه إلى مُخرِّجِه، ثم بعد ذلك الحكم على صحته من خلال حكم جهابذة الحديث في ذلك. ولقد نبهنا إلى هذا الأمر الخطير الجليل غير مرة. ثانياً - في مقال «الطريق إلى الله» - وهي زاوية أحرص على قراءتها كل عدد، وربما لم

العدد (٢٧٨) يناير/كانون ثاني ١٩٨٢م ص (٤٧): «وفي هذا - أي في هذا الحديث - قال الإمام الشوكاني - رحمه الله -: «ميتة الجاهلية تشبه بأهل الجاهلية، فليس المراد أنه يموت كافراً، بل يموت عاصياً» نيل الأوطار ج٧ ص ١٩٤.

ويقول الكاتب سالم البهنساوي أيضاً في الصفحة نفسها: «والبيعة الأولى فقط هي التي يُكفر من تخلف عنها، وهي البيعة على الإسلام، أما غيرها فيكون المتخلف عنها عاصياً، فمثلاً بيعة الهجرة قال الله عنها: ﴿والذين آمنوا ولم يهاجروا﴾ (الأنفال: ٧٢)، فلم يرفع عنهم الإيمان. إن الجاهلية، ترد في النصوص الشرعية بمعنى الكفر وترد بمعنى المعصية، فالأولى هي ما تتعلق بالعقيدة



## الجاهلية : كفر أم معصية ؟

الأمر يدفع للكفر كما جاء في الحديث: «ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية». انتهى. وكما يبدو من كلام الدكتور الشويعر أنه فهم ظاهر النص، فهو يرى أن ميتة الجاهلية تعني الكفر، ولا أظن الأمر كذلك. وقد أطلعتُ على رأي بهذا الخصوص أحب أن أوردته كما هو: كتب سالم البهنساوي في مجلة «العربي» الكويتية

أشكركم على الجهود التي تبذلونها في سبيل إخراج المجلة بهذه الحلة المتميزة شكلاً ومضموناً، وبعد:

فقد نشرت «الفيصل» في العدد (٢٢٤) مقالاً بعنوان «السمع والطاعة» بقلم الدكتور محمد بن سعد الشويعر، وقد جاء في نهاية المقال ما نصّه: «لأن السمع والطاعة واجبان على كل مسلم، ولأن نزع البيعة من يد ولي



كالحكم بكتاب الله، وفيها قال الله عز وجل: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ (المائدة: ٥٠)، والثانية هي ما عدا ذلك كقول الله عز وجل: ﴿وَلَا تَبْرَحْنَ تَبْرِجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ (الأحزاب: ٣٣). وقول النبي صلى الله عليه وسلم لأبي ذر: «إنك امرؤ فيك جاهلية»، ومن ذلك أحاديث البيعة والجماعة على النحو سالف الذكر. انتهى كلام البهنسائي. وأود أن أطرح سؤالاً على الدكتور محمد: لقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم - كما رأينا - لأبي ذر رضي الله

عنه: «إنك امرؤ فيك جاهلية»، فهل كان صلى الله عليه وسلم يريد أن يقول إنك امرؤ فيك كفر؟ لا أعتقد ذلك. فكلمة جاهلية - كما رأينا - ترد في النصوص الشرعية بمعنى الكفر وترد بمعنى المعصية - وقد ترد بمعنى الكبر والعصبية، والله أعلم.. - وأخيراً فقد رأيت أن من واجبي أن أنبه إلى خطأ، لعله وقع سهواً، وأرجو أن أقرأ رد الأخ الدكتور محمد الشويرع على ما جاء في كلمتي.

### محمود بن تركي الداود

قرية جوباس - إدلب - سورية

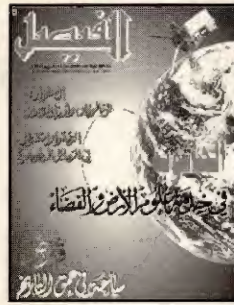
المقوس أو المنحني.  
والتركيب كاملاً يعطينا اسم الحيوان، وهو «الفرس المقوس» ويطلق عليه العامة اسم «فرس البحر» CHEVAL MARIN.

ويتراوح طوله ما بين ١٠ إلى ١٥ سم، ورأسه يشبه رأس الفرس، ويمتاز أيضاً بطريقة سباحته العمودية الفريدة من نوعها، حيث يسبح وهو منتصب القامة. وينتمي إلى عائلة SYNGNATHIDES.

أما فرس النهر، ويسمى علمياً - HIP POPOTAMUS، وهي أيضاً كلمة مركبة من شطرين: HIPPOS فرس، و POTAMOS نهر، أي «فرس النهر». ويعد من الحيوانات الثديية، ضخمة الجثة ويبلغ وزنه حوالي طنين، وهو من الحيوانات العشبية HERBIVORES، حيث يهضم يومياً قرابة ٦٠ كيلو جراماً من الأعشاب، ويشرب كمية هائلة من الماء. ويُصنّف علمياً ضمن «ذوات الحافر» تحت صنف «زوجيات الأصابع»، ويمكنه قطع مسافة ٣٠ كيلو متراً عند شعوره بأي خطر يداهم.

له جسم أسطواني ضخم محمول على أربعة قوائم قصيرة وقوية جداً تساعد على المشي بكل حرية، رأسه كبير، وأذناه قصيرتان وعينه بارزتان، ووجه مفرط في الضخامة، وله أنياب قوية وفم كبير، وذيله قصير مغطى ببعض الشعيرات، أما جسمه فهو خالٍ تماماً من الشعر.

يعيش هذا الحيوان بالقرب من الأنهار في مجموعات تتكون من حوالي عشرين فرداً يحمي الذكور فيها الإناث والصغار من الأخطار المحدقة بهم.



## فرس البحر وفرس النهر

طالعت باهتمام العدد «٢٢٣» من مجلة الفيصل الغراء، إصدار شهر محرم ١٤١٦ هـ/يونيو ١٩٩٥ م. وقد كان عدداً بارزاً بما حوى من مقالات ودراسات جادة ومفيدة للقراء الكرام. ولقد استمتعت كثيراً بقراءة مقالة الأستاذة نجلاء حسن حامد عن فرس البحر، والتي عنوانها «في عالم فرس البحر: الذكر يلد ويقرن بأنثى واحدة!!».

وبعد اطلاعي على هذه المقالة بدت لي ملاحظتان مهمتان وددت أن أسجلهما على صفحات مجلتنا الرائدة كي تعم الفائدة

ويزول الالتباس.

أولاً: ورد خطأ في ذكر سنة صدور العدد «٤» من المجلد «١٨٦» لمجلة NATIONAL GEOGRAPHIC، حيث ورد أنه صدر في شهر أكتوبر ١٩٩٥ م، والصحيح: ١٩٩٤ م.

ثانياً: ذكرت الكاتبة أن كلمة HIP POPOTAMIS تعني «فرس البحر» و«فرس النهر» معاً، وهذا خطأ؛ ففرس البحر يسمى علمياً HIPPOCAMPS «إيسوكاب» وهي كلمة مركبة من شطرين اثنين: HIPPOS بمعنى فرس، و KAMPS أو KAMPE بمعنى



والشاهد إثر الشاهد، والأشعار بعد الأشعار،  
لإثبات ظاهرة لم أعارضها أنا في الأساس، بل  
إنني دعوت لها وتبنيتها!

لقد دافع المعقب - في رده عليّ - عن  
شرعية انتماء الإنسان إلى الأرض والأمة  
والوطن والعقيدة.

ومن يقرأ هذا الرد، يخيل إليه أنني في  
مقالي الأصلي، عارضت هذا النوع من  
الانتماء، مع أنني عددته الانتماء الطبيعي  
الذي يجب أن نتمسك به، ردّاً على  
الانتماءات الضيقة التي تخدم مصالح خاصة.  
ويظهر هذا، من خلال قلبي: «إنني لا أتبع أية  
فئة، بل أتبع الإنسان والأمة والوطن والخير  
والعدالة».

فلماذا جَهدَ المعقب كي يثبت شيئاً  
ويسوق الأدلة والبراهين على صحته، مع أنني  
لم أعارضه أساساً، وإنما بالعكس، فهو الذي  
دعوت إليه بالذات وطالبت به!!

ومن جهة ثانية، فإني لم أعارض حتى  
الانتماء الضيق، بل عارضت نوعاً محدداً  
منه، وهو الانتماء الضيق الضار الذي ينأى  
بالمتمتع عن مصلحة الوطن ويجعله أسيراً  
لأفكار الجهة التي ينتمي إليها. ويظهر ذلك  
من خلال قلبي: «فعلى الرغم من أن الانتماء

وختاماً أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ  
نجلاء على مجهوداتها، وكذلك إلى العاملين  
على إصدار هذا النبراس المعرفي الذي لن يخبو  
أبداً، ياذن الله.

عبدالرزاق بریم  
باب الوادي - الجزائر

تلد أنثى فرس النهر صغيراً واحداً كل سنة،  
حيث يبقى جنين هذا الحيوان في رحم أمه مدة  
تتراوح ما بين ٢٢٥ إلى ٢٥٧ يوماً، وبعد أن  
تلد الأنثى تعتني بصغيرها فترضعه مدة قد  
تصل إلى سنة كاملة، أما مدة حضانتها له  
فهي تتراوح ما بين ٣ إلى ٤ سنوات.

## تعليقات نافسات وتعليقات نافسات



## الانتماء لمن؟

الصحيح للرأي. وأقول بكل صراحة، إن المعقب  
الكریم، إما أنه لم يفهم فحوى مقالي ومضمونه  
الجوهري، أو أنه قد فهمهما، ولكنه أثر الابتعاد  
من لب الفكرة الأصلية، لأنه لم يجد فيها ما  
يستوجب الرد. واختار - بدلاً من مواجهة  
القصد الحقيقي من مقالي - أن ينقد فكرة لم  
أقصدها أصلاً، وأخذ يورد الدليل تلو الدليل،

تضمن العدد (٢٢١) من مجلة الفصيل  
تعقيباً على مقال لي، سبق أن نشرته المجلة -  
مشكورة - في العدد (٢١٦) بعنوان (نعم..  
هناك فكر مستقل). وعلى الرغم من كوني من  
أكثر الناس احتراماً للرأي الآخر، وللحوار  
الموضوعي النزهي، فإني لم أجد في التعقيب  
المذكور رأياً، مناقضاً لرأيي، بالمعنى العلمي

## ملاحظات عامة

للتشرع فإن هذا لا يعني أنه «غير صالح للنشر» في غيرها، وإنما  
يعني عدم مناسبة لسياقة النشر فيها.

٤- أن يرفق الكاتب (الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة) مع  
موضوعه، الاسم والمؤهلات العلمية والإنتاج الفكري - إن وجد -  
وعنوان المراسلة، في ورقة مستقلة.

٥- الموضوعات المنشورة في هذه المجلة تعبر عن  
آراء أصحابها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

مع تقديمنا لكل من يسهم في الكتابة في المجلة، فإننا نرجو من  
كاتبنا الكرام أن يضعوا في حسابهم الملاحظات التالية:

١- أن يتم الموضوع المقدم للنشر بأجدة والموضوعية، مع توثيق  
المراجع إذا اقتضى الأمر ذلك.

٢- ألا يكون الموضوع منشوراً من قبل، أو مرسلاً إلى أي جهة  
أخرى ناشرة.

٣- حين تود المجلة على كاتب ما بأن موضوعه «غير مناسب

# الفصيل

مجلة ثقافية شهرية  
تصدر عن دار الفصيل الثقافية

الفصيل العدد ٢٢٤ / من ٢٠١٤



يتيح الفرص للتعاون والتفاعل والتواصل والعمل الجماعي، فإنه كثيرا ما يقحم المنتمي في دروب غسير الدروب التي يريدوها. وكذلك من خلال قلوي - في مقطع آخر من مقاطع المقال :- «إن الانتماء قد يكون مفيداً أو ضاراً».

إنني أفرق بين الانتماء إلى فئة ما بقصد المنفعة الشخصية، وهو ما عارضته في مقالتي، وبين الانتماء العام إلى الوطن والأمة، وهو ما أيدته بقوة وعددته رديفاً للاستقلالية.

لقد بينت في مقالتي أن من الأفضل للإنسان أن ينتمي إلى الوطن كله، وإلى الأمة بأسرها، تحقيقاً للمصلحة العامة، بدلا من الانتماء إلى فئة معينة بغية تحقيق المصلحة الخاصة، فيجئ المعقب ويرد على ذلك بالقول إن الانتماء، ظاهرة طبيعية موجودة منذ الحياة الأولى للبشرية، بدليل انتماء الإنسان إلى الأرض والوطن والأمة! فهل هذا يعد رأيا مضادا لرأيي؟

لقد كان مقالتي في واد، وتعقيب المعقب في واد آخر، وأنا أدعوه أن يعيد قراءة المقال مرة أخرى حتى يدرك أن محوره الأساس يقوم على أن خير ما يمكن أن يقوم به الإنسان، هو الولاء، أو الانتماء العام لأمته

وطنه ودينه ومبادئه. أما الانتماء الضيق إلى فئة من الفئات، فهو أيضا مفيد؛ بل إنه ضروري، إذا كان انتماء واعياً يقصد منه خدمة مجموع الأمة وكامل الوطن، ولكن هذا الانتماء، يصبح مرفوضاً، ويستحق أن يدخل قفص الاتهام، إذا كان القصد منه الحصول على مكاسب ومغانم واستثناءات لا يستحقها المنتمي، والوصول إلى مناصب ومراكز هو غير مؤهل لها. أفلا يتوجب علينا جميعاً أن نكون ضد الإنسان غير المؤهل وغير الكفو الذي ينتمي إلى فئة ما، تعويضاً عن عدم أهليته وافترقه إلى الكفاءة، وحتى تحقق له هذه الفئة من المكاسب الشخصية، ما يعجز هو بكفاءته الفقيرة عن تحقيقه؟ إن الوطن هو الأساس، فإذا كان الانتماء الضيق وسيلة لخدمة الوطن بأكمله، فإنه انتماء خير وعظيم ومطلوب. ولحسن الحظ أن هناك أناسا كثيرين ينتمون من أجل هذه الغاية، ويدخل انتماءهم ضمن هذا المفهوم النبيل. لذلك فهم يستحقون منا التقدير. أما إذا كان القصد أن يصبح الوطن كله، وسيلة لخدمة المصالح الخاصة للمنتمي، ولوصوله إلى المناصب الرفيعة، فإن الانتماء يكون مدمرا. إن مقالتي لم يرم في الأساس إلى انتقاد الانتماء، بل إلى الدفاع عن الاستقلالية.

فبعض المنتمين يعتقدون أن كل من ليس معهم، فهو ضدهم. وهذا غير صحيح، لأن هناك أناسا كثيرين - بل إنهم يشكلون الأغلبية - لا ينضون تحت لواء أية فئة أو فئة، فهم أحرار ومستقلون في آرائهم، ويفكرون بوحى من المصلحة العامة لأمتهم، دون التقيد بأفكار فئة من الفئات. فهل في هذا ما يضر؟ وهل يجب محو هؤلاء من خارطة الوطن، وحرمانهم من حق المواطنة، إذا لم يكونوا منتمين إلى جهة من الجهات، أو جماعة من الجماعات العلنية أو السرية؟ هذا هو لب الفكرة وجوهر الموضوع. وكما رأينا فإن المعقب الكريم لم يتعرض لإطلاقا للرد على أفكاره هذه، بل راح يتحدث بدلا من ذلك عن شرعية الانتماء للأرض والوطن والأمة، وكأنني أخالف هذه الشرعية! أو كأنني لن أعد هذا الانتماء هو الانتماء الأكثر شرعية والأكثر تحقيقاً لمصالح الوطن! أخيرا، أرجو المعذرة، إذا كنت قد لجأت إلى بعض التكرار في ردي هذا، فالمقصود من ذلك أن تصبح أفكاره واضحة وغير عسوية على الفهم.

ياسر الفهد  
دمشق - سورية



## العنوان

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ -  
المملكة العربية السعودية  
هاتف ٤٦٥٣٠٢٦ - ٤٦٥٣٠٢٧  
٤٦٤٧٨٨٤ -  
فاكسملي: ٤٦٤٧٨٥١

رمدد ١١٤٠ - ٢٥٨ رقم الإيداع ١٤/٥٤٢

## الأسعار:

السعودية ٨ ريالات - الكويت ٦٥٠ فلسا - الإمارات  
٧ دراهم - قطر ٧ ريالات - البحرين ٧٥٠ فلسا - عُمان  
٧٥٠ يسة - الأردن ٥٠٠ فلس - اليمن ٤٠ ريالاً - مصر  
جنيها - السودان ١٥٠ جنيها - المغرب ٨ دراهم - تونس  
٦٠٠ مليم - الجزائر ١٠ دنانير - العراق ٤٠٠ فلس - سورية  
٣٠ ليرة - ليبيا ٨٠٠ درهم - موريتانيا ١٠٠ أوقية - الصومال  
٢٠٠٠ شلن - جيبوتي ١٥٠ فرنكا - لبنان مايعادل

٤ ريالات سعودية - الباكستان ٢٠ روبية - المملكة المتحدة  
جنيه استرليني واحد.

## الاشتراكات السنوية:

للأفراد ١٥٠ ريالاً سعودياً، للمؤسسات ٢٥٠ ريالاً  
سعودياً.

## الإعلانات:

يتم الاتفاق عليها مع إدارة المجلة.



## اللس غير المتفرغ!



د. علي شلش

وأعجبني شعره المملوء بالمغامرات اللغوية والصور الجريئة. ومن طريقه عرفت شيكاغو القرية من أيوا، كما عرفت الكثير عن أيوا الولاية، لا المدينة. ومع ذلك لم أعرف شيئاً عن لصوصيته، ولا سألته عنها بعدها. ولكنني عرفت من ثرائته معنا جميعاً أنه تصعلك كثيراً، أو «تقمط» كما نقول في عاميتنا، ولا يمنع هذا بالطبع من أن تكون يده قد امتدت إلى شيء أو أشياء. والأغلب أنه فعل ذلك ليأكل أو ليشرب، وأنه لم يكن «لصاً» رسمياً له أوراق اعتماد في دوائر الشرطة!

ومع هذا كله فليس ذلك هو المهم. المهم هو: ما الذي أطاح به خارج أمريكا كلها إلى اليابان؟

من رسائله ومهاتفاته القليلة بعد ذلك عرفت أنه ترك عمله كمدرس بالجامعة فور انتهاء البرنامج، أي في أوائل عام ١٩٧٧م، ثم عمل ميكانيكي سيارات حتى يحقق دخلاً أكبر. وبعد عام باع كل ما يملك، واشترى موتوسيكلًا، واستقل باخرة، وذهب إلى اليونان في ضيافة أديب يوناني كان معنا هناك. ولكنه مالبث أن ضاق بالصلعة اليونانية، فباع الموتوسيكل بعد أن اتفق مع شاعرة يابانية - كانت معنا أيضاً - على السفر إلى بلادها لاستطلاع الأمور هناك. وفي اليابان طاب له المقام، وعمل محرراً بشركة للدعاية والإعلان، ثم تزوج يابانية، وأنجب طفلين، ولم يغادر طوكيو منذ ذلك التاريخ إلا لمهمات رسمية كالتى جاءت به إلى هولندا.

أين ذهب الشعر؟ غطس في أعماق برث بلوم، ولم يظهر له أثر.

وخسرنا شاعراً كان يعد بالكثير، مثلما خسر اللصوص لصاً غير متفرغاً!

اسمه - مختصراً لسيرة حياته في إحدى رسائله الخفيفة الظل، وكلها كانت خفيفة الظل في الحقيقة. وفي هذا المختصر، الذي يكتب - عادة - بلغة تقريرية خالية من أي فكاهة، ذكر برث أن عمره ٢٧ سنة، وأنه نال الماجستير عن ديوان شعر قدمه لورشة الأدباء بالجامعة المذكورة، وأنه عمل كذا وكذا، حتى وصل إلى عبارة: «كما عمل لصاً غير متفرغ».

ومقدار ما ضحكت عندما قرأت هذه العبارة شاقني أن أراه، وأن أسأله عن أسرار المهنة، إلى درجة أن أول سؤال بعد لقائنا في المطار، وبعد السلام والتحية، كان عن وظيفته السابقة الغريبة هذه.

ويبدو أنني تعجلت في وقاحتي، ولم أنتبه لوجود الأديب الأرجنتيني الذي تصادف أن جاء معي على الطائرة ذاتها من نيويورك. ومع أنني اكتشفت، منذ أول لحظة ناداني فيها على باب المطار، دون معرفة سابقة، أنه ذكي جداً، وبشوش جداً، برغم لحيته التي أرسلها على طريقة شبابنا المتدين، فقد شعرت أن السؤال أحرجه. ولكنه تغلب على حرج الموقف بدعابة خاطفة، فقال: «آه. هذه حكاية تحتاج إلى جلسة، لانتخف على أي حال».

مضت بنا الأيام والأسابيع بعد ذلك في تلك المدينة الصغيرة التي لا ذكر لها إلا بجامعتها، وعرفت الكثير عن برث بلوم، وقرأت ديوانه،

جاءني صوته عبر الهاتف وكأنه يحدثني من البيت المجاور. ولكنني حين سألته عن مكانه قال إنه يحدثني من هولندا. هولندا!!!

أجاب صديقي الشاعر الذي لم أراه، ولم أسمع صوته، منذ ١٥ سنة:

- نعم. أنا هنا منذ يومين وسأعود غداً إلى طوكيو.

ورحنا نثرثر بشوق، وتبادل أخبارنا بلهفة، حتى شعرت أنني كبذته فوق ما يطيق، فسكتنا عن الكلام المباح بعد نحو نصف ساعة. ووضعت سماعة الهاتف، ثم غرقت في بحر من الذكريات.

عرفت صديقي هذا عام ١٩٧٦م بالضبط، أو على التحديد ظهر يوم أول سبتمبر من ذلك العام. وكنت وقتها مدعوا للإقامة بمدينة أمريكية صغيرة في الغرب الأوسط، والمشاركة لمدة أربعة أشهر في برنامج دولي للأدب، تنظمه جامعة أيوا المنسوبة إلى تلك المدينة. وكان هو سكرتير البرنامج. ومن واجباته أن يستقبل الأدباء المشاركين في أقرب مطار للمدينة الصغيرة. وطوال شهرين قبل ذلك التاريخ أمطرتني برسائل رسمية من البرنامج عن المدينة والجامعة والجيرة، وعن نفسه ونفوس المشاركين الآخرين القادمين من قارات العالم الخمس أو الست. وفي تلك الوسائل استوقفتني شيء واحد لا علاقة له بالبرنامج ولا بالأدب. فقد أورد برث بلوم - وهذا

(\*) من مجموعة المقالات التي خص بها الكاتب - رحمه الله - «الفيصل» قبل وفاته بمدة يسيرة.